

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université Mustapha Stambouli

Mascara



جامعة مصطفى اسطمبولي

معسكر

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مخبر: الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

تخصص: تاريخ حديث

فرع: علوم إنسانية

العنوان:

أعلام المخطوطات في الجزائر العثمانية المتصوفة أنموذجا

يوم: 2024/11/25

تقديم الطالب: رخرور يونس

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
برنو توفيق	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	رئيسا
سيدهم فاطمة الزهراء	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة معسكر	مشرفا ومقررا
بوجلال قدور	أستاذ محاضر "أ"	جامعة معسكر	مشرفا مساعدا
درعي فاطمة	أستاذة التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
شرف عبد الحق	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	عضوا مناقشا
دياب بومدين	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أمي رحمة الله عليها

وإلى أبي بارك الله في عمره

وإلى ابنتي مريم قرّة عيني

إلى رفيقة دربي زوجتي

وإلى أخواتي و أخواتي عبدالله وصلاح الدين و محمد

وإلى كل اصدقائي، وإلى جميع زملاء الدراسة

وإلى جميع اساتذة قسم التاريخ جامعة معسكر

رذروور يونس

كلمة شكر

قال الله تعالى { إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ }

أشكر الله تعالى ان وافقني في انجاز هذا العمل، كما اتقدم بشكر الجزيل لأستاذة المشرفة «سيدهم فاطمة الزهراء» التي لم تبخل علينا بالمعلومات و الملاحظات وصبرها طول فترة هذا العمل، كما اتقدم بالشكر لأساتذة كل من قدور بوجلال و تقي الدين بوكعبر و توفيق برنو ولأستاذة صباح بعاريسة كما اتقدم بالشكر للأخ و الزميل أسامة تتي

كما اتقدم بالشكر الجزيل لجميع اساتذة قسم التاريخ بجامعة إسطنبولي مصطفى

ومؤطرين وإداريين والى جميع الزملاء وكلم ساهم في هذا العمل من قريب وبعيد رجيا من الله ان يكون هذا العمل صدقة جارية في صحيفة أمي رحمة الله عليها وصدقة جارية على الأستاذ الدكتور: "رزقي عبد الرحمن" رحمة الله عليه

مقدمة

إن البيئة الثقافية في الجزائر حافلة بالوقائع التاريخية، وغنية برموزها وإباحتها، التي لا تزال في مهدها بحيث تتوفر على مساحات خصبة للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، قصد معالجة عديد من المواضيع التي يزخر بها تاريخنا بشكل عام والتاريخ الثقافي بشكل خاص، ومن بين هذه المواضيع، التصوف الإسلامي عبر مراحل التاريخ. و مما لا ريب فيه هو أن البيئة الجغرافية المغاربية شكلت أرضية خصبة في تثبيت قواعد التصوف الإسلامي ، وعلى هذا الأثر وفي محاولة إثراء الموضوع وتقديم ما استطعت حوصلته عبر قراءاتي ومطالعتي المتعددة لظاهرة التصوف والمتصوفة كظاهرة إجتماعية ودينية خاصة الفترة الحديثة منها .

الجزائر كغيرها من الاقطار الاسلامية شهدت انتشاراً واسع لظاهرة للتصوف والطرق الصوفية والمتصوفة ،التي سوف تؤثر هذه الفئة بشكل على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية وبالخصوص الحياة الدينية والثقافية ،وتجسد ذلك في الانتاج الفكري والعلمي والديني وغيره من الجوانب، الذي سوف يكون بمثابة المادة الدسمة في جذب الكثير من العلماء، ومقصد الكثير من طلبة العلم من المغرب والمشرق، خاصة بعد ظهور الكثير من الزوايا و تأسيس المدارس التي ذاع صيتها في تلك الفترة الزمنية، واحتضنت هذه الفئة، إضافة إلى ظهور بعض الحكام الذين ساهموا بشكل أو اخر في تشجيع الحركة العلمية والمتصوفة في حركة التأليف في الجزائر خلال العهد العثماني، كما نلاحظ كثرة المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني، لهذا وقع اختياري على بعض النماذج،سوف يتم ذكرهم لاحقاً.

من خلال الأبحاث والدراسات التي تناولت بالبحث موضوع الحركة الثقافية بالجزائر العثمانية، لوحظ نوع من الإنتشار للعلم والثقافة بإيالة الجزائر خاصة كتابات المتصوفة منها ومرجعية ذلك لا يكمن في ظهور فئة العلماء المتصوفة وشيوخ الزوايا فحسب، بل ويرجع بالدرجة الأولى إلى نخبة من الحكام العثمانيين الذين كان لهم دور كبير في تشجيع الطرق الصوفية والمتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني، وكذلك المساهمة في تنشيط الحياة العلمية والفكرية عن طريق تشجيع العلماء والفقهاء والحركة العلمية والثقافية خلال الفترة المدروسة.

مهما كان من أمر فإنه من غير المعقول أن نحكم على مجتمع ما أنه مثقف ثقافة متينة الرصد ذائعة الصيت ذات مكانة وتأثير، دون الإعتماد على براهين ودلائل قطعية توجي بثبوت تلك الثقافة، كما أردنا أن نُعبّر عن تلك البراهين والدلائل بكلمة المعالم لأنها أقرب دلالة وأنسب لفظ للموضوع، وتمثلت تلك المعالم والتي إعتدنا عليها في هذه الدراسة في الحواضر العلمية ورجال العلم والتصوف وإنتاجهم الفكري والعلمي والديني والأدبي.

ومن أجل إبراز المعالم الثقافية في الحواضر الجزائرية وتقييم إسهامات العلماء الجزائريين خاصة منهم المتصوفة في إحياء الحركة الفكرية والأدبية في العهد العثماني تم إختيار موضوع: " أعلام المخطوطات الجزائر العثمانية المتصوفة أنموذجاً "، كما إتخذنا من أهم حواضره عينات للدراسة ،ويرجع هذا الاختيار إلى

طول الفترة المدروسة، بحيث حدودها الزمنية ثلاثة قرون (1518-1830م)، وكذلك وقع إختيارنا على بعض النماذج من أعلام المخطوطات المتصوفة، ويرجع ذلك إلى كثرتهم بالجزائر العثمانية، بحيث حاولنا تتبّع فيها الإنجازات الفكرية والعلمية لأهمّ علماء الجزائر المتصوفة آنذاك، وتقييم إنتاجهم الفكري والحضاري، وذلك سعياً للكشف عن الأهمية التي اكتسبتها الحواضر العلمية كمراكز ثقافية وإبراز جهود المؤسسات الدينية في رفع راية العلم وتشجيع الدارسين والعلماء.

والدّارس يُلاحظ نقصاً كبيراً في دراسة أعلام الجزائر بصفة عامّة وأعلام المتصوفة بصفة خاصّة، والمتوقّف من هذه الأبحاث نجدّه يتميّز بالإختصار وينقصه التّحليل العميق، وبالتالي جاءت هذه الدّراسة التعرف على حياة الصوفية ومساهماتهم في الحياة الثقافية والفكرية والعلمية بالجزائر العثمانية.

أهمية الدراسة:

في محاولة إبراز مساهمة النخبة المتصوفة في إثراء الخزّانة الجزائرية على وجه خاص والمكتبة الإسلامية وجه عام بمؤلفات في مختلف التخصصات والفنون، كما برع علماءها في الفقه، ويظهر ذلك ما كتبه الشيخ أبو راس الناصري على سيدي خليل وسماه "واسطة عقد الحواشي علي جيد شرح الشيخ الخراشي" و كتابه الحاوي في الثّصوف، واحمد يوسف الملياني الراشدي الذي كتب العديد من المخطوطات من بينها بستان الأزهار لابن الصباغ القلعي، ونجد المتصوف الشيخ عبدالكريم القسنطيني الذي ألف العديد من المخطوطات من أهمها منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، وايضا العالم عبدالرزاق ابن حمادوش الذي زواج بين العلوم النقلية والعقلية وكان كثير التّأليف ولعل أهمها رحلة ابن حمادوش المسماة: "لسان المقال في النّبأ عن النسب والحسب والحال" كمصدر لتدوين تاريخ الجزائر عامة والتاريخ الثقافي خاصة، والعامل المشترك بينهم هو التّصوف.

انطلاقاً مما تقدم وهي المعطيات التي يمكن اعتبارها من بين أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع بالدّراسة والتّحليل نذكر منها:

بهدف إبراز المكانة الحقيقية العلمية والفكرية والدينية للنخبة الجزائرية خلال العهد العثماني، والعمل على إعادة إحياء تراث تم إغفاله، بحيث نحن بحاجة ماسة له الآن، تراث يجب إخراج من بوتقة الإحتكار والإهمال وغيرها من العوامل، ومساهمة منا لإثراء المكتبة الجزائرية بهذا العمل.

محاولة إبراز معالم الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية، ومن أجل مواجهة تلك النزعة الحاملة لبذور وأفكار إشاعات وأطروحات المدرسة الفرنسية الإستعمارية المجانبية للحقيقة التاريخية بغرض خدمة الاستعمار الفرنسي وتبرير وجوده بالجزائر، كما نلمس هذا من خلال الكتابات الفرنسية إذ كانت دوماً تبحث و تتقصى على الوهن الذي قد يصيب الجزائر خاصة في أواخر العهد العثماني، بحيث تصفُ المجتمع الجزائري آنذاك بالجهل والهمجية وأن الفرنسيين لهم الفضل في ازدهار الحضارة في الجزائر.

السعي في إظهار الحقيقية التاريخية على أنّ الفترة العثمانية فترة مهمة من تاريخ الجزائر الحديث وعلى أنّها المعبر الزمني الذي حافظ على قيمها الحضارية وتراثها ومقوماتها الإسلامية العربية، التي تعمقت جذورها ورسخت دعائمها أثناء الوجود العثماني بعد أن تبلورت وإتضحت معالمها في الفترة الإسلامية السابقة.

هدف الدراسة:

محاولة تصحيح نظرة المصادر الأوربية المجانبية عن حقيقة الوضع الثقافي بالجزائر العثمانية، ومحاولة إثبات على الفكرة التي مفادها بأن الحياة الثقافية خلال العهد العثماني كانت تعرف تطور وإزدهار، وما يؤكد ذلك من خلال معالمها الحضارية والثقافية، ومن خلال الارث الفكري والأدبي والعلمي الثقيل الذي كان ولا يزال قائماً وشاهداً إلى يومنا هذا.

ضرورة الوقوف على ماتخلل الفترة المراد دراستها من إنجازات ثقافية وعلمية وفكرية بالجزائر العثمانية، وتسليط الضوء على أهمّ أعلام خاصة منهم المتصوفة آنذاك مع السعي لتقييم إنتاجهم الفكري والحضاري وكذا إبراز جهود المؤسسات الدينية والثقافية في رفع راية العلم وتشجيع الدارسين والعلماء.

إعادة الإعتبار لبعض رجال العلم بالحواضر الجزائرية، ومنحهم المكانة التي تليق بهم كعلماء بارزين في تاريخ الجزائر الحديث ومفخرة للأمة الإسلامية قاطبة في ماضيها وحاضرها.

في محاولة اخراج أعلام المتصوفة من الجانب الديني، الذي حاول الكثير من الباحثين حصرهم فيه، ومدى مساهمة أعلام المتصوفة في حركة التأليف خلال الفترة العثمانية، كما أن الكتابات الفرنسية المجانبية لم يكونوا ليروا شيئاً جدير بالتنويه والإشادة في ماضي الجزائر خاصة في الفترة العثمانية.

قلّة البحوث والدراسات الأكاديمية حول موضوع أعلام المخطوطات الجزائر العثمانية المتصوفة أنموذجاً، الأمر الذي شجّعنا لدراسة هذا الموضوع خاصّة وأنّه أغلب ما كُتب في ذلك لا يزال مخطوطاً في أدراج المكتبات الخاصّة وفي الزوايا، والرغبة في معرفة تاريخ الحواضر الجزائرية لاسيما من الناحية الثقافية، وذلك لإظهار الدور الريادي العلمي لهذه الحواضر التي مازال تاريخها مُمهّساً عند البعض ومجهولاً عند الكثير.

إشكالية الدراسة:

وعليه حاولنا صياغة عمل متكامل الجوانب يحاول الإجابة على إشكالية تاريخية صغناها كما يلي:

إظهار العوامل التاريخية في انتشار التصوف في الجزائر وخاصة خلال العهد العثماني، وتأثير ذلك على الحياة الاجتماعية، والسعي في إبراز الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية و مظاهرها ومعالمها، والتعرف على أعلام المتصوفة ومساهماتهم في إثراء الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني.

ولإخراج الموضوع في صفة علمية أكاديمية توجب علينا طرح عدة تساؤلات هي كالاتي:

- ماهي الجذور التاريخية للتصوف واسباب انتقاله إلى الجزائر؟
- هل التصوف وليد التجربة المغاربية خاصة، أم هو نتاج للتثاقف الذي شهده المغرب الإسلامي؟
- فيما تمثلت مظاهر الحياة الثقافية بالحواضر الجزائرية خلال العهد العثماني؟
- من هم أعلام المتصوفة في الجزائر العثمانية ومعالمهم الفكرية؟ وكيف أثروا في مجتمعهم وتأثروا به؟، وكيف كانت علاقاتهم الإجتماعية آنذاك؟.
- ماهي أهم آثارهم التي خلفوها؟، وماهي الفائدة التي يمكن الوقوف عليها تاريخياً من هذا التراث الزاخر؟.
- هل كانت كتاباتهم التاريخية تعكس الواقع الجزائري في العهد العثماني؟، وهل تأثرت بتلك الأوضاع؟، وإلى أي حد؟، هل كانت مماثلة لما هو موجود في باقي الأقطار المغاربية؟ أم أنها كانت تتميز بخصوصية؟ ماهي؟.

ومن لأجل الإجابة عن إشكالية البحث وتساؤلاته كان ولا بدّ إعتقاد منهج تاريخي معين، لذلك تمّ الإستناد على المنهج التاريخي القائم على التحليل وكذلك المنهج الوصفي، حيث تمّ إعتقاد النصوص التاريخية المستقاة من مصادرها الأصلية وتحليلها ومقارنتها ببعض الروايات الواردة في المصادر الأخرى التي تناولت الموضوع أو تطرقت من إحدى جوانبه، كما حاولت الدراسة ألاّ تخرُج عن إطارها العام المحدد لها سلفاً من كونها مرتبطة بحياة علماء المتصوفة وأحوال عصرهم وكيف تأثروا بها وأثروا فيها، بالإضافة إلى الخرجات الميدانية بالزيارة لبعض المكتبات الخاصة ومختلف الزوايا، كما حاولنا التواصل مع بعض الشخصيات العلمية والدينية بهدف ربط جزئيات هذا الموضوع وسد بعض الثغرات.

أمّا عن مصادر ومراجع موضوع البحث المطبوع منها، بحيث تحصلنا على البعض من الاستاذة المشرفة، و كذلك في هذا الإطار تم الإتصال ومراسلة كل من الباحثين الدكتور قدور بوجلال والدكتور تقي الدين بوكعبر، اللذان زودنا من خلالها بكتب قيّمة ومتخصصة حول التاريخ الثقافي أملاً في سدّ ثغرة من ثغرات البحث، إلى جانب تشجيعهما لنا على البحث في هذا المجال ولم يبخلوا فيهما بنصائح وتوجيهات قيّمة حول الموضوع.

الدراسات السابقة:

وممّا لا شك فيه أنّ الأمل كان كبيراً في الحصول على مادّة علمية غزيرة عن حياة هؤلاء المتصوفة، إلاّ أنّه وبعد التّقيب عن تفاصيل حياتهم في المصادر المعاصرة لهم وحتىّ اللأحقّة وجدنا فيها مادّة شحيحة وغير كافية، حيث إنّ معظم من ترجموا لهم لم يُنصّفوهم بإستثناء بعض المراجع والمقالات التي حاولت رسم صورة واضحة عن حياتهم العلمية، لكنّها لم تخرُج بصورة واضحة ودقيقة، ولم تكن المعلومات فيها كافية ولا تكاد تسلط الضّوء الكافي على حياتهم وآثارهم الفكرية.

وإذا كانت المصادر قد أغفلت ترجمتهم فإنّ هناك من العلماء المتصوفة من قدّموا لنا معلومات هامّة عن حياتهم وجاءت مؤلّفاتهم مصدرًا هامًا في هذا الإطار، مثل أبوراس الناصر في سيرته الذاتية فتح الإله التي عرّف فيها بنفسه ورحلاته وإتصالاته ومشاهداته وشيوخه وتلاميذه، و الشيخ عبدالكريم الفكون، واحمد يوسف الملياني الراشدي، وعبدالرزاق ابن حمادوش الجزائري ومع ذلك تبقى المادّة التي قدّمها بعض العلماء في كتاباتهم عن حياتهم ليس بالغرض المطلوب في بعض جوانب الموضوع خاصّة ماتعلّق بالحياة الثقافية والعلمية بالحواضر الجزائرية، وقد يكون ذلك مُودعًا في جزء كبير من مؤلّفاتهم المفقودة.

ومع ذلك فقد جاءت مؤلّفات بعض العلماء المتصوفة ضمن لائحة المصادر الأساسية للموضوع وساهمت إلى حدّ كبير في جبر الكسر الكبير المسجّل على مادّة البحث، ولذلك تمّ الرّكون في دراسة ونقد مصادر ومراجع البحث إلى تصنيفها على النّسق التالي:

نجد الدراسة التي قام بها الباحث عبد القادر صحراوي وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تحت "عنوان التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية مابين القرنين السادس عشر والثامن عشر" والتي تعتبر رائدة في هذا المجال، كما تناول الباحث حكيم بن يلس موضوع دكتوراه حول "مراكز التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية خلال (القرنين السادس عشر والثامن عشر) -دراسة فنية تحليلية-".

كما اعتمادنا في موضوعنا على الدراسة التي بها قامت صباح بعاريسة بدراسة شبيهة وهي عبارة اطروحة دكتوراه تحت عنوان: "موقف الحكام و العلماء من المتصوفة في الجزائر في العهد العثماني"، ولديها مقال بعنوان " دور المتصوفة في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م"، ونجد الباحث زروق ججيك وهي أطروحة دكتوراه تحت عنوان: "الرحلات وأثرها في انتشار التصوف في الجزائر العثمانية(10-13هـ)(16-19م) رحلة الورثلاني أنموذجاً، والتي أفادتني كثيراً هذه الدراسات التي سبق ذكرها في خدمة هذا الموضوع.

المصادر والمراجع المتبعة:

المخطوطات:

مخطوط الصباغ عن احمد بن يوسف الملياني: يتناول فيه ترجمة للولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف(1437 م / 1526) كتبها أحد أبناء تلاميذه، وهو شخصية جزائرية عاشت في القرن الخامس عشر ميلادي وبداية القرن السادس عشر، كان وليا صالحا من تلاميذ الشيخ زروق البرنسي عُرف بكراماته ، حارب الإسبان وتحالف مع العثمانيين أثناء حكم سليمان القانوني وساعدهم على فتح الجزائر: ترك خلفه مجموعة من المؤلّفات أهمها الرموز والإشارات، المنهج الحنيف في معنى الاسم اللطيف، حكم في التصوف وغيرها من الجوانب.

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار: لصاحبه أبوراس الناصر وهو يتناول الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر بحيث يعطي وصف لظروف العامة بالمنطقة الغربية وكذلك التدخلات الإسبانية، بحيث يصنف هذا المخطوط ضمن الأعمال الأدبية فإنه تمّ توظيفه تاريخياً في مواضع من البحث أهمّها مشاركة العلماء في فتح وهران الثاني سنة 1792م.

المصادر المطبوعة:

الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني: يعتبر مصدر مهم من الناحية التاريخية، بحيث لا يمكن تجاوزها فقد إستفدنا منه كثيراً في التعرف على حياة أهم الحكام العثمانيين الذي كان له دور كبير في احياء وتنشيط الحركة العلمية في الجزائر، كما يُعطينا صورة واضحة حول الرباط في فتح وهران الثاني ونشاط العلماء المجاهدين المدرّسين به ولذلك جاء مصدراً فريداً في بابه لعدم توقّر هذه المعلومات في مصادر أخرى.

فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: لمحمد أبي راس الناصر وهو مصدر مهمّ لما ورد بين طياته من معلومات مستفيضة أفادتنا في الموضوع بشكل كبير ، بحيث عرّف المؤلّف بنفسه ورحلاته ومشاهداته وشيوخه وتلاميذه، كما يُعطينا صورة واضحة المعالم عن التعليم والتدريس في مدرسة مازونة وكذلك حاضرة معسكر بحيث تكون وتعلم بهما، ومع ذلك تبقى المادة التي قدّمها أبوراس الناصر في مؤلّفه هذا غير كافية بالغرض المطلوب في بعض جوانب الموضوع، خاصّة ما تعلق بحياته العلمية وشيوخه الذين لقيهم هناك وأجازوه حيث أنّه لا يتعرّض بالتفصيل لإجازاته ولا ينقل نصوصها.

طلوع سعد السعود: للأغا بن عودة المزاري، والذي أعطانا صورة موسّعة عن الأحداث التي عاشتها الناحية الغربية من الجزائر في تلك الفترة الزمنية.

فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على اوطانها: محمد الصالح بن العنتري، بحيث قام بتحقيقه وتقديمه الدكتور يحي بوعزيز، ويعتبر هذ الكتاب من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر عامة وتاريخ قسنطينة خاصة.

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر: للحاج أحمد الشريف، وتكمن أهمية هذا المصدر كونه أمداً بمعلومات هامّة عن علاقة حكام البايلك الغربي بالسلطة المركزية، كما ساهم في رسم صورة واضحة المعالم حول طريقة أداء مراسيم تسليم الدنوش الأصغر والأكبر والتي تطلبها الفصل الأول من البحث.

تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر: لمسلم بن عبد القادر الوهراني، وقد جاء هذا المصدر غنياً بالإشارات والمعلومات التاريخية المتعلقة بسياسة البايلك الداخلية، بيد أنّ الأهمية الكبيرة لهذا المصدر تكمن في كونه ساعد في التعريف ببايات الناحية الغربية والترجمة لهم، ولذلك جاء مصدراً فريداً في بابه لعدم توقّر هذه التّراجم في مصادر أخرى.

ام الحواضر في الماضي والحاضر، لشغيب محمد المهدي، الذي تطرق فيه التاريخ السياسي والثقافي لحاضرة قسنطينة، إضافة إلى كتاب منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، بحيث يعتبر من المصادر التاريخية التي لا يمكن الاستغناء عنها في البحث التاريخي خاصة منها الديني والثقافي خلال هذه الفترة المدروسة.

-كتاب "زهر الشمايخ في علم التاريخ" الذي قام بتحقيقه عمر بن حمدادو.

-كتاب "تأثير الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان" قدمه محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب.

كما اعتمدنا على كتاب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" لمؤلفها "الحسين بن محمد الوريثياني" (1125هـ - 1713م / 1193هـ - 1779م) حيث تناول هذا الكتاب التعريف بصاحب الرحلة وأهم المتصوفة الذين زارهم، وقد أفادني كثيرا في موضوع التصوف.

المراجع:

من بين المراجع الكثيرة التي اعتمدت عليها في هذا الموضوع:

يتصدرها كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، حيث تناول فيه كل ماله علاقة بالحياة الفكرية والأدبية والثقافية خلال العهد العثماني كالتعليم والتأليف والتصوف والعلوم والفنون، وبالجملة لم يترك أمراً له علاقة بالموضوع إلا وتطرق له كما كان يختار في كل ميدان أكثر العلماء شهرةً فيه ويترجم لهم تبعاً له، فإن إشتهر عالم بالتدريس أُدرج في فصل التعليم، وإن إشتهر بالتصوف أو بتأليف في علم معين أُدرج ضمنه وهكذا.

أحمد مريوش في كتابه "الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني" حيث أفادني كثيرا في الحديث عن المؤسسات الثقافية التي كانت منتشرة في تلك الفترة ودورها الثقافي، كما تناول التصوف أيضا.

ومما زاد في أهمية هذا الكتاب اعتماد المؤلف على مصادر مخطوطة متنوعة مشتتة عبر مكتبات العالم، وهو يُحلل ويناقش المعلومات التي يُوردها يجتهد في توضيح الملابسات، وقد مكّنه تحكّمه في اللغة العربية من أن ينفذ إلى الموضوع من منافذ مختلفة، وبهذا يكون الكتاب قد أفاد البحث بشكل مباشر.

كما كان لكتابات يحيى بوعزيز حضور كبير في هذا البحث، خاصة منها كتابه أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة وكتاب موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، حيث حاول رسم صورة موسّعة عن حياة بعض الأسر العلمية ودورها العلمي والديني في مدينة معسكر، ونفس الكلام يُقال عن ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي اللذين أعانت كتاباتهما هذا البحث كثيرا وفي جُلّ فتراته بشكل كبير.

ومن المراجع المهمة التي تمّ الاعتماد عليها في هذا البحث كتاب مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين لمولاي بالحميسي، وهو يضمّ تراجم عدد كبير من أعلام مازونة ومعسكر وأغلب تراجمه مستقاة من وثائق مخطوطة، سمّح للمؤلف منصبه كعضو شرفي بمعهد التاريخ التركي، وكنائب رئيس المجمع العالمي للمؤرخين في حوض البحر الأبيض المتوسط بالإطلاع عليها والاستفادة منها، وقد أفادت البحث بشكل كبير خاصّة في الفصل الرابع منه.

ومن المراجع التي إعتدنا عليها في هذا البحث كتاب علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية لسيدهم فاطمة، وهو يضم اهم الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني، التي بدورها تعتبر جانب مهم في الحياة الثقافية في تلك الفترة المدروسة.

مصطفى خياطي في كتابه "الطب والأطباء في الجزائر العثمانية" وهي من أهم الكتب التي إستعنا عليها في الحديث عن الطب في الجزائر خلال العهد العثماني

ومن كتب التّراجم التي تمّ الإعتماد عليها في هذه الدراسة فهرس الفهارس لعبد الحي الكتّاني، وكتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمّد الحفناوي وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، حيث تمّت الإستعانة بهذه الكتب في تخريج بعض الأعلام.

المراجع الاجنبية:

FILALI Kamel, saintete Marabotique et Mysticisme ,Contribution à l'étude du mouvement Marabotique en ALgerie sous La Domination ottomane .

Rinn, Louis, Marabouts et Khouan Etude sur L'Islam en Algérie, ALGER.

الرسائل الجامعية :

رقية شارف وأطروحتها المكملة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: " التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني والى غاية 1267هـ/ 1850م دراسة وصفية تحليلية نقدية مقارنة مقارنة في المنهج التاريخي".

بو كعبر تقي الدين ومذكرته رسالة ماجيستر: "دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على أبي رأس الناصر في قضية نسب أسرة المشاركة".

لزغم فوزية أطروحة دكتوراه: "البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي".

المقالات:

عزالدين بن سفي: "منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب الصيدلة".

عبدالقادر بوزياني: "حياة شيخ الإسلام عبد الكريم القسنطيني (ت1073م)، آثاره العلمية كتاب ((فتح المالك في شرح لامية ابن مالك))".

عبد المنعم القاسمي الحسني: "رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني".

حمادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار "

وقد تناولنا في الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان: التصوف الإسلامي مثل تعاريفه و نشأته وجذوره ، وأستهلّ الحديث فيه عن طرق إنتقاله إلى المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة ومدى تأثرهم بها، بالتركيز على أهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية وعوامل انتشارها.

كما تمّ التطرق في الفصل الثاني فكان بعنوان :معالم الحياة الثقافية في دار السلطان وبايك التيطري، بحيث ناقشنا فيه أهم المؤسسات الثقافية بهما، ويختم هذا الفصل بالحديث عن الحياة العلمية ودور المنشآت التعليمية بهما، ومناهج التعليم بها من مساجد وزوايا ومدارس ومكتبات.

الفصل الثالث كان بعنوان : مظاهر الحياة العلمية والفكرية باحضرة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، فكان الكلام عن أهم مساجد ومعاهد العلم والثقافة بأنواعها المدرسة الفقهية، المساجد، الزوايا ومناهج التعليم بها أولاً، ليتمّ الحديث عن أهمّ مشايخ وعلماء الحاضرة ووفود الفقهاء والطلبة إليها ثانيًا.

وأما في الفصل الرابع خصصناه لبايك الغرب من الناحية الجغرافية، وتمّ التسليط الضوء على حاضرة معسكر، وأهم المنشآت التعليمية بها من مساجد وزوايا ومدارس وكتاتيب ،مع التطرق إلى بعض علماء معسكر وإنتاجهم الفكري والأدبي ،ودورهم في الحياة الثقافية والفكرية خلال العهد العثماني.

وأما الفصل الخامس والأخير جاء تحت عنوان: نماذج من أعلام المخطوطات المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني، مع إعطاء لمحة ببيوغرافية لكل شخصية، وأهم آثارهم العلمية والفكرية، ودورهم في تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر خلال العصر الحديث. اما الخاتمة فهي عبارة عن بعض الاستنتاجات التي توصلنا إليها من دراستنا لموضوع أعلام المخطوطات المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني.

وفي نهاية هذه الرحلة العلمية التي استمرت لنحو ثلاث سنوات فإن كل ما توصل إليه الموضوع الموسوم بعنوان " أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجا " لا أدعي بلوغه درجة الكمال لأن الكمال لله وحده، ولا أعتبره خال من النقائص والعلل بل هو عمل قابل للزيادة والنقصان في ضوء ما يستجد من أفكار وآراء شأنه في ذلك شأن أي موضوع آخر، غير أنني أتمنى أن يكون نقطة بداية لبحوث ودراسات أخرى إن شاء الله، فإن كنت قد أصبت القصد من هذه الدراسة فذلك بفضل

توفيق الله تعالى أولاً، وبفضل أستاذتي المشرفة ثانياً التي بذلت لي مشكورةً مأجورةً من وقتها وجهدها الشيء الكثير.

صعوبات الدراسة:

وقد واجهتنا عدّة صعوبات تمثّلت في مايلي: صعوبة الحصول على أهمّ المخطوطات والوثائق الرّسمية التي تخصّ الفترة بالدراسة، وقد أُجريت في هذا الإطار عدّة تنقّلات ميدانية إلى الجزائر العاصمة وبالخصوص إلى المكتبة الوطنية (الحامة) من أجل الحصول على بعضها، بحيث أنّ جل هذه المخطوطات لم نستطع الحصول عليها لصعوبة تصوير بعضها بسبب الحالة السيّئة التي آلت إليها، أو لأنّ البعض منها في إطار التّحقيق في رسائل الدكتوراه والبعض الآخر كان عدم تصويرها مُتعمّداً، حيث ضيّع علينا إنتظار وترقّب الحصول عليها من الوقت الكثير وبالرّغم من ذلك فإنّه تمّ الحصول على البعض منها تمّ من خلالها محاولة دراسة هذا الموضوع.

وإلى جانب ذلك فقد وُجدنا صعوبات أخرى أعاقت السّير الحسن لهذه الدّراسة، تمثّلت في تكثّم وصمت بعض مالكي المخطوطات الخاصّة بعلماء ورفضهم تزويدنا بها، وكذلك من أكثر الصعوبات التي وجهتنا هو عدم معرفة طرق وقواعد تحقيق المخطوط لانه يحتاج إلى اختصاص، إضافة إلى صعوبات اخرى والتي تمثّلت في: فترة الكوفيد19 بحيث انقطعت وسائل الانتقال إلى الدول الأوربية وإلى الدول العربية وبالتالي زاد من نقص المادة البحثية والاعبارية.

الفصل الأول

التصوف الإسلامي و ظهوره في بلاد المغرب

1. مفهوم التصوف
2. الجذور التاريخية لنشأة التصوف وتطوره
3. العوامل المساعدة لظهور التصوف في العالم الإسلامي
4. عوامل انتقال وانتشار التصوف بالمغرب الأوسط :
5. الطرق الصوفية ومؤسساتها ومواردها في الجزائر خلال العهد العثماني
6. دور الزوايا التعليمي والديني
7. نماذج الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

يعتبر التصوف ظاهرة اجتماعية دينية، التي يعود تاريخ ظهورها إلى القرون الأولى من التاريخ الإسلامي، بل يذهب الكثير من الباحثين أن ظاهرة التصوف تعود إلى الحضارات القديمة، لكن بطرق و كميّات مختلفة عن التصوف الإسلامي الذي له ارتباط وثيق بالدين، وإنما هو إشارة تدل على الزهد في هذه الحياة. أما بالنسبة لظهور وانتقال التصوف ببلاد المغرب، يرجع إلى عدة عوامل منها الداخلية التي كانت سبب في ثبات ظاهرة التصوف في بلاد المغرب عامة كظاهرة اجتماعية دينية، وهناك عوامل خارجية ساهمت بشكل كبير في انتقال التصوف إلى بلاد المغرب، والتي كان لها بالغ الأثر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وحتى منها السياسة التي سوف نذكرها لاحقاً.

والجدير بالذكر أن ظاهرة التصوف في بلاد المغرب عرفت انتشار واسع وظهروا ذلك بظهور الكثير من الطرق الصوفية والمتصوفة وكثرة المريدين منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، انتقالاً إلى الفترة الحديثة، ونخص بالذكر الجزائر خلال العهد العثماني، والدعم السلطة الحاكمة المطلق لطرق الصوفية والمتصوفة خاصة في المرحلة من التواجد العثماني مما زاد نفوذ هذه الأخيرة في أوساط الأهالي أي وجود أرضية خصبة في انتشار التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني.

وللاشارة نجد في الجزائر الكثير من الطرق الصوفية والمتصوفة، وكل طريقة لها شيخها وأتباعها وخصوصيتها ومميزاتها وأذكارها وأرودها وأصولها وكذلك مناطق نفوذها وغيرها من الجوانب، كل هذا كان له أثر كبير في الحياة الدينية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني من حيث ازدهارها وتطور التعليم بها وذلك عن طريق مؤسساتها الفاعلة، التي لعبت أدوار جوهرية في الحفاظ على الهوية الدينية والوطنية عن طريق شيوخها وأعلامها.

1 مفهوم التصوف:

1.1 لغة:

إن الكلام عن ظهور ونشأة التصوف يثير إشكالا جوهرياً، وليس في استطاعتنا أن نحيط إحاطة شاملة ودقيقة حول التصوف الإسلامي في هذا الموضوع خاصة ونحن نعلم حجم المؤلفات التي أنجزت حوله واستحالة إدراك جوانبه كلها إدراكاً كاملاً، ضف على ذلك عن تاريخ بنياته وإنتاج ذاته باستمرار لا بشكل واحد ولكن بأشكال مختلفة متشابهة ومتقاربة أحياناً ومتباينة أحياناً أخرى.

إذ كان لفظ تصوف وصوفي من الألفاظ الشائعة فإن المعنى الاشتقاقي لهذين اللفظين لم يكن موطن اتفاق بين الكتاب والمؤرخين والباحثين والدارسين في مجال التصوف الإسلامي.

لم يرد لفظ التصوف في القرآن الكريم أو أي حديث من الأحاديث النبوية ومن الثابت تاريخياً أنه لم تسم طائفة في عهد الرسول بيت بهذا الاسم¹، وهي من الكلمات الغامضة التي تتعدى مفاهيمها وتباين معانيها والسبب في ذلك كله هو أن التصوف مبدأ مشترك بين ديانات وحضارات مختلفة². وهي كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية وعلى هذا الأساس كلمة التصوف مبتدعة ومحدثة وغير معروفة عن العرب الأوائل³، إلا أن هناك آراء كثيرة و متعددة ومختلفة في بيان هذا اللفظ ويمكن حصرها في اتجاهين:

أ هل تعد كلمة التصوف من أصول عربية:

يذهب البعض أنها كلمة معروفة في الإسلام وقبله على حد تعبير أبي نصر السراج الطوسي الذي توفي في سنة 1380 «أما قول القائل أن اسم الصوفية محدث أحدثه البغداديون" فمحال لأن وقت الحسن البصري رحمة الله كان يعرف هذا أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال "معي أربع دوانيق يكفيني ما معي"، وروي عن سفيان الثوري رحمة الله (ت سنة 161هـ) أنه قال: لولا أبو هشام

1 محمد إبراهيم تركي، التصوف الإسلامي، أصوله و تطورات، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط، 2007. ص: 25.

2 عبد الكريم بوصفصاف، التصوف في الجزائر المدارس و الفروع ، منشورات جامعة أدرار ، مطبعة غرداية، ع1، الملحق الدولي 11 التصوف في الإسلام و التحديات المعاصرة ، ج1، 2008/ 2009 ص ، 6.

3 محمد يوسف الشبوكي ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 2002. ص، 356.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

الصوفي ما عرفت دقيق الرياء¹، وجاء على لسان العرب لابن منظور، الصوفة : كل من ولي شيئا من عمل بيت الله الحرام قبل الإسلام ، وهم الصوفانة²

ويروى ابن القيم الجوزية (ت سنة 597هـ)³، أن أول من انفرد بخدمة بيت الله الحرام رجل كان يقال له: صوفة ويطلق عليه اسم الغوث بن مر، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فتسموا بالصوفية⁴، وهو إشارة إلى أن اللفظ يعود إلى ما قبل الإسلام أي في العصر الجاهلي. ومنه بدأت كلمة صوفي تطلق على الحارس الخادم المنذور لخدمة الكعبة، و يذهب البعض ان التصوف يعتبر جزءا أساسيا في التراث الإسلامي⁵، حيث يعتقد البعض ان الديانات الفرعونية في مصر القديمة هي نشأة التصوف والتصوف الشعبي بشكل خاص باعتبار أن المصريين كما قال المؤرخ اليوناني هريودوت أكثر شعوب الأرض تدينا⁶.

بحيث انفرد أحد الباحثين في إرجاع ظاهرة التصوف إلى النمط الجاهلي الذي يقوم على نذر الذات والتضحية في الارتباط بالمعبد، وحاول ربط الكلمة المكونة من الجذر والمعاني التي تحملها الفرضية التي يسوقها، فنلاحظ أنها تدل في معظمها على التعبد والتمسك والدم والتضحية منها: صف رتب الأضاحي صفوفا، والصواف المتطهرون، والأضاحي المصفوفة للنحر، والصفات: الصواف والدباغ، والصفيف لحم الذبيحة يصف على العصا⁷، إلا أن هناك من يؤيد نفس الفرضية لكنه يرجع التصوف إلى الحنفية أي أن المتصوفة كانوا موجودين قبل البعثة المحمدية ويسمون بالحنفاء⁸.

إن القائلين بعربية وإسلامية لفظ التصوف الذين يرجعون اشتقاقها إلى مجموعة من المفردات منها صوفة، صوفانة، صوفة القفا، الصف الأول، الصفاء، أهل الصفة، الصوف، فأما صوفة فهي عبارة عن تسمية أطلقت على رجل في الجاهلية قبل أن أمه نذرته للكعبة لأنه كان لا يعيش لها ولدا، فلما وفت بنذرهما وضعته ربيطا للكعبة، فأرهبه حر المكان وأذبله، فقالت حين شاهده على هذه الحال ما صار ابني

1 السيد محمد عقيل بن علي المهدي ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الحديث، 1993، 2، ص 51.

2 أسعد السحمراني ، التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس ، للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، ل ي، دار الحديث، 1993، ص 51.

3 نفسه، ص 17.

4 جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط 1، 2011، ص:153 .

5 سهيل خالدي ، مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان أنموذجا ، آفاق و افكار ، ع2012، 03، ص91.

6 نفسه ، ص 91.

7 حسن جلاب ، بحوث في التصوف المغربي، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1995، 1 ص 137.

8 BEN TOUNES CHERIF KHALED, LE SOUFISME CŒUR DE LISLAM EL ALAMIN, SETIF, 1997 4.P,P ,51,52.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

إلا صوفة فتلقته أفواه العرب وأطلقت عليه هذه التسمية¹، وجاء كذلك في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، والصوفة كل من ولي شيئاً من عمل بيت الله الحرام² وقيل أيضاً الصفاء لصفاء أسرار الصوفية ونقاء آثارها³، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح السبتي رحمه الله:

تساع الناسُ في الصوفيِّ واخْتَلَوْا وضه السبْعُ شقاً من الصوفِ
وَأَسْتِ آمَنَ هَذَا الإِسْمَ غَيْرُ فَتَى صَافِي صُوفِي حَتَّى سَمِيَ الصُوفِيَّ⁴

وقد ذكر القشيري و الكلاباذي تعاريف عديدة للتصوف نذكر منها:

- التصوف هو الدخول في كل خلق سني و الخروج من خلق دني .
- هو عبارة عن أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.
- هو أيضا عبارة عن استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده .
- كذلك هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أي الخلائق.
- هو أيضا ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع إتباع .
- هو يجب أن تكون مع الله بلا علاقة.
- هو أيضا الانقطاع عن الخلق و الاتصال بالحق.
- هو حفظ الأوقات، وهو أن لا يطالع العبد غير حده، و لا يوافق غير ربه.⁵

لكن يبدو أن من وضع قواعد التصوف ومؤرخه وصاحب الرسالة القشيرية (القشيري)⁶، يخالف جميع هذه الافتراضات، ويذهب إلى اعتبار أن أصل الكلمة التصوف ليست مشتقة وإنما هي لقب، وهو ما جعل البعض يستغرب إنكار مؤرخ الصوفية والتصوف اشتقاق الكلمة من الصوف، إذ يقول في ذلك " وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، وإلا ظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال أنه

1 جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي ، المرجع السابق .ص:154 .
2 إبراهيم مشراوي ، فطيمة مهري ، أوضاع المتصوفة في العهد المرابطي و الموحد ، مجلة الإحياء ، مج21، ع28، جانفي 2021، ص 844.

3 أبي بكر محمد الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبط و تعليق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 1993.ص 9.

4 أحمد زروق ، قواعد التصوف، ضبط و تعليق محمود بيروتي، دار البيروتي، دمشق، ط1، 2004، ص، 20.
5 عبد الرحمن تركي، نفس المرجع السابق ،ص15، للمزيد انظر : القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص312،313،314، الكلاباذي ، التعرف لمذهب التصوف ، تحقيق محمود النواوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط2، 1980، ص109.

6 هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، وأمه سلمية، أبو القاسم، وأصله من العرب الذين وردوا خراسان، للزيد أنظر إلى:قاسم كسار أحمد، الإمام القشيري وجهوده في أسلمة الدراسات اللغوية، مجلة حوليات التراث،مج12، ع05، 2012/09/12، ص140.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجهه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول فبالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي. ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وقول من قال " إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول من قلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه الصفو والنسبة إلى الصف، ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق، وتكلم الناس في التصوف ما معناه وفي الصوفي من هو؟ فكل عبر بما وقع له وسنذكر بعض مقالاتهم فيه على التلويح"¹.

ب هل كلمة التصوف من أصول أعجمية:

يركز هذا التيار على رواية أبي الريحان البيروني (ت سنة 440هـ)، الذي يؤكد أن التصوف له علاقة بالكلمة اليونانية سوفيا التي معناها الحكمة ومن أشهر من قال بها المستشرق الألماني فون هامر Fonne hamer ويرون أن نسبة الصوفية إلى الصوف يبعدها عن الحكمة الإلهية، بحيث ينسبها إلى الظاهر والشكل، لكن يبدو أن أصحاب هذا التيار ينسبون الصوفية إلى الأفلاطونية وهذا رأي غير صحيح².

ومنهم من يرجع اللفظ إلى جيمينو سوفست "gymnosophiste" وهي في لغة اليونان الهنود العراة السائحين والمتأملين في الله³.

ويذهب بعض المستشرقين أن كلمة صوفي مأخوذة ومقتبسة من (ثيوصوفيا) والتي تعني الإشراف أو محب الحكمة الإلهية⁴. غير أن المستشرقة الألمانية " أنا ماري شيميل"⁵ تؤكد أن الجذور اللغوية المصطلح التصوف (sufik) تعود إلى كلمة (mystisch) و (mysterium) وهو الشيء المفعم بالأسرار، وهما مشتقتان من الكلمة اليونانية (mycim) والتي تعني إغلاق العينين.⁶ وكذلك يمكن تعريف

1 عبد الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية ، دار صادر ، بيروت، ط2011، ص3، 183.

2 عبد الحليم محمود ، المرجع السابق ، ص32.

3 ابراهيم تركي ، المرجع السابق ، ص26.

4فاطمة داود ، التصوف الإسلامي مفهومه و أصوله ، مجلة حوليات التراث ، ع2004، 1، ص 78.

5 أنا ماري شيميل Annemarie Schimmel، من أعلام المدرسة الألمانية، ولدت عام 1922م، في أوبرفرت في ألمانيا ثم درست العربية و الفارسية و التركية و تاريخ الفن الإسلامي في جامعة برلين ، وحصلت على دكتوراه في الفلسفة عام 1943م برسالتها العلمية " دور السلطان في مصر في أواخر عصر المماليك "، تحصلت على دكتوراه المؤهلة للأستاذية من جامعة هاربرغ عام 1946م، وعلى شهادة الدكتوراه في علوم الدين " تاريخ الأديان " من نفس الجامعة عام 1951م ، تقاعدت عام 1992م نالت عدة شهادات وأوسمة من عدة جامعات ، وفاها الأجل سنة 2003م. للمزيد انظر : محمد أمين طاهير ، الجهود الاستشرافية لآنا ماري شيميل ، مجلة المعيار ، مج25، ع2021، 53، ص 258-259.

6 شيميل أنا ماري ، الأبعاد الصوفية في تاريخ الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة إسماعيل السيد و رضا حامد قطب ، منشورات الجمل ، بغداد ، ط2006، 1، ص: 7 .

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

التصوف عندها بأنه " الحب المطلق"¹، وهناك من يذهب على أنها من أصول بربرية وهي كلمة آفا (AFA) التي تعني الضوء² وهو رأي بعيد عن الصحة.

2.1 اصطلاحاً:

يعتبر التصوف تجربة تخص الافراد المعينين وليس شيئاً مشتركاً بين جميع الناس ولكل صوفي أسلوب أو طريقة معينة في التعبير عن حالته، ويعمد إلى استعمال أسلوب رمزي الإخفاء نوقه عن لا يرتقون إلى مستواه.

ومن هذا المنطلق الأخير تعددت في مفاهيم مصطلح التصوف حيث ذكر السهروردي أن أقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد عن ألف قوله³، وقال الشيخ زروق⁴ أنها تزيد عن ألفين⁵ و يذكر هذا الأخير أن التصوف هو من الصفاء، ويذهب جمهور الصوفية في اعتقادهم بان الصوفي والمتصوف هو أحد أولياء الله الذين طهر الله قلوبهم من أدران الدنيا، وكانو يفضلون لباس الصوف إتباعاً للأنبياء و التابعين⁶، وأورد المتصوف الفارتي المروزي (ت سنة 491هـ) أكثر أو يزيد من عشرين تعريفاً، والكلاباذي وابن عجيبة الحسين، وذكر القشيري أكثر من خمسين تعريفاً، كما ذكر نيكليسون ثمانية وسبعين تعريفاً، وذكر السراج في لمعه مائة تعريف.⁷

وقد صنف الباحثون في التصوف هذه التعاريف في أبواب عديدة حسب مدلولات أبعادها ومعانيها، ورغم اختلافها إلا أنها تتفق في بعدها الأخلاقي المستمد من الإسلام.⁸ ونحاول أن نختار بعض التعاريف للتصوف منها :

حسب ماذهب به العلامة الغزالي: " التصوف اسم جامع المعاني الزهد مع مزيد من أوصاف وإضافات كثيرة لا يكون الرجل بدونها صوفياً وإن كان زاهداً،¹ وسئل سمنون (ت بسنة 290هـ/903م) عن

1 شميل آنا ماري، المرجع نفسه، ص 8.

2 Louis Rinn, marabouts et khouans : Etudes sur l'islam en algérie, adolphe, Jourdan libraire- éditeur, Alger, 1884,P68.

3 صادق سليم صادق ، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1994، ص:34.

4 الشيخ أحمد زروق : هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المغربي الأصل و النشأة الذي أشتهر بزروق ولد بفاس 846هـ أخذ التصوف مبكراً و سافر إلى مصر و اخذ الطريقة عن أبي العباس الحضرمي ، أنشا في طرابلس الزاوية الزروقية ، له مؤلفات عديدة معظمها في التصوف ،توفي 899هـ و دفن في مصراتة.

5 عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، الرباط، ط4 ، 2003. ص ص :147- 153. و أمين لغويني ، مفهوم التصوف في علاقته بالتخلق عند الشاطبي و ابن خلدون ، مجلة قوت القلوب ، المملكة المغربية ، ع 1 ، 2012.ص:119.

6 زروق أبو العباس أحمد الفاسي ، قواعد التصوف و شواهد التعرف ، تح ، نزار حمادي ، المركز العربي للكتاب ، الشارقة ، ص24.

7 إحسان الهي ظهير، التصوف المنشأ و المصدر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986. ص،36.

8 عبد الكريم بوصفصاف ، المرجع السابق ، ص،7.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

التصوف فقال: "ألا تملك شيئاً ولا يملكك شيئاً"، ويقول رويم بن أحمد (ت سنة 303هـ/942م): " التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار". ويقول معروف الكرخي: " التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق".

وهو ما يؤكد تعريف أحد المعاصرين: " التصوف فلسفة الحياة تهدف الى الترقى بالنفس الإنسانية أخلاقياً، و تتحقق بواسطة رياضات عملية معينة، تؤدي إلى شعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى، و العرفان بها ذوقاً لا عقلاً، و ثمرتها السعادة الروحية، و يصعب التعبير عن حقائقها باللغة العادية، لأنها وجدانية الطباع و ذاتية"²

وحسب ماجاء في كتاب (اللمع في التصوف) للسراج من القرن الرابع للهجرة ففي هذا الكتاب نأخذ الفكرة التالية " ان لفظ تصوف و صوفية أطلق على أهله نسبة الى رذائلهم و لأنهم جماع المعارف و العلوم، فلم جميع الأحوال و تتغير أحوالهم هذه دائماً فلا يثبت عليها اسم مطلقاً و لهذا استحسّن إطلاق اسم رذائلهم عليهم لتعرف بهم"³، ونجد ابن خلدون يعرفه على النحو التالي: " بأنه علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وهي طريق الحق و الهداية و أصلها العكوف على العبادة و الانقطاع الى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، و اختص هؤلاء باسم الصوفية المتصوفة"⁴

ويمكن القول إن الدلالة المصطلحية لمصطلح التصوف هو عبارة عن حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو للزهد، ووالاكثر من العبادة تعبيراً عن فعل معاكس للانغماس في الترف واللغو وغيرها من الأشياء⁵، و هو نوع من أنواع الزهد و الغيبة، وهو عبارة عن نور داخلي يرسله الله في قلب المؤمن حسب رأي بعض الجماهير من العلماء.⁶ و يذهب الكثير من الفقهاء انه الاقتداء برسول الله صل الله عليه وسلم و التخلق بأخلاق الصحابة و التابعين⁷.

1 محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة، 1993. ص،6.

2 أبو الوفا الغنيمي التتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1979، ص 10.

3 تيزيني طيب، التصوف العربي الاسلامي فرادا في الحضور الوجودي و الاستحقاق القيمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص72-73.

4 ابن خلدون، المقدمة، تاريخ العبر، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1998، ص 462.

5 عبد الله بن دحين السيلي، الطرق الصوفية نشأتها و عقائدها و آثارها، ط1، دار كنوز اشبيلية للنشر و التوزيع، السعودية، 2005، ص 10.

6 شايف عكاشة، الحضارة العربية الإسلامية بين التطور و التخلف، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص87.

7 أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، تحقيق كامل مصطفى الهندواي، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص 17.

وكذلك يذهب البعض على انه ليس نظاما فلسفيا ولا فرقة دينية، وإنما طريقة ومنهج للعيش في صفاء كامل، دون أيديولوجية ولا قواعد ولا حتى عقلانية، وجوده يمكن في الإحساس والحدس والانطباع¹. وبالتالي يعتبر التصوف ظاهرة اجتماعية من جهة، وتيار فكري عقائدي من جهة أخرى.

2 الجذور التاريخية لنشأة التصوف وتطوره:

يرى الكثير من الباحثين و المختصين على أن التصوف نشأ على مبدأ الزهد الذي اتصف به النبي صل الله عليه وسلم، و العديد من الصحابة و التابعين، وكانت حالة الزهد هذه امرا طبيعيا الحدوث بفعل النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية التي تحمل معاني التشجيع للمؤمن على العمل من اجل الآخرة، و محاولة الابتعاد عن الانغماس في عرض الدنيا الفاني، مع المطالبة بتزكية النفس، والتوكل على الله ، والخوف من الله تعالى ، و الرجاء الدائم برحمة الله و غفرانه .

وإذا كانت قد اختلفت الآراء و تعددت حول الاشتقاق لكلمة - صوفي - كما سبق ذكره إلا أن هناك معالم الطريق الصوفي في أصلها ناشئة من الإسلام و تعاليمه²، و من دوافع الزهد و التوجه بجل الجهد من أجل الفوز في يوم القيامة قوله تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ"³.

و لقد جاء في موضوع إخلاص الحب لله تعالى ، و هذه المسألة مهمة في الطريقة الصوفية، وذلك حسب قوله الله تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"⁴.

ويذكر ابن تيمية⁵ وابن الجوزي وكذلك عبد الرحمن ابن خلدون في هذا ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الاولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، و قد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة و الشيوخ مثل الإمام أحمد بن حنبل، و أبي سليمان الدارادني و غيرهما، وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به.⁶

1 صباح بعارسية ، أصول التصوف الإسلامي ، جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة ، (د،ت)، ص 55.

2 اسعد السحمراني ، التصوف منشؤه و مصطلحاته ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1987، ص 39.

3 سورة الشورى ، آية 20.

4 سورة التوبة ، آية 24.

5 هو الامام تقي الدين أبو العباس المعروف (ابن تيمية)، واسمه الكامل هو: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن عبد الله بن الخضر بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله الحداني الحنبلي، للمزيد أنظر إلى: عالية سلميان سعيد العطرور، النزعة الفكرية في منهج ابن تيمية، مجلة الدراسات الإسلامية، مج 08، ع 152/06/2020، ص 282.

6 إحسان إلهي ظهير ، نفس المرجع السابق ، ص 40.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

بعد هذه الملامح ووالاشارات القليل من كثير مما جاء في القرآن الكريم، وكان العامل الأساسي في نشوء حركة الزهد، و بعده ظهر التصوف في الإسلام¹، ولدينا النموذج الراقي للزهد الذي يستفاد من سلوك النبي صل الله عليه و سلم و هناك عدد غير قليل من الأحاديث الشريفة التي تحث عليه و منها الحديث: " إزهد في الدنيا يحبك الله و ازهد فيما في أيدي الناس يحبوك " ²، بالإضافة إلى ذلك الواقع الاجتماعي و السياسي، بعد توسع الفتوحات الاسلامية، قد ساهم في نشأة مدارس التصوف على أيدي من أرادوا.

تميز أنفسهم عن معاصريهم ممن مالوا إلى التمتع و الرخاء و الترف في الحياة، و في هذا السياق يذهب الدكتور عبد الرحمن بدوي: " إنه إلى جانب الأصول الإسلامية العقائدية (القرآن و الحديث) أثر في ايجاد النزعات الصوفية عوامل اجتماعية او فردية ، من أزمت سياسة ، أو أزمت نفسية "³ و يذهب المستشرق نيكلسون الذي صرف بعض نشاطه لدارسة التصوف لم يخالف هذا الرأي عندما قال: " لانرى أن في أقوال متصوفة الزهاد، من أمثال ابراهيم أدهم (المتوفي 161هـ) و داود الطائي (المتوفي 165هـ) ... ما يدل على أنهم تأثروا بالمسححية أو باي مصدر أجنبي آخر الا قليلا و بعبارة أخرى يبدو لنا أن هذا النوع من التصوف كان وليدا لحركة الإسلام ذاته ، وأنه كان نتيجة لازمة لفكرة الإسلام عن الله "⁴

و لكن التصوف الذي نشأ نشأة إسلامية في البداية كانت حاله كحال غيره من العلوم، حيث لم يسلم مع الزمن من تأثيرات فلسفية و دينية غير إسلامية، وفي هذا الطرح يقول الدكتور عمر فروخ: ' يعود أصل التصوف إلى الدين الإسلامي، و لا نستطيع أن نفهمه حقا ما لم نفهم التطور الذي سلكه الدين الاسلامي و تقلب الأحوال به ... بل اقتضى وجودها في التصوف الإسلامي أن كثير من المتصوفة كانوا غير عرب فحملوا معهم الى الإسلام تخيلات غريبة و رياضيات شاذة و اعتقادات متفرقة دخل أكثرها فيما بعد في التصوف الإسلامي "⁵

و يؤكد الباحث ابراهيم مذكور على هذا الرأي فيقول: ' التصوف ظاهرة إسلامية نبتت في جو الإسلام و بيئته، وتأثرت بفعل النبي و أصحابه ... "⁶ وقد ظهر في ذلك العهد بعض الغلاة في الزهد، و لكنهم وجدو من التابعين معارضة شديدة و حربا لا هوداه فيها كذلك الرجل الذي قال: ' أنا لا أكل

1 اسعد السحمراني، نفس المرجع السابق ، ص 42.

2 رواه ابن ماجة

3 عبد الرحمن بدوي ، تاريخ التصوف الاسلامي، ط1 ،وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975، ص 48.

4 نيكولسون رينولدألن ، في التصوف الإسلامي و تاريخه ، تر، أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1969، ص 3.

5 فروخ عمر ، التصوف في الإسلام ، دارالكتب العربي، بيروت، 1981، ص 29.

6 ابراهيم مذكور ، الفلسفة الإسلامية ، ج2، دارالمعارف ،مصر ، 1983، ص 134.

الخبيص ، هو نوع من الحلواء يصنع من التمر والسمن فليل له لم لا تاكل الخبيص ؟ فقال: اني لا اقوم بشكره فلما سمع الحسن البصري و هو من كبار التابعين بما قاله الرجل قال : هذا الرجل أحقق ، وهل يقوم بشكر الماء البارد؟¹

3 العوامل المساعدة لظهور التصوف في العالم الإسلامي:

1.3 العوامل الداخلية:

ترجع ظاهرة التصوف في الإسلام الى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي كان لها بالغ الاثر في انتشار التصوف في العالم الإسلامي و نذكر منها:

أ طبيعة الديانة الإسلامية:

يعد التصوف الجانب العملي و العلمي للدين و الشريعة الإسلامية و يعود ذلك أن القرآن الكريم احتوى على الكثير من النصوص القرآنية و الآيات التي تدعو الى الزهد و عدم التكلف والمبالغة في الحياة الدنيا والابتعاد عن كل ملذات و مشاغل الحياة، بحيث يعتبر القرآن الكريم دستور و منهج المستقيم في حياة المسلمين و عقيدتهم و وكذلك شريعتهم ، بحيث يجعل النفس البشرية في استقرار أخلاقي و تربوي و علمي و غيرها ، و يدعو الى تجنب الشبهات ، و نجد الكثير من الآيات الكريمة تثمن هذا العمل ومنها في قوله تعالى: " اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ² " و قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ³ " ويذهب المفسرون و أهل العلم على أن القرآن الكريم هو القاعدة الصلبة في توجيه حياة المسلمين و إرشادهم في مختلف انشغالاتهم الدنيوية ، ويذهب جمهور المتصوفة على أن القرآن يحمل الدعوة الى الزهد التواضع أو بمفهوم اخر الدعوة الى التصوف و استدلووا في ذلك وفي قوله تعالى : " قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ⁴ " بحيث جمعت بين الترهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والحث على فعل الخير والابتعاد عن فعل الشر ⁵ وذلك في قوله تعالى: " وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا " يتضمن حثهم على كسب الخير وزجرهم عن كسب الشر. فالصوفية يستمدون إلهامهم من القرآن الكريم ، ففيه دلائل و ضوابط واضحة الى الزهد و الانصراف عن الملذات الدنيوية ، فبعض من صفات الصوفية موجودة في القرآن الكريم ، و

1 صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها ، دارالبراق ، بيروت ، لبنان ، 2002، ص 29.

2 سورة الحديد الآية ، 20.

3. سورة المنافقون الآية ، 9.

سورة النساء الآية ، 774

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

أشار الله إليها في قوله " أَلْتَتَّبُونَ الْعَبْدُونَ الْأَحْمِدُونَ أَلَسَّخُونَ الرُّكْعُونَ أَلَسَّجِدُونَ أَلْءَامِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَلْنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ¹

إذن فالقرآن الكريم يدعو الى الزهد و يؤكد عليه في كثير من المواضع، حتى يتمكن الإنسان من ان يطهر قلبه، وذلك عن طريق التعبد و التمسك بحبل الله تعالى و يكون هنالك اتصال بين الله و عبده ، و هذا ما شجع الصوفية الى تبني هذا العالم. ²

ب السنة النبوية:

تعتبر المصدر والمرجعية الثانية في الشريعة الإسلامية ، وهي تقتبس من القرآن الكريم ، وكذلك تعد الجانب التطبيقي و العملي له وكذلك توضيح و تفسير لما جاء فيه بعد قوله تعالى ' وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ³ و قوله تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَلِيَوْمِ آخِرٍ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ⁴ بمعنى كان في رسول الله أسوة حسنة او نموذج راقى في الزهد في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويقتدي بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكوه في كل حال، فكان يتعبد في غار حراء ، زاهدا و متأملا في الحياة ، و الزهد في الأكل و الشرب ، و يعيش عيشة بسيطة ، و يمشي في الاسواق ، و يساعد الفقير و المحتاج ، و يلعب مع الأطفال، ⁵ جعلت الصوفية يستمدون منها مشروعية اعتزالهم في زهدهم في الحياة ، فمعرفة الله هي معرفة إشراقية إلهامية لدينه استنادا لما جاء في القرآن الكريم " فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِ نَ لَدُنَّا عِلْمًا ⁶ فالرسول صل الله عليه وسلم كان زاهدا عابدا.

بحيث كان رسول الله سيد الاستغفار و يخلو بنفسه للتعبد و التأمل وفي هذا السياق يقول : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ⁷ و أوصى عبد الله بن عباس بقوله : " إحفظ الله يحفظك ، إ حفظ الله تجده إتجاهك ⁸ ولم تقتصر حياة النبي صل الله عليه وسلم على الزهد و التقشف ، بل كان النموذج الراقى و الأعلى في القوة في الحياة ،

1سورة التوبة الآية ، 112.

2 عفاف مصباح بلق ، التصوف الاسلامي (مفهومه - نشأته و تطوره - مصادر) ، مجلة كلية التربية ، العدد الرابع عشر يونيو 2019، 202.

3سورة النحل الآية ، 44.

4سورة الاحزاب الآية ، 21.

5 عبد القادر صحرروي ، التصوف و المتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2008-2009، ص 19.

6 سورة الكهف الآية ، 64.

7صحيح البخاري كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صل الله عليه وسلم عن الإيمان و الإسلام و الإحسان و عن الساعة ، رقم الحديث 50.

8 رواه الترميذي .

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

بدون الخضوع الى المال او الجاه أو سلطان و غيرها من ملذات الحياة ، بل عاش حياة الورع و الزهد و التقشف و عبادة الله ، بل دعا إليها ، فالصوفية تعتمد على الاحاديث النبوية الشريفة ، ففي الحديث القدسي: "إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"¹ ، كل هذه الاحاديث و غيرها تدعو الى الزهد و التصوف و الاعتاض بسيرة الرسول صل الله عليه و سلم²

ت البيئة السياسية والاجتماعية:

لقد ساهمت الازواض السياسية و الاجتماعية التي عرفتھا الخلافة الاسلامية خاصة في فترة الفتن الدينية ومع ظهور العديد من الفرق الدينية مثل المعتزلة و الخوارج و الشيعة وغيرها ، و اختيار بعض الصحابة العزلة ، و منها نتج عنها حياة الزهد الى الحياة الصوفية، والإبتعاد عن الحياة السياسية³. لذلك فحدث اضطراب في الجانب السياسي في ذلك العصر ، بحيث كان من شأنه ايثار حياة المسلمين الاجتماعية في بعض العصور خاصة في العصر الاموي أصابها تغيير كبير عما كانت عليه في عهد الرسول صل الله عليه و سلم ، وكذلك عهد الخلفاء الراشدين فقد فتح المسلمون بلدانا كثيرة و غنموا من وراء هذا الفتح غنائم كثيرة فبدأ الثراء يظهر في المجتمع الإسلامي مقترنا بحياة الترف وما ينتج عنه من انحرفات ، و من هنا الاخير وجد بعض المسلمين الأتقياء أن من واجبهم دعوة الناس الى الزهد و الورع و عدم الانغماس في الشهوات والملذات الدنوية، ومن أمثلة الدعاة الصحابي أبو زر الغفاري الذي انتقدا حياة الأمويين المترفة و أساليهم في الحكم⁴. و مما سبق ذكره يتضح دور العوامل السياسية و الاجتماعية في ظهور الفرق الصوفية فقد كانت هذه العوامل دافعا قويا لهجرة بعض المسلمين بدينهم للتعبد في عزلة عن الناس ، مما ادى الى اعتزال البعض الحياة الاجتماعية و الانزواء للعبادة في الزوايا المخصصة لذلك و الظروف الاقتصادية بشكليها سواء كانت فقر أو غنى تعد من نشأة التصوف⁵.

ث البيئة الاقتصادية:

يمكن القول ان الظروف الاقتصادية كان لها بالغ الاثر على نشأة و ظهور التصوف لاسيما عندما يرى المعدم المال و النعمة في يد غيره يشعر بالحرمان والنقص مما يجعله يلجا الى التصوف محدثا نفسه أنه و ان كان قد حرم من نعيم الدنيا فعليه بنعيم الآخرة، بالإضافة الى ان ازدهار الحياة المادية في المجتمع لا يحول دون تصوف البعض كما نرى ذلك في عصرنا اذ يختار كثير من الناس الحياة الصوفية على الرغم من سعة الحال ووفرة المال و تمتعهم بملذات وشهوات الحياة .

وعلى ضوء ما سبق ذكره يمكن القول ان لكل عامل من العوامل الأتفة الذكر دوره الهام في نشأة التصوف، كما يتضح أن أهمية هذه العوامل تكمن في تأثيرها مجتمعة وليس في أثر كل منها على حدة ،

1 صحيح: رواه الطبراني في الأوسط عن واثلة كما في صحيح الجامع رقم: 1905.

2 عبد القادر صحرأوي ، نفس المرجع السابق ، ص 20.

3 جاد الله منال عبد المنعم ، التصوف في المغرب و مصر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، 1997، ص122.

4 نفسه ، ص122.

5 نفسه ، ص 122.

لذلك يجانبنا الصواب اذا حاولنا ان نرجع الى أن ظهور و نشأة التصوف الى عامل واحد من هذه العوامل ، فنشأته ترجع الى العوامل البيئية و الاجتماعية و السياسة و الاقتصادية التي أهلت لنشوءه وكذلك تطوره.¹

2.3 العوامل الخارجية:

تذهب الكثير من الدراسات التاريخية ان أصول التصوف هي متنوعة ومتعددة وذات مصادر و منابع كثيرة، وإن الباحث في المذاهب والأفكار والفلسفات والأديان على اختلافها يجد تقارباً و تشابهاً بين جوانب ومعالم من الفكر الصوفي من بين تلك الأفكار والمذاهب على اختلافها. ومن معالم هذا التأثير والتشابه نجد هناك تنوع في مرجعيات التاريخية في ظهور التصوف و تمثل فيما يلي:

أ تأثير التصوف باليهودية:

يذهب البعض ان التصوف هو وليد الأفكار المختلطة بين العقيدة الإسلامية والعقيدة اليهودية² يرجع هذا الأخير بسبب اعتناق بعض من اليهود الإسلام، ووضعهم العديد من الأحاديث النبوية³. ويذهب البعض على أن التوراة المحرفة مليئة بتشبيهه الله تعالى بالمخلوقين في الصورة والانتقال والتحول⁴ ونجد المدرسة الالمانية في البحث عن المؤثرات في التصوف وذلك بسبب اتصال المسلمين بالديانات الهندية والفارسية و اليهودية⁵، ويقول الشهرستاني في هذا الجانب: " وجدوا التوراة مملوءة بالمشابهات مثل الصورة و المشافهة و التكلم جهراً و النزول من طور سيناء انتقالاً و الاستواء على العرش استواء"⁶

ب تأثير التصوف بالمسحية:

عرف الإسلام انتشاراً في البلدان وخاصة بلاد الشام، وكان الرهبان منتشرين وموجدين في الصحاري والجبال حيث يقيمون صوامعهم فتأثر أتقياء الأمة وزهادها بهم، وكان في بداية الأمر هو التأثير بطريقة اللباس، وكذلك كثرة الذكر والصلوات والصيام العبادات بشكل عام. وبالتالي تأثرت الصوفية

1 جاد الله منال عبد المنعم ، نفس المرجع السابق ، ص 123.

2 إحصان إلهي ظهير ن نفس المرجع السابق ، ص 49.

3 الأمير بوغداده ، التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13 هـ /19م التصوف أنموذجاً ، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر - 2020-2021، ص 28.

4 الأمير بوغداده ، نفس المرجع السابق ، ص 28.

عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية و مذاهبها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999، ص 5.26

6 عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، نفس المرجع السابق ، ص 33.

بذلك ثم بعدها انتقلت إلى الرهبة النصرانية مثل الابتعاد عن ملذات وشهوات الحياة الدنيا وعن الزواج، ولبس الثياب البالية والقديمة والمرقعة وغيرها، حتى تم تسميتهم أتقياء الأمة بالرهبان، وهذا ما يقوم عليه نظام الرهبة¹... ونجد هنا أن هذه المظاهر التي تأثرت و تمسك بها الكثير من الصوفية في طرق عيشهم كما صار معروفاً، برغم عدم تأثير النصرانية على الفكر العربي لم يمنع المتصوفين الاوائل من الوقوف على أخبار الرهبان حول المجاهدات النفسية، وكذلك إقامة الخلوات، والانصراف الى التعبد في الصوامع، بل إن كثيراً منهم كانوا يجتمعون إلى الرهبان النصارى و يستشرونهم حتى في الجوانب الدينية كما يروى عن عبد الواحد بن زيد العتابي، وأبي سليمان الداراني وغيرهم²، وفي ذلك يقول بعض الصوفية الأوائل :

مَوَاعِظُ رُهَبَانٍ وَذَكَرٌ فِعَالِهِمْ وَإِخْبَارٌ صَدَقَ عَنْ نَفْسِ كَوَافِرِ
مَوَاعِظُ تَشْفِينَا فَـنَحْنُ نَحْوُهَا وَإِنْ كَانَتْ الْإِنْبَاءُ مِنْ كُلِّ كَافِرِ
مَوَاعِظُ بِرِ تُوْرِثِ النَّفْسِ عِبْرَةً وَتَتَرَكُهَا وَلِهَاءِ حَوْلِ الْمَقَابِرِ³.

و نجد في الديانة المسيحية أن الزهد والتأمل التي أشارت إليها كانت على انسجام مع الفكرة المسيحية منها استمدت قوتها ، فكثير من نصوص التي جاءت في الإنجيل، ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح، مقتبس في أقدم تراجم الصوفية، والرهابة المسيحيون كثيرا ما يظهرون في مقام المعلمين يولون النصح والتوجيه و التسديد لزهاد مسلمين متقلبين، وقد رأينا أن ثوب الصوف -الذي ظهر منه الصوفي- مسيحي الأصل، و نذرو الصوم عن الكلام و الذكر و والرضى بالزهد ، لعلها أن ترد الى هذا الأصل نفسه، و فيما يتصل بمذهب " الحب الإلهي" ⁴، والتصوف إذن على رأي بعض المستشرقين هو مذهب دخيل وحديث في الإسلام على اعتبار المسيحية هي الوعاء الحقيقي لتصوف⁵.

ت تأثر بالديانة الفارسية:

تذهب بعض الدراسات التاريخية والدينية على ان التصوف ترجع أصوله من الديانة الفارسية التي ظهرت بخرسان حيث اجتمعت الديانات والثقافات الشرقية⁶ وإما أن تكون زرادشتية الفرس⁷، ولقد كان للفرس قبل الفتح الإسلامي لبلادهم أفكار ومعتقدات وكذلك وآراء فلسفية هي التي تدعو إلى الزهد، غير

1 أسعد السمرحاني ، نفس المرجع السابق ، ص 54.

2سميح عاطف ، نفس المرجع السابق ، ص 50.

3 سميح عاطف ، نفس المرجع السابق ، ص 50

4 ر ، أ، نيكلسون ، الصوفية في الإسلام ، ترجمة و علق عليه نورالدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ن ط2،

1422هـ/2002من ص 19.

5 عبد القادر صحراوي، التصو والمتصوفة في الجزائر العثمانية، نفس المرجع السابق، ص 21.

6 ر ، أ، نيكولسون، نفس المرجع السابق ، 18.

7 عبد الحليم محمود ، نفس المرجع السابق ، ص94.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

أن معظم هذه الأفكار والآراء كانت مأخوذة أو متأثرة بشكل أو بآخر بالعقيدة الهندية القديمة وكذلك العقيدة البوذية، ومما أدى إلى ظهور المانوية والزرادشتية إلى جانب المجوسية الفارسية¹.

و يرى البعض أن مع انتشار الإسلام في الدولة الفارسية، واعتناق أهلها الإسلام، وبالتالي تؤكد هذه الديانة أن التحرر من القيود المادية للوصول إلى الحياة الروحية لا تكون إلا بالتحرر من قيود الجسد للوصول إلى الطهارة، ويرى بعض المستشرقين أن أهل فارس لما اعتنقوا الدين الإسلامي، أثر ذلك على حياة التصوف الإسلامي².

ث التأثر بالديانات الهندية:

إن طبيعة التنوع الاجتماعي، إضافة إلى ذلك تقلبات الأحوال السياسية حمل الهنود على مختلف طبقاتهم الاجتماعية إلى الميل إلى حياة التقشف و الزهد، وكذلك احتقار والتقليل من قيمة الرغبات الجسدية مما جعلهم يميلون إلى أشكال ومنهج السلوك الصوفي³، ويذهب بعض المستشرقين أن التصوف هو من مصدر هندي، و يذهب هؤلاء أنى بعض النظريات حول التصوف الإسلامي وكذلك ضروب معينة من الرياضيات العملية وغيرها إلى ما يشابهها ويقاربهها في تصوف الهنود، و من بين هؤلاء نذكر هورتن (Horten) وهارتمان (Hartmann)⁴، قد وضح لنا الدكتور عفيفي عن ان هورتن ارتاي في بحثه وتحليله في حياة تصوف الحلاج والبساطي والجنيد أن التصوف الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري كان متشعباً بالأفكار الهندية، وان الأثر الهندي هو الأقرب ما يكون في تصوف الحلاج⁵.

ج التأثر بالفلسفة الصينية:

ليس من المستبعد أن يكون أصل التصوف من الفلسفة الصينية، والتي تعتبر احد مصادر و مأخذ المسلمين للتصوف⁶، ويرجع ذلك لكثير من العوامل خاصة منها العلاقات التجارية بين بلاد العرب وبلاد الصين والتي بلغت ذروتها في صدر الإسلام⁷، ثم اصبح حديثا " اطلبو العلم ولو في الصين " مما ساهم في انتقال الفكر و الفلسفة الصينية وكان له اثر كبير على حياة المسلمين وعلى سبيل الذكر كما جاء

1 احسان إلهي ظهير ، نفس المرجع السابق ، 49.

2 عفاف مصباح بلق ، نفس المرجع السابق ، ص 205.

3 أسعد السمحراني ، نفس المرجع السابق ، ص ص 47،48.

4 أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1979 ، ص 30.

5 أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، نفس المرجع السابق ، ص 30.

6 الأمير بوغداده، نفس المرجع السابق، 32.

7 نفسه ، ص 32.

على لسان لاوتسو¹: "عدم رؤية المرغوبات يمنع تشويش القلب" و يقصد من هذه حياة التصوف و الزهد والتي تقوم بتربية العقل²، وهذا إن دل فإنما يدل على انتشار الزهد في الحضارة و الفلسفة الصينية القديمة، كذلك يوجد تشابه نسبياً بين طرق العبادة عند الصنيين القدماء ، و بين مبادئ الصوفية عند المسلمين³.

4 عوامل انتقال وانتشار التصوف بالمغرب الأوسط:

1.4 العوامل السياسية:

حسب ما ذهب به بعض الدراسات التاريخية لا يوجد بداية محددة للممارسة الصوفية بالمغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة ،وربما تعود الجذور التاريخية إلى، ظافرة الزهد والتصوف في المغرب الأوسط خلال فترة الدولة الرستمية، وكذلك اشتداد الصراع المذهبي بين الخوارج والشيعة، كما شهد القرن (5هـ/11م) دخول بعض المصنفات والمؤلفات في مجال التصوف المشرقي وكان ذلك عن طريق صوفية مغاربة وأندلسيين⁴، ومن خلال الكتب التي أرخت للتصوف بالمغرب الأوسط وبدأت في تحقيها كان ذلك ابتداء من القرن (6هـ/12م)، وكان ذلك تحديداً في المرحلة الأخيرة من حياة الدولة الحمادية (500هـ-547هـ/1106م-1152م)، وعلى سبيل المثال نجد الغبريني (ت704هـ/1306م) الذي أرخ وكتب عن الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال (ق7هـ/13م) واستهل كتابه بتعريف مجموعة من أعلام المتصوفة الذين عاشوا في القرن (6هـ/12م) منهم: أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م)⁵ وأبو الحسن علي المسيلي (ت6هـ/12م) وغيرهم⁶.

1الأؤ ويعني الشيخ أو الرجل القديم،تسه علامة الرفع ، وكان لاتسو من أحياء القرن(551-479 ق م) وكان له توجه صوفي يرفض كل ما له علاقة بملاذات الدنيا و شهواتها و محاربة السلوكيات السيئة و محاولة إصلاحها ، للمزيد انظر: عمر فروخ ،التصوف في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،لبنان ، 1981،ص47.

2 كريمة بلعز ، المسار الفلسفي و التاريخي للتصوف ، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ،مج5،ع02،ديسمبر 2019،ص22.

3 عمر فروخ ،التصوف في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،لبنان ، 1981،ص47.

4سليمة بن حسن ، صلاح الدين هدوش ، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين أبو مدين شعيب (ت594هـ) أنموذجا ، مجلة الاحياء ، مج22،ع31، جوان 2022،ص770.

5 هو أبو مدين شعيب بن الحسين (وقيل ابن الحسن) الأنصاري الأندلسي الإشبيلي خرج من بلده في الأندلس، عاد إلى فاس، ودرس وتصوف في فاس، ومنها خرج للحج، ثم رجع إلى فاس، وكان له منزل بها، فمكث هناك مدة قبل أن يستقر في بجاية، يمكن العودة إلى: عبد الحكيم مرتاض، أبو مدين شعيب(ت589هـ/1193) دفن العباد بتلمسان حقائق جديدة حول غياب المعالم الزمنية في سيرته،قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية،مج8،ع8،2021/8،ص19.

6 سليمة بن حسن ،المرجع نفسه، ص 770.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

وأيضاً تفكك وسقوط الدولة الموحدية التي تمكنت من بسط سلطتها وقوتها على بلاد المغرب الإسلامي و جزء من الأندلس، والتي تجاوز عمرها مائة وأربع وأربعين سنة (524-668هـ)¹. والتي سوف يخلفها ثلاث وحدات سياسية وهي: كل من الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط و الدولة المرينية في المغرب الأقصى و لم ترضى أي دولة بالمناطق التي تأسست عليها، بل حاولت كل دولة ضم بقية التركة الموحدية إما بادعائها أنها تمثل استمرارية الدولة الموحدية، كما هو الأمر بالنسبة للدولة الحفصية، أو رغبتها في التسلط و الزعامة على الملك و عرش زناته كما هو الحال بالنسبة للدولتين المرينية و الزيانية².

وعلى الرغم من أن هذا الصراع لم يغير الخريطة الجيوسياسية للمنطقة جذرياً ولم تتمكن أي دولة من فرض سيطرتها المطلقة على باقية الدول إلا أن هذا الصراع خلف حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة المغرب الإسلامي كان من الأجدر مواجهة العدو الصليبي الذي كان يترصد بالمنطقة³.

إن كتب الرحلات تتفق في مجملها على وصف الأوضاع بحالتي الاستقرار و اللأمن، وهذا ما أشار ما أشار إليه البلوي في أكثر من مناسبة إلى تعرض القافلة التي كان من بين أعضائها إلى هجمات قطاع الطرق أو اللصوص، و في نقاط متفرقة ومختلفة من بلاد المغرب الأوسط سواء أثناء مروره ذاهباً إلى بلاد المشرق أو أثناء عودته، حيث يذكر مثلاً أنه نجا بأعجوبة من قطاع الطرق وهو يغادر بلد العناب في رجب 736هـ⁴.

و هناك عامل آخر ساهم وهو يتمثل في عدم الاستقرار الأمني، والذي يتمثل في دور القبائل العربية وهي عدة بطون من بني هلال وسليم كان لها دور مهم وجوهري في الحياة السياسية لبلاد المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، بحيث كانت علاقتها مع السلطة المركزية غير مستقرة فأحياناً تكون حليفة وصديقة لها على أعدائها من القبائل المناوئة للحكم، أو الحملات القادمة من الدولتين و أحياناً أخرى تكون لهم عوناً لها ضد الدولة الزيانية⁵.

1 ابن قنفذ القسنطيني، "الفرسية في مبادئ الدولة الحفصية" تحقيق محمد الشادلي و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، ص 108، ص 130-131.

2 جمال الدين بوقلي حسن: "الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 16.

3 عبد المجيد ابن أبي زيان بن أشنهو: "دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر" الطباعة الشعبية للجيش، بدون تاريخ ص ص 10، 11.

4 خالد ابن عيسى البلوي: "تاج مفرق في تحلية علماء المشرق (الرحلة الحجازية)" تحقيق الحسن ابن عمر السائح جزء 1، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، بدون تاريخ، ص ص 164، 165.

5 عبد الحميد حاجيات: المقالة السابقة، ص 29.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

بحيث توجد شخصية أندلسية لها مكانتها المرموقة والرفيعة نتيجة الأدوار السياسية و الوظائف التي تقلدتها، إضافة إلى ذلك إنتاجها العلمي والأدبي الغزير و مع ذلك آثرت حياة العزلة و التصوف و تخلت طواعية عن الجاه العريض و الدنيا الواسعة والكبيرة، والتي تمثلت في شخصية: لسان الدين بن الخطيب السلماني¹، الذي بعث رسالة من حوالي ثماني صفحات إلى ابن مرزوق العجيسي² ينصحه بأسلوب بليغ أن يرفض الدنيا و مما جاء في هذه الرسالة : "وما أنا إلا عابر سبيل و هاجر مرعى وبيل، ومرتقب وعدا قدر فيه الإنجاز، عاكف على حقيقة لاتعرف المجاز، فقد فررت من الدنيا كما يفر من الأسد و حاولت المقاطعة بين روحي و جسدي، وغسل الله قلبي ولله الحمد من الطمع و الحسد فلم أبق عادة إلا قطعتها ولا جنة للصبر إلا إدبرتها أما اللباس فالصوف و أما الزهد فيما بأيدي الخلق فمعروف وأما المال العبيط فعلى الصدقة مصروف"³.

وكذلك يوجد عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل المذكورة سابقاً ، بحيث له علاقة مباشرة بعدم الإستقرار السياسي والأمني ببلاد المغرب الإسلامي، والذي يتجلى في أثر الحملات العسكرية الأوربية التي أصبحت تشكل تهديداً وخطراً حقيقياً للسواحل المغربية من ذلك ما نقل عن الرحالة عبد الباسط بن خليل⁴ وهو بوهران عن حالة الذعر التي عرفها أهل نواحي المدينة في شعبان سنة 870هـ حينما سمعوا أن أربعة مراكب للإفرنج تنوي الهجوم على تلك المناطق غير أن ذلك الهجوم لم يحدث، وذكر أن تلك المراكب أسرت الكثير من المسلمين بناحية بجاية⁵ وهذا ما يكشف لنا عن حالة التهديد المسيحي المستمر للسواحل المغربية و التي تعود غالباً إلى القرن التاسع للهجري وهذا ما يوضح لن في ذات الوقت عن حالة العجز والضعف التي أصابت الدول المغربية في رد تلك الحملات الاسبانية و تأمين حدودها البحرية، و أصبح الخوف من الوقوع في الأسر أو سقوط تلك السواحل تحت سيطرة النصارى الذين

1 هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني القرطبي الأصل الغرناطي اللوشي، للمزيد أنظر إلى: محمد عيساوي، المؤرخ لسان الدين بن الخطيب " حياته ومنهجه في التدوين التاريخي" كتاب أعمال الأعلام أنموذجاً"، التراث، مج6، ع15، 1/03/2015، ص16.

2 هو الشيخ العالم الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق أبو عبد الله العجيسي التلمساني المالكي، ويعرف بحفيد ابن وُمرزوق، وُلد في الثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين وسبعمائة (766هـ)، للمزيد أنظر إلى: محمد بوركية، دراسة مخطوط ميمية في الدعاء والابتهاال" للشيخ ابن مرزوق التلمساني (766-842هـ / 1364-1439م)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج6، ع2010، 7-06-30، ص11.

3 أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1040 هـ): " نفع الطيب من نصيب الأندلس الرطيب" المجلد الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1968 م ، ص 150

4 ولد عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي، والملقب زين الدين في مطية يوم 11 رجب 844هـ، 6 ديسمبر 1440م ونشأ في بيت رئاسة، للمزيد أنظر إلى: شريف عبدالقادر ، حلة عبد الباسط بن خليل إلى المغرب الأوسط. (866_هـ - 1462م/871هـ-1466م)، دراسات تاريخية، مج10، ع1، 2022-04-16، ص102.

5 عبد الباسط ابن خليل: " الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم (رحلة ابن خليل)" نشرها بروتشفيك بعنوان :

brunschvhc Rebert deux recit de voyage un édits en Afrique du nord ou xve sele. Abdal. Basit B hkalil 61- arose eduteurs 1936 p p 60-et adorme .paris v .i

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

يشكلوا خطرا دائما يهدد سكان المنطقة، وأمام التراجع الدولة عن القيام في الدفاع عن تلك الشواطئ تكونت إمارات صغيرة حاولت الاضطلاع في هذه المهمة، وكان رجال التصوف في الغالب هم مؤسسيها، مثل تأسيس إمارة الثعالبة التي بسطت سلطتها على مدينة الجزائر و المناطق التي تجاورها، وكان ذلك بعد مقتل الأمير الزياني أبو زيان محمد سنة 842هـ و كان الصوفي الشهير عبد الرحمان الثعالبي رئيس مجلس شيوخ هذه الإمارة وزعيمها إلى أن توفي¹.

2.4 الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية:

عرفت الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لبلاد المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة الكثير من مظاهر التدهور و والضعف وكذلك الانحطاط وهذا إذا ما قمنا بمقارنة مع الفترات السابقة و كانت عوامل عديدة وراء هذه الوضعية، لعل من أهمها يتمثل في عدم الاستقرار السياسي بسبب الحروب الطويلة التي ظلت قائمة بين الدول المغربية الثلاث، وأيضا الفتن الداخلية التي عرفت في تلك الفترة الزمنية، و لم يقتصر هذا الصراع على الحروب فقط بل تعداه إلى تحطيم مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية مثل ردم الآبار و عيون المياه ، و حرق بعض الزروع و تقويض مختلف دعائم الحضارة و نكتفي في هذا المقام بذكر مثال واحد لأن الظاهرة كانت عامة، فعلى إثر حملة السلطان المريني أبي يعقوب سنة 670هـ و حصاره لمدينة تلمسان، استغلت قبائل توجين التي كانت مناوئة للسلطة المركزية الفرصة و راحت تعمل التخريب بجهات تلمسان: "... فقطعوا الثمار و نسفوا الآبار و خربوا الربوع و أفسدوا الزروع و لم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم ، حاشا الصدر و الدوم ..."²، وكان يتبع هذه الحروب أو يرافقها حصار المدن و أثر ذلك على حياة المحصورين بانتشار الخوف و الجوع، إضافة إلى ذلك ارتفاع الأسعار نذكر من جملة ذلك الحصار الطويل الذي تعرضت له مدينة تلمسان و الذي بدأ سنة 689هـ: " فكانت مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنوات و ثلاثة أشهر و خمسة أيام، بلغ فيها عدد موتى أهل تلمسان قتلا و جوعا زهاء مائة ألف و عشرين ألفا، و ثمن صاع قمحهم إلى دينارين و ربع الدينار، و صاع شعيرهم إلى نصف ذلك ..."³.

و هناك عامل آخر ساهم في تدهور الجانب الاقتصادي، والذي يتمثل في الضغط المتواصل الذي مارسه القبائل العربية على المناطق التلية، مقوضة بذلك الكثير من مظاهر العمران، و يذهب ابن خلدون بوصفه هذا الفترة الزمنية وكيف أصبحت الحالة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية والضعف الذي عرفه المغرب أنداك وذلك على حد قوله: " و أما لهذا العهد، و هو آخر المائة الثامنة، فقد انقلبت أحوال

1 عبد الحميد بن أشنهوا : المرجع السابق ، ص ص 71، 70.

2 علي ابن زرع الفاسي، " الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية " دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 ص ص 131، 132.

3 يحيى ابن خلدون (ق 780 هـ): " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " الجزء الأول ، تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر 1980 ص ص 211.

المغرب الذي نحن شاهدهو و تبدلت بالجملة ، واعتاض على أجيال البربر أهله من القدم بمن طراً فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب حيث كسروهم و غلبوهم و انتزعوا منهم عامة الأوطان و شاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم ...¹ "بحيث نتج عن هذه الضغوطات المستمرة والمتكررة إلى تراجع مكانة مدن داخلية هامة بل وانهايار بعضها باستثناء مدينتي تلمسان وقسنطينة خلال هذه الفترة الزمنية، وظهرت مدن ساحلية بدا نشاطها أكثر ارتباطا بالبحر منه بالداخل"² وهذا ما سوف يؤدي إلى فتور وتوقف العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط من جهة و إفريقيا السوداء و المشرق العربي من جهة أخرى.

3.4 الوضعية الثقافية ومستوى الحياة العقلية:

شكل التصوف خلال هذه الفترة المبكرة من ظهوره بهذه بلاد المغرب، بحيث إقتصر على الطائفة التي تتمتع بثقافة صوفية واسعة في الغالب و واعتمدا على ما يعرف بالتصوف النظري الذي يتطلب قدرا من الثقافة، و جمعوا إليها السلوك المستقيم حيث نالوا بفضل ذلك احترام من مختلف فئات المجتمع و أصبحوا يشكلون قدوة لهم، فإن انتشار التصوف على مختلف الشرائح الاجتماعية وظهور هذا التيار الذي يعرف بالتصوف العلمي مما لا يتطلب ثقافة وكذلك دراية واسعة، حيث أصبحت اهتمامات المريدين منحصرة في حلقات الذكر: "وقد استمال الصوفية العامة بظواهرهم فمالت إليهم لتقريبهم لها طريق السعادة التي هي على العامة أيسر من العلم و باعتقاد أن شيوخهم يحملون عنهم تقصيرهم في الدين"³ وبالتالي نصح أمام إشكالية يصعب الفصل فيها وهي : هل يعتبر التصوف ورجاله هم المسئولون عن هذا التحول وتباعته ؟ أم أن تراجع المستوى الثقافي والعلمي هو الذي جعل التصوف يأخذ هذا المنحى ؟ ويبدو أن الطرح الثقافي أكثر قبولا ذلك أن هناك علاقة لايمكن إغفالها، وهو أن إنتشار التصوف بين العامة من ذوي المستويات الثقافية المحدودة جدا، وإن لم نقل أن أكثرهم كان لا يتوفر على أدنى مستوى من هذه الثقافة، ارتبط بنقل غريب الأخبار عنهم و انخراق العادات لهم أو ما يعرف بالكرامات⁴.

إن المنتبغ والباحث لتراجع متصوفة المغرب الأوسط، ليلاحظ أن هنالك تحولا ملموسا بل قد نقول جوهريا بين الصفات التي كان يتصف بها متصوفة القرن السابع الهجري مما نلمسه في كتاب عنوان الدراية مثلا والمتمثلة في العلم والزهد و الورع و غيرها من الجوانب. والصفات والخصائص التي أصبح ينعت بها متصوفة القرن التاسع الهجري و التي جاءت مركزة على خوارق العادات بصفة ملفتة للانتباه مثل طي الأرض و التحكم في الأحوال الجوية و إيراد أولى العاهات و لقد سقط في شرك منتحلي قطاع واسع من الفئات من الاهالي التي استسلمت لهم و ليدعهم أراجيفهم بما كانت تروجه من كرامات و بما

1 عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة ، المصدر السابق ص 32

2 عبد الله شريطو محمد الميلي : المرجع السابق ص ص 96،95.

3 مبارك بن محمد الميلي : " تاريخ الجزائر في الحديث و القديم " تقديم وتصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، دار الغرب الإسلامي .بيروت بدون تاريخ ج 2 ، ص 343،344.

4 عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ص 87.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

كانت تنشره من أفعال الشعوذة في الحفلات التي كانوا يعقدونها في مجالسهم، وهذا ما جعل الجانب الديني تعرف تراجعا كبيرا لصالح بعض الطقوس المشبوهة والغريبة وكذلك الفارغة من أي محتوى إيماني وعقائدي صحيح، ولقد كان هذا الانتشار أكثر حضورا في البوادي و الأرياف حيث وجد أولئك المتصوفة ضالته في سذاجة أولئك العوام و ضحالة مستواهم الثقافي.¹

وهذا ما نتج عنه ردود أفعال بعض الفقهاء من انتقاد صريح للتصوف و بعض رجاله مثل الكتاب الذي ألفه أبو الحسن الصغير، بحيث قام بجمع فيه مثالب الصوفيين و حرص على جمع أغلب فتاوى علماء المغرب والأندلس و بعض المشاركة الذين انتقدوا الكثير من سلوكيات وتصرفات بعض المتصوفة و أنكروها عليهم في هذا الكتاب² ولقد رد الإمام محمد بن يوسف السنوسي، على المؤلف لأبي الحسن الصغير انتقد فيه التصوف و سلوكيات المتصوفة، بتأليف يجمل عنوان "نصرة الفقير في الرد أبي الحسن الصغير" بل وأمر بعض طلبة تلمسان بالاتفاق مع بعض علماء المدينة على حرق النسخ التي أرسلها أبو الحسن الصغير بعدم إحفظ بنسخة للرد عليها،³ و هذا يشير إلى دلالة ألا وهي قوة التيار الصوفي و من يماثله في تلك الفترة.

إن حجم الانتقاد يكشف عن حجم الانحراف الذي اعترى التصوف و سلوكيات بعض المتصوفة وكذلك مريديه، و إن هذا الانحراف مرتبط بصورة مباشرة بمستوى الحياة العقلية و طريقة التفكير التي بدأت تتحكم في عقلية الإنسان المغربي: «ومن مظاهر الجمود اتلي سادت هذه الفترة أن الناس أصبحوا يعتقدون أن الإنسان لا قدرة له في هذا العالم و لا طاقة له في تغيير ما قدر له من الحوادث النافعة أو المضرة، إلا إذا استعان بالأولياء و الصالحين الذين يتبوؤون مكانة عالية عند الله. ومن هنا بدأ الاستجداء بالأولياء يشكل الوسيلة الطبيعية التي يلجأ إليها الشخص في سلوكه كلما أصابته مصيبة أو تعرض لخطر من الأخطار».

وهكذا أصبحت إرادة الناس مصادرة، مما عمق لديهم الشعور بالخضوع والانقياد السلبي للعقيدة القدريّة والتي تظهر أن مختلف الأوساط الاجتماعية كانت متأثرة بها وكذلك خاضعة إليها.

وإن الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت تمر ببلاد المغرب الإسلامي كانت وراء تراجع مستوى الثقافة والتعليم: «اعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كان ينقطع عن أهل المغرب باختلال

1 جمال الدين بوقلي حسن : المرجع السابق ، ص ص 33،34.

2 المهدي البوعبدلي: "ظهور السلفية في الجزائر " مجلة دراسات مغربية ، العدد الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية لوهراڤن أكتوبر 1988 ، ص 103.

3 عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق ، ص 87.

عمرانه وتناقص الدول فيه¹ وحتى مؤلفات هذه الفترة لم تتعدى في الغالب مختصرات و شروح لإنتاج القرون السابقة و هذا ما جعل ابن عرفة يعلق على تلك المضامين بقوله أنه لا جدوى منها ترجى ومن ورائها وأنها تسخير إلا إذا جاءت بشيء جديد، وهذا ما ينطبق على مجالس التدريس بحيث نظم في ذلك أبياتا:

و إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ نُكْتَةً بِتَقْرِيرِ إِيْضَاحِ لِمُشْكِلِ صُورَةٍ
و غَزْوِ غَرِيبِ النُّقْلِ أَوْ حُلِّ مَقْلٍ أَوْ إِشْكَالٍ أَبَدْتَهُ نَتِيجَةَ فَكْرِهِ
فَدَعِ سَعْيِهِ وَ أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ وَ اجْتَهِدْ وَ لَا تَتَّزِرْكَ فَالْتَّرْكَ أَفْصَحَ خَلِّهِ²

5 أهم الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني:

1.5 مفاهيم عامة حول الطريقة ومؤسساتها ومواردها:

1.5.1 مفهوم الطريقة:

أ لغة :

جاء في اللغة أن أصل الكلمة من "طرق" وهي تعيد الكثير من المعاني منها : طرق المعدن طرقا: أي بمعنى ضربه و مدده، و طرق الباب: أي قرعه، وطرق الطريق أي سلكه، وطرق الكلام: بمعنى عرض له و خاض فيه .و الطريق هو مسلك الطائفة من المتصوفة و الجمع طرق والطريق السبيل الذي تطرقه أرجل السالكين³، وطريقة الرجل أي مذهبه ومنهجه، والطريقة الرجال الأشراف، والطريقة جمعها طرائق، وتطرق القوم، اتبع بعضهم البعض، والطرائق وتعني الفرق⁴. وجاء في معجم الوسيط الطريق، المطروق مسلك الطائفة من المتصوفة، السيرة والمذهب⁵، وجاء في الصحاح : الطريق يعني السبيل، وكذلك طريقة القوم أي بمفهوم أمثالهم و خيارهم، يقال هذا الرجل طريقة قومه، وهؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم أيضا، و من قوله تعالى (كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا)⁶ يقول: أي كنا أهواء مختلفة، وفرقا شتى، منا

1 عبد الرحمان ابن خلدون :المصدر السابق ص ص 430، 431.

2 شهاب الدين أحمد المقري التلمساني: "أزهار الرياض في أخبار عياض" صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية و الإمارات العربية المتحدة الجزء الثالث الرباط 1398هـ/ 1978م ، ص ص 33، 34.

3محمد المهدي ، دراسة في الطرق الصوفية ، المرجع السابق .ص: 08

4 جمال الدين بن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان ، ط، 2مج 2008ص - ص: . 112-114

5 ابراهيم أنيس و آخرون ، المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، ط2004، 4، ص556.

6 سورة الجن ،الاية، 11.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

المؤمن والكافر. والطرائق: جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه.¹ والقِدْد: جمع قَدَّة، وهي الضروب وكذلك الأجناس المختلفة.

ويعرفها بعض الصوفية بأنها " السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات "³ وفي هذا المفهوم نظر بالنظر الى تطور الطرق، وكذلك بالنسبة لوصف الطرق ذاتها، فهي أقرب ما تكون جملة مراسيم وتنظيمات لجماعات صوفية ذات منهج محدد ⁴.

ب اصطلاحا:

للقوف على المفاهيم الاصطلاحية لمعنى الطريقة يستدعي منا البحث والتدقيق عن دلالات و مفاهيم هذه الكلمة من القرآن الكريم، جاءت هذه الكلمة بلفظ "الطريقة" "الطريق" "الطرائق" في مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

– " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا"⁵
– " قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ "⁶.

والمعنى من هذه الدلالات حول كلمة طريق، طريقة في الآيات السالفة الذكر هو النهج السليم والقويم والمستقيم⁷، ورد الطريق أو الطريقة بمعاني عديدة سواء في الفلسفة أو التصوف عند المسلمين وغير المسلمين منها:

إن الطريق في القرون الأولى كان يعني عند المتصوفة مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها، وورد لفظ الطريق بما يعرف بتصوف الحقيقة في أبيات أبو نصر الطوسي إلى علي بن عبد الرحيم القناد الذي يقول:

1 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، ارجعه واعتنى به محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، (د.ط)، القاهرة: 1130هـ - 2009م، ص 698.

2 حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: (طَرَائِقٌ قِدْدًا) بحيث يقول: أهواء مختلفة، أو يقول: أهواء شتى، منا المسلم، ومنا المشرك، او مؤمن وكافر، لمزيد انظر: <https://quran.ksu.edu.sa>، جامعة الملك سعود المتصفح الالكتروني .

3 عبد الله بن دجين السهلي، نفس المرجع السابق، ص 9.

4 نفسه، ص 9.

5 سورة النساء، الآية 168.

6 سورة الاحقاف، الآية 30.

7 عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية و منطلقاتها الفكرية و الادبية بمنطقة توات دراسة تاريخية و أدبية " نماذج شعرية من ديوان سيدي عبدالكريم بن محمد البلبالي" (1288هـ/1860م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، تخصص: الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016-2017، ص 39

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

أَهْلُ التَّصَوُّفِ قَدْ نَصُّوا، صَارَ التَّصَوُّفُ مَخْلَقَةً صَارَ التَّصَوُّفُ صَيِّحَةً وَتَوَاجَدًا وَمَطْبَقَةً
مَضَّتْ الْعُلُومُ، فَلَا عُلُومَ وَلَا قُلُوبَ مَشْرُقَةً كَذَبْتَكَ، لَيْسَ ذَا سِنَّنِ الطَّرِيقِ الْمَخْلَقَةَ

ومن هذا المنطلق فالطريق هو المنهج العلمي للتصوف كما تم تعريفه منذ القرن الثالث على الأقل قبل أن يشيع استعماله منذ القرن السادس¹، أما عن المهتمين بالتصوف من غير المسلمين فقد عرف نيكلسون Nikholson الطريق: هو مجموعة من القواعد والرسوم التي يفرضها الشيوخ على مريديهم، أما ماسينيون فرأى أنه جملة مراسم التدبير الروحي المعمول به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية الإسلامية المختلفة التي بدأت تنشأ منذ تلك الفترة، ويضيف إسلمان Splimann الطريقة جمعية خاضعة لتدرج من مسلمين يقومون بأنشطة خاصة يرتبها لهم ولي ذو علم لديني أو صاحب كرامات من أجل رضوان الله²، وعموماً فالطريق أو الطريقة ليست إلا منهج حياة روحية يمكن التوصل بها بصحيح النية، وفي تقديم المجاهدات والرياضات النفسية إلى معرفة الله تعالى معرفة صحيحة وعلمية وهي تدل على ممارسات ومراسيم تعبدية تقوم بها الجماعات الإسلامية المختلفة التي بدأت تنتشر في مختلف البلاد³.

وكذلك يمكن تعريفها بأنها حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو للزهد و شدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الدنيوي، ثم تطور حتى صار طرقة مميزة وتبنت مجموعة من العقائد المختلفة، و الرسوم العملية المخترعة ، ومنها تكونت مناهج كثيرة⁴.

2.5 مؤسساتها ومواردها:

1.5.2 الزاوية:

أ تعريف الزاوية لغة :

الزاوية لغة مصدرها زوى بفتح الزاي والواو، وزوى الشيء يزويه زيا وزويا فانزوى: معناه نحاه ففتحى، وزواه أي قبضه، وزويت الشيء جمعته وقبضته، وفي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: {إن الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها}، وفي حديث آخر: {اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر} وزويت لي الأرض أي جمعت، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضامنوا، والزاوية مفرد الزوايا⁵، وهي جمع، زوايا، وهي زاوية البيت وركنه، ونقول زوى فلان المال أي خبأه وأخفاه وتعني الجمع والطي ، وهي تعني كذلك الانزواء، فالزاوية أخذت اسمها من الانزواء بمعنى

1 إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم، المرجع السابق ، ج 3، ص، ص115-116.

2 محمد مكحلي ، المرجع السابق، ص26.

3 محمد المهدي، دراسة في الطرق الصوفية ، المرجع السابق ، ص13

4 عبد الله بن دجين السهلي ، نفس المرجع السابق ، ص 10.

5 عبد القادر دحدوح ، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني ، دراسات في آثار الوطن العربي ، ص 1163.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

انضمام البعض إلى البعض في حلقة الدرس.¹ وهي أيضا كلمة مشتقة من فعل انزوى ، و هذا يعني اتخذا ركنا من المسجد للاعتكاف و الزاوية في الاصل ركن البناء و كانت تطلق على المسجد الصغير و يطلق على البناء ذو الطابع الديني.²

كما أنها مؤسسة إجتماعية تربوية ودينية وحتى عسكرية ،وهي أصغر من دولة وأكبر من حزب نقلا عن ما قاله الأستاذ رشيد بوسعادة باحث في علم الاجتماع.³ إن لفظ "الزاوية" في الأصل مأخوذ من الانزواء يقصد بها العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن الدنيا والناس ومشاكلهم اليومية وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله.⁴ ذكر الشيخ السنوسي: ان كلمة الزاوية دال على معناها ، وهي من زوى يزوي إذا جمع الشيء وبالتالي فالزاوية جامعة ،لكونها تجمع العباد على حب الله ورسوله ،وطانت العرب تقول تزاوى القوم أي تضامنوا.⁵

فالزاوية عند ابو القاسم سعد الله "هي خلوة للعبادة" ،وكانت أساسا رباطا للجهاد وهي الخانقات في المشرق.⁶ كما يرجع أصل كلمة زاوية الى الانزواء و الانعزال⁷ و ذلك في قوله تعالى "وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا"⁸

ب اصطلاحا:

فيطلق اسم الزاوية ويراد بها مأوى المتصوفين والفقراء ،والمسجد الغير جامع ليس فيه منبر ، كما جاء في المعجم الوسيط، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موقع بالبصرة، كان له الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل وعلى قرية بالمدينة بها قصر انس، وعلى بلد بواسط، وقرية بالأندلس، كما جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري -رحمه الله- وفي القاموس المحيط، كما سميت بها مدينة من مدن القطر الليبي.⁹

1 رشيدة شدرى معمر ، الزوايا و دورها الديني و الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة المعيار ، مجلد 24، العدد 49، 2020، ص273.

2 عبد المنعم القاسمي ، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء و الجهاد 862هـ -1962م ، دار النشر المسيلة (دس،ن)، ص123
3طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف (ع14)، جامعة البويرة ، الجزائر ، أكتوبر 2013، ص20.

4 عبد العزيز الشهيبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، 2007، ص15.
5رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة انموذجا 1944- دار المحابر للنشر ، قسنطينة، (دار س،ن)، ص19.

6 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، 1830-1954-، 3دار الغرب الإسلامي، بيروت ،، 1998، صص.26، 27.

7 عبد القادر دحدوح، نفس المرجع السابق ، ص1163.

8 سورة مريم ، الآية 48.

9 صلاح مؤيد العقبي، لزوايا والطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها، بيروت، لبنان، دار البراق، 2002م، ص301.

فالزاوية في غالب الأحيان تعني ركن البيت، أطلقت في بداية الأمر على صومعة الراهب، ثم على المسجد الصغير أو المصلى¹ عرّف الشيخ عبد القادر العثماني "أن الزوايا هي الرمز الأشهر العريق لهذا الوطن لأنها تحمل القرآن الكريم ولا يشعر بأهمية هذا الرمز الوطني إلا من فتح الله قلبه بنور الإيمان"² كما يذهب حسن إبراهيم "أن الزاوية ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة، والاعتكاف والتعبد ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات ويتعبدون فيها ويعقدون حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل به من علوم عقلية ونقلية"³

ويرى البعض أن الزاوية عبارة عن بناء ديني، يقيم فيها المتصوفة للاعتكاف، والتفرغ إلى العبادة، وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن الكريم لطلبة العلم، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل وحتى المسافرين⁴ وقد وصفها دوفولكس Devouix بأنها "عبارة عن محلات فقيرة وقصيرة أبعادها غير منظمة تبيض بالجير وعادة ما تحمل اسم مؤسسوها أو اسم الحومة - أي المكان - التي تقع فيه، أو اسم الوالي الصالح الدفين فيه أو اسم لجماعة التي تنتمي إليها مثل زاوية الأندلس و زاوية الأشراف"⁵ وفي هذا السياق يرى أبو القاسم سعد الله "بل الزاوية كانت مؤسسة كاملة فيها السكن و الطعام و الملجأ و التعليم و العبادة"⁶ ويضيف أيضا وكان بعضها يعتبر مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي بدأه الفتيان في المكاتب و المدارس القرآنية⁷ وقد قدم دوماس Daumas تعريف للزاوية و في اعتقادي أنه الأقرب من بين كل التعاريف، لكونه جامع وشامل لجميع معانيها، فهو يصفها على أنها مؤسسة دينية ذات هياكل قاعدية عديدة ومتعددة الأغراض، إضافة إلى كونها جامعة ونزل مجاني، وهي تضم قبة المرابط، الذي تحمل اسمه والزاوية تعرف بمنطقة القبائل باسم ثيمعمرث⁸، بحيث يضيف " إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة"⁹ ويذهب يحي بوعزيز هي "عبارة عن مجتمعات من البيوت و المنازل المختلفة الأشكال والأحجام وتشمل على بيوت الصلاة و المساجد و غرف تحفيظ القرآن الكريم ، وأخرى لسكن الطلبة ، وطهي الطعام ، وتخزين المواد الغذائية و العلف ، وإيواء الحيوانات التي تستعمل في أعمال الزاوية"¹⁰.

1رشيدة شكري معمر ، نفس المرجع السابق ، ص273.

2 محمد حجي ، الزوايا الولائية و دورها الديني و العلمي و السياسي ، مطبعة النجاح الجديدة (د،ب،ت)، 1988، ص81.

3 حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ج1، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1996، 401.

1 عبد القادر دحدوح، نفس المرجع السابق ، ص 1634

5 DEVOULX, A, Les édifices religieux de l'ancien Alger, in revue africaine , tome 6, année 1898, p 380.

6 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5-1830، 1954-5، دارالغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1998، 1، ص 110.

7 نفسه ، ص 110.

8 الأمير بوغداد ، نفس المرجع السابق ، ص 129.

9 عبد العزيز شهبي ، الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي للجزائر ، دارالغرب للنشر و التوزيع ، 2007، ص13.

10 يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية الدولية ، الجزائر المطبوعات الجامعية (د،س، ن) ، ص131.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

وسميت من قبل بدار الكرامة ولفظ الزاوية في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاعلهم اليومية¹، أما عن أهل توات، فتعرف الزاوية على أنها ومسجد خاص بطائفة دينية من الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء الصالحين، وفي الغالب تتصل به مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو من أقارب الولي الصالح².

وقد عرفت انتشارا واسعا في بداية العهد العثماني خاصة في الريف، بسبب افتقار الأرياف للمراكز التعليمية الأخرى إضافة إلى انتشار الطرق الصوفية، والتي عادة ما تتخذ من الزوايا مراكز لها³، وكان لها الفضل في الانتشار الواسع للتعليم بالمناطق البعيدة عن الحواضر بل نجحت في جعل بعضها من أهم المراكز الثقافية في الجزائر⁴ وأوجدت نوعا من التوازن بين الريف والمدينة، وحالت دون أن تتطور الثقافة في المدن خاصة دون الريف⁵، ويكمن دورها في تحفيظ القرآن الكريم، وتدریس الفقهيّات، والعقائد، وقواعد النحو، والصرف والبلاغة والحديث، مما أعطى لثقافة الجزائرية صبغة دينية⁶.

ويصفها أبو القاسم سعد الله بأنّها جمعت بين هندسة المسجد والمنزل وهي في جملة قصيرة الحيطان منخفضة القباب قليلة النوافذ، إذا كان للزاوية مسجد فالغالب هي بدون مئذنة ومن ناحية الهندسة المعمارية فهي غير جميلة وليست مرخمة وشكلها يوحي للعزلة والتشرف والهدوء والخلو⁷.

ووصفها يحي بوعزيز أيضا قائلا: أنّها عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، وتشتمل على بيوت للصلاة كالمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية، وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية وغيرها التي تستغل في أعمال الزاوية⁸. وهي ذات مبنى ديني يقيم فيه المتصوفة للاعتكاف والتفرغ إلى العبادة وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية النقلية والعلوم العقلية⁹، كما أنّها ملجأ للطلبة والعلماء والغرباء¹⁰.

1 رحيمة قليل ، نفس المرجع السابق ، ص27.

2 محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص02.

3 صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني "دراسة في الواقع والمعطيات"، مجلة الذاكرة ، ع 11، 2018، ص130.

4 فوزية لزغم ، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1830-1518م)، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 2011، ص67.

5 رحيمة قليل ، نفس المرجع السابق ، ص28.

6 رقية شارف ، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن18 وبداية القرن 19، دراسة تحليلية نقدية ط1، دارالملكية ، الجزائر، 2007م، ص45 .

7 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج1، ص 269-270.

8 يحي بوعزيز ، نفس المرجع السابق، ص 103.

9 عبد القادر دحدوح، نفس المرجع السابق، ص 1165.

10 نور الدين عبد القادر، نفس المرجع السابق، ص 166.

2.5.2 الرباط:

أ تعريفه لغة:

ربط ربطة الشيء أربطه و أربطه أيضا عن الاخفش ، أي :شددته¹،والموضع مربوط و مربوط ، و يقال ليس له مربوط عنز ، و فلان يرتبط كذا رأسا من الدواب ويقال : نعم الربيط هذا لما يرتبط الخيل² قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ³ و الربط في الأصل هو الإقامة على جهاد العدو بالحرب و ارتباط الخيل ، وجاء قوله تعالى " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ " ⁴ ويعني المرابطة في الحرب ورباط الخيل: مرابطتها ويقال: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها قال الشاعر :

الرِّبَاطُ النَّكِدُ مِنْ آلِ داحِيسَ أْبَيْنَ فَمَا يُفْلِحُنَ يَوْمَ رِهَانِ⁵.

ويمكن القول ان الرباط هو المكان الذي يربط فيه المسلمون في الدفاع عن بلادهم وكانت تقام حيث يتوقع هجوم الأعداء، وقد تحول هذا المعنى فيما بعد إلى كلمة ثغر التي حلت محل الرباط والربط في اصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة وعند المتصوفة عبارة عن الموضع الذي يلتزم فيه العبادة.⁶ وأما من حيث البناء فقد يكون مجرد مسجد للعبادة لكن إذا تعلق الأمر بالدفاع عن أراضي المسلمين فإن الرباط عبارة عن حصن مربع يتكون من طابقين يرقى إلى الثاني منها بسلم ويحتوي كل منها على غرف تطل على صحن تحيط به أقواس، وفي كل زوايا الحصن برج لمراقبة العدو وهو نسق عمراني لا يستبعد استنباطه من الحصون البيزنطية⁷

بحيث ظهر ببلاد المغرب العديد من فقهاء المالكية الذين كانوا يلقنون علومهم بمساجد القيروان من أجل الدفاع عن مذهب مالك و دعوة الناس الى التزهد و التقشف ضاربين المثل في ذلك من أنفسهم ومن إمامهم مالك فضل الكثير منهم أن يعتزل حياة المدن التي شملتها الفوضى والاضطرابات السياسة و

1 أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة العربية و صحاح العربية مرتب ترتيبا ألقبائيا وفق أوائل الحروف ، راجعه و اعتنى به محمد محمد تامر و أنس الشامي و زكرياء جابر أحمد ، دار الحديث القاهرة ، 2009، ص420.

2 أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، نفس المرجع السابق ، ص 420.

3 سورة آل عمران ، الآية 200.

4 سورة الأنفال ، الآية 60.

5أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، نفس المرجع السابق ، ص 420.

6 يوسف الطيب ، نفس المرجع السابق ، ص 72.

7 ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،2000، ص175.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

فساد العقيدة إلى رباطات ينزلون فيها إلى العبادة وتلقين علوم الدين.¹ وبهذا يتضح الفرق بين الرباط ذي النشاط العسكري، والرباط الذي اعتبره الزواوية ذات النشاط الديني و التربوي و التعليمي في آن واحد².

ب اصطلاحا:

كما يطلق على لفظ الرباط في المصطلح الحربي على موضع حصين ينشأ او يكون على مستوى الحدود، يقيم فيه ويلزمه أولئك الذين نذرو أنفسهم للجهاد في سبيل الله - أي سخروا أنفسهم في خدمة الجهاد - ، ورغبة في نيل ثوابه ، و تاهبو بخيولهم وعدتهم ، مستعدين للدفاع عن حدود البلاد وحراستها ، وصد هجمات الأعداء وغاراتهم، ومراقبة تحركاتهم، وهم يقضون وقت فراغهم بالمجاهدة النفسية ، عن طريق إقامة العبادات من صلاة طويلة وصيام مستمر ، وتلاوة دائمة للذكر الحكيم ، كأنهم يعدون أنفسهم لنيل شرف الشهادة في سبيل الله ، وفي سبيل العقيدة والمبادئ وحماية الأوطان كل ذلك يقومون به إلى جانب التدريب العسكري³ ، وبالتالي يعتبر الرباط مثل الثكنات العسكرية آنذاك و له عدة ادوار، والرباط عند رينهاث دوزي هو عبارة ثكنة عسكرية محصنة تبنى على حدود الدولة ،ويقيم بها عدا الكتائب العسكرية رجال من أهل التقوى يجاهد في سبيل الله ويحصل بذلك على الأجر و الثواب الذي يحصل عليه المجاهدون ضد محاربتهم و تصديهم للكفار⁴ والرباط ملازمة ثغر العدو⁵.ويطلق أيضا عليها بالبقاع التي تؤسس لاجتماع المنقطعين المتعبدين الذاكرين، وكذلك على المعتكفين لتعلم الدين وتعليمه⁶

والرباط عبارة عن جزأين الأول علوي تكون مهمته حراسة الثغور ومراقبة سفن العدو ، وتوقد به في الليل إشارات أو علامات نارية للإرشاد والتوجيه والحراسة ، والتأكد من قيام المرابطين بالعمل واليقظة ، أما الجزء الثاني ارضي ،ويقوم فيه المرابطين كل بعمله ، فالطبيب يعالج بالمجان ، والمعلم والنساخ كذلك ويعرف الملمزمون للربط بالمرابطين ، فالمرابط في الغرف المقيم في الرباط على طاعة الله يدافع بدعائه وبسيفه الخطر على البلاد⁷.

1 نفسه ، ص 175.

2 عبد العزيز شهبي ، نفس المرجع السابق ، ص 18.

3 السرحان محي هلال ، الربط الاسلامية - تعريفها وتاريخها ودورها في الدفاع عن الحدود - مجلة المورد ، مجلد 14، العدد 3، بغداد 1985، ص 69.

4 دوزي رينهاث، تكلمة المعاجم العربية ، تعليق وتعريب، محمد سليم النعني ، ج5، دار رشيد للنشر، العراق، 1982، ص 71.

5 محمد حقي ، تنظيم الرباطات بالمغرب الوسيط رباط آسفي نموذجا ، عصور الجديدة ، العدد 24-25، صيف -خريف (أكتوبر) 1437-1438هـ / 2016م، ص 82.

6 رحيمة قليل ، نفس المرجع السابق ، ص 32.

7 علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي (40-132هـ/660-701م)، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 2012، ص 208.

1.5.3 الممتلكات العقارية

وهي عبارة عن الممتلكات العقارية التي يوقفها مريدي وأتباع الطريقة على الزوايا والهيئات الخيرية والجماعات، وكذلك بعض الولاية والأمراء وبحيث تنتوع وتختلف مثل أرض زراعية وحقول الأشجار المثمرة والغلال كالزيتون والتين والخروب والحيوانات الحلوبة والمحلات التجارية والحمامات المعدنية بالأرياف المعدنية بالمدن¹ و نلاحظ خلال العهد العثماني ان سياسة السلطة العثمانية كانت واضحة في التقرب من رجال التصوف في الجزائر، استقطاب و احتواء بثتى الوسائل كبناء الزوايا و المقامات وغيرها² و ايضا كان العثمانيين يحسبون بعضا من أملاكهم وفقا على الزوايا و الاضرحة و المساجد³، فعلى سبيل المثال نذكر أن الباي حسن بن صالح عام 1121هـ/1807م، عندما خرج في احدى حملاته العسكرية اخذ على نفسه ندرا يتعهد فيه ببناء دار الولي سيدي علي العريان، و السيد محمد بن سيدي سعيد و اصلاح مسجده و تحسين اوقاف يستعين بها على رعاية الطلبة و الغرباء و ابناء السبيل⁴ وكان الواقفون يعتقدون و المتصدقون على الزوايا من عامة الناس أن وقفهم عن الزوايا مكفر الذنوب بسرعة وأن ذنوبهم تغفر في الحال، واذ يكفي أن يرضى عنهم الشيخ ويمنحهم بركاته⁵ ومن الزوايا كثيرة الوقف زوايا الوالي داده، و زوايا أحمد بن عبدالله الجزائري و زوايا سعيد قدوره التابعة للجامع الكبير و كذلك الزوايا الطيبية بتلمسان⁶

2.5.3 الأوقاف:

اعتبر المسلمون الوقف تقربا من الله، وخدمة لذويهم ولفقراء المسلمين، كان أغلب الجزائريين يوقفون بعض من ثروتهم على الأضرحة والزوايا، إذ لا يوجد قبر من قبور صانعي المعجزات الشعبية، ولا زوايا يديرها أحد ذريتهم، لا يحيط بها عدد كبير من الهكتارات من الأراضي الخصبة، في شكل أوقاف محبوسة على المؤسسات الدينية، كما أن الحكومات المتوالية على الحكم في الجزائر، ولكسب الحياد الشخصيات الدينية منحها حق الانتفاع بمساحات شاسعة من الأراضي، و بهدف عمل الخير أوقف الناس الكثير من العقارات لفائدة الأولياء الذين يعتقدونهم، وهكذا تكون هذا القطاع الضخم من الاوقاف المحبوسة التي

1 يوسف الطيب، نفس المرجع السابق، 85.

2 قويدر قياري، الطرق الصوفية و السلطة العثمانية في الجزائر 1520-1830، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، ع10، ديسمبر 2015، ص 113.

3 رشيد بكاي، تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث، ع8، ديسمبر 2011، ص 224.

4 ناصرالدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، دار البصائر، الجزائر، 1984، ص 153.

5 ابوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 270.

6 نفسه، ص 270.

قدرت سنة 1246هـ/1830 بأكثر من تسعة ملايين هكتار ، و كانت تعطي دخلا كبيرا يستخدم في صيانة المؤسسات الدينية ، و يؤلف المورد الاساسي للهيئات الدينية¹

3.5.3 الممتلكات المنقولة:

الصدقة او الزيارة: هي أيضا مصدر قار لمداخل السلطة الدينية ،وهناك ثلاثة أشكال من الصدقة في بلاد المغرب :المعونة :الأكل المجاني. التوزيع:العمل المجاني .و الصدقة إلزامية وتستغل لترميم أماكن العبادة ،أو تمويل الزردة ،الوعدة ..وغالبا ما تكون عينا .وفي الجنوب الغربي للجزائر ، خاصة لدى قبيلة أولاد سيدي الشيخ ،لها حد معين . كما أن القبائل التي كانت خارج السيطرة البايك كانت تدفع العشور للزاوية والصدقة مورد هام يأتي من زيارة المديرين للشيخ أو المقدم ،وهي وإن كانت إلزامية لم تكن في حال من الأحوال مصدرا لإفقار الأهالي ، بل كانت مصدرا للإعانة الاجتماعية وإن لم تتمتع جميع الطرق الصوفية بثروات كبيرة ،فإن الطرق الصوفية التي كان لها مديرون و متحمسون لتقديم هدايا معتبرة للشيخ أصبحت عمارة مستقلة ذات ملك يعمه الثراء والنفوذ.وقد تبلغ الأموال المسلمة للشيخ مبالغ كبيرة ،فتصبح الزوايا ضربا من البنوك ،والوكلاء ملزمون باستثمار أموالها المودعة لدى أيادي "فاضلة" لكن الأمر لا يخلو من المفاجآت غير السارة ،وقد يتفق أن يموت الشيخ ولا يترك وثائق بيانية عن الودائع².

ولقد شكلت الغفارة عند بعض الطرق موردا ماليا سنويا مهما ، وهي تقديم الحيوانات وبضائع ونحوها يعينها الشيخ سنويا ، وتظهر هذه العادة عند كثير من الزوايا الطرقية مثل ما هو الشأن للطريقة الشيخية ، التي يفرض شيوخها نعجة على كل خيمة أو ناقلة وكيس من القمح أو التمر ، و ربيع الحواريات (و هو وليد الناقلة) المولودة في السنة نفسها مفروضة على بعض القبائل ، و 2000 شاة على بعض القبائل و إثناعشر برنوسا³.

6 دور الزوايا التعليمي والديني:

ما ميز العهد العثماني في الجزائر هو انتشار الزوايا في كامل أنحاء البلاد، خاصة الأرياف سبب افتقارها للمؤسسات التعليمية الأخرى ، فهي مكان للمتصوفة لتلقين أتباعهم الأذكار والأوراد وعملت على تعليم المعوزين والفقراء .

واعتبرت بعضها بمثابة مدارس عليا لمواصلة العلم الذي بدأه الفتيان في المكاتب أو المدارس القرآنية ، وهذا بفضل الأدوار المهمة التي أدتها في الجانبين الديني والتعليمي، فقد كان لها اهتمام بتحفيظ

1 صباح بعارسية ، نظرة على السلطة الدينية (المتصوفة) في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة أنثروبولوجية الأديان ، مج 17، ع15، 01جانفي 2021، ص492.

2 صباح بعارسية ، نفس المرجع السابق ، ص 492.

3 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، المرجع السابق ، ص109.

القرآن الكريم والعمل على نشره بصورة مكثفة في الأجيال المسلمة المتعاقبة، كما ساهمت في ترسيخ اللغة العربية ونشر الثقافة العربية الإسلامية ، وإلى جانب دورها الديني فقد احتلت مكانة الصدارة بين المراكز التعليمية ، حيث مثلت الزاوية المسجد والمدرسة والمسكن والملجأ في آن واحد فهي تقوم بتلقين مختلف العلوم كالفقه والعقيدة وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والحديث والمنطق.

وجمعت في تعليمها بين التربية الروحية والعسكرية لأن هدفها الأساسي هو نشر الدعوة الصوفية والتهيئة الجهادية.

وقد كانت هذه الزوايا بمثابة خزانة هامة للكتب والمخطوطات في شتى العلوم والفنون، وهذا بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي ، وبالنسبة لطريقة التعليم المتبعة فيها، فإن شيخ الزاوية هو من يقوم بمهمة التدريس إن كان مثقفاً، وفي حال عكس ذلك يوظف شخص بدلاً منه .

7 نماذج من أهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية:

تميزت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني بانتشار الواسع لطرق الصوفية و المتصوفة وكثرة الزوايا و الرباطات التي كان لها بالغ الاثر على كثير من الجوانب سواء السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية وعلى وجه الخصوص الحياة الثقافية التي ذاع صيتها انذاك بين الحواضر الجزائرية خاصة خلال العهد العثماني ، من شرقها الى غربها و من شمالها الى جنوبها الكبير ، بل تعدت خارج الايالة الجزائرية العثمانية بسبب الترابط والروابط الثقافية عن طريق الطرق الصوفية و شيوخها ، بحيث سوف نتطرق الى أهمها خلال هذه الحقبة الزمنية و حسب التسلسل الزمني لظهورها وهي كالتالي:

1.7 الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية الى الشيخ العلامة المتصوف القطب عبد القادر الجيلاني، وهو أبو محمد محي الدين عبدالقادر بن موسى بن عبدالله الحسني الجيلاني أو بما يعرف بالكيلاني¹، صاحب المقامات والكرامات والزهد والصبر و العلوم و المعارف²، الذي ولد بقرية جيلان³ بكروك التي تقع بالعراق¹ في

1 هارون الهادي ، التأثير السياسي للطريقة القادرية في افريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث ، مجلة روافد للبحوث و الدراسات ، ع2، 2017، ص 67.

2 مليكة بن رية ، الشيخ عبدالقادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية و منهجه إصلاح التصوف ، مجلة دراسات و ابحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج 13، ع 1، جانفي 2021، ص764.

3 هناك اختلاف في تاريخ ميلاد الشيخ، فمنهم من يقول بسنة 470 هـ ينظر: عبدالله عبد الرزاق إبراهيم : أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1990، ص18 و .وينظر كذلك: حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ط1، 1991، ص 38 أما عن مكان ميلاده فقيل ببشتير ،وهي موضع بجيلان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان مج 2 ،دار صادر بيروت، 1977، ص 426 ، وهناك رأي آخر يقول أن جيلان قرية قرب المدائن جنوب بغداد وليس التي بأرض طابراستان، أنظر نور الدين ابي الحسن علي بن يوسف الشنطوفي : بهجة

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

سنة 470هـ/471هـ/1077م والذي توفي ببغداد سنة 561هـ/1165م² وقد أشتهرت أسرته بالعلم والفضل و المكانة الروحية المميزة، تعلم علوم القرآن و الفقه و الحديث ، وآداب الزهاد ، وعلم البيان البلاغة والأدب³، وقد بقي في طلب العلم اثنين و ثلاثين سنة و درس فيها مختلف علوم الشريعة ثم جلس للتعليم و الوعظ سنة 520هـ.⁴

أما بالنسبة لألقابه فنجدها عديدة والتي تعكس لنا مقامه ومنزلته ومكانته العلمية والمعرفية والروحية ونذكر منها: " شيخ العصر و سلطان المشايخ " وسيد اهل الطريقة كما لقب ب"شيخ الإسلام " وقيل عنه كذلك إمام الحنابلة و شيخهم في عصره" اما المتصوفة فأطلقوا عليه لقب" الغوث و القطب"⁵ وأيضاً صنفاً الشيخ الجيلاني من اكبر الزهاد المتصوفين، فكان من رجال العلم والصلاح و فقيها وواعظاً ،حيث وصفه دييونو كوبلاني de PONT ET COPPOLANI بالتالي : مال الشيخ عبد القادر السلوك منازل السير الى الله تعالى: وواصل مجاهداته الى أن تأهل للمشيخة لتربية المريدين، ودعوة الخلق الى الله رب العالمين⁶، ويثني شيخ الإسلام ابن تيمية عليه بقوله: "...من أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والارادة النفسية"⁷.

تعلم فقه اللغة على يد شيوخ أجلاء وأعلام و أبحرا في الدراسات الصوفية، تحت توجيه شيوخ مشهورين ببغداد، ثم حاز على الخرافة او المرقعة التي تمنح حائزها الحق في التدريس⁸

وللشيخ العديد من المؤلفات والمخطوطات أغلب محتوياتها تتحدث عن الإرشاد والمواعظ والتوجيه والنصح وكذلك اختيار الصحيح للطريقة الحقبة ونذكر منها: " الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل" بحيث

الأسرار ومعادن الأنوار، تح، جمال الدين فالح الكيلاني، الطبعة الماجستيرية، بغداد، 2010 ،ص 34، انظر هارون، الهادي نفس المرجع السابق ، ص 67.

1 لخضر عورايب ، الطريقة القادرية في الجنوب الشرقي الجزائري و دورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر و العشرين ، مجلة دراسات و ابحاث المجلة العربية في العلوم الانسانية و الاجتماعية ،مج 13، ع 1،جانفي 2021،ص739.

2 صباح بعارسية ، نفس المرجع السابق ، ص 500.

3 نفسه ، ص 94.

4 علي محمد محمد الصلابي ، العالم الكبير و المربي الشهيد الشيخ عبد القادر الجيلاني ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 1428هـ -2007، ص 14.

5 مليكة بن رية ، نفس المرجع السابق ، ص ص 3-4.

6 De PONT ET COPPOLANI ;Les confréries religieuses musulmanes , Alger TYPOGRAPHIE ET LITHOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN , librairie éditeur, 1897-P 9.

7 علي محمد محمد الصلابي ، المرجع نفسه ، ص 18.

8 صباح بعارسية ، موقف الحكام و العلماء من المتصوفة في الجزائر في العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، (1435هـ/1436هـ) ، (2014م/2015م) ،ص 183.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

يحتوي على الآداب الشرعية من الفرائض و السنن و على العقيد و مجالس القرآن الكريم و الأحكام الفقهية المتعلقة بالصوم والصلاة والدعاء و التصوف¹، و"فتوح الغيب"²، الذي قام جمعه ولده الشيخ عبد الرزاق و يحتوي على ثمانية و سبعين موعظة وكذلك كتاب " الفتح الرباني و الفيض الرحماني " الذي ألفه سنة 545هـ/1150م و يحتوي على اثنان وستين موعظة تناول فيها قضايا الإيمان و الإخلاص و السلوك و غير ذلك،³ وكتاب " جلاء خاطر في الباطن و الظاهر " ألفه سنة 545هـ/546هـ وكتاب: " الرسالة الغوثية " و حزب الرجاء و الانتهاء " و معراج لطيف المعاني " و "يواقيت الحكم" و "المواهب الرحمانية " و"بهجة الأسرار" و"سر الأسرار في التصوف" و " ديوان الشيخ عبد القادر " و" إغاثة العارفين و غاية منى الواصلين " و آداب السلوك و التوصل الى منازل الملوك " و" تحفة المتقين و سبيل العارفين "⁴ و نجد ايضا : " أوراد الأيام والأوقات " و "أوراد الجيلاني" و "الترياق المجرب" و "الحزب الكبير" و" دعاء أوراد الفتيحة"، وهذا الارث الكبير دلالة على تبحر الشيخ عبد القادر الجيلاني في الكثير من العلوم و المعارف⁵.

وفاته:

ناهى عمر الشيخ عبد القادر تسعين سنة ، و انتقل إلى رحمة الله في ليلة السبت في عاشر لآخر سنة إحدى و ستين و خمس مئة (561هـ)، و صلى عليه ابنه الشيخ عبد الوهاب ، وشيعه خلق كثير ولا يخصون ، بحيث تم دفنه برواق مدرسته رحمة الله عليه، و كان يوما مشهودا⁶.

2.7 الطريقة الشاذلية:

تنسب الطريقة الشاذلية إلى الشيخ نور الدين أبو الحسن الشاذلي، وهو تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن حسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ⁷.

1 مليكة بن رية ، المرجع نفسه ، ص765.

2 خروس مصطفى، لوافي سمية، سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني ومنهجه في الوصول إلى الله (1077م/1166م)، عصور، مج22، ع1، 19/06/2023، ص206.

3 عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، شركة ومكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده مصر ، ط2، 1392هـ/1973م، ص10.

4 مليكة بن رية ، نفس المرجع السابق، ص 766.

5 عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، تعليق شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، حقق و خرج أحاديثه و علق عليه عبد العليم محمد الدرويش، مكتبة دار الهدى ، القاهرة ، (د،ت) ، ص 13.

6 نفسه ، ص 14.

7 محمد بوذينة ، أبو الحسن الشاذلي ، دار التركي للنشر ، تونس ، 1989، ص 13

بحيث تعود أصوله من المغرب الأقصى حيث ولد في سنة 593هـ/1196م، وبعد إقامة فريضة الحج جال بأقطار المشرق العربي والتقى وتعلم من شيوخها العديد من الفنون، وكان ميوله واضحاً إلى التصوف، وأخذ تعاليم شيخه عبد السلام بن مشيش¹، وعندما رجع أقام بقريّة شاذلة بتونس وربط هناك وتفرغ لتربية المريدين والأتباع حتى شاع أمره بين الناس في المغرب ومصر².

لم يلقن أبو الحسن كشيخ زاهد سائح تلاميذه أية قواعد أو شعائر خاصة، ولكن تعاليمه حافظ عليها أتباعه، وأحد هؤلاء والأتباع بصفة خاصة هو أبو العباس المرسي أحمد بن عمر الأندلسي (ت 686هـ) الذي انضم إلى حلقة بالإسكندرية، وكان يعتبر كخليفة له

تقوم تعاليم الشاذلية على المبالغة في الذكر والمطالعة والخوف من اهلل والتسليم لإرادته، وتعد هذه الطريقة أهم الطرق التي ظهرت بالمغرب الإسلامي حيث تفرعت إلى عدة طرق في المناطق الممتدة إسبانيا غرباً، ففي مصر تفرعت عن الشاذلية الطريقة الوافية، وفي المغرب الأقصى بين الحجاز شرقاً وا تفرعت إلى الطريقة الدرقاوية، وفي ليبيا تفرعت عنها الطريقة المدنية نحو 1450م، كما تفرعت عن الشاذلية العروسية ومؤسسها أبو العباس أحمد بن عروس الذي كان قبل ذلك مقدماً للشاذلية، أما في الجزائر فقد تفرعت عن الشاذلية الطريقة الزروقية نسبة إلى أبي العباس أحمد زروق البرنسي الفاسي المتوفى 899هـ/1494م.

يرجع تأسيس الطريقة الشاذلية إلى أبي القاسم الجنيد³ الذي تأثر به الشيخ أبي مدين شعيب الأندلسي (ت 594 هـ) والذي تتلمذ على يده الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وفي حقيقة الأمر يعود مصدر الطريقة الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الثالث م والذي استند إلى الذين تأثر بهم أبو الحسن علي الشاذلي أفكارهم وأرائهم لتكوين الطريقة المعروفة بالشاذلية و التي نسبت إليه وأصبحت تسمى باسمه⁴ . انتشرت هذه الطريقة بشمال افريقيا ، ومنها إلى غرب إفريقيا ثم إلى مصر فالمشرق العربي .

كما أن الذكر في هذه الطريقة الشاذلية يقوم على أساس الاستغفار والصلاة والسالم على رسول الله مئة مرة " اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي " والشهادة عشر مرات كل صباح ، إضافة إلى عقد

1 فقيه صوفي مغربي ولد سنة 559هـ-1198م، أخذ التصوف عن الشيخ أبي مدين شعيب وعن الشيخ عبد الرحمان العطار الشهير بالزيات العبد المؤمن بن علي خليفة المهدي بن تومرت ، وهو أحد زعماء الفكر في دولة الموحدين، وكان معاصر ، وقد اشتهر ابن مشيش بدعاء يعرف بالصلاة المشيشية التي أصبحت متداولة لدى كثير من المتصوفة. وقد قتل على يد جماعة بعثهم ابن أبي الطواجين الكتامي ، وكان ذلك سنة 622هـ/1225م ودفن بقمة جبل العلم بتطوان. للمزيد أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط. 10، 1992، ج. 4، ص. 9.

2 محمد الشريف سيدي موسى: جذور التصوف ببلاد المغرب والجزائر، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني /الزرقم /الوادي 01/02/03 نوفمبر 2000م، ص 3، 4

3 هوأبوالقاسم القواريري، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازا وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، انظرالي: إدريس بن خويا، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات -بين المرجعية المعرفية والممارسة العملية، مجلة الحقيقة، مج7، ع2، ديسمبر 2008، ص 122 .
4زهرة مسعودي، نفس المرجع السابق، ص 36.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

اجتماع كل أسبوع .وتفرعت عنها طرق عديدة منها : الزرقية نسبة إلى الشيخ أحمد زروق الفاسي (ت899 هـ)، العيساوية نسبة إلى الشيخ مجمد بن عيسى ، الحنصالية نسبة إلى الشيخ سعيد بن يوسف الحنصالي (ت1702م¹).

لها أربعة فروع في الجزائر وإحدى عشر زاوية ، 195 طالبا ، و تسعة شيوخ، و99 مقدا، 13,251 إخوانيا ، و652 إمراة (خونية)، وهذه الطريقة منتشرة في إقليمي الجزائر و قسنطينة، أو الوسط أو الشرق².

3.7 الطريقة الشابية :

تنسب الطريقة الشابية إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف الذي كان ميلاده ببلدة الشابة³، وذلك خلال سنة 835هـ/1431م ، حيث نشأ وترعرع وتلقى تعليمه الأولي والقاعدي فيها ،ليقوم بعدها برحلات علمية وسياحة صوفية ،وقد ارتبط اسمه بالبلدة التي ولد بها فأصبح يطلق عليه لقب الشابي⁴.

بحيث تعتبر طريقة ناصرية شاذلية تقوم على أصول ثلاثة: "علم الشريعة" والقرآن والسنة النبوية والأخلاق الصوفية وعلم التوحيد، وورد محدد يقرأه أتباعها في أوقات معينة ،وعلى الرغم من كتب المناقب التي اهتمت بالطريقة لم تتطرق إلى قضية و مسألة الاوراد الخاصة بها، ماعدا بعض الإشارات العابرة والتي حاولنا أن نبين أهم أذكراها، والتي جاء فيها:قراءة حزب البحر لابي حسن الشاذلي، وحزب الفلاح الذي يمثل أساس الورد الشاذلي ،وهذا ما يؤسس الارتباط بين الطريقة الشابية والشاذلية ،حيث تشكل الشاذلية أعلى سند صوفي للشابية كما تعد قطبا جاذبا للطرق الصوفية التي ظهرت بعدها في المغرب⁵.

وتعد تونس أصل هذه الطريقة لتعرف انتشارا واسعا ،بحيث شمل الجهة الشرقية للجزائر حيث أسسوا زاوية بالأوراس، وامتد نشاطهم اتجاه الجنوب الشرقي الجزائري⁶، تاريخ الشابية في الجزائر يعود إلى القرن السادس عشر، وهي طريقة ناصرية لأن مؤسسها أحمد بن مخلوف، كان أحد أتباع الشيخ محمد بن

1 إدريس بن خويا، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات -بين المرجعية المعرفية والممارسة العملية،مجلة الحقيقة مج7، ع2، ديسمبر 2008، ص122.

2 ابوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفس المرجع السابق، ص293.

3مدينة تقع على الساحل الشرقي البلاد التونسية، الموجودة بضاحيتها الصبية عند مدخل شبه جزيرة برج خديجة ،بُت سوسة وصفاقس ،يتواجد بها ضريح سيدي نعمون ،الذي مثل رمزا للتباهي خلال القرن الخامس عشر، انظر الى : يوسف حيدة ،التوصل الصوفي

للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشابية أنموذجا"، نفس المرجع السابق ،ص3.

4يوسف حيدة ،التوصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشابية أنموذجا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية ،قسم التاريخ ،جامعة جيلالي اليابس ،سيدي بلعباس، 2016-2017، ص3.

5يوسف حيدة ،علاقة القبيلة بالطرق الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الشابية والحنانشة نموذجا)، مجلة المعيار، مج 24، ع 2020، ص50، 195.

6يوسف حيدة ،أثر الفكر الصوفي الاندلسي في تعاليم الطريقة الشابية، مجلة الحضارة إسلامية، مج 18، العدد الاول ،ديسمبر 2017، ص 297.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

ناصر الدرير، وقد كثفت من نشاطها في نواحي القيروان وأسسوا زوايا عديدة في تونس والجزائر، وتسيبوا كثيرا بحيث ظهر منهم تياران، تيار ديني يمثله مسعود الشابي، وتيار سياسي يمثله عبد الصمد الشابي، وكان عرفة القيرواني هو الذي قام بثورة ضد الحفصيين ثم ضد العثمانيين أثناء عهد انتقالي عرف بالفوضى¹، توفي الشيخ أحمد بن مخلوف سنة 887هـ².

4.7 الطريقة اليوسفية :

تنسب هذه الطريقة الى الشيخ الولي الصالح العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف (927هـ/1521م) الراشدي نسباً؛ الملياني داراً، متصوف صالح، من أهل المغرب، بحيث تنسب إليه الطريقة اليوسفية، يقول فيه صاحب لقط الفرائد: الرجل الصالح حاشاه أن يقال ما قيل عنه³.

وهي غير الطريقة اليوسفية التي ظهرت في المغرب الأقصى في مسيرة حياة الشيخ الملياني. و كان لها نفوذ على كثير من القبائل خاصة منها حميان⁴ وعمور. بحيث أسست روابط روحية جديدة بين القبائل التي انتسبت إليها في الجزائر والمغرب الأقصى فالمحبة في الشيخ ابن يوسف الملياني الراشدي ألقت بين أفرادها وأصبح ضريحه قبلة مزارهم ومكان إجتماعهم⁵.

وليس لليوسفية كثير من الاتباع، ومعظمهم كانوا مرتكزين في النواحي الغربية من البلاد، و لها أفراد هنا و هناك في بقية الجزائر، وحسب إحصاء سنة 1882م فإن لها في الجزائر زاوية واحدة، وخمسة مقدمين، 519 من الاخوان، أما إحصاء 1897م فيعطيها حوالي 1446 من الاخوان، واليوسفية الراشدية كثيرا ما تختلط بالزروقية الشاذلية⁶.

حفظت سيرة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني في الكثير من المصادر التاريخية، أهمها كتاب تلميذه محمد الصباغ القلعي بكتابه بستان الازهار في مناقب زمزم الاخيار ومعدن الانوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، وأيضا كتاب لمؤلف مجهول بعنوان مناقب سيدي احمد بن يوسف الملياني، وأيضا كتاب ربح التجارة ومغرم السعادة فيما تعلق بأحكام الزيارة، إضافة الى حكم في التصوف، ورسالة في أحكام الخرفة الشريفة، ورسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الاسواق، و الرموز والاشارات: مخطوط بالمكتبة القاسمية بالهامل، إضافة الى مختصر لكتاب في التصوف: مخطوط بالخرزانة العامة بالرباط في

1 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 275.

2 صلاح مؤيد العقبي، نفس المرجع السابق، ص 250.

3 عبد الكريم بلبل، الطرق الصوفية في الجزائر، مجلة المعارف و البحوث للدراسات التاريخية، مج 4، ع 4، سبتمبر 2018، ص 99.

4 هي إحدى بطون القبائل الهلالية تنسب إلى بني يزيد بن عيسى بن زغبة، للمزيد أنظر إلى: عيسى قوراري، عادات العمل عند قبيلة حميان البدوية مقاربة أنثروبولوجية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج 6، ع 15، 2010/06/2، ص 31.

5 صباح بعاريس، نظرة على السلطة الدينية (المتصوفة) في الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 500.

6 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 80.

40 صفحة رقم 1141،أوله: "قال للسائل عن ذات مولانا هل هي حسية أو معنوية؟" وغيرها من المؤلفات¹.

توفي الشيخ أحمد بن يوسف في سنة (931هـ/1524م)، ودفنه ابنه محمد بن مرزوقة في مدينة مليانة، ونشر طريقته اليوسفية، ومن كبار تلامذته الشيخ أحمد بن المبارك الراشدي (ق 10هـ/16م)، والشيخ أحمد بن موسى الحسني "الكرزاي" (ت 1016هـ/1608م)، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي².
الطريقة العيساوية:

تعتبر الطريقة العيساوية فرع من فروع الشاذلية، وتنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى الذي عاش خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، أي حوالي 872هـ/1465م بالمغرب الأقصى حسب المصادر التاريخية، وله ألقاب عديدة يعرف بها مثل أحمر العين، وشايب الذراع وفحل الفحول وغيرها، وابن عيسى العربي، توفي سنة 933هـ/1526م، ودفن في مدينة مكناس بالمكان المعروف بباب البرادين³.

ونعتقد أن العيساوية هي أقرب ما تكون طريقة مهرجة منها إلى طريقة صوفية، نظر أتباعها من أعمال العالقة لها بالعبادة والى بالتصوف، و تكون على شكل حلقة دائرية ويطلق عليها الحضرة العيساوية، كأن يقوموا بالرقص والإيقاعات الموسيقية، أو استخدام الآلات الحادة والزواحف السامة مثل العقارب والثعابين في أفواههم ثم يخرجونها دون أن يصابوا بالأذى، وبالتالي تتجلى رمزيا على شكل عنف مسلط على الجسد، واصبحت هذه الممارسات تشبه الاساطير المؤسسة للطريقة⁴، إضافة انها تتميز بحماس الديني والسحر، وهي وسيلة لاقتناع سكان الريف⁵، ويذهب Rinn. بأنهم كانوا يستخدمون الزجاج و المسامير، و الحرق بالحديد الساخن و الشعوذة وغيرها⁶.

ويذهب ابو القاسم سعد الله ان أصل هذه الطريقة في مكناس حيث الزاوية الام، لكن علاقتها بها ضعيفة لمضايقات الفرنسيين لها، ومقرها في الجزائر وزرة، بين المدينة و البرواقية، ولها اتباع منتشرون في مختلف أنحاء الجزائر، ولها أيضا عشر زاويا، و3 وكلاء، و 58 شاوشا، وشيخ واحد مقره وزرة، و39

1 فيصل مبرك، الطائفة اليوسفية بدعة دينية واجتماعية من خلال المصادر المغربية "ق 16- 17 م"، مجلة العلوم الاجتماعية

والانسانية، ع 9، جويلية 2015، ص 146-147.

2 عبد الكريم بلبل، نفس المرجع السابق، ص 100.

3 صالح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 170.

4 محمد حمادي، السماع الصوفي عند الطريقة العيساوية بين المقدس والديني - مقاربة أنثروبولوجية - التدوين، مج 1،

ع 1، ديسمبر 2009، ص 37.

Saidouni N.Eddine: L'Algérois rural a la fin de l'époque ottomane (1791- 1830), Dar-Al-Gharb-Al-5 islami, Beirut, 2001, p304.

Rinn Louis : Marabouts et khouans : Etude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan libraire-éditeur, 6 Alger, 1884, p381.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

مقدما ،أما مجموع إخوانها فمنهم 3444 اضافة 33 امرأة ،ولكن ممارستها وشعبيتها تجعل الرقم دون الحقيقة¹.

5.7 الطريقة الزروقية:

تعتبر الطريقة الزروقية فرع من فروع الطريقة الشاذلية، وتتسب إلى الشيخ العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الذي يعرف بـ "زروق"، اشتهر بزروق، و زروق هو لقب جده لأمه وحسب ما وصفته المصادر أنه كان أزرق العينين، والبرنسي نسبة الى قبيلة من البربر تتوطن بين فاس وتازا²، والذي ولد في سنة 846هـ/1443م، بحيث حفظ القرآن منذ طفولته و يذكر في السن العاشرة من عمره، اهتم بطلب العلم و المعرفة والبحث، ثم ركز جل اهتمامه بشكل كبير على التصوف والابحار فيه، ويذكر عنه كان يصاحب البسطاء والفقراء وكذلك الصوفية³، تعلم على كبار أهل العلم و العلماء وعلى وجه الخصوص المتصوفة وعلى سبيل المثال لا الحصر: الشيخ ابراهيم التازي الذي توفي سنة 866هـ والشيخ أحمد حسن الغماري المتوفي في سنة 874هـ، والشيخ عبد الرحمان الثعالبي المتوفي في سنة 875هـ، والشيخ أحمد بن عقبة الخضرمي المتوفي في سنة 895هـ، بحيث استقر ببجاية واشتغل بتأليف بحيث أسس بها العديد من المؤلفات منها في رسالة "الامهات"، وذكر المرید يجب ان يراعي عشرة أمور⁴.

6.7 الطريقة الكرزازية (الاحمدية):

تنسب هذه الطريقة الكرزازية الى الشيخ احمد بن موسى الحسيني مولى كرزاز، الذي كان ميلاد في سنة 907هـ/1502م⁵، وقد توفي عن عمر يقارب 108 سنة، وذلك بسنة 1016هـ/1608م، وتعرف كذلك بالأحمدية وتعتبر فرع من فروع الشاذلية، توجد زاويتها الام جنوب منطقة القنادسة في الطريق نحو منطقة توات⁶، ولها 2821 من المريدين وحوالي 62 مقدما، وكذلك 10 زاويا¹.

1 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 295.

2 فاطمة الزهرة قلال، مصطفى مغراوي، الاسهام العلمي للشيخ أحمد زروق الفاسي (846 – 899 هـ)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ص 18، ع 1، مارس 2022، ص 407.

3 محمد بن محمد المديوني التلمساني " بن مريم"، البستان في التعريف بالعلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص.45.

4 أحمد بن محمد عباد الشافعي، المفاخر العلية في المأثر الشاذلية، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ص 120.

5 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 88.

6 اقليم توات يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائري التي هي جزء من الصحراء الكبرى الافريقية ، وتبعد أقرب نقطة من عن العاصمة الجزائر حوالي 1500 كلم، وهذا الاقليم يشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تريد على 350 واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء تغطي حوالي 2000 ميل (1805 كلم) من الأرض، انظر الى: عبد الحميد جنيدي، اقليم توات واهميته في التجارة الصحراوية، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، ص 3، ع 1، ماي 2018، ص 38.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

تذكر بعض الروايات الشفهية، أن الشيخ سيدي عبدالله السبع الذي قدم من مدينة فاس باتجاه منطقة توات وذلك في القرن التاسع للهجرة، وقد مر بالشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي ودارت بينهما محاوره مطولة، وبالتالي ظهر الشيخ السباعي علم من أعلام الصوفية الكبار، ومنها تابع الشيخ رحلته الى ان استقر به المقام بأرض توات حيث قام بتأسيس قصر سبع²، وبعدما أسس دار العلم والزاوية الكرزازية³، جاء اليه الطلبة والمريدون من كل حذب وصوب يبحثون و يطلبون سر طريقة سيدي أحمد الكرزازي التي بدا في تلقينها للعامة مع إجازتهم فيها⁴.

وذكر وأورد الطريقة الكرزازية هو تقريباً نفس أذكار الطريقة الصوفية الشاذلية وذلك من حيث المبدأ والمرجعية إن صح القول، لكن نجد الشيخ أحمد الكرزازي مؤسس الطريقة قد أضاف البسمة الى اذكار الصبح حيث تكرر خمسمائة مرة⁵.

7.7 الطريقة الشيخية:

تنسب الطريقة الشيخية الى سيدي الشيخ وهو عبدالقادر بوسماحة⁶، والذي ولد سنة 940هـ/1533م دفين منطقة البيض، المتوفي في سنة 1023هـ/1615م⁷، بحيث تعود أصول الطريقة الشيخية إلى العديد طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية والبكرية، وأنه قد أوصى أولاده عند وفاته بإتباع الطريقة الشاذلية⁸، كما أشارت المصادر أنها متفرعة عن الشاذلية⁹.

1 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 88.

2 صالح بوسليم، محمد الزين، نفس المرجع السابق، ص 45.

3 كرزاز مقر زاوية سيدي أحمد بن موسى، الذي فاق صيته الحدود الوطنية، هي بلدية قديمة توجد على بعد 332 كلم جنوب بشار، اسم مركب من لفظتين: "كر" وتعني مهربا، و"راز" تعني معركة وضعت تحت حماية شيوخ الزاوية، واستخدمت لعائلات عديدة فرت من الحروب الداخلية لتستقر بها حيث يسود السلم والأمن، أما الرواية الثانية: كرزاز تعني مكانا ضيقا بحكم وضعيتها الجغرافية حيث تحدها الكثبان الرملية من جهة و الروابي الصخرية من جهة مقابلة، انظر الى: هجيرة بونقطة، الأبعاد التربوية في شعر سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الشعر الشعبي، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2011-2012، ص 9.

4 نفسه، ص 45.

5 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 88.

6 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 103.

7 خيرالدين شترة، الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830- مطلع القرن 20م)، مجلة الحقيقة، مج 10، ع 2، جويلية 2011، ص 330.

8 ميلود ميسوم، بغداد غربي، الدور السياسي والثقافي للطريقة الشيخية في مناهضة الاستعمار الفرنسي يف الجزائر، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، العدد السابع، ديسمبر 2019، ص 49.

9 عبد القادر خليفي، مقدمة: قراءة في "الطريقة الشيخية" لابي قاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، عصور الجديدة، ع 21-22، ماي 2016، ص 240.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

وتشير الوثائق أن أجدادهم الاوائل هاجروا من المدينة المنورة بالحجاز الى صعيد مصر ،واستقرو هناك فترة قصيرة ثم انتقلو بعدها الى تونس وذلك في القرن 14 ميلادي ثم هاجرو ليستقرو نهائيا بالمغرب الاوسط تحت قيادة سيدي معمر الذي كان يعتبر من الاولياء الصالحين ولقد استقرت أغلبيتهم بالجنوب الغربي بمنطقة البيض الجزائري¹.

وبعد حفظه القرآن الكريم وكذلك تعلمه بعض العلوم أخرى مثل الفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم ،سافر الى المغرب من أجل ملاقات بعض شيوخ الطريقة الشاذلية،وفي قصر الساحلي التقى بالشيخ محمد بن عبدالرحمن الساحلي(ت 1581م) والذي لقنه وتعلم منه وبقي برفقته لسنوات طويلة ،ولقد أوصاه هذا الاخير بالرحيل الى فكيك في جنوب المغرب وذلك من أجل نقل تعاليم الطريقة، وسرعان ما اشتهر وكان له تأثير في الصحراء وعلى وجه الخصوص بمنطقة القصور²،وعرفت أسرته بالعلم والتصوف فسلك مسلكها و التحق بالطريقة القادرية، ثم تحول إلى الطريقة الشاذلية، ثم أنشأ طريقة خاصة به تنسب إليه سرعان ما انتشرت بين الناس، فكثرت عليه أتباعه ومريديه، وأصبح يدعى سيدي الشيخ، وقبل وفاته أوصى بالمشيخة من بعده لابنه الثالث في الترتيب، الحاج أبو الحفص الذي أنشأ بدوره زاوية أخرى بالقرب من قبر والده بالحاسي الأبيض الذي حمل منذ ذلك الحين اسم الأبيض سيدي الشيخ، وقد عرفت هذه الزاوية شهرة كبيرة في وقت وجيز، وأصبحت هي الرئيسة أو الام للطريقة الشاذلية³، أما أوراد الشاذلية وأذكارها هي نفسها عند الشاذلية مع تغيير طفيف، وهو قراءة الفاتحة ثالث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس عند أتباع الشاذلية إذ أن سيدي الشيخ عبد القادر كان قد أوصى أولاده قبل وفاته بإتباع الطريقة الشاذلية⁴،التشهد 300 مرة،والاستغفار 300 مرة،و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم وذكر فضائله 100 مرة ،وذكر كلمة التوحيد 100 مرة⁵،وقد امتدت هذه الطريقة قبل خمسينيات القرن التاسع عشر من حدود المغرب إلى المنيعه وورقلة⁶.

1 بوداية مبخوت، دور الطريقة الشاذلية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية،مجلة المرافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ،عدد خاص أبريل 2008،ص 49..

2 ميلود ميسوم ،بغداد غربي، نفس المرجع السابق ،ص 49.

3 ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4،نفس المرجع السابق،ص 103.

4 عبدالعزيز شهيبي،نفس المرجع السابق، ص 119.

5 صالح بوسليم ،محمد الزين ،حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م،ص 46.

6 ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4،نفس المرجع السابق،ص 103

8.7 الطريقة الطيبية:

تعد فرع من فروع الطريقة الشاذلية ومرتبطة بها ،وحسبما ذهب به بعض المصادر أن تأسيس الطريقة الطيبية يرجع الى إدريس الاكبر¹، والتي تقع بالناحية الغربية للبلاد²، ويذكر ايضا انها تعود الى الشيخ مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف العلمي (ت 1089هـ / 1678م) وهو يعد من أحد أحفاد قطب المتصوفة الشيخ عبد السلام بن مشيش ،في منتصف القرن 17م³، الذي انتقل الى فاس من أجل التعلم و الدراسة،وقد تتلمذ وتعلم على يد القرويين وانتهى به الامر الى ان قام بتأسيس زاويته بعد تجوال وتأمل وبحث⁴، وجاء من بعده ابنه محمد بن عبد الله الشريف حيث تولى الزاوية ،وتوسعت في عهده ،وأصبح لها العديد من الفروع وكذلك مقدمون في المغرب والجزائر، وجاء من بعدهم ابنه الثاني، ثم أخوه الطيب الذي ظل قائماً على الزاوية وشؤونها من سنة 1127هـ/1716م الى غاية 1181هـ/1768م ،وفي عهده ازدهرت وتطورت الزاوية كثيرا ،وأصبحت تعرف بالطيبية⁵.

والطريقة الطيبية تأخذ أصولها من الطريقة الشاذلية بحيث تعتبر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هو أساس وجوهر الذكر⁶، ويردد أتباعها الورد في شكله التالي: تسبيح الله وحده مائة مرة صباح و مرة مساء ،وكذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذريته خمسين مرة صباحا،و يرددون عبارة اللهم صلى على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة صباحا و مساء، وفي نهاية كل صلاة من الصلوات الخمس يقولون عشر مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وفي المرة الحادية عشرة يقول لا إله إلا الله، شفيعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله⁷.

نجد ان تركز وانتشار الطريقة الطيبية على وجه الخصوص ببلاد القبائل والدواير و الزمالة و في المناطق الجبلية مثل مناطق الونشريس والظهرة ، وفي بعض المدن كمستغانم ،وخلال القرن 19م كانت هذه الطريقة تمتلك في الغرب الجزائري 11 زاوية يشرف عليها 203 مقدم و يتبعهم حوالي 9805 من

1 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 94.

2 عبد الله مقلاتي، الطرق الصوفية في الجزائر أمام جدلية فاعلية حضورها الاجتماعي والسياسي: الموقف من الاحتلال الفرنسي نموذجاً، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الاسلام وتحديات العصر، نفس المرجع السابق، ص 511.

3 عمر بن قايد ، الطريقة الطيبية نشأتها ومشائخها في الجزائر في القرن 19م، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مج 7، ع 1، جوان 2022، ص 246.

4 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 515.

5 عبد العزيز شهبي، نفس المرجع السابق، ص 161.

6 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 515.

7 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 96.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

المريدين، وهذا من مجموع 20 زاوية طيبية في القطر الجزائري ، تضم 301 مقدم و15744 من المريدين¹.

وكثير من المصادر التاريخية تشير إلى أن تمركز الطريقة الطيبية يتموقع بالناحية الغربية من الجزائر وعلى وجه الخصوص الإقليم الوهراني²، الذي يضم العدد الكبير من المريدين والأتباع، ولكن ذلك لا ينفي ولا يسقط أن الطريقة ليس لها أتباع أو زوايا في بقية الأقاليم الأخرى³، ففي سنة 1848م وخلال عملية الجنرال بيجو على الغرب الجزائري إصطدم هذا الأخير مع أتباع و مريدو الزاوية الطيبية في مناطق يزناس وكذلك منطقة عمي موسى بالغرب الوهراني⁴، وفي هذه الفترة بتحديد تم احصاء نفوذ الزاوية الطيبية في الجزائر كلها كالتالي :

بحيث توجد زاوية واحدة في العاصمة وزاوية واحدة في مدينة قسنطينة وعدد قليل من الزوايا في منطقة الغرب الجزائري ،وبلغ مريدو هذه الطريقة في الجزائر في حدود 27000 مريد اغلبهم في المنطقة الغربية و5000 في المنطقة الجزائر وحوالي 2000 في منطقة قسنطينة ،بالإضافة الى اتباع هذه الزاوية في الجنوب الغربي الجزائري⁵.

9.7 الطريقة الحنصالية:

تعتبر الطريقة الحنصالية فرع من فروع الشاذلية ،ويعود تأسيسها إلى الشيخ سعيد بن يوسف الحنصالي من أهل المغرب وكان ذلك خلال القرن السابع عشر (17م)، وتوفي سنة 1114هـ/1702م، وهو من حنصالة فرقة من بني مطير تتمركز بجنوب مدينة فاس⁶ وقد تم ادخلها إلى الجزائر عن طريق سعدون الفرجيوي وذلك بعد سنة 1139هـ/1727م⁷، الذي كان قد تتلمذ على الشيخ يوسف الحنصالي، وقد أصبح سعدون مقدما لشيخه ثم خلفه في ذلك معمر الذي يوجد قبره في التلاغمة، ثم جاء بعده أحمد الزواوي الذي ذاعت شهرته وسمعته في مقاطعة قسنطينة، وعرف بين أوساط العامة من الناس بالكرامات⁸، الذي أكسب الطريقة الحنصالية شهرة لأنه من عائلة مرابطية من جهة أولا، وأيضا مواقفه من صالح باي باشا، إذ كان لا يخضع السلطة الحاكمة،ومن رجالات هذه الطريقة الشيخ أحمد المبارك

1 عمر بن قايد ،نفس المرجع السابق،ص 248.

2 صلاح مؤيد العقبي ،نفس المرجع السابق،ص 228.

3 ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4،نفس المرجع السابق،ص 96.

4 عمر بن قايد نفس المرجع السابق ،ص 248.

5عمر بن قايد نفس المرجع السابق ،ص 248.

6ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4،نفس المرجع السابق، ص 86

7صباح بعاريسة،نفس المرجع السابق،ص 501.

8 إدوارد دونوفو، المصدر السابق، ص 75-76.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

الطار¹، بحيث يعتبر من علماء قسنطينة ومؤرخيها المشهورين صاحب كتاب "تاريخ قسنطينة"، والذي ترك منظومة في الطريقة الحنصالية أطلق عليها تسمية "نصيحة الإخوان" في أصول التربية وآداب السلوك.²

لا تزال هذه الطريقة التي إلى اليوم موجودة في مدينة قسنطينة، كان خليفتها قد حافظ على ارتباطها واستمرار علاقاتها مع الزاوية الام التي تتواجد بـ: داس بالمغرب الأقصى، وكذلك في تونس حيث توجد مجموعة من الحنصالية، بحيث يذهب L.Rinn لويس رين في إحصاء عام 1884م عدد زوايا الطريقة الحنصالية بالجزائر حوالي خمسة (05) زاويا، و50 مقدم ، و3598 إخوانيا³.

10.7 الطريقة الزيانية :

تأسست الطريقة الزيانية على يد الشيخ أبي عبد الله الحاج امحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي زيان بن عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان بن مسعود المراكشي⁴ الذي بعرف بموالي بوزيان وقد كان ميلاده في منتصف القرن السابع عشر (1650-1732م)، وأشتهر بالورع والزهد والاستقامة⁵، بحيث ترعرع في أسرة شريفة كانت تقيم عند مصب وادي درعة، وقد تناولت بعض المصادر حياته شيء من التفصيل، ومنها على وجه التخصيص كتاب "طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الشاذلية الزيانية" لمصطفى بن الحاج البشير، الذي قدمه ولخصه المستشرق الفرنسي أوغست كور Agust Cour، وكتاب "فتح المنان في سيرة الشيخ الحاج امحمد بن أبي زيان" لمؤلفه عبد الرحمن بن يعقوب مزيان اليعقوبي، وكتاب "منهل الضمان ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامات شيخنا العارف بالله سيدي الحاج امحمد بن عبد الرحمن بن أبي زيان" لمؤلفه الحاج علي الشامي⁶. ترجح بعض المصادر التاريخية الطريقة الزيانية إلى أن امحمد بن أبي زيان هو السابع والثلاثون في سلسلة شيوخ الطريقة الشاذلية، ومن

1 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 86.

2 صلاح مؤيد العقبي، نفس المرجع السابق، ص 156.

Louis Rinn, Op.cit, P,300.3

4 عبد الرحمن بن محمد مزيان اليعقوبي الحسني - فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان - وهو مخطوط متواجد بالخرزانة الزيانية القندوسية - القنادسة - و/الحاج علي بن عبد القادر التازي - منهل الضمان ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامات ش العارف بالله سيدنا الحاج محمد بن أبي زيان - مخطوط بالخرزانة الزيانية القندوسية - القنادسة - ص 216/المنجرة إدريس بن محمد الفاسي - عذب الموارد في رفع الأسانيد - مخطوط بالخرزانة الوطنية العامة - الرباط - رقم د 1838 - ص 57، انظر الي :عبدالقادر بويابة ،الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي، نفس المرجع السابق، ص 529.

5 محمد برشان، الحركة العلمية في الزوايا -الزاوية الزيانية-أنموذجاً-، دراسات إنسانية واجتماعية، مج2، ع2، جانفي 2013، ص197.

6 عبد القادر بويابة ،الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي ، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة ،نفس المعاصرة السابق، ص 521.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

ضمن المذكورين في هذه السلسلة يذكر بوجود شيخه مبارك بن عزي ومحمد بن ناصر الدرعي بالإضافة إلى أبي مدين الغوث وأبي الحسن الشاذلي¹.

11.7 الطريقة الرحمانية:

ويرجع أصل تسميتها من الكلمة المركبة كما قيل من الرحمة ونية:

اسمها الرحمانية¹ بفضائل محيية²
للقلوب شافية³ ممن أمراض مخفية⁴

تعتبر الطريقة الرحمانية من أهم الطرق الصوفية في تاريخ الجزائر العثمانية، بالرغم أنها حديثة النشأة، تأسست خلال القرن الثاني عشر للهجرة الموافق للقرن الثامن عشر للميلاد، إلا أنها أكثر الطرق الصوفية انتشار وشهرة في الجزائر العثمانية ولها الكثير من الاتباع والمريدين والموالين لها، بحيث كان لها بالغ الأثر على الحياة الدينية والثقافية والسياسة خاصة خلال التواجد العثماني في الجزائر.

وهي تمثل فرع من فروع الطريقة الخلوتية وهذه الأخيرة هي طريقة صوفية وفرع من فروع الطريقة السهروردية، بحيث أسسها محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم القشتولي الأزهرى (آيت إسماعيل 1126-1208هـ/1714-1794م)، ينحدر هذا الأخير من قبيلة آيت إسماعيل الذي يعود أصلها إلى عرش قشطلية وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه، بحيث تعتبر الطريقة الرحمانية طريقة صوفية جزائرية خالصة، وتعود جذور تأسيسها في الجزائر، من طرف شيخ جزائري وهو محمد بن عبد الرحمان الأزهرى³.

12.7 الطريقة الدرقاوية:

تؤكد العديد من المصادر أن أصل الطريقة الدرقاوية هو من الطريقة الشاذلية⁴، بحيث تنسب إلى الشيخ محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي⁵، المدعو علي بن عبد الرحمن الجمل أو الجمال. وهو أبو الحسن بن عبد الرحمان الجمل الفاسي من جماعة العمرانيين الذين استوطنوا في الناحية الشمالية

1 عبد القادر بوباية، الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، نفس المرجع السابق، ص 522.

2 أمينة سعود، زوايا الطريقة الرحمانية في الجلفة ودورها الديني والاجتماعي، التراث، مج 2، ع 15، 3/11/2012، ص 42.

3 هو سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهرى رضي الله عنه (1130هـ - 1208هـ / 1718-1793م) شيخ الطريقة الرحمانية و مؤسسها هو سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهرى القشطلوي رضي الله عنه دفين الجزائر (الذي أخذ عن الشيخ الحفني رضي الله عنه) وهذه ترجمة للشيخ مؤسس الرحمانية كما ذكرها السيد أحمد، الملتقى الدولي حول حياة وأعمال الشيخ سيدي أمحمد بن عبد الرحمان الزواوي الأزهرى، لمؤسسة المنظمة: مؤسسة سيدي أمحمد بن عبد الرحمن الأزهرى الثقافية، بتاريخ: 24-23 نوفمبر 2022.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، نفس المرجع السابق، ص 112.

5 صلاح مؤيد العقبي، نفس المرجع السابق، ص 230.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

الغربية من مدينة فاس المغربية¹، ويعتبر من أشهر الفقهاء الذين عملوا حسب تعاليم القرآن الكريم و العقيدة الصوفية الشاذلية، سافر نحو تونس أين درس وتعلم على عدد من شيوخها، و عند عودته إلى فاس درس التصوف فكان من المتصوفين العارفين الذين أحاطهم الناس بالسمعة و القداسة والمكانة الروحية، أسس الشيخ علي الجمال زاوية في مدينة فاس، وكان من أشهر تلامذته هو: "موالي العربي الدرقاوي". رغم أن العربي الدرقاوي كان مؤسس الطريقة ومنظمها إلا أنها تنسب إلى أحد أسلافه²، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة³.

كان مولده بمدينة تطوان في سنة 1150هـ / 1737م، وترجع أصول الشيخ الشريف الدرقاوي عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي الفلتي إلى أولاد بليل المرابطين بقبيلة واصله يعود إلى قبيلة كسانة البربرية، ثم تعلم بمسقط رأسه ثم التحق بزواية القيظنة لاخذ العلم على يد شيوخها مثل الشيخ محي الدين، وبعدها توجه الى المغرب الاقصى وأخذ من علماء فاس، بحيث التقى هناك بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي فاتبع طريقته وعينه هذا الاخير مقدا للطريقة الدرقاوية في الجزائر⁴.

بحيث قام بتأسيس ابن الشريف زاوية في أولاد بليل لاستقبال الاتباع وتلقين الاذكار وتعليم مبادئ الطريقة الدرقاوية⁵، فكثرت مردييه وخاصة من القبائل الصحراوية وزاد احترامهم وتقديرهم له، وتوالت عليه الكثير من الهدايا والهبات والزيارات⁶، بحيث نجد تعاليم الطريقة الدرقاوية يطلق عليها في نظر المتصوفة على وصف تعاليمهم والطقوس التي يمارسونها بالآداب وهي مجموعة من الضوابط والالتزامات والأخلاق التي يلتزم بها المرید سواء بينه وبين نفسه وربه أو بينه وبين شيوخه⁷. (أنظر الملحق رقم 15)

1 مختار بونقاب، الطريقة الدرقاوية بالجزائر: الحضور والأثر، الحوار المتوسطي، ع 11-12، مارس 2016، ص 372، وللمزيد يمكن العودة الى:

Louis Rinn , Marabouts et Khouans, Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p-p : 234-235.

2 مختار بونقاب ، نفس المرجع السابق، ص 372.

3 أبودرقة هو احد العلماء العارفين الزاهدين ،يرجع نسبه إلى إدريس الاكبر كان كثيرالقيام والصيام ،ولقب بابي درقة:وهي الترس من الجلود كالدرقة الكبيرة التي يحملها ليحتمي بها في الحروب ،انظر الى : هارون الهادي ، نفس المرجع السابق ص 67.

4 قدور بوجلال، ثورة الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب 1805-1813م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريية في شمال افريقيا، مج 4، ع 2، ستمبر 2021، ص 600.

5 نفسه، ص 600.

6 قدور بوجلال، نفس المرجع السابق، ص 601.

7 حسين جيلالي بن فرج، دحو فغرور، تعاليم الطريقة الدرقاوية ورجالها خلال النصف الاول من القرن 19م من خلال مخطوط "كنز الاسرار" لأبي زيان الغريسي، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، مج 1، ع 1، جوان 2018، ص 170.

وبما ان اغلب المتصوفة تتقاطع طرقهم في هذا الباب وهو باب الآداب وبالتالي: ما تتميز به الطريقة الدرقاوية عن سائر طرق التصوف الاخرى، كما أنها لم تدع إلى التمسك بالسنة فحسب، بل كانت تعلن مرجعيتها المذهبية المتعددة من كتاب وسنة وكذلك سيرة السلف الصالح¹.

13.7 الطريقة التجانية:

يرجع تأسيس الطريقة التجانية إلى الشيخ "أبو العباس أحمد التجاني بن مولانا محمد المثنى بن عمر بن المختار بن أحمد ابن محمد بن سالم السعيد بن سالم بن أحمد بحيث يعرف بالغلو ابن أحمد ابن علي بن عبد الله ابن العباس بن الجبار بن ادريس بن اسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه..."².

و الملاحظ من خلال هذه السلسلة أن جد أحمد التجاني لأبيه هو المختار بن أحمد وان جده الثالث هو العباس أحمد بن، وأما رابع الأجداد فهو محمد بن سالم³، وأجداد بدورهم كانوا من العلماء و الصلحاء⁴، وهذا الأخير انتقل مع أسرته إلى قبيلة عبدة ونزل في بلاد "توجين" «أو بما تعرف "توجانة"⁵، نسبة الى قبيلة بني توجين التي استقرت قديما بمنطقة عين ماضي⁶، وتوطن بينهم وبنى وتزوج منهم، ولقب التجاني يعود الى أخواله⁷، ولهذا ينتسبون الى التجانية وليس لهم نسب بعين ماضي حسب ما ذهبت به بعض المصادر، بل غلبت عليهم الكنية و الشهرة لأجل مصاهرتهم لهم⁸.

وقد أشار إليه تلميذه صاحب جواهر المعاني إلى أن نسبه شريف محقق، ورفعته إلى «المولى محمد الملقب بالنفس الزكية ابن مولانا الحسن السبط ابن مولانا علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ»⁹، مع تأكيد

1 قاسم الحادك، الخلفيات التاريخية في تبني الزاوية الدرقاوية بالمغرب لنهج المقاومة والدعوة الى الجهاد، التراث، مج4، ع4، ستمبر 2014، ص45.

2 السعدية أو تبغزيت، نشأة الفكر الصوفي التجاني، مجلة العلوم الإسلامية و الحضارة، ع3، اكتوبر 2016، ص137.

3 علي حرازم برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج1 ط1432، 1/هـ/2002م، ص30

4 شيخ لعرج، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار شمال و غرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2016-2017، ص12.

5 السعدية أو تبغزيت، نفس المرجع السابق، ص138.

6 صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها و نشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص175.

7 عبد الحفيظ حيمي، الطريقة التجانية في الجزائر و موقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية 1196-1242هـ (1782-1826م)، آفاق الفكرية، مج4، عدد خاص، 2018، ص41.

8 علي حرازم برادة، نفس المصدر السابق، ص30.

9 السعدية أو تبغزيت، نفس المرجع السابق، ص138.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

علي حرازم برادة على أن الشيخ أحمد التجاني لم يعر هذا الأمر أهمية، حتى سأل الرسول عن نسبه فأجابه بقوله: «أنت ولدي حقا، أنت ولدي حقا، أنت ولدي حقا كررها ﷺ ثلاث»¹

كان ميلاد الشيخ العباس أحمد التجاني سنة 1150هـ/1737م²، بقرية عين ماضي³ ولاية الاغواط الجزائر، بحيث عرف بكرم أخلاقه و طيبة النفس و الزهد، وايضا كثير الحياء و الأدب وحسن السمات، طويل الصمت، واشتهرا بالحكمة والوقار ذا الهمة العالية⁴، وصورة شكله القخيمة وصفة ذاته الكريمة، أنه رضي الله عنه، كان يتميز بالبشرة ذات اللون الابيض، مشربا بحمرة ، ذا القامة المعتدلة منور الشبيبة، وكان يعرف بالصوت الجهوري، وسماته بهية وقدر على، يتميز بفصاحة اللسان و حار المنطق ذا مهابة وعظة ، عرف عليه الحياء الشديد، و جلالة وفخار⁵، ونشأ في وسط يشع بالعلم والمعرفة ، نشأ على الأخلاق الكريمة والحميدة، مقبلا على الاجتهاد ، متمسكا بالدين ، حفظ القرآن على منذ طفولته، وهو ولا يتجاوز السبعة سنوات تحت اشراف محمد بن حمو الماضوي⁶، ثم أخذ علوم الحديث على يد محمد بن حمو التجاني المتوفي عام 1162هـ/1749م⁷، وعلوم الشرعية والفقهية و بقية العلوم الأخرى، على يد نخبة من العلماء¹، ولما بلغ السن الخامسة عشر حتى أتم الدراسة بعين ماضي على يد الأستاذ مبروك بن بوعافية، فقرأ عليه مختصر خليل و

1 نفسه ، ص 138.

2 سعيدة زيزاح ، الطريقة التجانية : النشأة و التطور ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع9، نوفمبر 2014، ص72.

3 تقع مدينة عين ماضي غربي مدينة الاغواط وتبعد عنها بحوالي 70 كلم، يحدها من الشمال الشرقي تاجموت ، ومن الشمال الغيشة و بلدية وادي مزي مع الحدود الغربية للغيشة وتاجرونة ، أما الجنوب الغربي ولاية البيض ومن الشرق الحويطة و حاسي الرمل ، و هي ادريا دائرة من دوائر ولاية الاغواط بدولة الجزائر ، ويقال أن سبب تسميتها نسبة "ماضي بن يقوب " كما يذكر الأمير عبدالقادر في كتابه " تحفة الزائر " وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من أقيال العرب في المائة الخامسة لأول استيلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيدين ، ويحتوي على ثلاثمائة دار وتدخل له الغين المسماة ب الحصن في قناة وبه صهاريج لجمع الماء المطر تسد عوز أهله ، وله المتانة و الحصانة ما يبهر العقول و حوله من النخيل والأشجار المتنوعة ما هو زينة للناظرين، انظر الى : عبدالقادر نوراي ، مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر، مجلة الباحث 2019، ص151، وأوقع هذه المدينة جنوب جبال عمور على بعد 70 كلم، غرب الاغواط بالمغرب الأوسط، انظر الى :

A. Gouilly, L'Islam dans L'Afrique occidentale Française, Paris, 1952, P. 110

4 أمينة التجاني، الطريقة التجانية " النشأة و الخصوصية السويسو انثروبولوجية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس ، مج14، ع2022، 1، ص87.

5 محمد بن عبد الله بن حسنين الشافعي الصطفاوي التجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني، مكتبة القاهرة ، مصر، (د،ت)، ص6.

6 لعرج شيخ، نفس المرجع السابق، ص 12.

7 بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي (الحكم العثماني - الأمير عبدالقادر - الإدارة الاستعمارية)، 1782-1900 ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص64.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

الرسالة لابن ابي زيد القيرواني وكذلك مقدمة بن رشد وكذلك تحصل على ما يلزمه من علوم اللغة النحو²، حتى أصبح له القدرة والكفاءة على التقاضي و الإفتاء³، وهو في عين ماضي اختار الزهد و الانعزال عن الناس⁴.

وعندما بلغ السنة الخامسة عشر (15) سنة ، قام أبيه بتروجيه فبقي في حجر والديه إلى أن توفي بسبب مرض الطاعون وكان ذلك في سنة 1166هـ/1753م حسبما ذهبت به بعض المصادر⁵، وتم دفنه في عين ماضي وعمره لايتجاوز 16 سنة، وهذه الحادثة كان لها بالغ الأثر عليه خاصة حياته الاسرية فنتج عنها الانفصال عن زوجته، وذلك من أجل التفرغ لطلب العلم ، فاهتم بالعلوم الأصلية و الفرعية والادبية حتى أصبح مؤهلا لتدريس، وكان يقول: " ما أحوج نفسي هذا الزمان الى عالم او علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها"⁶ ومما يعكس جانب من الجوانب الصراع القائم بين المتصوفة ، وما يقول أحمد التجاني إلا دليل على ما كان يجري في تلك الفترة الزمنية و ما سمعه عن شيوخه ، لاسيما كانت تصل إليه أسئلة الاستفتاء من الغرب الجزائر و الصحراء، بحيث قام تلميذه علي حرازم بجمع بعض من فتاويه الفقهية وكذلك بعض المسائل العلمية من كتاب "جواهر المعاني" في الفصل الخامس الجزء الثاني⁷ واستمر في طلب العلم حتى وصل الى السن العشرين من العمر وبعدها سافر الى مدينة فاس و كان ذلك سنة 1171هـ/1758م⁸.

ويمكن القول أن الشيخ أحمد التجاني خلال تواجده بمدينة فاس اهتم بشكل كبير بتلقي الأوراد والأذكار، أكثر بكثير مما كان يهتم ببقية العلوم الأخرى، بحيث التقى هناك بكثير من أعلام و كبار المتصوفة والأولياء وتبرك بهم وأخذ منهم وعن بعضهم، بحيث أخذ أوراد الطريقة الطيبية عن الشيخ الطيب الوزاني، وأخذ مبادئ الطريقة الناصرية عن الشيخ محمد بن عبد الله التزاني⁹، ومنها تحصل على العديد من الإجازات العلمية لتدريس¹، ومنها رجع الى الجزائر

1 أحمد سكيح العياشي، كشف الحجاب عن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب ، الطبعة الأخيرة ، مكتبة الشعبية،بيروت، 1988، ص14.

2 أمينة تجاني ، نفس المرجع السابق ، ص87.

3 بن يوسف تلمساني، نفس المرجع السابق ، ص64.

4 لعرج شيخ، نفس المرجع السابق، 13.

5 علي حرازم برادة، نفس المصدر السابق، 28.

6 علي حرازم برادة، نفس المصدر السابق، ص30.

7 بن يوسف تلمساني، نفس المرجع السابق ، ص64.

8 ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، نفس المرجع السابق ، ص509.

9 ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص510.

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

متوقفا عند كل الزوايا التي في طريقه من فاس إلى منطقة عين ماضي ، وعندما كان عمره السادسة والثلاثين (36) توجه نحو المشرق الاداء فريضة الحج سنة 1186هـ/1772م وخلال سفره اتصل بأبي عبد الرحمان الزواوي الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية²، فأخذ عنه تعاليم وأوراد الطريقة الخلوتية³.

ثم بعدها توجه إلى قصر عين ماضي بسبب المضايقات التي وجدها في مدينة تلمسان، ويبدو أن الشيخ كان يحضر به للإعلان عن طريقته الجديدة، بحيث تعتبر هذه المؤشرات عبارة عن ميلاد الطريقة التجانية كما أشار إليها ابو القاسم سعدالله-رحمة الله عليه-⁴ بحيث لم يكن يفضل التواجد بمدينة فاس حتى لكي يكون ميلادها خارج بلاده الجزائر⁵، بحيث تعتبر الولادة الجديدة و الولاية الكبرى⁶.

ويمكن القول أن الشيخ أحمد التجاني هو مؤسس الطريقة الصوفية التجانية بالجزائر خلال العصر الحديث وبالتحديد خلال التواجد العثماني في الجزائر، وظهرت هذه الطريقة في خضم التوتر القائم بين الطرق الصوفية والسلطة الحاكمة من جهة، ومن جهة أخرى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها الأهالي، خاصة في أواخر العهد العثماني، مما سوف يشكل تهديداً مباشراً لاستمرارية التواجد العثماني بالجزائر، وكذلك القطيعة التي حدثت بين العلماء والسلطة، كل هذا سوف يمهّد لاندلاع ثورات الطرق الصوفية ضد السلطة الحاكمة، وسوف يكون دور كبير لطريقة التجانية ضد الاتراك في الجزائر، إضافة إلى دور الطرق الصوفية والزوايا عامة ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

1 علي حرازم برادة، نفس مصدر سابق، ص29.

2 عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، نفس المرجع السابق، ص277

3 أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب و السودان الغربي، ج1، دار فصالة المحمدية، 2000، ص39.

4 يذهب الكثير من أتباع و مریدین الطريقة التجانية أن مؤشرات و إرہاصات الفتح الأصغر أحس بها الشيخ أحمد التجاني قبل توجهه إلى المشرق العربي لزيارة بيت الله الحرام، فيغالب الأحيان عندما كان متواجداً في تلمسان، للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.6، ص.511.

5 لعرج الشيخ، نفس المرجع السابق، ص14.

6 أحمد الأزمي، نفس المرجع السابق، ص70.

الفصل الثاني

الحياة الثقافية في دار السلطان وبايك التيطري مدينة الجزائر والمدية أنموذجا

أولاً: معالم الحياة الثقافية في دار السلطان مدينة الجزائر أنموذجا

1. لمحة تاريخية عن مدينة الجزائر
2. جغرافية مدينة الجزائر
3. السياسة العثمانية التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني
4. المعالم الحضارية الثقافية لمدينة الجزائر
5. أهم المساجد بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني
6. الدور التعليمي للمساجد خلال العهد العثماني
7. أهم الزوايا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني
8. الكتاتيب والمدارس في مينة الجزائر خلال العهد العثماني
9. الأوقاف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني
10. المكتبات

ثانياً: واقع الحياة الثقافية في بايك مدينة التيطري المدية أنموذجا

1. الجذور التاريخية لتأسيس بايك التيطري
2. قراءة جغرافية لبايك التيطري وعاصمته المدية
3. المعالم الثقافية في بايك التيطري
4. أهم المساجد و الكتاتيب في بايك التيطري خلال العهد العثماني
5. المدارس والزوايا في بايك التيطري خلال العهد العثماني
6. أهم المكتبات والأوقاف في بايك التيطري خلال العهد العثماني

أولاً: معالم الحياة الثقافية في دار السلطان مدينة الجزائر أنموذجاً:

يعتبر الوضع الثقافي هو أحد المعايير التي يمكن الاعتماد عليها في قياس مستوى الحياة الفكرية والعلمية لأي مجتمع من المجتمعات، ومن خلال ذلك نستطيع الحكم على مستوى وعي الفرد بأحداث عصره، وذلك أن الحياة الثقافية تزدهر إلا بتوفر الاستقرار السياسي وهذا ما يمكن قراءته عن إيالة الجزائر عامة ومدينة الجزائر خاصة خلال العهد العثماني، بحيث شهدت حياة ثقافية مزهرة سواء قبل الوجود العثماني أو بعده، وما يؤكد هذا الكلام هو وجود الكثير من المعالم الحضارية التي تدل على ذلك، ولا تزال شاهدة إلى يومنا هذا.

ويبدو أن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تميزت بكثرة المؤسسات الثقافية والدينية التي كان لها بالغ الأثر على العلمية والتعليمية على حياة الأهالي وتصبح ملجأ ومقصد الكثير من الطلبة والعلماء والرحالة وغيرهم.

والجدير بالإشارة أن جل المؤسسات الثقافية في العهد العثماني تقريبا لا تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة، ومعظم هذه المؤسسات للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها الحالي، ولم يتواجد آنذاك جامعة أو معهد بالرغم من المستوى التعليمي العالي لبعض المساجد والزوايا وأبرز هذه المؤسسات الثقافية نجد: الكتاب والمدارس والمساجد والزوايا والمكتبات التي سوف يكون لها دور جوهري في تأسيس حياة ثقافية مزدهرة، والتي سوف يظهر فيها أعلام من النخبة الجزائرية خلدتهم التاريخ، ومن خلال هذا المبحث سوف نتعرف على أهم المعالم والمؤسسات الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

1 لمحة تاريخية عن مدينة الجزائر:

يوجد العديد من التسميات للجزائر منذ القديم وذلك على مر العصور لم تختلف من حيث جوهرها فيها تعد من أهم دول لشمال إفريقيا وأهميتها هذه جعلتها محل اطماع الدول الأوروبية وخاصة منها الإسبانية ولكن مع تدخل الدولة العثمانية سنة 1515م، صدت هذه التحرشات و جعلت من الجزائر إيالة عثمانية وقد مرت الجزائر خلال حكم العثماني لها بأربعة مراحل وما يهمنا في دراسة هذه المرحلة وهي مظاهر ومعالم الحياة الثقافية والتي حكم عليها بعض المؤرخون والرحالة من أهم المراحل وذلك للاستقرار الذي شهدته وتطورا في جميع المجالات بالخصوص الانماج العلمي والفكري من أعلامها ومؤسساتها الثقافية والدينية.

عرفت مدينة الجزائر أيام الاحتلال الفينيقي تعرف باسم (إكوسيم)، التي تم تأسيس عليها محطة تجارية القرن خلال 6 ق.م، وذلك بعد زمن من تأسيس قرطاجة¹، وتم اختيارها نتيجة موقعها والإستراتيجي صغيرة الحصين، إذ كانت تمتلك ميناءاً لإرساء السفن والذي يتشكل من أربعة جزر صغيرة².

وفي القرن الأول ميلادي أصبحت مستعمرة رومانية، وعرفت في تلك الفترة باسم (اكسيوم)³، ثم خرجت أثناء حملات الوندال وثورات البربر وأصبحت مقراً لقبيلة بربرية تدعى "بني مزغنة".

وخلال القرن 10م/4هـ أسس "بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي"⁴ مدينة لقبها (بجزائر بني مزغنة) وفي هذه الفترة بدأت تشتهر بالجزائر، فتوسعت رقعتها الجغرافية وأقامت علاقة في البر والبحر مما اكسبها أهمية سواء من الناحية الجغرافية والطبيعية وغيرها، مما أسهم في إستقطاب الكثير السكان وازدهار الحياة التجارية والاقتصادية وانعكس ذلك بتطور العمراني وازدهاره وكذلك كثرته⁵.

وأخذ نمو الجزائر يتزايد إلى غاية وصول القبائل العربية إلى سهول متيجة فاستولت قبيلة الثعالبة على جزائر بني مزغنة وسكنتها، ولما ضعفت الدولة الزيانية استغل الأسبان على سواحل شمال إفريقيا وقاموا بإحتلال الجزائر وتم تأسيس الحصن على إحدى صخورها والذي يعرف بحصن البنيون⁶، في مطلع القرن 16م.

-
- 1 أحمد السليمانى، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 06.
 - 2الجزر الصغيرة :هي جزيرة البنيوش،الجزيرة الشمالية،الجزيرة الصغرى،الجزيرة الجنوبية أنظر إلى نصر الدين برهامي:تاريخ مدينة الجزائر في عهد العثماني، ص 04.
 - 3 أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ص ص 206-207.
 - 4 أبو الفتوح، سيف الدولة، المسمى يوسف :مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس، كان في بدء أمره من قواد المعز لدين الله الفاطمي، وهو الذي أنشأ مدن الجزائر ومليانة والمدينة. ولما قتل أبوه سنة 360هـ، نهض من أشير إلى زنانتة وأخضعهم وثأر لأبيه. فعقد له المعز الفاطمي على عمله أبيه بأشير وتيهرت، وضم إليه الزاب والمسيلة،للمزيد أنظر إلى: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980، ص 45.
 - 5عبد القادر طيمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 207.
 - 6وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، دار القصبية للنشر، الجزائر . 2007م و،ص.أنظر أيضا إلى: عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامرط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، 1989، ص 255.

نتيجة للحملات الإسبانية المتكررة على سكان مدينة الجزائر استجدوا بالأخوين "عروج" و"خير الدين بربروس"¹، للتخلص من الخطر الإسباني³، وكذلك في ظل عجزهم عن مواجهة الجيوش المسيحية، ويرجع ذلك إلى الضعف وأيضاً بسبب الصراعات الداخلية². وعندما حقق "عروج" نصراً على قائد المدينة "سالم التومي الثعالبي" بحيث قام بتعيين نفسه حاكماً على مدينة الجزائر، بحيث عمل الإسبان بتحريض أنصاره للتخلص من عروج وأتباعه، وشنوا بدورهم حملة عليهم سنة 1516م³، ولكنها انتهت بالفشل، وحملة أخرى في سنة 1547م، بحيث نجحت في القضاء عليه، كما وجهوا حملة جديدة على مدينة الجزائر سنة 1519م للقضاء على "خير الدين" ورفاقه كذلك هي الأخرى باءت بالفشل. قام أهل الجزائر على أثرها باقتراح من "خير الدين" بطلب الحماية من السلطان العثماني في مقابل البقاء تحت راية الدولة العثمانية وهو ما لقي القبول والإيجاب عند السلطان العثماني، وقام بمساعدة الجزائر بألفي من الجند الانكشاري و من المتطوعين⁴.

ومن خلال هذه الأحداث الأخيرة تم تعيين "خير الدين" بايلربايا⁵ على الجزائر⁶، الذي اتخذ مدينة الجزائر عاصمة له، وبعد انضمام الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية تحول "خير الدين" من أمير البحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية ومتحالفة معها ضد إسبانيا، كما تحولت الجزائر من قرية تجارية بسيطة إلى عاصمة للبلاد تحمل اسم جزائر الغرب⁷.

1 خير الدين ، من أروام جزيرة مدلي إحدى جزر الروم وكان أخ له يدعى أروج يشتغلان حرفة القراصنة ببحر الروم و ثم أسلما و دخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس ، أنظر إلى أ.محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار النفائس، ط1،1981م،230.

2 احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492-1792)ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص 173.

3كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510م-1541م ، ترجمة جمال قنن ، ديوان المطبوعات الجامعية ،2007،ص33.

4علي محمد محمد الصلابي،الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط،ط1،ججج2001مص213،وراجع أيضا: نصر الدين براهيم، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني و،منشورات ثالة،الجزائر، 2010م ،ص4.

5باي لارباي : تعني أمير الأمراء، أنظر إلى:محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2007م ، ص 16.

6حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975،ص107.

7عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر،المدينة ،مليانة)،ط1،شركة دار الأمة، الجزائر،2007م، ص6.

وهكذا أصبحت الجزائر عاصمة العثمانيين بصفة رسمية، إذ أطلق على مدينة الجزائر بإسم المحروسة التي لا تقهر، إلى أن تعرضت للاحتلال الفرنسي في سنة 1830م¹.

2 جغرافية مدينة الجزائر:

إن الباحث في التاريخ الحديث للجزائر يجد أن العثمانيين قد اتخذوا من مدينة الجزائر عاصمة للإيالة ومقرًا لحكمهم وسلطانهم، بحيث تقع مدينة الجزائر فلكيا بين خطي عرض 36،46° شمالا، وخط طول 3.3° إلى الشرق من خط غرينيتش، وهي بذلك تقع في المنطقة المعتدلة على نحو البحر المتوسطي²، وهي تقع جغرافياً على ساحل البحر الأبيض المتوسط³، وتم بنائها على مرتفع متدرج وهو على شكل مثلث، ترتكز قاعدته على المنحدر، وطرفاه: باب عزون وباب الولد اللذان يلتقيان في نقطة التقاطع العليا، تمثل القلعة رأس المثلث، وتتسع الجهة الثالثة لتتحد إلى جهة الميناء أو البحر⁴، وهي كذلك تتوسط إقليم وسط البلاد؛ جناحها الغربي هو الإقليم الوهراني، وجناحها الشرقي هو الإقليم القسنطيني، بحيث تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البلدي من الناحية الجنوبية، وكذلك تضم إقليمي: الساحل ومتيجة مع بعض الامتدادات في بلاد القبائل ومنطقة التيطري⁵، وهي عبارة عن مدينة بحرية مبنية على شاطئ أو ساحل البحر على قاعدة واسعة نسبيا في شكل نصف دائرة على هضبة سريعة الانحدار⁶.

لقد قام الباحث الجغرافي "عبد القادر حللمي" بتحديد موقعها في كتابه "مدينة الجزائر نشأتها وتطورها وذلك قبل 1361م فيقول: "... نجد إقليم مدينة الجزائر يمتد من شاطئ البحر المتوسط بجبل بوزريعة إلى جبال الأطلس البلدي، ويحدّها شمالا البحر المتوسط ويحتضنه من الشرق وادي الحراش، وكذلك من الغرب وادي ماء زعفران، وبذلك يمتد الإقليم في شكل طولي من الشمال إلى الجنوب ليشمل مظهرين طبيعيين مختلفين

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 هـ. 14 هـ إلى 16 م. 20، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص.164.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 هـ. 14 هـ إلى 16 م. 20، المرجع نفسه، ص.66.

3 محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط9، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.33.

4 لطيفة بورابة، مباني قلعة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية أثرية)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 11، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سبتمبر 2014، ص.164.

5 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص.29.

6 سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص.13.

تماماً، إحداهما سهلي والآخر جبلي (كتلة بوزريعة وسهل متيجة) وهما متممان لبعضهما لاعتماد السهل على الجبل¹.

ويذهب الكثير من الرحالة والجغرافيين بوصف مدينة الجزائر بأنها مدينة تعاقبت عليها عدّة أمم وحضارات وذلك من خلال الآثار المتبقية، كما أنّها كانت تتمتع بجمال طبيعي، ولها منشآت عمرانية كثيرة، حيث يذكرها "ياقوت الحموي" في معجمه فيقول: "...مدينة الجزائر مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها آثار عجيبة تدل على أنّها كانت دار ملك لسالف الأمم..."².

أما بالنسبة لدار السلطان هي عبارة عن مقاطعة إدارية توجد في العاصمة الجزائر ونواحيها بها يوجد بها مقر نائب السلطان العثماني أو الداوي أو مركز الحكم العثماني في الجزائر خلال العهد العثماني³، بحيث يحدها شرقاً منطقة دلس ويصل امتدادها إلى مدينة شرشال غرباً، أما من الناحية الجنوبية يحدها بايك التيطري، تمثل أصغر البايكات لكن تمتلك أغنى السهول الساحلية يدير حكمها الداوي مباشرة أو أغاناً⁴، أو فرقة الصبايحية⁵.

3 السياسة العثمانية التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني:

منذ وصول العثمانيين إلى الجزائر وبطلب من أهالي الجزائريين التخلص من الاحتلال والهجمات الإسبانية، وكذلك الحفاظ عليها عمل الأتراك على حماية وفق قيمها ومبادئها العربية الإسلامية وكذا الإحاطة بمختلف الجوانب سواء الاقتصادية أو السياسية بحيث اعتبروا أنّ الجزائر جزءاً من الدولة العثمانية وتابعة لها، وبالتالي حافظوا على العادات والتقاليد بها⁶.

إن الباحث في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ربما لا يجد ما يشير إلى أنه كان للسلطة الحاكمة العثمانية سياسة تعليمية في الجزائر إذ أنّ التعليم ارتبط بالافراد والعائلات وكذلك المؤسسات العلمية والمؤسسات الخيرية الحرة بينما ظل دور السلطة وإسهامها في الحياة التعليمية في

1 عبد القادر حلبي، نفس المرجع السابق، ص 32-33.

2 ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار السلطان، ج2، بيروت، 1977، ص132.

3 عمار بوحوش، نفس المرجع السابق، ص36.

4 اديب حرب، نفس المرجع السابق، ص36.

5 فرق الصبايحية **Spahi**: هم عبارة عن جنود خيالة من صبايحية الأتراك وكذلك صبايحية الأهالي بحيث يذكرها يدو في أواخر القرن السادس عشر، والصبايحية الأتراك يتواجدون في دار السلطان وفي البايكات، بحيث يلزم صبايحية دار السلطان في بيوتهم متمتعين بأجرة دورهم الرئيسي هي الدفاع عن مدينة الجزائر ويبلغ عددهم حوالي الخمسمائة، ونجد أغلبيتهم شيوخ، ومنهم الأتراك ومنهم الأعلاج، للمزيد راجع صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط2، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص318.

6 عبدالرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص534.

الجزائر ظل ضعيف، ويظهر ذلك لعدم وجود مؤسسة رسمية وحكومية خاصة به¹، وبالتالي هنا برز دور الزوايا والمساجد التي كان يتعلم بها أبناء الجزائريين اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم إلى جانب ذلك العلوم الشرعية مثل الفقه والتفسير والسيرة النبوية، إضافة إلى ذلك قواعد اللغة².

وللاشارة هنا أن كل الجزائريين كان يعرفون القراءة والكتابة وهذا بشهادة الكثير من الرحالة الاجانب، إضافة إلى ذلك ازدهار التعليم في أوساط الجزائريين، بالرغم عدم اهتمام السلطة به في الجزائر³، ويرجع الفضل إلى أموال الأوقاف والزوايا⁴، بحيث انعكس عنها انتشار التعليم في مختلف أنحاء الجزائر⁵. وبالتالي أصبحت هذه المؤسسات كمرجعية علمية ومعرفية ودينية للمجتمع الجزائري، ومقصد الكثير من الطلبة والعلماء، وكذلك كان لها بالغ الاثر في ازدهار الحياة الثقافية في مدينة الجزائر خاصة وفي الجزائر العثمانية عامة.

4 المعالم الحضارية الثقافية لمدينة الجزائر:

تعتبر دار السلطان في الجزائر خلال العهد العثماني من أهم المراكز الثقافية والعلمية والفكرية في دار السلطان، حيث كانت تضم مجموعة كبيرة من العلماء والأدباء والمثقفين والصوفية الذين اجتمعوا حول المراكز الثقافية.

وكانت دار السلطان في الجزائر تمثل قلعة ثقافية وعلمية كبيرة بحيث كانت تزخر بالمكتبات والمناقشات والحوارات الفكرية، حيث كان يتم مناقشة الفلسفة والكتب الدينية والثقافية والأدبية.

وكانت الدار تضم مراكز لتحفيظ القرآن الكريم ودورات لتعليم اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والفنون وغيرها، كما كان هناك مركز لنشر الكتب والمخطوطات ومكتبة كبيرة وغنية بالكتب والمخطوطات.

إن الحياة الثقافية دار السلطان في الجزائر خلال العهد العثماني تعد من الحقب والفترات الذهبية في تاريخ الجزائر الحديث، حيث تمكنت الدار من جذب رواد الثقافة والعلماء من مختلف بلدان المنطقة وحتى من بلدان العالم الإسلامي.

1 عبد القادر طوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 25.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 243.

3 أبو القاسم سعد الله، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990، ص 159.

4 جمع مفرد، ويعرفه منذر قحف بقوله: "والخلاصة فالوقف يتضمن معنى الإمساك والمنع، فهو الإمساك عن الاستهلاك أو البيع" أطر إلى عبيد بوداود، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع هجري ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (ق 13-15م)، مكتبة الرشد للطباعة، الجزائر، 2011، ص ص 40-41.

5 عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 67.

1.4 أهم المساجد بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

تعتبر المساجد منارة الاسلام والعلم، وهي رابط أساسي بين المسلمين، ولقد لقيت إهتماما ورعاية بعد أن أوصي بها القرآن والسنة، لقوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾¹.

فمن هذا المنطلق تطورت المساجد لتصبح مراكز مهمة في الجانب العلمي والفكري والثقافي، وصرحا في الجمال والإبداع من حيث الهندسة المعمارية.

من خلال البحث والإحصاء الذي وجدناه في بعض الدراسات حول المساجد التي توجد بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني اتضح لنا أن التراث المعماري بمدينة الجزائر غير مكتمل، ليس لأن مدينة الجزائر فقيرة في هذا النوع من المباني ولكن الاحتلال الفرنسي قام بتخريب وتهديم عددا ليس بقليل من المساجد وذلك إعتقاداً على الباحثين الغربيين، سواء منها ذات الطراز المغربي المعروف مثل جامع القشاش الذي احتوى على بيت صلاة قائمة على أعمدة ومغطة بالقرميد، أو التي تحمل في شكلها اللمسة والنمط العثماني على سبيل المثال لا الحصر جامع السيدة، وهذا من أجل ربما لقطع الصلة الحضارية التي تربط الجزائر بالدول الإسلامية التي تأسست في الجزائر قبل الوجود العثماني في الجزائر.

ويبدو أن الأرقام و الإحصائيات التي قدمها هايدو (Haedo) سنة 1612م، أشار أن مدينة الجزائر كانت تضم حوالي مائة مسجد²، وهذا إن دل إنما يدل على التطور العمراني وازدهار الحياة الدينية في مدينة الجزائر، ويذهب دوفوو الذي بحث في موضوع المؤسسات الدينية بمدينة الجزائر قال أنه كان يوجد بها سنة 1246هـ/1830م، ثلاثة عشر جامع كبيرا ومائة وتسعة مساجد، واثنان وثلاثون قبة أو ضريحا، واثنا عشر زاوية، فمجموع ما فيها من المؤسسات الدينية هو مائة وستة وسبعون مؤسسة، وهذا ما يؤكد الدكتور شاو Shaw بقوله: "... لا يوجد بالمدينة ساحات وحدائق، ونجد عشرة مساجد كبيرة وخمسين مسجد صغيرة..."³.

وحسب أحد المؤلفات ترجع تأليفها إلى سنة 1820م بحيث يذكر صاحبه أن مدينة الجزائر تحتوي على تسعة مساجد كبيرة وخمسين أخرى صغيرة⁴.

1 سورة النور، الآية 36.

2 Berque (A), L'Algérie terre d'art et histoire, Alger, 1937, p.226.

3 Shaw (T), Voyage dans la régence d'Alger, Paris 1830,, 293-294.

4 Pananti, Relation d'Un Sejour à Alger, Paris, 1820, p.161.

ويبدو أن بليسمون في مؤلفه لم يفرق بين المساجد الجامعة والمساجد وحصر العدد في حوالي ستين مسجدا بمدينة الجزائر أبرزها ذلك المسجد الذي بني في سنة 1790. أما بقية المساجد الأخرى تتميز بالبساطة في شكلها وبنائها على حد قوله¹.

ونجد فنتير دي باردي Venture de Paradis، يؤكد أن مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر وحدها كان يوجد بها حوالي اثنا عشر جامعاً والكثير من المساجد، بحيث يرصد أهمها وهو المسجد الكبير وكان مخصص للمذهب المالكي، وهذا يعكس على كثرة المساجد في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. في حين يذكر شالر: ... " إن المباني العمومية بمدينة الجزائر تتمثل في تسع جوامع دون حساب العديد من الأماكن المخصصة للعبادة،... وثلاث مدارس... ولا يمكنني إعطاء فكرة عن المساجد التي لم أتمكن من زيارتها... " ².

ويذهب هاينرش فون مالتسان بحيث يصف لنا مساجد مدينة الجزائر: "... وكنت في طريقي إلى ساحة الحكومة وقد مررت بشارع البحرية، وفي هذا الشارع يفاجيء الإنسان منظر الجامع الرئيسي بالجزائر ويدعى الجامع الكبير، وهو بناية عربية خالصة، ... ذلك السطح الخارجي الرائع المتناسق الأجزاء الذي نعجب به في فن العمارة بالشرق، أما من ناحية الشارع فهناك واجهة جميلة بأعمدة من المرمر وعدد من الحنيات مزين داخلها بشكل بديع، ... إلا أن خيبة ظني كانت كبيرة عندما علمت فيما بعد أن الفضل في وجود هذه الواجهة الغربية التي ظهرت في شرقيه لا يعود إلا للفرنسيين"³.

أ جامع سيدي رمضان:

يعتبر من أقدم مساجد مدينة الجزائر، بحيث لا توجد فيه كتابة أثرية تدل على تاريخ تأسيسه⁴، بحيث لا معلومة مؤكدة عن مؤسس هذا المسجد وإنما نسب إلى أحد الصالحين الذي دفن في ذلك المكان⁵، يقع

1 Blismon, Notice Topographique Sur Le Royaume et la Ville d'Alger, Paris, 1830,p73.

2 Shaler (W), Esquisse de l'etat d'Alger, Traduit de l'Anglais et enrichi de notes par : M.X.Bianchi, Toulon, 1830, pp.98, 99 .

3 خيرة بن بلة، المنشآت العمرانية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص62.

4 نورالدين عبدالقادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص167.

5 محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني، مذكرة ماجيستر غير منشورة في العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 2014، 1-2015، ص106.

هذا الأخير بين شارع محمد عزوزي وشارع سيدي رمضان¹، مغطى بسطوح مضاعفة من القرميد بحيث يبلغ عددها تسعة موضوعة عرضيا²، كما له مخطط شبه مستطيل متجه شمال جنوب يحمل السقف ثمانية عشر عمودا من الحجارة وله كذلك قاعدة مربعة الشكل كما له بابان أحدهما على شارع رمضان والثاني على شارع تيقز³، ويوجد في داخله سدة من الخشب مرتكزة على ثمانية عشر أسطوانة من رخام على صفيين وهي شدة مخصصة للنساء و المسجد شكله بسيط ليس فيه أي زخرفة ولانقش، بحيث له منارة نجدها قليلة الارتفاع ومصلى وبيت صغير فيه قبر الشيخ رمضان.

ويبدو أن هذا المسجد أشتهر بتلقين وتقديم الدروس الشرعية الدينية، وعلى سبيل المثال نجد منها درس في التوحيد ودرس في الحساب غيرها، بحيث لا توجد مصادر تدل على التغيرات التي ألحقت بهذا المسجد، غير أن الشيء المعلوم هو القيام عليه بعملية البحث عن الحفريات سنة 2003، بحيث وجد به أربعة قبور⁴.

ب جامع سفير:

يعتبر من المساجد العتيقة والقديمة بمدينة الجزائر، بحيث يقع في حي الجبل، تم بنائه من طرف القائد صفر بن عبد الله⁵ من ماله الخاص دام بنائه من شهر رجب 940هـ إلى اليوم الثاني من ربيع الأول 941هـ أي تم في تسعة أشهر⁶، بحيث يعد أول جامع بني خلال العهد العثماني للمذهب الحنفي⁷، كما حبس خير الدين باشا مزرعة مساحتها مئة هكتار.

وتذكر المصادر التاريخية أن الداوي حسين باشا (1819م/1830م) أعاد بنائه في سنة 1827م على طراز ونمط مساجد الدولة العثمانية⁸، بحيث يتميز جامع سفير بهندسة معمارية متقنة ويتميز بحسن التنسيق والانسجام منذنته قائمة في الزاوية الجنوبية المجاورة لحائط القبلة، وهي عبارة عن برج ذو ثمانية

1 عائشة كربون، المساجد التاريخية لمدينة الجزائر، ط1، وزارة الثقافة، منشورات ألفا، الجزائر، 2011، ص 67.

2 مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوكس والوثائق العثمانية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 26.

3 نفسه، ص 26-28.

4 Aicha Kerdoune, Mosquées historique de la ville d'Alger, Alpha, 2014, p 28

5 هناك رواية تنص على كون عبد الله صفر عبدا مسيحيا لخير الدين بربروس، فأعتقه، وبعد اعتناقه الإسلام أخذ اسم عبد الله، ولكن اسمه الشخصي واسم عائلته قبل اعتناقه الإسلام بقيا مجهولين. وقد درس الإسلام وأتقن اللغة العربية وكان من حفظة القرآن الكريم، كما ورد اسمه في قصة حصار شارلكان للجزائر العاصمة، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 252.

6 نورالدين عبدالقادر، نفس المرجع السابق، ص 164.

7 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 253.

8 نورالدين عبدالقادر، نفس المرجع السابق، ص 165.

أضلاع¹، وكذلك تحيط به دائرة من القرميد الأخضر في أعلاه، والمحراب مزخرف بخزف أبيض و أزرق، تبلغ مساحة المسجد حوالي (399,50)م²، حسب ماجاء في بعض الدراسات²، وقد نقشت على الباب الرئيسي العبارات التالية "...وبعد، يعتبر هذا مسجد عظيم، ومقام كريم، أسس على التقوى بنيانه، وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه وأركانها، أمر ببنائه الفقير إلى مولاه مملوك مولانا السلطان الكبير، المعظم الشهير، و المجاهد في سبيل رب العالمين، ومولانا خير الدين، أيده الله ونصره، وهو عبد الله سبحانه صفر، غفر الله ذنبه..."³.

ت جامع السيدة:

يطلق عليه إسم "سيدة الجزائر، وهو ثالث أعظم وأهم المساجد في مدينة الجزائر⁴، وأيضاً من بين المساجد السبعة الرئيسية منذ القرن 16م⁵، بحيث ترجع أقدم الوثائق التي تتحدث عنه إلى سنة 1564م، ونجد أن هايدو الاسباني سنة 1581م تحدث عنه ويعتبره الثالث من حيث الأهمية ومن بين أهم المساجد السبعة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني⁶، بحيث اتخذها البشوات مصلى لهم لقربه من قصر الجينية، ونجد دوفو يصنفه ويدرجه من أهم الجوامع وفي نظره يحتل الدرجة الأولى، لجماله وفخامة هندسته المعمارية، كان يقع في ساحة الشهداء حالياً، وسمي بهذا الاسم نسبة لامرأة ناسكة، ولم يعثر على أي وثيقة تشير إلى تاريخ بنائه، وأقدم وثيقة جاء فيها ذكره تعود إلى سنة 1564م⁷.

ويعتبر هذا الجامع من أهم المظاهر والمعالم والمراكز الدينية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، بحيث يقع في الجزء السفلي، ويعد مركز الأعمال الإدارية خلال العهد العثماني، وقبلة دار

1 عائشة كربون، نفس المرجع السابق، ص 254.

2 مصطفى حموش، نفس المرجع السابق، ص 137

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 253

4 محمد قن، بعض المعالم الحضارية لمدينة الجزائر قبيل 1830، دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج14، ع1، جانفي 2022، ص 745.

5 أشرف صالح، محمد سيد، "المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي"، أماريك (مجلة علمية صادرة عن الأكاديمية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا، مج4، ع7، الجزائر، 2013م، ص 66.

6 رشيد بروبية، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شيوح، 1984، ص 103، أنظر أيضاً إلى:

Devoux (A), Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger suivie d'un musée mural a Alger, alger, 1874, pp.98-99.

7 وهيبه خليل، المساجد المندثرة بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية وبعض شواهد المتبقية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع2، 2022، ص 658.

الإمارة¹، لهذا كان يتردد عليه حكام الجزائر في تلك الحقبة الزمنية، وأيضاً يجتمع فيه التجار والأعيان، ضف إلى ذلك يعتبر مقر لتوقيع الاتفاقيات والتسعين². (أنظر الملحق رقم 02).

أما بالنسبة للمئذنته كانت تقع عند الزاوية الشرقية مزينة بصفوف من الخزف الملون بالأخضر والأبيض والأصفر، بحيث تعلوه قبة تستند على حوالي عشرين عموداً من الرخام الأبيض، وأهم ما يميزه هو امتلاكه لأعمدة من الرخام تعلوها أقواس منقوشة ومنحوتة تأخذ في شكلها شكل كرمة عنب³.

بحيث نجد الأستاذ كلين يذكر عن بعض هذه التفاصيل الفنية الجميلة حول مسجد السيدة بحيث يقول: "... وكان يفتح على شارع القوس مدخل تعلوه كتابة أثرية كسرت سنة 1846م أما المحراب فهو مغطى ببلاطات خزفية جميلة وتزينه زخارف جصية دقيقة، وكما زين المنبر الرخامي بزخارف منحوتة بدقة متناهية وهو من بقايا جامع السيدة الذي هدم سنة 1832م والساعة التي توجد بالمئذنة سنة 1842م بالجينية، ونقلت إلى الجامع سنة 1847م وثبتت بالمئذنة سنة 1853م..."⁴.

حيث تذهب بعض المصادر أن عملية هدمه كانت عن طريق إستعمال المطارق والفؤوس من طرف الفرنسيين، وذلك من أجل توسيع المجال حول قصر الدايات، الذي كان في ساحة الشهداء قبل تحويله إلى الباب الجديد، وكان التوسيع أحد الأسباب، ولكن السبب الرئيسي هو خوف الفرنسيين من أن يتخذ المسلمون جامع السيدة كمرجعية دينية وأيضاً مركزاً لهم ونقطة تجمع ومظاهرات، وهذا يدل على أهمية جامع السيدة من الناحية الروحية⁵.

1 تعتبر هذه الدار من أقدم المباني في مدينة الجزائر، وكانت تقع في الجزء السفلي في المدينة، وبقيت مقرّ للحكام العثمانيين إلى غاية 1223هـ/1816م، بحيث أصبح حصن القصبه مقراً للداي حسين، للمزيد يمكن الرجوع إلى: لطيفة بورابة، تهديم الفرنسيين لدار الإمارة (دار الجينية) بمدينة الجزائر، في أعمال الملتقى الثالث حول دور الآثار وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني، معهد الآثار، 2013، ص 194.

2 لطيفة بورابة، الآثار الباقية من جامع السيدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)، دراسا في آثار الوطن العربي، 2016، ص 568.

3 أشرف صالح، محمد سيد، نفس المرجع السابق، ص 66.

4 Klein(H) ; Feuillet d'El-Djezair, L.Chaix Editeur, Alger, 1937., p.154.

5 وهيبه خليل، نفس المرجع السابق، ص 7.

ث جامع كتشاوة:

يطلق عليه باللغة التركية تسمية "كجي آوى" ويقصد بها بالنسبة إلى الكلمة الأولى-الماعز¹، أما الثانية البيت، ويقع بقلب مدينة الجزائر قبالة ساحة القصبية²، ويعد جامع كتشاوة³، أحد عناوين الإسلام بطابعه المعماري العربي الإسلامي، ويعد من أشهر المساجد العتيقة بالعاصمة⁴، وهو معلم تاريخي وأثري معماري واكب حقبا تاريخية عديدة مما يجعله معماراً مقاوماً للزمن وقهره وسمي كتشاوة نسبة إلى السوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة⁵، وكان العثمانيون يطلقون عليها اسم المعز⁶، حيث تكمن أهميته أنه قريب بل متصل بدار الداوي وأيضاً لكونه يقع أمام أهم قصور المدينة وهو قصر عزيزة⁷، بالإضافة إلى ذلك عدم معرفة الشخص الذي قام بإنشائه⁸.

يعود تأسيس المسجد على حسبما جاء في أقدم الوثائق إلى سنة 1020هـ/1612م⁹، بحيث تذهب الدراسات على أن عملية الإشراف وكذلك التسيير هي مؤسسة سبل الخيرات، فقد أعاد بنائه الداوي حسن باشا سنة 1209هـ،¹⁰ (1794-1795) حيث قام الأخير بتوسيعه وكذلك إعادة تزيينه بالرخام على نمط

1 إيمان عمرواي، الزخرفة في العمارة الدينية "دراسة وصفية فنية لمسجد كتشاوة بعد الترميم أنموذجا" ،جماليات، مج7، ع1، جوان 2020، ص550.

2 إبراهيم عبو، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/19-16م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه غير منشورة، إشراف د: بوشنافي نعمد، قسم تاريخ الحديث، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018م، ص38.

3 كتشاوة: هضبة المعزة التي جمعها كتشلو باللغة العثمانية اسم كان يطلق على الحي الذي يوجد فيه الجامع للمزيد أنظر: عائشة كردون، نفس المرجع السابق، ص67.

4 مليكة برواق، البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر (دراسة معمارية أثرية وجمالية لجامع كتشاوة)، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، مارس 2017، ص14.

5 مليكة برواق، الحسين زاوي، البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر (دراسة معمارية أثرية وجمالية لجامع كتشاوة)، مجلة العلوم الإسلامية و الحضارة، مج2، ع2، أكتوبر 2017، ص229.

6 إبراهيم عبو، نفس المرجع السابق، ص64.

7 قصر عزيزة: يعرف باسم دار الخزناجي وقبل ذلك كان يعرف باسم الضياف لأن الدايات كانوا يستقبلون السفراء به، للمزيد أنظر: عائشة كردون، نفس المرجع السابق، ص67.

8 محمد الطيب عقاب، لمحات من العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، 2002م، ص89.

9 أمير يوسف، إسهامات الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671-1830)، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2، ع14، 2012م، ص167-168.

10 سعيد بوزينة، تأريخ المبني بالكتابات التكرارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الانسان والمجال، مج6، ع2، ديسمبر 2020، ص52.

وطراز مسجد السيدة ،وبالتالي أصبح تحفة معمارية تتميز عن باقي مساجد مدينة الجزائر ويعتبر الأجل إذا ما تمت المقارنة بالمساجد الأخرى ويظهر ذلك التميز من حيث النقوش وطراز وكذلك العمارة¹.

لكن يبدو أن في إحدى اللوحات الخاصة بمدينة الجزائر والتي رسمت فيها جميع أجزاء ومخطط المدينة ولم يتم الإشارة إلى اسم مسجد كتشاوة ،مع العلم أن تلك اللوحة مؤرخة بتاريخ 1569م ،وبالتالي على حسبما وصفه هايدو الذي قام بزيارة مدينة الجزائر سنة 1581م لا يذكر سوى المساجد الهامة في الجزائر خلال القرن 16م إلا إثنين منهما فقط هما :مسجد القشاش الذي أنجز في حدود سنة 1579م ومسجد خضر باشا المؤسس في سنة 1596م، ولكن في نفس الوقت الكثير من المصادر التاريخية تذكر أن عدد المساجد بالمدينة بأكثر من مئة مسجد وقد يكون مسجد كتشاوة من بينها ،وبالتالي يعد عمل الداوي جسنا بإعادة تجديد سنة 1794م ما هو إلا تحصيل حاصل لوجود المسجد من قبل².

بحيث توجد في المتحف الوطني للآثار القديمة لوحة تذكارية توضح وكذلك تبين تاريخ إعادة تجديد وترميم مسجد كتشاوة من طرف الداوي حسن باشا، وهي عبارة عن لوحة في شكلها المستطيل مكتوبة باللغة العربية بخط الثلث وبأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، جاءت الكتابة على شكل أبيات شعرية في سطرين مجزأين داخل معينات، وقد جاء في نصها ما يلي:

حَبَّذَا جَمَاعَ يُرَلِّمُ بِالْمَنَا مِنْ مَبْلَغِ الْقَصْدِ وَتَبَسُّمِ بُرُوقِ الْخِتَامِ مِنْ أُنْفُوقِ الْعَهْدِ
بَنَاهُ سُلْطَانِنَا الرَّضِيَّ عَظِيمَ الْبَدْرِ حَسَنَ بَاشَا بِالْبَهَاءِ عَدِيمِ الْمَثَلِ وَالنِّدْرِ
قَدُّ أَفْتَى لِتَشْيِيدِ أَسَاسُهَا عَلَى التَّقْيِ ثَقَلُ فَخَّارَةٍ مِنْ مَسَالِ تَجَسَّلَ عَنِ الْعَدْرِ
وَحَازَ بِهَجَّةِ لَدَى السَّنَاظِرِ بِنِ اِرْح لِمَا كَمَلَّتْ كَالسَّعْدِ وَبِالْيَمَنِ وَالسَّجْدِ³.

ونجد الزباني قد أشار إليه بكتابه الترجمانة الكبرى وقال : "...أن حسن باشا رتب فيه أهل الهندسة من كل صنعة وأتقنوا بنائه ساعة ورفعة وجعل أسفل هذا المسجد دكاكين وقهاوي أوقفها على هذا المسجد المذكور وحقق قبلة هذا المسجد أهل العلم والفتوى... وجمع له أنواع المرمر والرخام من بلاد الأتراك والأروم..."¹.

1 أمير يوسف ،نفس المرجع السابق،ص 167-168.

2محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، سلسلة علوم واثار ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر 1988،ص126.

3 مليكة برواق، الحسين زاوي، نفس المرجع السابق،ص230.

ج جامع علي بتشين:

تم تأسيس وبناء هذا المسجد بتاريخ 1031هـ/1622م، ويعد من أقدم معالم ومساجد في الجزائر العثمانية، ومؤسسه هو علي بتشين²، وهو عبارة عن مسجد جامع تغطي مساحته 500م²، وتوجد أسفل قاعة الصلاة حوالي سبعة حوانيت تؤدي إلى الضريح بواسطة ثمانية عشر درجة، أما بالنسبة لشكله الداخلي بحيث يشبه كنيسة البندقية أو البيزنطة³.

بحيث تم بناء هذا المسجد على نمط وشكل وطراز آيا صوفيا في اسطنبول⁴، بحيث قبه عثمانية الطراز مثمثة الأضلاع تقوم فوق قلب بيت الصلاة مرتكزة على أربعة دعائم ضخمة فهي مقسمة إلى إيوانات تزين الجانبين منها عشرون قبة صغيرة⁵، وتضم أحباس هذا المسجد أرضاً وثلاثة دور وسبعة عشر حانوتاً وثلاث غرف وفرنا وحماماً وطاحونة⁶.

ح الجامع الجديد:

تعود أصل التسمية الأصلية لهذا الجامع الجديد هي عبارة عن صفة له بالنسبة للجامع الأعظم، لأن مدينة الجزائر كان لها قبل تشييد الجامع الجديد مساجد أخرى حنفية التي تم بنائه من طرف الأتراك⁷. يطلق عليه العامة بجامع البطحاء أو يطلق عليها حالياً (بساحة الشهداء)⁸، أو بما يعرف بمسجد الصيادة وهو من المساجد الحنفية التي لازلت قائمة إلى اليوم⁹، وكذلك أطلقت عليه هذه التسمية نسبة إلى الجامع الأعظم كان موضعه في مكان مدرسة بوغانان¹⁰، بحيث مساحته قدرت حوالي 1372م²، ويرجع بناؤه إلى المجاهد الحاج الحبيب¹¹، و تذكر بعض المصادر ان

1 الزباني يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح. المهدي بوعبدي، ط1، عالم المعرفة الجزائر، 2013م، ص377.

2 علي بتشين : هو من أصول ايطالية، وهو كذلك أحد البحارة سمي بتشين تحريفاً للاسم الايطالي بوتني نينو يعني القمر، أنظر إلى: عائشة كردون، نفس المرجع السابق، ص56.

3 مصطفى بن حموش، نفس المرجع السابق، ص27.

4 عائشة كردون، نفس المرجع السابق، ص56.

5 حسين مؤنس، المساجد، ط1، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، ص207.

6 مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص27.

7 عبدالقادر نورالدين، نفس المرجع السابق، ص155.

8 عبدالرحمان الجيلالي، نفس المرجع السابق، ص222.

9 أشرف صالح محمد السيد، نفس المرجع السابق، ص66.

10 عبدالقادر نورالدين، نفس المرجع السابق، ص91-92.

11 أبوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، نفس المرجع السابق، ص34.

عملية بنائه كانت بطلب من الانكشارية وعلى نفقة منظمة سبل الخيرات في سنة (1070هـ/1660م)¹، أما بالنسبة للكتابة الثانية ترجع إلى نفس السنة، على الرغم أنها لا يوجد بها تاريخ محدد و واضح، ومكتوب بها اسم الحاج حبيب الذي أضيفت عليه هنا صفة المجاهد في سبيل الله²، بحيث يعد الجامع الجديد بناء فريداً في تصميمه من حيث الطراز والهندسة³، ويتميز بمنارة عالية ترى عن بعد من البحر⁴، بحيث يبلغ ارتفاع منارته 29,5 متر ويتميز بمحراب مزخرف بضروب النقش⁵، له شكل عام يشبه الصليب وبه ساعة كبيرة على المئذنة⁶، التي هي عبارة عن برج.

كما له قاعدة مربعة تعطيه طابعاً مغربياً وأعمدته فهي تأخذ شكل تاج، أما السواري وإطارات الأبواب فهي من الرخام الأبيض⁷، ومنبره كذلك مصنوع من الرخام الأبيض. وداخل الجامع مزخرف وملون بألوان مختلفة أما محرابه فهو مزين بالخزف البديع. ويوجد في مقصورة الشيخ المفتي مصحف أهداه السلطان العثماني إلى باشا الجزائر في القرن 12هـ/17م⁸، كما تذهب بعض المصادر، وله أيضا ميزة يمتاز بها ألا وهي قبة عالية بيضوية الشكل منزلة على مثلثات كروية⁹.

خ جامع الباشا الحاج حسين ميزمورطو:

تم بناء هذا الجامع من طرف أحد حكام الجزائر خلال الفترة العثمانية والمعروف باسم حسين ميزومورطو¹⁰، بحيث تأسس في سنة 1675م، ويعتبر هذا المسجد من المساجد الحنفية¹، بحيث بني

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 260.

2. خيرة بن بلة، نفس المرجع السابق، ص 69.

3. أشرف صالح محمد السيد، نفس المرجع السابق، ص 65.

4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، نفس المرجع السابق، ص 33.

5. عبدالرحمان الجيلالي، نفس المرجع السابق، ص 222.

6. مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، نفس المرجع السابق، ص 60.

7. عائشة كربول، نفس المرجع السابق، ص 61.

8. عبدالقادر نورالدين، نفس المرجع السابق، ص 63.

9. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر خاصة، ج 2، ط 1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 155.

10. حسين ميزومورطو: هو حاكم جزائري عثماني، لقبه الايطاليين بميزومورطو ، Mezzomorto ويعنى حسين النصف ميت لأنه بقى حيا بعد إصابته في دماغه بضربة سيف في إحدى المعارك البحرية وقد دخل الإسلام، للمزيد انظر إلى: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت، ص 18.

على أنقاض جامع صغير أقدم منه، وبالتالي ليس هنالك معلومات مؤكدة عن هذا المسجد، والأرجح يذكر أن بنائه فوق مجموعة من الحوانيت والفرن، بحيث يتميز الجامع بصومعة رشيقة محلاة بالزليج، وبقبته الكبيرة التي بنيت سنة 1097هـ/1686-1685م²، بحيث يقابل المسجد ساحة الزرع ويجاوره ثكنة الجيش الانكشاري، نجد له ميضأة خاصة به، إضافة إلى ذلك عيون من الماء وحمامات باردة، و له مدرسة يتم التدريس والتعليم فيها على المذهب الحنفي، وكان من جوامع الخطبة، له خطباء وأئمة ومدرسون ووكلاء وموظفون آخرون اشتهر بهم الجامع، وتذهب بعض المصادر أن إمام المسجد هو من أصول تركية إسمه أحمد آغا بن صابر الله سنة 1075هـ/1665-1664م، وقد حبس الباشا على المسجد بعد تجديده القرن والفندق اللذان يقعان أسفله باستثناء الغرفة التي في أقصى طرفه على يسار الداخل إليه، كما حبس كامل العلوي المجاور للمسجد، والحوانيت الأربعة أسفله³.

د جامع القشاش:

يعد من أقدم المساجد في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، بحيث يتميز بسقفه القرميدي وله مئذنة صغيرة والقاعدة مربعة ، بحيث نجده من المساجد التي عرفت شهرة كبيرة خلال العهد العثماني ويرجع ذلك إلى طبيعية الخطب والدروس والمحاضرات التي كان يقدمها، كما نجد له مدرسة تتصل به ، ويمتلك العديد من الأوقاف وهذا نظرا لاستقطاب كثرة الوفود خاصة الغرباء منهم، والزوايا المسماة بنفس الاسم وهي من الزوايا العلمية⁴.

ويقول فيه Devoux أن أقدم الوثائق التي كانت عنده ترجع الجامع إلى سنة 1570م وهو من الجوامع السبعة التي تحدث عنها، بحيث لها العديد والكثير من الموظفين ، ومن آخر وكلائه الكبار الشيخ بن المسيستي قدور الذي سماه الحاج علي باشا خلال 1224هـ/1808م ، ويعد من علماء تلك الفترة الزمنية ومن أشهر العائلات المعروفة في الجزائر خلال العهد العثماني، وربما هو نفسه قدور الذي تولى القضاء خلال العهد الفرنسي وللجامع صومعة غير عالية في شكل مربع، بحيث تم الاستيلاء عليه من طرف المصالح الفرنسية العسكرية سنة 1831م، وتم استعماله مرقد للجنود، ثم بعدها مستشفى مدني، ثم

1 صبرينة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (القرنين 17-18)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنساني/جامعة بابل، ع34، أب، 2017م، ص122.

2 وهيبة خليل، نفس المرجع السابق، ص658.

3 Marçais(G), Notes historique sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger, in revue africaine, Alger in revue africaine, 1869, pp. 21-34.

4 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، نفس المرجع السابق، ص24-26.

أرجع إلى السلطات العسكرية فرمته لا يرجع إلى المسلمين أو لوظيفته الدينية ولكن ليكون مخزناً مركزياً للمستشفيات¹.

نـ جامع الحواتين:

ترجع أصل التسمية بحكم المكان المتواجد بقرب من سوق الحواتين²، ونجده في بعض الوثائق يطلق عليه تسمية مسجد البطحية ومسجد أبركان³، وهو من المساجد المميزة والجميلة في شكلها وطرازها العمراني، وكذلك نجده يطل على البحر وأجمل نموذج للمساجد الجزائرية العثمانية من حيث الطراز والنمط، ويبدو أن الوثيقة المؤرخة سنة 1070هـ/1660م توضح من أسس هذا الجامع وهو الحاج حبيب أنشأه بأموال تبرع بها الحواتين والجنود وأهل الخير⁴، كذلك على حسب المختصين والمعماريين أن الخطوط العامة لمسجد الحواتين نمط وشكل وطراز مسجد آيا صوفيا بمعنى أن مركزه كله هي القبة التي تقوم فوق وسط بيت الصلاة، وهي تقوم على أربعة دعائم ضخمة وكبيرة المركبة من الحجر الملبس بالرخام بحيث يصل ارتفاعها إلى أربع وعشرين متراً تحيط بها قباب أصغر تقوم على إيوانات بيت الصلاة، أما بالنسبة لمئذنته أنيقة ترتفع في الجو بيدن منسرح على شكل مكعب ينتهي عند شرفة الأذان ثم يكتمل بجوسق جميل طرازها مغربي وربما المعالم المعمارية المميزة والجميلة في هذا المسجد وهو امتزاجه بطرازين مختلفين⁵.

ر مسجد صفر:

يعتبر هذا المسجد من المساجد الحنفية المميزة في الجزائر العثمانية، وتم بنائه من طرف عبد الله بن صفر، وتذكر المصادر التاريخية أنه كان عبداً مسيحياً لبربروس خير الدين، فأعتقه، وبعد اعتناقه للإسلام أخذ اسم عبد الله، وقد درس الإسلام وأتقن وتعلم اللغة العربية وكان من حفظة القرآن الكريم⁶. ويعود تاريخ بناء هذا المسجد يعود إلى سنة 940هـ//1534م، وقد وجدت لوحة رخامية توضح تاريخ تأسيس المسجد، بحيث تذكر إسم كل من خير الدين وصفر، وكانت بداية بناء هذا الجامع في شهر رجب الموافق 16 جانفي و 14 فيفري 1534م، وتذكر بعض الدراسات أن إتمام بناء هذا الجامع كان في تاريخ: 02 ربيع الأول سنة 941هـ، الذي يوافق 15 ستمبر 1534م، وكذلك يذكر أن خير الدين

1 أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص26.

2 الحواتين: هم صيادوا السمك، للمزيد أنظر إلى: حسين مؤنس، نفس المرجع السابق، ص207.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، نفس المرجع السابق، ص24.

4 حسين مؤنس، نفس المرجع السابق، ص207.

5 مؤنس حسن، نفس المرجع السابق، ص208.

6 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، نفس المرجع السابق، ص62.

جعل لهذا المسجد وفقاً عشر زوجات والتي تعادل حوالي عشرة هكتارات من الأرض تقع بناحية سيدي يخلف بقرب اسطاوالي غربي مدينة الجزائر العاصمة¹. (أنظر الملحق رقم 01).

ويذكر أيضاً أن الحاكم العثماني في الجزائر الداوي حسين قد قام بتجديده وذلك في سنة 1826م، كما يذكر عبد الرحمان الجيلالي أنه إعادة ترميمه على عهد بابا حسن باشا، وكان ذلك في سنة 1185هـ/1771م²، ثم بعدها يتم إعادة ترميمه للمرة الثالثة وذلك في سنة 1242هـ/1826م³، على يد الداوي حسين مرة أخرى، بحيث نجده يقول في محتوى تجديده هذه لأعمال الداوي حسين: "و من مآثره و خلاله الحميدة المشكورة الباقية على مر الأيام إلى اليوم تجديد جامع والقائد صفر بن عبد الله القائم إلى اليوم بحي القصبه سنة 1242هـ/1827م"⁴، وكذلك يذكر أن من قام بإعادة بناء المسجد وتجديده هو الحاج أحمد الشريف الزهار في محتوى كلامه عن أعمال حسن باشا فيذكر أنه قام ببناء برج باب البحر وطبانة في الصنایجية و كذلك قام ببناء جامع سفير⁵، وتم تجديده لأنه أول من بناه وهذا واضح.

ز الجامع الخارجي (البراني):

✓ موقعه:

نجد موقع هذا الجامع على مستوى المدينة القديمة القصبه الخارجي مواجهاً مباشرة للقلعة من ناحية المدخل، وهو يمتد طولياً بحيث نجد إمتداده الحدود الغربية إلى الحدود الشرقية وكذلك توجد من الناحية الجنوبية والغربية ثكنة عسكرية هي الفاصلة بينهما شارع محمد طالب، ويحده من الجهة الشرقية شارع النصر⁶.

✓ أصل التسمية:

تعود أصل التسمية إلى الفرنسيين وذلك من أجل التفريق بين جامع القصبه الداخلي ومسجد القصبه الخارجي البراني، وغالبا من المجموعات البرانية هي التي كانت تصلي في هذا الجامع لأنها لا

1 مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة لجزائر... نفس المرجع السابق، ص 135.

2 عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافة ،بيروت ،1980، ص530.

3 سعيد بوزينة، المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة منير التراث الأثري، مج2، ع1، أفريل 2013، ص11.

4 عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص530.

5 أحمد الشريف الزهار ، مذكرات أحمد الشرف الزهار ، تح : أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 158.

6 خيرة بن بلة، نفس المرجع السابق، ص74.

تستطيع الدخول للصلاة داخل مسجد القلعة وذلك لأسباب أمنية¹، ويبدو أن مدلول كلمة البراني صفة لموقع الجامع خارج القلعة²، ونجد من بين هذه المجموعات التي تأتي تصلي في الجامع هم البسكرة والأغوطيون والمزابيون والقبائل³. (أنظر الملحق رقم 03).

ويذهب البعض الآخر أن هذا المسجد قد بناه الداوي حسين، وهو الظاهر من خلال اللوحات التذكارية التي وجدت فيه، والتي تذكر اسم الداوي حسين صراحة، ولكن الباحثين يقولون أن هذا المسجد قد بني قبل عهد الداوي حسين، الذي قام بتجديده فقط.

✓ تاريخ التأسيسي للمسجد:

تعود أقدم الوثائق إلى سنة 1064هـ/ (1653-1654م)، حسبما أشار إليه دفو، وهو يشير إلى وجود مسجد صغير وجميل أمام إلى باب القصبة الجديدة، والذي يمكن أنه يكون قد بني في فترة سابقة حسب العقود التي تحصل عليها، ويستدل بذلك بمخطط صغير يصف فيه شكل المسجد وحدوده⁴.

وتم تجديده من طرف حسن باشا آخر دلايات الجزائر (1817-1830م)، بحيث أعاد بناء هذا المسجد وتوسعته، ومن حيث الوصف الخارجي فيظهر في شكله المستطيل وله أربع واجهات منها: الواجهة الغربية وهي الرئيسية، ويوجد فيها المدخل الرئيسي للمسجد والذي يؤدي مباشرة إلى الصحن أي قاعة الصلاة، وأما الواجهة الجنوبية فيتوسطها مدخل ثانوي بينما الواجهة الشرقية تحيط بها بنايات حديثة البناء وفي جزء من هذه الواجهة نجد المئذنة ذات الشكل الهندسي المثلث⁵، وبعد انتقال الإدارة إلى المقر الجديد بقلعة المدينة، وذلك سنة 1234هـ/ 1818م، بحيث تشير الكثير الوثائق إلى عملية التجديد بالإضافة إلى كتابتين أثريتين توجد بأعلى المدخلين⁶.

س مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي:

وهو من أكثر المساجد الشعبية في الجزائر العاصمة، بحيث يحمل اسم الولي الصالح عبد الرحمان الثعالبي⁷. والمسجد الضريحي عبارة عن قبة ترتكز على ثلاثة أعمدة تظهر بها التيجان يحتوي على

1 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 99.

2 خيرة بن بلة، نفس المرجع السابق، ص 74.

3 ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع السابق، ص 99.

4 Devoux (A) ; Les Edifices religieux de l'ancien Alger ,p.234

5 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، نفس المرجع السابق، ص 59.

6 Devoux , Op Cit,p234.

7 عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي أبو زيد: ولد سنة 786هـ/ 1384م بواد يسر، تعلم في بجاية تولى القضاة، ثم تخطى عنه وفضل التعليم والتأليف له حوالي 100 كتاب منها الجواهر في تفسير القرآن في أربعة أجزاء، وقطب العارفين

مصلى وهو الحجرة نفسها التي يوجد فيها الضريح بالإضافة إلى محراب مزين بالخزف والزليج ومئذنة تقع بالزاوية الشمالية الشرقية وهي من أجمل مآذن الجزائر¹.

ش مسجد الداوي:

يطلق عليه بإسم القصبه الداخلي للتفريق بينه وبين مسجد القصبه الخارجي(البراني) ، ويعرف أيضا بجامع الداوي نسبة إلى مؤسسه حسن باشا آخر ديات الجزائر خلال العهد العثماني²، تم تأسيسه خلال سنة 1234هـ³، بحيث يحده من الناحية الجنوبية حمام الجيش ومن الناحية الشرقية مسجد الجيش ومن الناحية الشمالية المطابخ ومن الناحية الغرب قصر الآغا وحمام الداوي بني على مخازن مطابخ الداوي مساحته (317,80م²)، حيث يقع مدخله بالجهة الجنوبية الشرقية وهو مزدان بإطار من الرخام يبلغ ارتفاعه (2,67م) وعرضه (1,45م)، بحيث يتوسط بيت الصلاة قبة من ثمانية أضلاع يبلغ ارتفاعها (10,93م) ترتكز على اثان وثلاثين عمودا من المرمر تشكل قاعدة رباعية مغطاة بقطع من البلاط تأخذ شكل سداسي⁴. (أنظر الملحق رقم 04).

5 الدور التعليمي للمساجد خلال العهد العثماني:

تميزت المساجد في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بمراكز العلم والفكر، وكان لها دور محوري وجوهري من الناحية التعليمية من جهة ومن جهة أخرى تهتم بالجانب التربوي. فكانت تقدم حلقات التدريس فيها ،وبالتالي أصبح عبارة عن مدرسة وثانوية وكذلك جامعة بمفهوم المعاصر، فكان طلبة العلم يجتمعون فيه في حلقات علم مستفيدين من العلماء من حيث مختلف العلوم سواء منها الشرعية وهي التي كانت تستحوذ على أغلب البرامج التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني إضافة إلى الآداب وبعض العلوم الأخرى⁵.

في التصوف، توفي في رمضان 875هـ/1470م، للمزيد انظر: عائشة كردون، ص.76

1 عائشة كردون، المرجع السابق، ص.76.

2 سعيد بوزينة، المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص.22.

3 سعيد بوزينة، تأريخ المبنى بالكتابات التكرارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص.52.

4علي خلاصي، قصبه مدينة الجزائر، ج 2، ط 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007م، ص 16-20.

5عبدالقادر نورالدين، نفس المرجع السابق، ص.207.

وتعتبر المساجد من أهم المنشآت المعمارية، وذلك نظراً للأدوار التي كانت تؤديها فهي تعمل على غرس وتثبيت القيم والأخلاق في نفوس الأهالي¹، ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة وبمناخ ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وصفها أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- بقوله: "أنها قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، والرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنهم يشتركون جميعاً في بنائها"².

ويذهب أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- في حديثه عن المسجد فيقول " ... كان المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعوان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو عبارة القلب النابض للقرية في الريف وروح الحي في المدينة... وفي نظره أيضاً وكان المسجد أيضاً الرابطة بين أهل الريف و القرية و المدينة لأنهم يشتركون في بنائه كما كانوا جميعاً يشتركون في أداء الوظائف فيه، وقد كان تشييد المساجد عملاً فردياً بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد والوقف عليه وحتى ص... يانته"³.

ولم تقتصر المساجد على الجانب الديني وذلك بكونها مراكز للعبادة فقط، بل كانت مركز ومكان للطلب للعلم وللوعظ والإرشاد والتوجيه الاجتماعي وذلك من خلال الخطب التي كانت تلقى فيها⁴، فهي من أهم مراكز الإشعاع الثقافي والفكري في الجزائر العثمانية، حيث أدت دوراً تربوياً تعليمياً من خلال حلقات العلم والدروس⁵، كما أنها أداة للتعليم والتربية، ولا تقصدها طبقة خاصة من المجتمع بل تعتبر مؤسسة شعبية تتصل بعوام الناس على الدوام وتبلغ التعاليم نفسها في كل مكان⁶، وفيها يتم تعليم الفروض الدينية وبع... ض الع... وم الإس... لامية"⁷.

وحسب ماجاء في كتاب غزوات عروج وخير الدين ، بحيث يتكلم المصدر عن وضعية التعليم في مدينة الجزائر في تلك الفترة الزمنية، ويتناول فيها المدارس القرآنية وكذلك يتطرق فيها عن كثرة قرائنها، إضافة

1 سعيد بوزرينة، «المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة منشورات التراث،

مج2 ، ع 1 ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2013، ص 9.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، المرجع السابق، ص246.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص246.

4 محمد دلباز ، نفس المرجع السابق، ص 110.

5 لخضر سعيد بلعربي ، نفس المرجع السابق، ص4.

6 محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص72.

7 أحمد مريوش، وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 12.

إلى الدروس العليا التي تلقى في المساجد والزوايا بشكل عام وخاصة في الجامع الأعظم، تتكون هيئة التدريس فيه حوالي 19 أستاذاً¹، وبالتالي أعتبر الجامع الأعظم بمثابة جامعة آنذاك، بحيث كان مقر للدراسة وكانت المدرسة جزء من المسجد الكبير².

6 أهم الزوايا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

1.6 زاوية عبد الرحمن الثعالبي الجزائري³:

لم تكن تتبع أي طريقة صوفية محددة، ويوجد مكانها عند ضريح الولي الصالح عبدالرحمن الثعالبي، بحيث تكون وتتعد الحضرة بها، وأيضاً أهمية وقدسيتها الضريح، بحيث لا تعود فقط لاهتمام باشوات الجزائر بالضريح، كذلك يتوافد عليها الكثير من الزوار والضيوف وغيرهم، خاصة منهم المظلومين، وأيضاً النساء يبحثن على مساعدة من أجل التخلص أو التخفيف من مشاكل الحياة ومتطلباتها، إضافة إلى ذلك كثرة الهدايا للضريح، ورغبة بعض الناس في دفنهم بتلك الزاوية⁴، وكذلك أصبح معلماً لمدينة الجزائر العاصمة في الماضي والحاضر⁵، بحيث توجد مصادر تاريخية قد أشارت إليه و زاويته، وأكثر من تأليف و من بينهم نجد علي غرار التمكروتي في النفحة المسكية، وكذلك أبي راس الناصري في كتابه عجائب الأسفار وغيرهم⁶. (أنظر الملحق رقم 05).

1 Tall Shuval, La Ville D'Alger Vers La Fin du XVIII eme siècles, CNRS, Edition, Paris, 1998, P ,19.

2 ناصرالدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، نفس المرجع السابق، ص 187.

3 هو زيد عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي بحيث يرجع نسبه إلى سيدنا علي بن طالب رضي الله عنه -، أطلق عليه لقب الثعالبي ويرجع ذلك إلى آباءه وأجداد الذين ينسبون هكذا بالثعالبة، والجزائري نسبة إلى الجزائر بلده الأصلي والمالكي نسبة إلى مذهبه الفقهي المالكي - الأمام مالك-، تعتبر سنة 786هـ ميلاده في نواحي وادي يسر الذي بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، بحيث كانت بداية الحياة العلمية الإمام الثعالبي في سن حديثة من صغره، وبالتالي بدأ يأخذ العلم من مشايخ منطقته وعلمائها أي من وادي يسر، ثم توجه إلى بجاية حوالي سنة 805هـ/1399م، بحيث لازم وجالس مجالس علمائها فأخذ عنهم علماً ليس بقليل، ثم بعدها توجه نحو تونس سنة 809هـ-1460م وتلقى هناك ثلثة من أكابر العلماء فانتفع بهم، وانتقل إلى بورصة من بلاد الترك، وهناك أقيمت له زاوية، وتعتبر وفقاً عليه إلى أنه توجه إلى الحجاز فحج وأخذ عن علمائه ثم عاد إلى مصر ثم تونس سنة 819هـ/1416م، لمزيد أنظر إلى: خليل الزاوي، ميلود عمارة، قواعد الترجيح عند الإمام الثعالبي من خلال تفسيره الجواهر الحسان، Annales de l'université d'Alger، مج 35، ع 2، جوان 2021، ص 737.

4 صباح بعاريسية، مواقف الحكام والعلماء من المتصوفة...، نفس المرجع السابق، ص 73.

5 يومدين أولاحي، التصوف والمتصوفة قراءة تطليلية للواقع الاجتماعي بالجزائر عهد الدايات (م 1830/1671م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2020-2021، ص 67.

6 نفسه، ص 68.

2.6 زاوية الجامع الكبير:

تقع في باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير مشتملة على مسجد بدون منارة، وأيضاً مدرسة صغيرة: كما كانت تحتوي على طابقين يضمن عدداً من البيوت مخصصة للعلماء من عابري السبيل أو حتى الفقراء الذين لا مأوى لهم، بحيث ملاحقها للجامع الكبير، فقد كانت مستقلة عنه وكان لها مسجد صغير بها بدون منارة للصلاة يصلي فيه طلبة العلم والساكنون، وكانت الزاوية عبارة عن مدرسة عليا ومسكن للعلماء وملجأ للفقراء، تتألف من طابقين من الغرف ومطهرة لبا عمومية وعيون جارية وكان بناء الزاوية بتاريخ 1039هـ/1629م، على يد مؤسسها الشيخ سعيد قدورة عالم الجزائر ومفتيها في تلك الفترة الزمنية¹.

3.6 زاوية الأندلس:

تم تأسيس هذه الزاوية خلال القرن الحادي عشر الهجري 1033هـ/1623م وكان ذلك استجابة للنزوح الأندلسي اتجاه إلى بلاد المغرب، وكان لهذه الزاوية مسجداً أيضاً بنفس الاسم وهو خاص بأهل الأندلس. بحيث كان موقع الزاوية في شارع بورو لها أوقاف كثيرة وهي غنية².

4.6 زاوية أحمد بن عبد الله زاوي:

يعد من صلحاء القرن التاسع الهجري وهو صاحب المنظومة الجزائرية وتحتوي زاويته إقامة للعلماء، وتقع بنهج الأندلس بالجزائر وقد أسست هذه الزاوية سنة 1623م لتحفيظ القرآن وتعليم الكبار مع صلى من أجل الصلوات الخمس، وكان يشرف على تسييرها الشيخ محمد الإيلي وبقت هذه الزاوية حتى سنة 1843م³.

5.6 زاوية سيدي محمد الشريف:

يعد محمد الشريف من الأولياء الصالحين المكرمين في مدينة الجزائر العاصمة، توفي سنة 948هـ/1541م كما يظهر ذلك التسجيل القريب من ضريحه. وقد كان يقوم ويشرف على هذه الزاوية وعلى الأوقاف الكثيرة المخصصة والتابعة لزاوية، لها وكيل بمساعدة شاوش، وكلاهما كانا من الأندلسيين، وكانت زاوية الأندلسيين تقدم مساعدات للفقراء والمساكين والمعوزين الذين تثبت نسبهم إلى جماعة

1 أشرف صالح محمد سيد: المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد التركي، نفس المرجع السابق، ص 69.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 نفس المرجع السابق، ص 116..

3 بولجويجة سعد، محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي

1945 قالمة، 2019-2020، ص 100.

الأندلسيين، وشجعتهم في ذلك السلطة وتعاطفت معهم، وكان إنشاء الزاوية، أو المدرسة، أو المسجد من طرف هؤلاء الأندلسيين دافعا لتخصيص المزيد من الأوقاف لينفق دخلها على المشرفين على تسيير شؤونها، حيث بلغت حسب ما ذهبت به بعض الإحصاءات نحو ستين مؤسسة وقف.

أما بالنسبة للرباطات، فهي تشبه الزوايا من بعض الجوانب، فهي تسهر كذلك على خدمة الدين والأهالي، ولكن الرباطات كانت تمتاز بأنها قريبة من موقع الأعداء أي دورها عسكري نسبياً، وأن تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام والمسلمين، مع أداء مهمة العلم أيضاً، وبالتالي لها ازدواجية المهام عسكرياً وعلمياً. وكانت الرباطات في العهد الأول منتشرة على السواحل التي أقام بها الأعداء، وكان الطلبة جنوداً وعلماء في نفس الوقت، فالرباطات تعد قلاعاً من جهة، وزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى، ومنها زاوية الشيخ محمد بن علي الجاجي، التي اشتهرت بكونها زاوية ومدرسة ورباطاً¹.

7 الكتابات والمدارس في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

لقد كان دور المساجد، والجوامع، وأيضاً الزوايا بمثابة مركز للعلم والتعلم وتدريب الطلبة، حيث كان التعليم في مدينة الجزائر يعتمد عليها، إذ كانت المساجد تؤدي العديد من الأدوار، إلى جانب كونها مكان للعبادة، فقد كانت بمثابة مدارس قرآنية، ومن المعلوم أن المساجد كانت من أقدم الأماكن في العصور الإسلامية لأداء الصلوات والعبادات، والتعليم وإلى جانب هذه المساجد والزوايا كانت توجد في مدينة الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، والقرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مدارس للأطفال تعرف بالكتاتيب أو بما يعرف بالمدارس القرآنية، تؤدي نفس الدور. وقد تحدث "الجامعي الفاسي" في رحلته عن الكتابات القرآنية في مدينة الجزائر، فقال: "... وقد كان بهذه الحضارة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج. ويتعلمون القراءة، والكتابة، ويحفظون القرآن العظيم، وحفاظه كثيرين والدروس العليا وتلقى في المساجد والزوايا العديدة بالخصوص الجامع الأعظم فكان فيه تسعة عشر أستاذاً²، حيث كانت هذه المدارس مخصصة لإلقاء الدروس بها، وعرفت طريقها للانتشار في المناطق الحضرية³. بحيث لوحظ نمو المدارس وتكاثرها خلال العهد العثماني وكان يقوم على التدريس في هذه المدارس على مجموعة من العلوم الدينية واللغوية والأدب والفلسفة والطب وغيرها من العلوم، كما كانت في مدينة الجزائر

1 أشرف صالح محمد سيد: المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد التركي، نفس المرجع السابق، ص 68.

2 الجامعي الفاسي، رحلة الجامعي الفاسي/ نقلاً عن مولاي بلحميس، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية. - وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية/ العدد الثامن. - الجزائر، 1972، ص 62.

3 عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني. - تونس: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسية والتوثيق والمعلومات، 1990، ص 1993.

المدارس الابتدائية في المدن وحتى القرى المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال من سن الخامسة والسادسة فصاعداً حيث يجب أن يتعلمون حفظ القرآن والكتابة¹.

وكانت هناك أيضاً المدارس الابتدائية - إن صح الوصف - التي لا يخلوا حي من الأحياء منها ولا قرية من القرى في الريف، وكانت منتشرة بين أهل البادية والريف والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع الذين جاءوا للجزائر خلال العهد العثماني ينبهون من كثرة المدارس فيها، وانتشار التعليم بها وهذا يعكس طبيعة الواقع الثقافي في الجزائر تلك الفترة الزمنية²، وقلة الأمية بين الأهالي، وكانت كذلك الأوقاف تلعب دوراً هاماً في انتشار المدارس ونشر التعليم³، أما بالنسبة للمدارس الابتدائية والثانوية، فالأقوال متضاربة حول عددها في مدينة الجزائر، بحيث كان هناك من يدخل الزوايا والمساجد في عدادها لهذا كان هناك تضارب فيه⁴.

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- أن الباشوات يشتركون مع الأهالي في بناء المدارس ، وقد ذكر جملة من الأعمال الخيرية التي قام بها خضر باشا⁵ الذي أسس مكتب خصصه لتعليم وجفظ القرآن، وهو المكتب الذي وسعه الباشا إبراهيم خوجة فيما بعد، وقد ألحق بجامع الباشا محمد بن بكير بجامع عبدي باشا، وكان الباشا محمد بن محمود هو الذي أنشأ مدرسة لتعليم القرآن للأطفال المسلمين. وكانت مؤسسة التعليم الابتدائي تخضع في أهدافها لرغبة الواقفين ذلك أن بعضها كان لتعليم القرآن وتربية أطفال الأهالي وبعضها الآخر كان خاصاً بخدمة مذهب أو جماعة معينة، ورغم هذا فإن المدرسة الابتدائية كانت هامة فهي تتقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد. وقد ذكر الكاتب أيضاً ما كان مندرجاً في تلك الحقبة اختلاط في وظيفة المدرسة والزوايا والجامع في ميدان التعليم، فقد كانت بعض المساجد التي ذكرناها في عهد الباشوات نفسها تقوم بمهمة التدريس والتعليم، ولم

1 زهرة دياب بزويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني، مجلة المعارف الإسلامية، مج21، ع1، جوان 2021، ص 176.

2 أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 15.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 174.

4 نفسه، ص 275.

5 الخضر باشا هو ثاني باشا من عهد الباشوات الثلاثون الذين حكموا إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، بحيث تولى الحكم في الجزائر على ثلاث فترات: الفترة الأولى (1589-1592)، الفترة الثانية (1595-1596) والفترة الثالثة (1603-1605)، للمزيد أنظر إلى: خير بن بلة، حكام الجزائر في العهد العثماني من خلال الكتابات الأثرية، مجلة الدراسات التاريخية، مج2، ع15، 2016/12/2، ص 11.

تكن بالجزائر العثمانية مدرسة مستقلة للتعليم المحض بالمعنى الذي نفهمه اليوم. إن أغلب المدارس التي وجدت تعود إلى القرن ثاني عشر فمن المدارس الموجودة في العاصمة والتي أكملت مسارها التعليمي في عهد الباشوات (المدرسة القشاشية، ومدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد) وأيضاً كما سبق ذكره من قبل أن الجامع الكبير ومختلف المساجد الأخرى كانت بمثابة منارات علمية و تعليمية¹.

أما بالنسبة للكتاب، فكان دورها استظهار كتاب الله الكريم وحفظه، وهي أول مركز يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل، والقلم والقصب، وتكون هذه الكتابات غالباً في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين، وأيضاً بجوار بعض المساجد التي لا تقام فيها إلا الصلوات الخمس²، وطريقة التعليم في الألواح الخشبية، بحيث كان لكل تلميذ لوحته الخاصة به، حتى تسهل عليه كتابة القرآن فيها، ومحو الحروف منها، وكانت تتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية، والسور، وبعد أن يحفظ التلميذ ما في اللوحة كان يقوم بعملية ترنيلها على مسامع معلمه المدرس له والجالس أمامه على حصيرة³.

وإلى جانب الكتابات كانت هناك المدارس العليا، وهذه الأخيرة كانت متصلة بالمساجد، فكثير ما كانت تلقى فيها الدروس العلمية والدينية على وجه الخصوص، والتعليم فيها كان يتلخص في الأدب، والفقهاء المالكي، والحنفي، ثم التوحيد. وكان هذا التعليم خاصةً من حفظ الفئات الميسورة، فقد كان يتخرج منهم المدرسين، والعلماء، والفقهاء، والمفتين، والقضاة، وكانت الشهادات الممنوحة في تلك الفترة تعرف بالإجازات التي كانت تثبت كفاءتهم في التحصيل العلمي⁴.

والجدير بالذكر أن لمدينة الجزائر علماء، وأدباء وشعراء ومتصوفة مشهورين كانوا مقصدًا لكثير من الدارسين والطلبة من داخل البلاد وحتى من خارجها، ومن أمثال ذلك ابن زكوار الفاسي⁵، الذي اجتمع في مدينة الجزائر بعدد من علمائها سنة 1093هـ/1683م وكان علمائها ممن يهاجرون ويتجهون نحو بلاد المشرق من أجل طلب العلم من شيوخها و علمائها. ويمكن الإشارة هنا في هذه الفترة الزمنية خاصة خلال العهد العثماني؛ كانت السلطة وكذلك الحكام والموظفين لهم دور كبير في تأسيس وكذلك فتح المدارس والكتاتيب في مدينة الجزائر العاصمة، ودعمها بالمخطوطات وكذلك بالكتب، إضافة إلى ذلك

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 276-283.

2 محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، نفس المصدر السابق، ص 272.

3 عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر: نشأتها وتطورها قبل 1830، نفس المرجع السابق، ص 272.

4 عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص 272.

5 هو محمد بن قاسم بن الواحد بن زاكوار الفاسي أبو عبدالله أديب فاس في عصره، ولد سنة 1664م، له ديوان شعر أسماه الروض الأريض، وتوفي سنة 1708م، للمزيد أنظر إلى: مجهول، رحلة ابن زاكوار الفاسي المسماة: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع - الحراش - الجزائر، 2011، ص 13.

كانوا يساهمون في دعمهم للجانب العلمي من أجل تعليم أطفالهم، فالعلم في تلك الفترة كان تعليم حر أي الجزائريين هم الذين يساهمون ويشرفون عليه بشكل كبير في هذا المجال، أما بالنسبة للسلطة لم تهتم به بشكل منظم إلا اجتهادات بعض الحكام الذين كان لهم الدور في تنشيط الحركة العلمية.

8 الأوقاف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

✓ تعريف الوقف لغة:

الوقف هي كلمة مقتبسة من المصدر وقف، بفتح الواو وسكون القاف¹، أي بمعنى الحبس ويقصد به أيضاً التسبيل والمنع ويقال وقف الشيء أي حبسه ومنعه، ويقال أيضاً وقفت الأرض أقفها وقفا وقد أطلق معنى الوقف من الناحية اللغوية على عدة معاني متعددة: الحبس²، والتسبيل، وكذلك الإمساك ومكوث الأصل³.

الوقف جاء بفتح الواو وسكون القاف، ومصدر وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه. وتجمع على أوقاف ووقوف. ويطلق عليه وفقاً لما فيه من حبس المال على جهة خاصة.

✓ الوقف اصطلاحاً:

جاء بمعنى حبس العين وتسبيل ثمرتها أي حبس العين والتصدق بمنفعتها في سبيل الله، وجعل فيها المنفعة من أجل فعل الخير⁴، أو بمفهوم آخر هو وقف الأرض على المساكين أي حبسها وجعلها من أجل البر وكذلك الإحسان⁵.

كما يعرفه أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- بقوله: "الوقف أو الحبس هو نظام إسلامي له أهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية كبيرة في المجتمع وقد استحدث من قبل المسلمين لتوفير المال، والسكن

1 محمد محمدي، «العائدات الوقفية وإسهاماتها في المجالات العلمية والثقافية بالجزائر إبان العهد العثماني (1516-1830)»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج7، ع1، مؤسسة كنوز الحكمة، 2019، ص9.

2 ما يجب التنويه إليه أن مصطلح الوقف أو الحبس لهما نفس المعنى لغوياً واصطلاحياً، إلا أننا وجدنا مصطلح الحبس أكثر تداولاً في الوثائق الأرشيفية الخاصة ببايلك التيطري، لأن كلمة الأحباس حسب رأي ناصر الدين سعيدوني هي اللفظة المتداولة في أقطار المغرب العربي. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية...، ص229.

3 أبو بكر حبوسة، «دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر»، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج7، ع4، جامعة تامنراست 2018، ص ص502-503.

4 وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ والآثار جامعة الحاج لخضر، باتنة1، 2016-2017، ص18.

5 مليكة حنيش، «قراءة سوسولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية»، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج4، ع1، جامعة حسيبة بن بوعلي-شلف جوان 2017، ص288.

تقديم المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء والغرباء والأسرى واللاجئين، وصيانة المؤسسات التي أنشئت لهذه الأغراض كالماء والمساجد والطرق والزوايا والقباب¹.

ونجد ناصر الدين سعيدوني يوضح بأن الوقف هو : " أنه عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية، يقوم على توفر الواقف الذي له أهلية التبرع بما يملك من ذات أو منفعة وعلى وجود الموقوف، وهي المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس، فضلاً على توفر الموقوف عليه، وهو المستحق لصرف تلك الذات أو المنفعة، ولو كان مصلحة عامة كالمسجد والمدرسة والزاوية وغيرها، مع اشتراط صيغة الوقف ولو كانت بكتابة على مسجد أو مؤسسة خيرية².

كما يقصد بالوقف جعل منفعة عقار مملوك سواء كان ملكية رقبة أو منفعة لشخص أكثر مستحق ، بصفة دالة على التحبب ومدة ما يراه المحبس³.

1.8 أهمية الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني :

يعد الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، فهو يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع وخاصة منهم الفقراء، وقد تطور الوقف خاصة في العهد العثماني، نتيجة لاعتبارات سياسية واقتصادية وحتى اجتماعية، وكانت الجزائر من بين هذه الدول الإسلامية التي شملها هذا التطور. ويقوم الوقف على مبدأ شرعي، وعلى صيغة قضائية ملزمة، وللوقف كذلك صيغة شرعية يستند عليها، ويلتزم باحترامها الواقف، وأهله والمستفيدون منه، وهذه الوثيقة إذ لم تكن محل احترام دائم، فقد يسيء الوكيل التصرف في هذا الوقف، وقد تتدخل الدولة فتحول فوائدها إليها، ولذلك كان إهمال الأوقاف محل شكوى من المسلمين، وخاصة رجال الدين. وللوقف نظام داخلي خاص ودقيق وحساس، فالوكيل هو المشرف الرئيسي عليه، وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط، وهو المسئول على تنمية الوقف واستعماله في الأوجه المحددة له، وكان الباشا هو الذي يعين الوكيل انطلاقاً من مواصفات معينة مثل الأخلاق الفاضلة، الزهد والعلم، والسمعة الطيبة بين الناس⁴.

وقد عرفت مؤسسة الوقف انتشاراً واسعاً، وبالخصوص أثناء العهد العثماني، وذلك بفعل الوازع الديني والاجتماعي والاقتصادي، وحظيت بالرعاية والمحافظة على مداخلها، وتوجيهها لسد المتطلبات

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج5، ص 152.

2 ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية...، نفس المرجع السابق، ص 230.

3مصطفى أحمد بن حموش المرجع السابق، ص 59.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 227-228.

الاقتصادية والخدمات الثقافية الاجتماعية، وعرفت أيضاً تنظيمًا محكمًا تمثلت في المؤسسات الدينية التي يعود إليها الوقف، والهيئة التشريعية التي تراقبه، وجهاز التنفيذ الذي يتصرف فيه. وهناك أنواع للمؤسسات الدينية صاحبة الوقف نذكر منها¹:

بحيث نجد أن الأوقاف في الجزائر أثناء العهد العثماني تتوزع على الكثير من المؤسسات الخيرية وبالخصوص ذات الطابع الديني، بحيث تمتلك الشخصية القانونية، وايضا سلم إداري خاص بها، وهذا يعكس مدى نشاط المؤسسات التي كانت تقوم بتنظيم الجانب الوقفي في الجزائر خلال العهد العثماني.

2.8 نماذج من الأوقاف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

أ مؤسسة الحرمين الشريفين:

تعتبر من أقدم المؤسسات الوقفية فهي تعود إلى ما قبل الوجود العثماني في الجزائر، وتمنح أموال أوقافها إلى فقراء مكة المكرمة والمدينة والمنورة، فتوجه تارة بالبر مع قافلة الحجاج وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إسلامية أو حتى نصرانية، ومنها إلى الحرمين الشريفين²، وقد حظيت مؤسسة الحرمين بأغلبية الأوقاف في مدينة الجزائر تقريبا في حدود ثلاثة أرباع 3/4 من الأملاك الوقفية في تلك الفترة الزمنية³، حيث استمدت أهميتها من المكانة المهمة التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الأهالي الجزائريين، الذين أوقفوا عليها كثيرا من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي تقوم بها، فهي تقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها، بحيث تتكفل بإرسال حصة من مداخيلها إلى فقراء الحرمين في بداية كل سنتين، وكذلك كان يوكل إليها حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة من مساجد مدينة الجزائر، حيث كانت تشرف على حوالي ثلاثة أرباع الأوقاف كلها، وهذا ما تثبته بعض التقارير الفرنسية التي تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث تؤكد بأن أوقاف مؤسسة الحرمين كانت تستحوذ على الحصة الأكبر من الأوقاف خارج مدينة الجزائر، فمن هذه التقارير ما أورده "Genty de bussy" من أن أوقاف الحرمين كانت تقدر بـ 1373 ملكا منها 70 ضيعة يشرف عليها مباشرة وكلاء الحرمين. أما قنصل فرنسا Vallière فقد ذكر أن كل بيوت الجزائر وما يحيط بها من

1 رحمة قليل، نفس المرجع السابق، ص20.

2 l'Intendant, M.Rapport sur l'administration des corporation religieuses à Monsieur l'Intendant Civil Alger, F80/1082, Aix en province: A.O.M.1837, p12

3 Nacereddine Saidouni, le waqf en Algérie a l'époque ottoman, série de livres 4, Koweït: Kuwait Awqaf Public Foundation, 2007, p101.

أراضي فتعود لأحباس الحرمين الشريفين عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر¹، وفي هذا السياق يذهب دوفو الذي يقدر عدد الأوقاف بحوالي 1558 وقف قبل الاحتلال الفرنسي².

ب مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

وهي من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها ونجدها تحتل المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين ولعل هذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية والدينية، ولقد كانت أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر حوالي 550 وقفا كانت تشمل على المنازل والحوانيت والضيعات وغيرها، ويعود التصرف فيها للمفتي المالكي الذي يوكل أمر بتسيير شؤون الأوقاف إلى الوكيل العام الذي يعاضده وكيلان وكانت تصرف عائدات أوقاف الجامع الأعظم على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والقيمين إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات³.

ت مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية:

تعتبر هذه المؤسسة الوقفية ذات الطابع الخيري، بحيث كانت تخضع للأحناف، وللاشارة هنا أن مؤسسها هو شعبان خوجة سنة 999هـ/1590م، واتجه نشاطها إلى المشاريع الخيرية العامة كإصلاح الطرقات ومد قنوات الري وإعانة المنكوبين والفقراء، وذوي العاهات وتشديد المساجد والمعاهد العلمية وشراء الكتب ووقفها على طلبة العلم وأهله، وكانت مهمتها إدارة وصيانة أملاك ثمانية مساجد حنفية أهمها " الجامع الجديد "، كما كانت تسيير أوقاف سبل الخيرات إدارة منظمة تضم أحد عشر عضوا بينهم ثمان مستشارين منتخبين، و ناظر أو وكيل أوقاف المؤسسة وكاتب ينظم عقود هاته المؤسسات⁴.

أما بالنسبة لأملاكها فقد قدرت بثلاثة أرباع الأوقاف العامة، بحيث تم إحصاء حوالي 92 حانوتا يرجع لمؤسسة سبل الخيرات، كانت منها ثمانية مستغلة من طرف اليهود، وقدرت مداخيلها السنوية

1 Genty De Bussy, P. de l'établissement des français dans la régence d'Alger et des moyens d'en assurer la propriété , paris: Typographie de Firmin didot frères, 1839, p 343.

2 Albert Devoux , Notice sur les corporation religieuse d'Alger accompagnée de documents authentique et inédite, Alger: Typographie Bastide, 1862, p5.

3 خيرة صافة، التأسيس الفقهي والتكوين التاريخي للوقف، مجلة الفقه القانوني والسياسي، مج3، ع2، أكتوبر 2022، ص10.

4 فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص328.

الاجمالية قدرت حوالي 4455ريالا، ضف إلى ذلك أنه كان لمؤسسة سبل الخيرات أربع مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية 156 ريال إضافة إلى حمامين غلتها السنوية 165 ريال¹.

ث أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد المعروفة لدى للإدارة الإسلامية بالجزائر التي حضيت بدعم مادي ومعنوي خلال الوجود العثماني في الجزائر وأصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل ويطامى والفقراء وحتى الأسرى منهم²، بحيث كانت تصرف هذه الغنائم والتي تعود إلى خزينة الدولة، كما كان دورها الاهتمام بشؤون الخراج وشراء العتاد وغيرها، إضافة أنها تشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشبيد أماكن الخاصة بالعبادة، كما كانت تهتم بالأماك الشاغرة، كما تتولى تصفية التركات وتحافظ على ثروات الغائبين وأملاكهم³، كما تقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى من الفقراء وأبناء السبيل ومنح الصدقات للمحتاجين وغيرها⁴.

ج مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

تأسست هذه المؤسسة الوقفية بعد محنة الأندلسيين ومن طرف أغنياء الجالية الأندلسية، وترجع أولى ظهور هذه المؤسسة سنة 1572م⁵. فقد كان أغنياء الجالية الأندلسية يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من الهجمات الاسبانية التي كانت تلاحقهم إلى السواحل المغربية. وفي هذا السياق يذكر أبوالقاسم سعدالله -رحمة الله عليه- أن الأندلسيون كانوا يتمتعون بمكانة استثنائية ومميزة في المجتمع الجزائري، وخصوصا عند العثمانيين حتى أن بعضهم كان يعين على أوقاف حنفية مثل حميدة الأندلسي⁶.

ح أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف:

تعود أحباس هذه المؤسسات الوقفية المستقلة عن بعضها إلى أضرحة بعض الأولياء الصالحين والأشراف وكذلك المدارس التي اسسوها في حياتهم، وكانت تتوزع على 09 أضرحة، 08 منها تقع داخل

1 فاطمة سيدهم، علاقات دابات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص329.

2 أحمد مريوش نفس المرجع السابق، ص49.

3 عبدالرزاق بوضياف، إدارة أموال الوقف وسبل استثماره في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، أطروحة دكتوراه، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2006-2007، ص21.

أحمد مريوش نفس المرجع السابق، ص 494

5رحمة قليل، نفس المرجع السابق، ص23.

6 أبوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، 240.

المدينة، وواحد هو ضريح سيدي عبدالرحمن الثعالبي، وتتمثل مهمة هذه الأحياس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، وكانت فوائضها تعود على فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال، بحيث كانت كثيرة في مختلف المدن وبالخصوص منها مدينة الجزائر العاصمة، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك فتكونت بذلك لكل منها ملكية. وأشهر هذه المؤسسات الوقفية تلك التي ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتي بلغت احباسها 69 وقفاً، وقدرت مداخيلها بحوالي 6000 فرنك فرنسي¹.

وقد أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة مثل الطرقات والدنايا والسواقي والأقنية، وكل هذه المرافق كانت تحظى بالكثير من الأوقاف ويقوم عليها وكلاء وشواش يعرفون بأمناء الطرق والعيون وكذلك السواقي².

خ مؤسسة الأوجاق: أوقاف الجند والثكنات:

تعد هذه المؤسسة من الثكنات السبع الموجودة في مدينة الجزائر العاصمة أوقافها الخاصة بها، بحيث ترجع مداخيلها إلى العساكر الذين يقيمون في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و300 رجل للغرف الصغيرة وما بين 400 و600 للغرف الكبيرة. ويعود اصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الوقف³، ولكن نجد أن الجند يحصلون على أجورهم من الباشا فقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية كالهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرف الوقفية، هؤلاء الوكلاء يتم تعيينهم من طرف مقيمي الغرف ودون تدخل السلطات المحلية مما يوحي حرية القرار في المؤسسة الوقفية الأوجاق واستقلاليتها عن السلطة المحلية⁴.

ولكي نأخذ فكرة واضحة عن مختلف أوقاف المؤسسات الوقفية ونتعرف على مدى أهمية نفقاتها والفوائد التي

توفرها نشبت الجدول التالي:

أوقاف أهل الأندلس	أوقاف سبل الخيرات	أوقاف الحرمين الشريفين	السنة
-	9750,40	105701,15	1836

1 خيرة صافة، نفس المرجع السابق، ص12.

2 فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص331.

3 نفسه، ص331.

4 نفسه، ص331.

3870,80	13341,27	109895,99	1837
3978	13903,70	109937,25	1838
4141,24	12192,709	143068,62	1839
3384,20	12712	166495,25	1840
2775,20	10615,55	177268,91	1841
18734,20	72515,61	812367,17	المجموع

جدول 01: مصاريف أوقاف بعض المؤسسات الوقفية حسب تقرير المدير المالي للإدارة الفرنسية بالجزائر بتاريخ 1842/09/30 مقدرًا بالفرنكات.

المصدر: مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، العدد 90/89، جانفي/فيفري 1981.

وبالتالي مما سبق وحسب المعطيات السابقة الذكر تعكس مدى كثرة الوقف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بنوعها الأوقاف الحنفية والأوقاف المالكية، وهذا يعكس الصورة المزدهرة للواقع الحياة الثقافية والاقتصادية بشكل عام والحياة الدينية بشكل خاص.

9 المكتبات:

تذهب الكثير من الدراسات أنه كان يوجد الكثير من المكتبات في الجزائر قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر، وكما نجد أن أبنائها هم الذين حافظوا عليها¹، لقد كانت الجزائر خلال العهد العثماني في مطلع الدول من حيث كثرة الكتب والمكتبات²، وفي هذا السياق يؤكد التمغروطي أن مدينة الجزائر في أواخر القرن 10هـ/16م كانت غنية بالكتب والمكتبات ولا ينافسها بلد آخر، وبالخصوص كتب الأندلسيين وذلك بعد

¹ مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، تمج4، ع2013، ص437.

² أشرف صالح محمد السيد، نفس المرجع السابق، ص71.

ضغط الإسبان على الأندلسيين وهجرة أهلها إلى الجزائر خاصة¹، كانت موزعة بين أنحاء الجزائر من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم المختلفة، وحسب أهمية المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان²، فمثلما اشتهرت هذه المدن بكثرة مراكزها الثقافية اشتهرت أيضاً بمكتباتها، فوفرة الكتب تدل على اهتمام الجزائريين بالعلم فالكثير من العائلات المكتبات العامة كانت تملك مكتبات خاصة بها تتنافس أحيان المكتبات العامة³، حتى خصوم العثمانيين الفرنسيين الذين هاجموا العثمانيين على أنهم لم يهتموا بالجانب العلمي والثقافي في الجزائر⁴، فذهب الفرنسيون يجمعون هذه الكتب والمخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية التي وقعت في أيدي الاحتلال، وحتى البعيدة منها فقد وصلها الفرنسيون لاقتناء كتبها مقابل أثمان زهيدة، أو عن طريق بعض الهدايا أو نهبها⁵، فقد اندهشوا من كثرة الكتب التي وجدوها في مختلف المدن الجزائرية ونذكر على سبيل المثال من الفرنسيين الذين كلفتهم سلطة الاحتلال بجمع الكتب والمخطوطات منهم: دي سلان⁶، وأديان بيريرجر وشارل فيرو⁷.

1 أبوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، نفس المرجع السابق، ص286.

2 مؤيد محمود حمد المشهداني، نفس المرجع السابق، ص439.

3 خوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر...، نفس المرجع السابق، ص146.

4 أبوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، نفس المرجع السابق، ص285.

5 حميد آيت حموش، نفس المرجع السابق، ص13.

6 اسمه الكامل ماك جوكان دي سلان وشهرته البارون دسلان le Baron de Slane (1801-1879)، وهو مستشرق فرنسي من أصول إيرلندية جاء إلى الجزائر بعد الاحتلال مباشرة، بحيث أصبح الشخصية البارزة في مدرسة الاستشراق الفرنسي الكلاسيكية، سمي مترجماً رئيساً في الوزارة الحربية الفرنسية، وكان يتقن العربية بشكل جيد في أوربا قاطبة، ومن رواد المؤسسين للمؤسسة التاريخية الجزائرية، للمزيد أنظر إلى: أحمد بوسعيد، البارون دسلان (De Slane 1879-1801م) وحركة نشر المخطوط الجزائري، روفوف، مج5، ع1، مارس 2017، ص138.

7 زكية منزل غرابية، دور الوقف في نشر العلم خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الانسانية، ع2009، ص14، ص10.

ثانياً: واقع الحياة الثقافية في بايك التيطري مدينة المدية أنموذجا.

1 الجذور التاريخية لتأسيس بايك التيطري:

يعود تأسيس بايك التيطري¹، مع مطلع القرن السادس عشر وذلك بسبب التحولات السياسية التي عرفتتها مدينة الجزائر، وذلك بعد مجيء العثمانيين إلى الجزائر كل من الأخوة "عروج" و"خير الدين" بربروس اللذان استجابا لطلب المساعدة من أجل حماية أهالي مدينة الجزائر العاصمة . وقد كان السبب الرئيسي الذي دفع بهؤلاء إلى طلب النجدة من الأتراك هو بسبب الحملات والهجمات المتكررة والمتواصلة الاسبانية على السواحل الجزائرية منذ مطلع القرن السادس عشر ميلادي²، بحيث لم يكتف الأاسبان باحتلال المدن فحسب، بل عملوا على التدخل بصفة مباشرة في الصراع السياسي الداخلي الذي وقعت فيها مملكة تلمسان والذي كان يشكل تهديداً مباشراً على المنطقة بشكل عام والناحية الغربية بشكل خاص³.

وبعد الاستقرار العثماني في الجزائر أصبح هذا الأخير يشكل حاجزاً وحجراً أمام الاحتلال الاسباني في كل المغرب حاول هؤلاء القضاء على السلطة الجزائرية الحديثة والفتية في الجزائر، وبالتالي بدأوا يعززون مواقفهم ويوجهون الكثير من الحملات البحرية المستمرة نحو السواحل الجزائرية، وبعد تولي خير الدين، خاصة بعد مقتل أخيه عروج⁴، وبالتالي نتيجة هذه الظروف المتداخلة والظروف الصعبة التي شهدتها المنطقة كان

1 بايك التيطري وعاصمته المدية، يُعتبر أصغر البايكات وأفقرها وأكثرها إرتباطاً بالسلطة المركزية. نُظِم في عهد حسن باشا بن خير الدين (1540-1552م)، يحدّ هذا البايك من الشمال الأطلس البلدي، ومن الجنوب الأطلس الصحراوي ومن الغرب الشلف ومن الشرق جبال ونوغة، أنظر إلى تعليق: قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايك الغرب 1711-1830م معسكر ومازونة نموذجا، نفس المرجع نفسه، ص 2.

2 مريم شارف، لخضر بن بوزيد، انعكاسات السياسة الضريبية على قبائل بايك التيطري أواخر العهد العثماني، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج 18، ع 2، جوان 2022، ص 786.

3 مولاي بلحميسي، مدينة المدية عبر العصور، في تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، إعداد وتعليق عبد الرحمن الجيلالي، الجزائر، 1978، ص 225.

4 فائزة بوشيبية، بايك التيطري من خلال الارشيف العثماني... نفس المرجع السابق، ص 13.

عليه ان يتصل بالاستانة، من أجل للحصول على الإمدادات اللازمة وبالتالي كان هو الدافع لكتابة أول رسالة من أهالي الجزائر سنة 1519م إلى السلطان العثماني بالاستانة ليطلعوه فيها على وضعهم الصعب والخطير خاصة وان الاسبان كانوا قد اتخذوا من حصن البنيون قاعدة عسكرية تهدد امن المدينة وأهلها.

عمل العثمانيين بتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة وكانت بدايتها بالقضاء على سلطة الثعالبة¹، في الجزائر، ثم توجهوا غربا فاختصوا إمارة تنس، ودخلوا تلمسان سنة، 1517م، بحيث لم تتجح تلك المحاولة الأولى وذلك بسبب التحالف الزياني الاسباني، فان الحرب لم تضع أوزارها حتى سقطت تلمسان نهائيا سنة 1555م وبعد أن ألحقت سنة 1522 المناطق الباقية بسلطة الجزائر بما فيها مدن القل وقسنطينة وعنابة وبجاية بعد تحريرها في 1555م ولم ينتهي الصراع مع الاسبان إلا بعد خروج قواتهم نهائيا من المرسى الكبير ووهران سنة 1792.²

تثبت الدراسات والأبحاث التاريخية الحديثة أن منطقة المدية وما جاورها، كانت منطقة مأهولة ومعمورة بالسكان، ولم تكن فارغة ومهجورة في الأزمان الماضية، لا يمكن لأحد أن ينفي أن الرومان هم من أسسوا ابتداء مدينة المدية، غير أنها لا يمكن إنكار الآثار الرومانية التي احتفظت بها المدينة وضواحيها .

وعند مجيء الفتح العربي الإسلامي للجزائر، وتأسس الدولة الفاطمية أواخر القرن الثالث هجري العاشر ميلادي، حيث طلب من بلكين ابن زيري بن مناد يشيد مدينة المدية، إذ صارت مدينة المدية قلعة حربية.

1 الثعالبة: هم من عرب المعقل، الذين قدموا إلى المغرب مع بني هلال وسليم، وتقلوا بين أنحاء بحثا عن مناطق الصالحة لرعي مواشيهم، شأنهم في ذلك شأن أبناء عمومتهم ذوي عبيد الله وغيرهم من العرب البدو، ويبدو أن الثعالبة اتجهوا على التلؤل الشرقية نحو الغرب، فدخلو من ناحية كزول، وتدرجو نحو ضواحي المواطن نحو المدينة، ونزلو جبل التيطري وهو جبل أشير، للمزيد يمكن الرجوع إلى: عبد الحميد حاجيات، دور الثعالبة في تاريخ ناحية متيجة خلال عهد الدولة الزيانية، قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية، مج1، ع0، ديسمبر 2008، ص7.

2 مولاي بلحميسي، مدينة المدية عبر العصور...، نفس المرجع السابق، ص225.

وقد أصبحت المدية، محل صراع بين الدولة الحفصية وبين الدولة الزيانية، وحتى المرينيين كانوا طرفاً في الصراع ، واستطاع الزيانيون في القرن 14م الاستلاء عليها¹.

ولما ضعفت الدولة الزيانية في القرن 15م انفصلت عنهم المدية ومليانة وكذلك مدينة تنس²، إلا أن جاء الإخوة بربروس إلى الجزائر، وبدأوا في التوسع باسم الدولة العثمانية³، واستطاعوا أن يوطدوا أركان حكمهم، ولما تولى خير الدين حكم على الجزائر بعد وفاة أخيه، قام بتدعيم البلاد عسكرياً، وتعود حسب رواية هايدو تاريخ خضوع المدية للعثمانيين صيف سنة 1517م، بحيث انهزم جيش حامد بن عبيد أمام قوات عروج في وادي جر بمتيجة⁴.

وفي عهد البايبراي حسن بن خير الدين⁵، 1567-1540م، قام بتقسيم البلاد إلى أربعة مقاطعات إدارية كبرى وهي المعروفة تاريخياً⁶:

بايك التيطري والذي أطلق عليه تسمية ببايك الجنوب وعاصمته المدية، و بايك الشرق عاصمته قسنطينة، بايك الغرب عاصمته مازونة ثم معسكر ثم وهران بعد فتحها، ودار السلطان وتشمل الجزائر ويحكمها الداوي المقيم بالجزائر⁷، كما فصلنا ذلك في بقية الفصول، إلا أن يمكن

1 ودان بوغفالة ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة المدية ومليانة في العهد العثماني، ط، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 89-93.

2 مولاي بلحميسي، نفس المرجع السابق، ص 225.

3 نفسه، ص 225.

4 Diegode haédo, topographie et histoire générale d'alger, trad, monmereau et a. berbeugger, bouchéne, poirs, 1998, pp, 224-226.

5 حسن بن خيرالدين: هو حسن باشا هو ابن أمير البحار المجاهد الشهير خير الدين بربروسة، ولد في جزيرة يونانية سنة 1517م، وتعلم وتدرّب في شبابه في المدارس والمعسكرات العثمانية في اسطنبول، وقد سار على خطى والده وتعلم منه أصول البحرية، بحيث تقلد المناصب عدة حتى أصبح حاكماً لولاية الجزائر، وتولى ثلاث مرات منصب بكريك باي، الأولى كانت بعد وفاة حاكمها آغا الطوشي سنة 951هـ - 1544م، والثانية بعد مقتل الباي محمد كرادو علي، وأعيد تعيينه للمرة الثالثة بعدها بفترة قصيرة، أنظر المزيد إلى: محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع و النشر الاسلامية، الطبعة الأولى، بور سعيد، مصر، 2001، ص 230.

6 Rinn I. le royaume d'alger sous le dernier dey' résendition A .R ebahi ed G . A I. Alger 2005 p 15.

7 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية، 1962، ط، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص 68.

الوقوف حول الاختلاف الذي وقع بين الباحثين والمؤرخين، سواء كانوا عرب أو حتى أوروبيين في صيغة ونسب وتاريخ تداول اسم المدينة .

بحيث تشير بعض المصادر الأوربية وعلى رأسهم لوجي دو تاسي Laugier de Tassy منذ مطلع القرن 18م¹، بوجود مدينة في بايك التيطري، وبالتالي هذا الأخير يطرح الكثير من التسؤلات وكذلك بعض الشكوك حول حقيقة هذه المدينة ، وأهم معالمها الحضارية والإدارية خلال الفترة العثمانية في الجزائر، وخاصة خلال القرنين 18 و 19م ، وأهمية الوثائق الأرشيفية المحلية بها². ويذهب الكثير من الباحثين و المؤرخين أن دخول مدينة المدينة في العصر الحديث كان ذلك مع مجيء وتوالي العثمانيين السلطة في الجزائر، وهي تعتبر مرحلة تاريخية جديدة، بحيث عمل عروج بربروس بعد استقراره في مدينة الجزائر 1516م على توسيع نفوذه إلى ما يحدها من المناطق ، ومنها المدينة التي أقام فيها حامية من العثمانيين وكذلك الاندلسيين³، وذلك من أجل مواجهة الاخطار الداخلية وكذلك مواجهة الخطر الإسباني الذي كان يهدد المنطقة بشكل عام والجزائر وسواحلها على وجه الخصوص.

ويرجع ذلك بسبب ما عرفته المنطقة من انقسامات ونزاعات سياسية وحتى عسكرية، ولما تولى خيرالدين بربروس بعد وفاة أخيه، حكم الجزائر، وأصبحت هذه الأخيرة إيالة عثمانية 1518م ، قام بدعمها عسكرياً بحصون منتشرة في أهم المواقع منها منطقة التيطري، الذي يمكن اعتباره أول منطقة إدارية في الجزائر العثمانية.

1Laugier de Tassy Histoire du Royaume d'Alger Amsterdam , un diplomate français à Alger en 1724. Préface de Noël La veau et André Nouschi P128.

2 هي وثائق الرصيد العثماني من الأرشيف الوطني الموجود ببيئر خادم ، وسنستعمل في هذه الدراسة رمز (أو) اختصاراً للأرشيف الوطني، (رع) للرصيد العثماني، (س) (ب) لسلسلة البايلك ،(س) م (ب) لسلسلة بيت المال والبايلك، (س) م ش لسلسلة المحاكم الشرعية، نقلا عن: فائزة بوشيبة، لمحة تاريخية عن مدينة المدينة خلال القرنين 18 و19م، مجلة متيجة للدراسات الانسانية، ع7، جوان 2017، ص222.

3 Federmann et Aucapitaine, «Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de titerie», in R.A, N° 9 ,1865, P280.

وفي عهد ابنه البيلرباي حسن بن خير الدين (1544.1567م) تم تنظيم البلاد إداريا الى ثلاث بياليك، ليجعل من المدية مقراً ومركزاً لعاصمة بايك التيطري، وكان أول باي يعين هو رجب باي (1548.1568م)¹، وأيضاً سمي ببيالك الجنوب².

والجدير بذكر لا توجد أي معلومات تاريخية محددة وكذلك مؤكدة تثبت متى استحدث بايك التيطري، بحيث ترجع أقدم الوثائق بالنسبة لباليك التيطري بهذا الاسم إلى سنة 955هـ/1548م وهي عبارة عن مرسوم يعفي فيها الباي رجب جماعة "الشرفة"، من دفع الغرامة والضرائب³، وذلك بتاريخ جمادى الأولى 955هـ الموافق لفيفري 1548م⁴، وبالتالي تعتبر هذه الوثيقة مرجعية تاريخية يعتمد عليها في تأسيس بايك التيطري.

ويذهب البعض أن فترة حسن بن خيرالدين ببروسا هو الذي قام بتقسيم إيالة الجزائر إلى ثلاثة بيلاكات وكان ذلك سنة 1565م بايك الشرق والذي يتمثل في قسنطينة، وبايك الغرب والذي يتمثل في مازونة ثم معسكر وهران بعد فتحها، والذي كانت قبله مازونة ثم معسكر ويتوسطهم بايك الجنوب وهو المدية⁵.

أما بالنسبة لكلمة التيطري، فيذهب البعض أنها تعود في أصلها تاريخياً إلى كلمة إغريقية، والتي جاءت بمفهوم التيس حسب بعض المختصين، وقد حملت صورة هذا الحيوان في العديد من القلادات اليونانية⁶.

أما بالنسبة السكان المحليين، فيرجعون كلمة التيطري إلى البرودة الشديدة التي تعرفها المنطقة أي (الجليد)، وهذا ما يميز به مناخ الهضاب العليا⁷، وتعني أيضاً

1 Federmann(H) et Aucapitaine(H), Op,cit,P282.

2 فائزة بوشيبة، التنظيم الإداري في ببيالك التيطري خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، مج11، ع2010، ص98.

3 مرية شارف، لخضر بن بوزيد، انعكاسات السياسة الضريبية على قبائل بايك التيطري...، نفس المرجع السابق، ص787.

4 فائزة بوشيبة، التنظيم الإداري في ببيالك التيطري خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص99.

5 حبيبة عليش، الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في بايك التيطري أثناء العهد العثماني. 1519-1830م، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج3، ع6، مارس 2017، ص181

6 ودان بوغفالة، نفس المرجع السابق، ص150-151.

7 احمد سليمان ، تاريخ المدن الجزائرية عبر العصور، دار القصبه للنشر. الجزائر، 2006، ص ص 148-150.

كلمة التيطري اسم بحيرة تقع في الداخل، ويذكر أن السكان الأصليين للمدية، هم الامازيغ، ذلك أن كثير من أسماء جبال وسهول المدينة هي أسماء بربرية فنذكر : تلاعيش، تمزغيدة، تجرين، حربيل.....وغيرها.

والمدية ظهرت ما بين القرن الأول والثاني ميلادي، بحيث كانت المدينة مستعمرة، تقيم فيها جالية رومانية مع خليط من الأهالي الأصليين¹، ومن المحتمل أن يكون اسم المدية غير روماني بل عربي حسب هاينرش².

يرى بعض الباحثين أن أصل التسمية مستمد من لمبديا(lambdia) القرية الرومانية التي كانت قائمة في الموقع نفسها³.

ويروى أيضا أن المدية، كلمة هي من أصول بربرية والتي تعني العلو أو بمفهزم آخر وهي الأرض المرتفعة، أما من جهة أخرى كذلك يقال وينسب أن أهالي مدينة المدية كانوا يقومون بصناعة المدية أو كماء جاء المدى وهي عبارة عن السكاكين فنسبت إلى الصناعة التي كانت تصنع فيها⁴.

حسب ماجاء به ستيفان قزال، المدية هي عبارة عن كلمة مشتقة من (lambdia) وهي تتمثل في القرية التي تبعد بنحو 9 كيلو مترات عن المدية في الوقت الحالي، وربما يتمثل الدليل على ذلك ما عثر من آثار في تلك المنطقة.

وبقي هذا الاسم مستمرا في خلال الفترة الإسلامية وذلك حسب ما ذكره عبد الرحمن ابن خلدون، بحيث أشار إلى ذلك في كتابه (العبر المجلد السابع) ان كلمة لمدية هو اسم هو عبارة بطن من بطون صنهاجة، ويذكر أن محمد بن عبد القوي قد

1 أحمد سليمان، نفس المرجع السابق، ص 150-151.

2 انيرش خون مالستان، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، ترجمة ابو العيد دودو، الجزء الاول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 134-135 .

3 فاتن ادريس ، دراسة تقييمية لأعمال ترميم وتهيئة قصر الباي التيطري (المعروف بدار الامير عبد القادر) في مدينة المدية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011-2012 ص 4.

4 نفسه، ص 5.

استولى عليها أيام بني عبد الواد، على حصن هذا البطن المسمى بأهله ونطق بعضهم بلمدونة والنسبة إليها المداني¹.

ومن خلال ماسبق نجد عدة تسميات لمدينة المدية، وهذا يرجع إلى استقطاب المنطقة عدة حضارات عبر التاريخ مما مركزاً ذا أهمية كبيرة و استقطاب الكثير من الوافدين سواء منذ العهود القديمة أو حتى الفترة الوسيطية خلال الفتوحات الإسلامية، وصولاً إلى التواجد العثماني في الجزائر، وهذا له دلالة قطعية والذي يتمثل في أهمية الموقع الجغرافي المتميز للمنطقة.

2 قراءة جغرافية لبايك التيطري وعاصمته المدية:

إن المظاهر التضاريسية لبايك التيطري من الناحية الجغرافية هي عبارة عن مناطق جبلية تتخللها سهول هي للهضاب، بحكم ارتفاعها عن مستوى سطح البحر وانحصارها بين سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي الإلتوائية ويوجد بها العديد من الأودية الفرعية، والينابيع ، ولعلّ أهم هذه الأودية المجرى الأعلى لواد الشلف من الناحية الغربية².

وقد أبدع في وصفها العديد من زوارها آنذاك فنجد "الوزان" يصف أهل المدية خلال النصف الأول من القرن 16 م ، بالكرم و حسن الضيافة إلى درجة أنه فكر في الاستقرار فيها³، أما "شالار" فقد شبه المدية في بداية القرن 19 م بمدينة البليدة من حيث الأهمية ، ووصفها بالوفرة والرخاء الاقتصادي⁴، ونجد كذلك "حمدان خوجة" يتحدث عنها خلال النصف الأول من القرن 19 م عن

1 عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المجلد السابع، دار الكتاب البناني، بيروت، 1999 ص 191-193.

2 Shaw (le docteur), Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par M' Mac Carthy, 2ème édition, édition Bouslama ,Tunis, 1980 ,P316.

3 حسن بن محمد الفاسي الوزان: وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، بيروت (دار الغرب الإسلامي / المغرب (الشركة المغربية للناشرين المتحدين) 1983 ، ص 41 .

4 وليام شالار : منكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-124 م ، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982، ص 36.

الفصل الثاني: الحياة الثقافية في دار السلطان وبايك التيطري مدينة الجزائر والمدية أنموذجا

شجاعة سكانها وعنادهم، وحبهم للصناعة ،¹ وكذلك "مالتسان" (حوالي (1852) الذي يضاهاهي أهمية المدية السياسية بمدينتي وهران و قسنطينة ، بالإضافة إلى أهميتها الحضارية إلى درجة تقديس السكان لها، بحيث يصفها مثل بيت المقدس².

أما فلكياً تقع مدينة المدية، بين خطي طول 50° غرباً، وخطي عرض 36° و 16° شمالاً³، وعلى ربوة مستندة إلى جبل الناظور، وعلى بعد حوالي 90 كلم عن مدينة الجزائر باتجاه الجنوب⁴.

ويحتوي سطح المدية على منطقة مرتفعة، تنتمي إلى القسم الأوسط من الأطلس التلي، يوجد بها في الشمال كتلة طباشيرية، وفي الوسط هضبة المدينة التي تمتد إلى الجنوب، لتتصل بالمنطقة الطباشيرية في البرواقية.

بحيث نجد المنطقة الجبلية الشمالية عبارة عن غابات كثيفة ، وهي متصلة بكتلة البليدة، وتكون محورها مرتفعات بني مسعود (1491متر)، وتشكل منخفضات المدية هضبة متموجة تجزؤها أخاديد المياه، تصل إلى البرواقية وتتحد بشدة نحو الغرب باتجاه أحواض الشلف، ثم تتحد قليلا نحو الشرق باتجاه سهول بني سليمان، لتتصل بحوض يسر وتتميز الجهة الوسطى بمظهرها الرتيب، تخلو من الأشجار بشكل نسبي⁵، وقد حد هذا البايلك من الشمال جبال بني صالح وجبال بني مسعود وموزاية ومن الشرق فيحده جبل ديرة وجبل ونوغة⁶. أما من الجهة الغربية، فيحده مجرى نهر الشلف عند المقطع المعروف بنهر وزل، أما الناحية الجنوبية فيحده

1 حمدان بن عثمان (خوجة) : المرأة ، لمحة تاريخية وإحصائية ، على إيالة الجزائر تقديم وتعريب وفهرسة محمد بن عبد الكريم ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1972 ، ص 73.

2 مالتسان هاينريش فون ، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ، ترجمة أبو العيد دودو ، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 2008، ص ص 141-145.

3 ودان بوغفالة ، نفس المرجع السابق، ص 84.

4 Mahfoud kaddache : l'Algérie durant la période otomane office des publications universitaires. Alger .1944. pp 70-73.

5 ودان بوغفالة ، نفس المرجع السابق، ص 84.

6 Mahfoud kaddache, op.cit pp 72-74.

سلسلة الأطلس الصحراوي في الجزء المنحصر بين تازة وبوغار من الجنوب الغربي ونهاية جبل ديرة من الجنوب الشرقي¹، بحيث يصل امتداده إلى مشارف الصحراء حتى الأغواط² بحيث يتميز هذا المناخ قصر الطول الانتقالي بين فصلي الصيف والشتاء، حيث لا يدوم فصل الربيع إلا مدة قصيرة³.

أما الثلوج، فكان يصل سمكها في الريف إلى متر واحد . وجاء في مذكرات أحد السياح الذين زاروا الجزائر خلال القرن، 19 إن مناخ المدية يشبه مناخ وسط فرنسا، وهو مناخ ممتع لأنه في فصل الصيف ترتفع درجة الحرارة نوعا ما، على غرار باقي المدن القارة الإفريقية، بينما يكون الجو لطيف في برودته في الصباح، وفي الليل وفي الشتاء، فتبقى الحرارة على مستوى متوسط، فيصح الجسد وتستأنس به النفس من جميع الجوانب⁴. ونجد أن الحسن بن محمد الوزان يشير في كتابه، وصف إفريقيا، أنه أقام بها مدة شهرين وأنها من تأسيس الأفارقة على بعد ثمانين ميلا من البحر، وهي ذات سهل خصيب مياها متدفقة وبساتينها متعددة وكثيرة⁵.

أما حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المعروف بالمرآة، فنجده يقدم لنا معلومات هامة عن مدينة المدية⁶، بحيث قال إن مناخ المنطقة بارد لكنه صحي⁷.

1 Federmann et Aucapitainc : notice sur l'histoire et l'administration du beylik de titeri in R.A.n. 09Aljer 1867 pp 113-114.

2 رشيد مياد، دراسة في الإطار الجغرافي والتاريخي لبايك التيطري، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج7، ع2، ماي 2023، ص265.

3 ودان بوغفالة، نفس المرجع السابق، ص 84.

4 ودان بوغفالة، نفس المرجع السابق، ص 85-86.

5 لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1983، ص ص 35-42.

6 حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، لمحة تاريخية واحصائية، على ايالة الجزائر، تقديم وتعريب وفهرسة محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972، ص ص 83-84.

7 ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص ص 50-51.

وفي هذا السياق يذهب شاو فيما كتابه عن الجزائر والمتمثلة في "رحلة في اiale الجزائر"، وكذلك عن مدينة المدينة بحيث جاء وصفها على أنها منطقة تمتاز بالجبال وكذلك يوجد بها سهوب، كما أن المنطقة تحتوي على عدة مرتفعات عن سطح البحر الابيض المتوسط، وكذلك يوجد بها العديد من الأودية إضافة إلى الينابيع المائية¹.

فوجد قسمها الشمالي قائم ويعتمد على الزراعة بشكل رئيسي على عكس القسم الجنوبي الذي هو عبارة عن صحراء والذي يقوم على تربية المواشي وكذلك يوجد به الواحات وكذلك المناطق الرعوية².

أما ديفو تاي روني لويش، فقال توجهت للمدينة لجمع ما بها من أعشاب طبية فقضيت بها مدة يومين، وكان موقعها في ثلث جبل يسمح برؤية الوسط، وهي مكتظة نسبيا بالسكان بالنظر إلى مساحتها، وتوجد بضواحيها آثار قديمة³، وهي مخضرة بالبساتين الواقعة في انحدار عن أعلى المدينة، والغنية بكل أنواع الفاكهة، كما توجد بها ينابيع للمياه العذبة التي تجتمع في مصدر رئيسي يزود المدينة وما حولها⁴.

أما عن مساحة الإقليم فلم تكن ثابتة نظرا للعديد من التغيرات و التجذبات التي عرفها الإقليم خلال حكم الاتراك في الجزائر ، بحيث يذهب الأستاذ نورالدين ايلال يعطي لنا هذا الرقم 93847 كلومتر مربع⁵.

3 المعالم الثقافية في بايك التيطري:

تنوعت الحياة الثقافية في بايك التيطري بحيث نجد الكثير من المعالم الدينية والعلمية التي لها دلالة على ازدهار ونشاط البيئة والحياة الثقافية مثله في ذلك مثل بقية

1 Tomass chaw , Voyage de notes régence d'alger . traduit de l'anglais paris par M Mac carthy. 2 eme .édition Bouslamar.tunis .1980 .p p 315-317.

2 BOUTIN (V):Reconnaissance des villes forts et battries d'Alger 1808 publié par : Gabriel Esquer Librairie de la société de l'histoire de France Paris. P72.

3 ودان بوغفالة ،نفس المرجع السابق،ص67.

4 نفسه،ص69.

5 رشيد مياد،نفس المرجع السابق،ص257.

البايلكات، ومن أهم المعالم الثقافية في بايك التيطري هو كثرة المؤسسات الثقافية والدينية على اختلافها مثل الكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس والمكتبات إضافة إلى الوقف الذي كان له الدور الجوهري في تنشيط وإثراء الحياة الثقافية والعلمية وإزدهارها حيث ساهمت بشكل كبير في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية، وفيها كانت تدور مختلف أنشطة الفكر، وإلى جانب دورها الثقافي والتعليمي عملت على ترابط المجتمع ووحده. وعلى هذا الأساس أردنا من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على مدى إحياء هذه المؤسسات التعليمية و تفعيلها وتنشيطها الحركة الثقافية والعلمية والفكرية وكذلك دورها الجوهري في تطوير الحياة الفكرية والدينية والعلمية وكذلك المساهمة المميزة في ازدهار الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، وإضافة إلى ذلك مساهمة أعلامها وعلمائها المتصوفة منهم وغيرهم في إثراء المكتبة الجزائرية بالعديد من المخطوطات والمؤلفات في جميع المجالات العلمية والتاريخية وغيرها من العلوم.

4 أهم المساجد و الكتاتيب في بايك التيطري خلال العهد العثماني:

1.4 المساجد:

يوجد بها حوالي إحدى عشر مسجداً في أواخر العهد العثماني حسب ما أورده ابوالقاسم سعد الله-رحمة الله عليه-¹، وهي كالآتي:

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص250.

✓ الجامع المالكي:

تم بنائه خلال العهد العثماني في سنة 942هـ/1535م¹، في ، وهناك من يرجع تأسيسه إلى عهد الباي مراد² سنة 1583م³، وسمى أيضا بجامع مراد نسبة لمؤسسه، وفي عهد مصطفى بومرزاق باي، أعيد ترميمه وتجديده وألحق الجامع بقصره، لأنّ العادة المتعارف عليها هو ربط دار الإمارة بالجامع أو يكون بجواره ، وأصبح يطلق عليه جامع المزاري، وذلك حسب ما ورد في الوثيقة المسجلة في رخامة المسجد وقد جاء فيها: "إمتثالا لأوامر الحق بنى مصطفى باي التيطري هذا المسجد، وتركه أثرا وفقه الله العلي لآلاف الخير وأكرمه ببناء في الجنان، 1227هـ/1811م⁴. وإعادة ترميمه ترجع إلى تبرعات قدمت من طرف موظفي البابك : الباي، الخليفة، وحاكم المدية، والقاضي حيث قدرت بثمان وخمسين ريال بجة⁵. (أنظر الملحق رقم06).

✓ الجامع الحنفي :

يوجد للجامع الحنفي العديد من تسميات ومن أبرزها الجامع الفوقاني، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة 1121هـ/1709م، بحيث يشبهه في هندسته المعمارية إلى حدّ كبير الجامع المالكي ، وإذا قمنا بربط سنة تأسيسه بتاريخ تولية البايات لبابك التيطري نجده بني في عهد حسن باي أي في الفترة الممتدة بين 1706-1728م⁶. (أنظر الملحق رقم07).

1 فاتن دريس، تاريخ مدينة المدية ونسيجها العمراني إبان الحكم العثماني، نفس المرجع السابق، ص 281.
2 إن المعطيات و المؤشرات التاريخية التي الاعتماد عليها لم يوجد بين طياتها ترجمة لهاته الشخصية المتمثلة في الباي مراد وهي شخصية غير معروفة ، بحيث وجدنا أن فترة بين باي وآخر في العهود الأولى من التأسيس مفقودة، وهناك فجوات تصل إلى مائة عام، فاتن دريس، تاريخ مدينة المدية ونسيجها العمراني إبان الحكم العثماني، المرجع السابق، ص 281.
3 ملوكي كادي مختارية، دراسة مرفولوجية للمنذنة العثمانية في الجزائر، أطروحة دكتوراه في العلوم، في الهندسة المعمارية كلية العلوم والتكنولوجيا ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، 2019. ص 53.
4 محمد المختار إسكندر، المدية، نفس المرجع السابق، ص ص 44-45.
5 فايذة بوشيبية، نفس المرجع السابق، ص96.
6 فاتن دريس، دراسة تقييمية....، نفس المرجع السابق، ص32.

✓ الجامع الكبير :

تم بناء هذا الجامع سنة 1127هـ / 1715م، فقد جاء في الكتابة الأثرية التاريخية¹ التي تدل على تاريخ تأسيسه مايلي:

الحمد لله أكمل بناء هذا المسجد المبارك المكرم الأجل أبو الرضى خليل بن محمد كان الله له ذلك بتاريخ شعبان عام 1127هـ، حيث وجدت هذه الكتابة على لوحة رخامية مربعة، كتبت الحروف بخط نسخي شرقي².

✓ الجامع الأحمر:

يرجع تاريخ تأسيس هذا الجامع إلى سنة 1213هـ / 1799م، وكان ذلك في عهد حسين باي 1798-1799م، بحيث تم العثور على نقش الرخامة التي تحمل الكتابة التذكارية والتي جاء فيها: "اللهم تقبل من عبدك حسن باي بن خليل ما مننت به عليه، من بناء هذا المسجد واجعله عدة له ما بين يديه رحم الله عبدا قال أمين كلما رفع نظره إليه 1213هـ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم³، وسمى بالجامع الأحمر نسبة للمادة التي بنيت به وهي الأجر الأحمر، وكان مكان للعبادة وتحفيظ القرآن الكريم، وتقام فيه الصلوات الخمس، ويشرح فيه مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه، ويقع الجامع عند باب السيد الصحراوي من الناحية الجنوبية للمدينة⁴.

وبالنسبة لمئذنة الجامع الأحمر فقد تميزت بوجود تشابه بينها وبين المآذن العثمانية من الناحية المعمارية والشكل، فهي ذات بدن مضلع ويوجد بها مدخل عرضه 65. سم وارتفاعه 1.45م، وبها

1 تعتبر الكتابات الأثرية التاريخية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، لأنها بمثابة وثائق أصلية محايدة ومعاصرة للأحداث، فهي كتابات شاهدة، وتذكيرية وتأسيسه لأنها تظلم الأثر والبناء وتجديد بنائه وترميمه أنظر: سعيد بوزرينة، سعيد المرجع السابق، ص 11.

2 رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم، شسوح، (بط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979، ص 151.

3 نصيرة تنبيرت، نفس المرجع السابق، ص 48.

4 زهرة شوشان، الحكاية والتاريخ في المخيال الاجتماعي الجزائري العهد العماني أنموذجا - دراسة سوسيولوجية-، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2015، ص 439.

سلم حلزوني عدد الدرجات فيه 46 درجة، وعرضها 75 سم، وفي جدار المئذنة ثلاثة فتحات صغيرة لإنارة السلم¹.

✓ جامع سيدي سليمان :

تم تأسيس من طرف عائلة سيدي أحميدة، وهم أولياء صالحون تنحدر أصولهم من المدية، قدرت مداخيل الحبوس المخصصة له ب: 110 بوجو ، أما بالنسبة للموظفين نجد كل من مستخلف، ومؤذنين، وأربعة حابين وطالب لتلاوة أجزاء من القرآن².

2.4 الكتاتيب:

تعتبر من المؤسسات التعليمية التي ساهمت بشكل جوهري وجذري في بناء الحياة الثقافية والفكرية فهي لا تقل أهمية عن باقي المؤسسات الأخرى³، بحيث تصنف الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية وجودا في العالم الإسلامي ومفردتها كتاب بضم الكاف وتشديد التاء فهي عبارة عن موضع لتعليم الكتابة⁴، وهي عبارة عن مجمعات من البيوت المختلفة الأشكال والأحجام التي تستخدم من أجل التدريس وتعليم الأطفال⁵، وفي بعض الأحيان تكون عبارة عن حجرة أو أكثر بجوار للمسجد أو تكون بعيدة عنه⁶، والجدير بالذكر أنها كانت منتشرة بكثرة في المدن والقرى⁷، وكثيرا ما يحمل اسم الكتاتيب اسم الحي الواقع فيه كما اشتركت في تأسيسها جميع الطبقات المجتمع من باشوات وموظفين سامين في هذه المهمة العلمية الخيرية⁸، وكان يطلق عليها في الأرياف اسم الشريعة وهذا لتدريسها العلوم

1 نصيرة تتبیرت المعالم الأثرية بمدينة المدية العثمانية»، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج6، ع1، جامعة الجزائر 2 ، أبو القاسم سعد الله، 2011، ص 248.

2 Registre 54, Les Archives National d'outre-mer d'Aix-en-Provence, France.

3 يعود إنشاء هذه الكتاتيب إلى العهود الأولى من الإسلام ، لأن بعد الفتوحات الإسلامية بدأ القراء يعلمون أبناء البلاد المفتوحة القرآن الكريم في الكتاتيب وبذلك انتشرت بشكل ملفت للانتباه في الحواضر والبوادي على حدّ سواء، انظر إلى: أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 18.

4 محمد دلباز ، الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني المساجد والكتاتيب أنموذجا»، مجلة متون، مج9، ع3، جامعة مولاي الطاهر ، سعيدة، 2016، ص 118.

5 أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 18.

6 محمد دلباز، نفس المرجع السابق، ص 118.

7 أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 18.

8 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ص 277.

الدينية. أما بالنسبة للمدن فتسمى المسيد¹، كما هو الشأن في مدينة الجزائر ومازال هذا المصطلح إلى يومنا هذا، والهدف الأساسي من وجودها حسب ما ذهب به الاستاذ يحي بوعزيز بقوله: أنها أسست من أجل تجنب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها وطهارتها ووقارها²، حتى أن الإمام مالك أفتى بعدم تعليم الأطفال الصغار في المساجد المخصصة للصلاة وذلك حفاظا على طهارتها³، وهي منفصلة عن المسجد لأجل المحافظة على نظافته، ولكي يحصل على الخشوع المطلوب عند أداء الصلوات المفروضة⁴، ونظرا للدور الذي أدته الكتاتيب خلال العهد العثماني، فقد انتشرت في الجزائر بكثرة، حيث قدر عدد المكاتب القرآنية فيها في كامل أنحاء الجزائر ثلاثة آلاف كتاب قرآني أو مسيد⁵، وبرنامج التعليم بها يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم للأطفال سواء ذكورا وإناث⁶، و تميزت هذه الكتاتيب بالبساطة في البناء والمظهر⁷، حيث يجلس الأطفال فوق حصائر يشكلون دائرة نصفية ويقومون بإملاء أجزاء من القرآن الكريم، وبأيديهم ألواح خشبية⁸، كما يتلقى الطفل فيها تعلم الحروف الهجائية وبعض مبادئ الحساب⁹، فهي تقوم على تكوين وتربية وتعليم الأطفال على أسس إسلامية، وعلى طريقة اجتماعية محددة وتساهم في إعطاء الطفل رصيда من المعارف التي تساعد على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها، والملاحظ أنه رغم قلة الإمكانيات إلا أنها كانت تسعى إلى ترسيخ العقيدة الدينية في نفوس الأطفال¹⁰.

1 صبيحة بخوش، «وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني»، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 1، ع2، المدرسة العليا بوزريعة - الجزائر، 2008، ص137.

2 يحي بوعزيز، «المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين»، مجلة اللغة العربية، مج8، ع2، المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر، 2006، ص100.

3 محمد بن سحنون كتاب آداب المعلمين تح: عبد المولى محمود، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص87.

4 أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص18.

5 محمد المختار إسكندر، المدينة، نفس المرجع السابق، ص43.

6 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص100.

7 محمد دلباز، نفس المرجع السابق، ص119.

8 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص100-101.

9 رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع12، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ديسمبر 7 5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ ج1، ص279.

10 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص102.

5 . المدارس والزوايا في بايك التيطري خلال العهد العثماني:

1.5 المدارس:

تعتبر المدارس هي الموطن الذي يتعلم فيه المتعلمين، وهو الموضوع الذي يدرس فيه القرآن الكريم¹، ونجد العلامة أبوراس الناصر المعسكري يعرفها بقوله: "المدرسة المتعارف عليها عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه²، والجدير بالذكر أن المدارس الابتدائية بالجزائر العثمانية عرفت انتشارا واسعا في الأحياء والمدن وكذلك القرى³ ومن المدن التي عرفت انتشاراً للمدارس الابتدائية هي مدينة المدية عاصمة بايك التيطري فقد اشتهرت بها مدرسة العالم الصحراوي البوزيدي الذي عمل على تدريس القرآن الكريم وفنون العلم للأهالي⁴، ويوجد أيضا مدرسة تابعة للجامع الكبير، إضافة إلى ثلاث مدارس أخرى تابعة لجامع سيدي سليمان⁵، ويعود انتشار المدارس إلى دعم بعض الأهالي من المحسنين، بحيث تعد الأوقاف أحد مصادر التمويل لهذه المدارس، والتي كان يحبسها أصحاب النفوس الخيرة التي تسعى إلى منح جزء من عقاراتها لبناء المدارس وغيرها⁶.

تعتبر المدارس من أهم المؤسسات الثقافية والتعليمية بالدرجة الأولى بالجزائر العثمانية، بحيث تتمثل وظيفتها بشكل جوهري في تعليم مختلف العلوم الدينية وأيضا الدنيوية⁷، كما تجدر الإشارة أنها كانت تقوم بتعليم الدين وعلوم اللغة ومبادئ القراءة والكتابة والحساب⁸، وهنا نجد أن عملية تعيين وكذلك توظيف المدرسين يقوم بهذه العملية والتي يشرف عليها الداوي ويكون ذلك باقتراح

1 ابن منظور، ج16، باب الدال، نفس المصدر السابق، ص 1360.

2 أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح وتق: محمد غالم، ج1، (بط)، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ص 188.

3 محمد بلقاسم، نفس المرجع السابق، ص 216.

4 عبد القادر بلعربي، التطور التاريخي للطريقة العيساوية وانتشارها في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجبالي ليايس - بلعباس، 2015، ص 103.

5 Registre 54, Les Archives National d'outre-mer d'Aix-en-Provence, France.

6 صليحة بردي الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات»، مجلة الذاكرة، مج6، ع11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة جوان 2018، ص 131.

7 محمد بلقاسم، نفس المرجع السابق، ص 216.

8 زهية دباب، وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الانسانية، مج21، ع1، جوان 2021، ص 176.

من طرف مدير أو الذي يشرف على تسيير الأوقاف، ونجد أن أغلبهم يجمعون بين عدة وظائف والتي تتمثل في التدريب والافتاء والقضاء¹، ويعكس هذا الأخير مدى الاهتمام على اختيار الأمثل لمهنة التدريس في تلك الفترة الزمنية.

2.5 الزوايا:

تنوعت وتعددت الزوايا في بايلك التيطري وكان لها دورا واضح في وضع الأسس في ازدهار الحياة الثقافية وقد ارتبط اسم هذه الزوايا إما بولي صالح أو بأحد رجال الطرق الصوفية ولعل من أهمها:

زاوية سي علي محمد بو الأرباح :

يرجع تأسيس هذه الزاوية خلال سنة 1825م، بحيث يوجد مقرها عين الشهداء²، وكذلك يوجد العديد من الزوايا على سبيل المثال لا الحصر نجد منها: زاوية سيدي علي بن شكاو، وزاوية سيدي بن يعقوب بوامري³، والزاوية التيجانية⁴، كل هذه الزوايا كان لها دور جوهري ورئيسي، والذي يتمثل في العمل على تحفيظ القرآن الكريم للطلبة بشكل متقن، وكذلك تلقين الدروس الفقهية إضافة الى ذلك الحديث النبوي⁵.

زاوية بني سليمان:

توجد في بني سليمان وترجع تسميتها إلى الشيخ عبد السلام، بحيث أهل المنطقة نجدهم يقومون بتبرك وكذلك المناطق المجاورة لها⁶، ودورها الأساسي هو تحفيظ القرآن الكريم⁷.

1رشيدة شكري معمر، «المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م»، مجلة المعارف، مج 11، ع 20، جامعة البويرة جوان 2016، ص 99.

2 هي عبارة عن قرية صغيرة تابعة إدارياً إلى دائرة الإدريسية، وهي تقع في ولاية الجلفة، "بتصرف".
3 زهرة شوشان، نفس المرجع السابق، ص 439.

4 الشيخ لعرج، دحوفغرور، انتشار الطريقة التيجانية... نفس المرجع السابق، ص 613.

5 عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني بمنطقة الجلفة شعراء حاسي بحج نماذجاً من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين، ط1، مطبعة بن سالم الجزائر، 2013، ص ص 33-34.

6 زهرة شوشان، نفس المرجع السابق، ص 440.

7 محمد المختار إسكندر، المدية عبر العصور، ط2، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 360.

الزاوية العيساوية:

ساهم محمد بن عيسى الوزري بشكل كبير في جعل الزاوية مركز علمي، فجعل منها مقر رئيسي للتعليم ومقصد لكثير من الطلبة والعلماء، وذلك بتكوين وتعليم المتعلمين في مختلف العلوم الشرعية وبالخصوص تحفيظ القرآن الكريم، فأصبحت بذلك من أهم المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية نظراً لأهمية العلم التي قدمته وساهمت في تعليم وتكوين العديد والكثير من العلماء على مختلف أصنافهم من حكام وقضاة وغيرهم¹، كالباي مصطفى الوزناجي الذي يعتبر أحد أهم الأعلام الذين درسوا بالزاوية، هذا الأخير كان له دوراً رئيسياً في رفع مكانة الزاوية وتوسيعها وشهرتها، ويعود الفضل في لإزدهار والتطور الثقافي والفكري الذي شهدته الزاوية إلى الشيخين محمد خليفة والعالم الفضيل محمد الصحرابي قاضي المدينة².

بحيث أصبحت الزاوية أكثر شهرة خاصة في فترة ابنه الأصغر محمد الشريف (ت: 1680م)، حيث عرفت في عهده حركة ثقافية وفكرية مزدهرة ومميزة، كما كانت له العديد من المؤلفات والمخطوطات وكذلك مصنفات خاصة شرح الحديث النبوي الشريف ومن بين المواد التي كانت تدرس في الزاوية منها:

- تفسير القرآن الكريم بالاعتماد على تفسير ابن عطية، وتفسير السيوطي. الحديث الشريف خاصة صحيح البخاري، ومختصر ابن أبي جمرة، وبعض كتب السنن، كموطأ الإمام مالك، وسنن أبي داود.

- التوحيد وأصول الفقه بمختصر ابن الحاجب³.

- التصوف بالاعتماد على كتب محمد بن رزق الفاسي.

الأنوار للجزولي.

1 عبد القادر بلعربي، نفس المرجع السابق، ص 81.

2 نفسه، ص 103.

3 عبد القادر بلعربي، نفس المرجع السابق، ص 81.

إضافة إلى هذه العلوم الدينية شهدت الزاوية أيضا : تدريس علم الطب، والصيدلة¹.

6 أهم المكتبات والأوقاف في بايك التيطري خلال العهد العثماني:

1.6 المكتبات في بايك التيطري:

عُرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية بكثرة الكتب والمكتبات وكانت بين المكتبات العامة والمكتبات الخاصة، فالعامة هي الملحقة والتابعة للمساجد والزوايا والمدارس وكانت أبوابها مفتوحة للطلبة خصوصا وللفقراء المسلمين عامة²، وتضم بين رفوفها مختلف أنواع المخطوطات في مختلف الفنون والعلوم، يقصدها الطلاب لأجل المطالعة³ مثل: المكتبة العامة بالمدينة الموجودة في نهج الإخوة بن غربية، ويشرف عليها الحاج بن رقية⁴.

أما بالنسبة للمكتبات الخاصة هي الخاصة بالعائلات العلمية والأعيان خاصة الذين لديهم ميول ثقافية واهتمام بالكتب ونسخها⁵، إذ كان للعالم ابن عيسى بن مزغي مكتبة تحتوي على العديد من الكتب المختصة في الحديث والفقه وكذلك علم الكلام والأدب أوقفها على نفسه أولا مدة حياته ثم على ولده ومن سيولد له إن قدر إليه بذلك ذكورا دون إناث⁶.

وبما أن العلوم الدينية هي التي غلبت على مختلف المراحل التعليمية فإن محتوى المكتبات لا يخرج عن مجال هذه العلوم وهي تحتوي على كتب التفسير والقراءات والأحاديث النبوية، وشروحها، وكتب الفقه وغيرها⁷.

2.6 الأوقاف في بايك التيطري:

بحيث نجد نوعين من الأوقاف، منها الوقف العام وأيضا الوقف الخاص وهي على النحو التالي:

1 عبد القادر بلعربي، نفس المرجع السابق، ص82.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج1، ص 296.

3 محمد بن ميمون الجزائري المصدر السابق، ص 61 .

4 محمد المختار إسكندر، المدينة عبر...، نفس المرجع السابق، ص 361.

5 منصور درقاوي، المرجع السابق، ص138.

6 مرية شارف، نفس المرجع السابق، ص

7 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج1، ص 297.

- ✓ **المذهب الحنفي:** يعرف بأنه حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة¹.
- ✓ **المذهب المالكي:** الوقف والحبس بمعنى واحد عند المالكية، وهو المال يوقف ويحبس مؤيد وجه من وجوه الخير أو على قوم معينين².
- ✓ **أنواع الوقف :**

يوجد نوعين من الوقف، النوع الاول هو الوقف العام، والنوع الثاني الوقف الخاص وهو كالاتي:
الوقف العام: أو بما يعرف بالوقف الخيري هو الذي يوقف على جهة خيرية، مثل الوقف على المؤسسات الدينية ومنها الجوامع والمساجد وأيضا الوقف على عيون الماء والوقف، وكذلك على الجند والمراكز العسكرية، وأيضا الوقف على طلاب العلم³.
الوقف الخاص: والمعروف بالوقف الأهلي، وهو أن يقوم المالك بحبس غلة ملكه على واحد أو أكثر من أقربائه أو غيرهم⁴، أي أن يوقف ابتداء على النفس أو على شخص أو أشخاص معينين ثم يكون بعدها وقفا على جهة خيرية⁵.

أهم مؤسسات الوقف في بايلك التيطري :

والجدير بالذكر أن الأملاك الوقفية هي عبارة مؤسسات اقتصادية قائمة بذاتها بحيث يشرف عليها إداريون ووكيل ومساعدين للقاضي بالإضافة إلى الخدام⁶، ومن أهم مؤسسات الوقف التي عملت على تسيير الأملاك التي كانت موقوفة نذكر أهمها:

1ملكية حنيش، نفس المرجع السابق، ص 288.

2يحيى بن محمد بن محمد الخطاب المالكي، أحكام الوقف، تح: عبد القادر باجي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2009، ص24.

3عبد الحفيظ موسم، «واقع الأوقاف بين المالكية والحنفية في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني (1700-1830) نفس المرجع السابق، ص25.

4عبد الحفيظ موسم، «واقع الأوقاف بين المالكية والحنفية في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني (1700-1830) نفس المرجع السابق، ص25.

5 يحي محمد بن محمد الخطاب المالكي، ص 26.

6 ملكة حنيش، نفس المرجع السابق، ص 289.

✓ مؤسسة الحرمين الشريفين :

تعتبر من أهم المؤسسات الوقفية خلال العهد العثماني، بحيث ساهمت هذه المؤسسة بشكل كبير في نشر مدارس العلم وتقديم الدعم للطلبة وهذا بفضل ما كانت تقدمه من دعم أموال وعائدات للأوقاف¹، ويشير المؤرخ ناصر الدين سعيدوني: "إلى أنها استمدت أهميتها من المكانة السامية التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين، الذين أوقفوا عليها كثيراً من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي تقوم بها، فهي تقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها، وتتكفل بإرسال حصة من مداخنها إلى فقراء الحرمين الشريفين لمكة المكرمة في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث يشرف على ثلاثة أرباع الأوقاف كلها"²، بحيث يتم تسيير هذه الأوقاف من قبل مجلس يتكون من أربعة أشخاص على رأسهم الوكيل يعين من قبل الباشا ولها وكلاء في المدن الجزائرية الأخرى³، ومنها مدينة المدية، وهنا نذكر مجموعة من أسماء الوكلاء الذين عملوا بإدارة الأوقاف فيها : خضر آغا 1679-1680م، رمضان الأمانى 1682-1681م، الحاج محمد بن عتير 1688-1689م، والحاج علي السويدي المداني الذي تولى إدارة الأوقاف بالمدية أربع مرات : 1720 و 1722 و 1723 و 1724م⁴.

✓ أوقاف الجامع الكبير :

نجد أن العائدات المالية الخاصة به كانت توجه للإنفاق على مساجد المالكية، وهذا يعود لدور الجوهري الذي كان يقوم به في شقه التعليمي اتجه المجتمع، حيث كان يؤدي دوراً كبيراً في مختلف مجالات الحياة التعليمية والدينية والاجتماعية وغيرها⁵، إذ صنفه أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- مثل الجامعة حالياً.

1 مليكة حنيش، نفس المرجع السابق، ص 290.

2 ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية... نفس المرجع السابق، ص 261-262.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 238.

4 لتفاصيل أكثر يمكن العودة إلى : ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية... نفس المرجع السابق، ص 220.

5 نعيمة بوحشوش، مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، الدولة الجزائرية...، ص ص 279، 290.

✓ أوقاف سبل الخيرات:

ويبدو أن تاريخ تأسيسها كان في عهد شعبان خوجة سنة 1583م بحيث خصصت عائداتها للإفناق على المساجد الحنفية¹، كما كانت تشرف هذه المؤسسة الوقفية على الأوقاف الموجهة للفقراء والطلبة والعلماء² وكذلك مكلفة بدفع مرتبات حوالي ثمانية وثمانين طالبا أو قارئاً ملحقين بالمساجد تحت إدارتها، وتقدم الصدقات للفقراء³.

✓ أوقاف الأندلسيين :

يعود تأسيسها إلى سنة 1584م، يشرف على هذه المؤسسة موظف يعرف بوكيل الأندلس⁴.

✓ أوقاف مؤسسة بيت المال :

بحيث كانت تعمل على إغاثة أبناء السبيل ويتامى الفقراء والأسرى وأيضا تشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة وغيرها من الأعمال الخيرية، والمشرف على تسيير شؤونها هو موظف يعرف ببيت المالجي، وهي من الوظائف الكبرى في الدولة، يساعده الوكيل، وشؤون التسجيل يتولهم موتقان يعرفان بالعدول⁵، وكذلك من الوكلاء الذين تولوا إدارة هذه المؤسسة في المدية الحاج حسين بيت المالجي، وذلك أواخر العهد العثماني في سنة 1828-1829م⁶.

1 لتفاصيل أكثر أنظر إلى:

Zakia Zahra, D'Istanbul à Alger: La fondation de waqf des subul al-khayrat etéme siècle à lases mosqueés hanéfites à l'époque ottomane (du début du 18° colonisation Française), Thése Doctorat, Aix-Marseille Université, 12 juillet,2012, pp 61, 63.

2 مليكة حنيش، نفس المرجع السابق، ص 291.

3 أبوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص238

4 أعقيل نمير، «المؤسسات الوقفية بالجزائر في العهد العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات نموذجا»، مجلة دراسات تاريخية، ع116، جامعة دمشق، 2011، ص260.

5 ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية...، ص ص 272-273.

6 نفسه، ص244.

✓ أوقاف المرافق العامة :

كانت تتمثل في الطرق والعيون والسواقي ، بحيث أوقفت العديد من الأملاك للإنفاق على هاته المرافق العامة كالطرق والسواقي ويسهر عليها وكلاء وشواش يعرفون بأمناء الطرق والعيون والسواقي.¹

أهمية الوقف في تمويل المؤسسات الثقافية والدينية:

يمكن القول أن العائدات المالية للأوقاف لم تنحصر في الجانب الاجتماعي والاقتصادي بل كانت المصدر الرئيسي لنشر التعليم بين الأهالي والمحافظة على الدين الإسلامي²، حيث ساهم الوقف بالاشراف على نفقات الدراسة وسدّ حاجة طلاب العلم وكذلك التكفل بأجور المدرسين والقائمين على شؤون العبادة بالمساجد والزوايا³. فقد وصفه أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه-: "أنه مصدر النمو والحياة للمساجد والمدارس والكتاتيب وحياة العلماء والطلبة"⁴، كما عمل على الإنفاق على المؤسسات الثقافية والدينية من ناحية صيانتها وتسيير شؤونها⁵، واعتبر عاملا هاما في دفع وتيرة المستوى العلمي والثقافي للجزائر خلال الفترة العثمانية⁶، وهذا ما أكده أحمد توفيق المدني: "إنّ الحركة العلمية لم تخدم في هذا العصر ولم يقف دولا ب العلم والتعليم في أي ناحية من نواحي البلاد بل الكثير من الفضلاء الأتراك وأعيانهم ينشطون العلم والمتعلمين بما حبسوه على تلك المشاريع من الأوقاف⁷، وبفضل تمويل الوقف لهاته المؤسسات الثقافية التعليمية عمل على انتشارها، وانتشر العلم بين الطبقات الراقية وقلت الأمية بين الطبقات الوسطى والعامة⁸.

1 منصور درقاوي، المرجع السابق، ص 123.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، نفس المرجع السابق، ص152.

3 أحمد مريوش وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 59.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص231.

5 أحمد مريوش وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 23.

6 محمد محمدي، نفس المرجع السابق، ص15.

7 أحمد توفيق المدني، الجزائر - تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، (دط)، المطبعة العربية الجزائر 1931، ص 89.

8 نفسه، ص90.

نماذج من أوقاف التيطري خلال العهد العثماني:

✓ جدول 01: أحباس البايات والدييات (أحباس الفئات الاجتماعية):

المحبس	نوع العقار	المحبس عليهم	تاريخ الوثيقة	مصدر الوثيقة
المعظم المحترم فخر الدولة العثمانية	جميع الجنان الكائن بفحص شلوع نظر	على نفسه أولا ثم على اولاده الثلاثة	1142هـ/1729م	أ،و،ج،س،م،ش ع34 و4
عثمان باي التيطري	مجموعة من الاملاك وارض للحرث الكائنة	على نفسه اولاً ثم على ابنه وأمه ثم	1150هـ/1737م	أ،و،ج،س،م،ش ع21 و23
مصطفى بن سليمان باي التيطري	جميع الأجنحة الكائنة بالمصلى 11 اجنة	على نفسه ثم على ابنته وعلى ولديها	1196هـ/1781م	أ،و،ج،س،م،ش ع34 و3
مصطفى بن باي سليمان التيطري	حوش وطن بن خليل	على نفسه ثم على ابنته ثم على العقب	1198هـ/1783م	أ،و،ج،س،م،ش ع34 و105
المعظم الوجيه المحترم جعفر باي	جميع البلاد المعدة لعمل الحراثة الكائنة	على نفسه ثم على أولاده الموجدين	1229هـ/1813م	أ،و،ج،س،م،ش ع34 و90

المصدر: مرية شارف، نفس المرجع السابق، ص ص 129-130.

✓ جدول 02: أحباس العلماء:

المحبس	نوع العقار	المحبس عليهم	تاريخ الوثيقة	مصدر الوثيقة
بن عيسى مزيفي	جميع ما يملكه من عقار	على نفسه ثم ولده	1211هـ/1796م	أ،و،ج،س،م،ش ع34 و13
أقويدربن العربي قاضي البرواقية	جميع ما يملكه من	على أولاده الذكور دون	1214هـ/1799م	أ،و،ج،س،م،ش ع34 و38

أ،و،ج،س،م،ش	أوائل ذي الحجة عام	على نفسه أولا	أرض للحرث	العالم الفاضل
ع34و65	1810/هـ1225م	ثم على أولاده	بقرب قبيلة	السيد العربي

المصدر: مرية شارف، نفس المرجع السابق، ص131.

بالتالي نلاحظ من خلال الجداول السابقة توجد عدة أوقاف في بايك التيطري التي كان لها دور جوهري في المجتمع الجزائري، سواء كانت من البايات والدييات وكذلك أحباس بعض العلماء مما يعكس مدى مساهمة هذه الفئات في تنشيط الحركة الاجتماعية وكذلك الاقتصادية إضافة إلى ذلك الاهتمام بالحياة الثقافية، ودعم الفئات الهشة والفقيرة في المجتمع مما تنعكس إيجابا على الواقع الاجتماعي وبالخصوص الواقع الثقافي من أجل الازدهار والتطور، والدفعة بعجلة الحياة الفكرية في الجزائر العثمانية.

من خلال هذه المقاربة يمكن القول أن المساجد و الزاويا والأوقاف والمدارس وغيرها شكلت اهم المؤسسات التعليمية والدينية بمدينة الجزائر والمدية التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة فقد ظل المسجد مؤسسة دينية تعليمية واجتماعية في حل النزاعات والإصلاح بين المتخاصمين فيه بحيث نجد الوقف مقتصرًا ومنحصراً على المؤسسات التعليمية والدينية وطلبة العلم بل كان أبعد من ذلك بل تمثل في المكتبات وغيرها، كالوقف على الكتب والمخطوطات.

الفصل الثالث

الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة

قسطنطينة أنموذجا

1. لإطار الجغرافي والإداري لإقليم بايلك قسطنطينة
2. بايلك الشرق وعاصمته قسطنطينة
3. الجذور التاريخية لأصل تسمية مدينة قسطنطينة
4. المراكز الثقافية والدينية لحاضرة قسطنطينة خلال العهد العثماني
5. أهم المساجد في مدينة قسطنطينة خلال العهد العثماني
6. أهم الزوايا في مدينة قسطنطينة خلال العهد العثماني
7. الكتاتيب والمدارس والمكتبات بمدينة قسطنطينة خلال العهد العثماني
8. الأوقاف في مدينة قسطنطينة خلال العهد العثماني

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

لقد حظي تاريخ بايلك الشرق عامة وقسنطينة خاصة خلال العهد العثماني بنصيب هام من الدراسات والأبحاث التي اهتمت بشكل كبير بالمظاهر السياسية والتطورات العسكرية التي ميزت تلك الفترة، غير أن تلك الكتابات التي تناولت الجانب الثقافي ومراكز الثقافة لم تنل سوى جزء ليس بكثير من تلك عن هذا الأخير، وبالتالي نحاول أن نسلط الضوء على الحياة الثقافية والدينية في بايلك الشرق ومدينة قسنطينة خاصة خلال العهد العثماني.

اشتهرت مدينة قسنطينة بكونها عاصمة بايلك الشرق وكونها الحاضرة العلمية والثقافية التي احتضنت العديد من المراكز العلمية و الدينية و استوطنها العديد من العلماء والأدباء والمتصوفة، وازدهرت فيها الثقافة وبلغت درجة كبيرة من التطور الفكري احتلت مكانة الصدارة منافسة بذلك أكبر الحواضر العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني.

مثل إقليم الشرق أو ما عرف بببايلك قسنطينة في العهد العثماني نموذجا متميزا من نماذج الإدارة العثمانية بحكم شجاعته وغناه، وكان يشكل البوابة الشرقية للإيالة ونقطة باحتكاكه مع القبائل الجبلية الممتعة. الصدام الرئيسية مع إيالة تونس كما مثل بامتداده إلى جبال الباب ور واللبيان نقطة توتر.

1 الإطار الجغرافي والإداري لإقليم بايلك قسنطينة :

يعد الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة من أهم المواقع الإستراتيجية(انظر ملحق رقم)، فهي تتوسط واقليما متميزا شرق الإقليم الجزائري مما أكسبها مكانة هامة على جميع الأصعدة¹، تقع قسنطينة بالشمال الشرقي على خطي طول 53° و 7° شرقا، وترتفع ب 621 الى 470 متر عن سطح البحر².

التقسيم الجغرافي:

نجد أربعة بايلكات في الجزائر خلال العهد العثماني، وهي على النحو التالي:
بايلك التيطري: وهو أصغرها وعاصمته المدينة³، الذي يستثنى منه مدينة الجزائر، والنتيجة كانت البلاد التي يحكمها الداوي تنقسم جغرافيا إلى ثلاثة أقاليم، وهي الببايلك الأوسط سنة 1792م، وببايلك الشرق وعاصمته قسنطينة التي يديرها الداوي مباشرة، وببايلك الغرب وعاصمته وهران، وذلك منذ رحيل الإسبان عنها⁴.

1 عبد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1984، ص60.

2 شغيب محمد المهدي بن علي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، 6، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص94.

3 فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص47.

4 C. Bentem4s : Manuel des institutions de la domination turque à l'indépendance, T1, Paris, édu Cujac, 1976, pp.51, 52

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

أهميتها من موقعها بالنسبة لعاصمة الإقليم قسنطينة، وكانت هذه التقسيمات لها طابع إن إقليم بايلك قسنطينة كان يمثل وحدة جغرافية، ومقسما إلى أربع تقسيمات كبرى تأخذٍ سياسي واداري، وهي كتالي:

الحدود الشرقية: ويضم كل الأقاليم الممتدة من قسنطينة إلى الحدود التونسية.
الحدود الغربية: وتتبعه كل الأقاليم الممتدة من قسنطينة إلى السلسلة الجبلية اليبان.
الحدود الجنوبية: والذي تعتبر الصحراء الجزء الأكثر أهمية منه هذا القسم اسم الساحل¹.
الحدود الشمالية: ويضم الجبال المحاذية للساحل المتوسط من بونة حتى بجاية، ويطلق على وهكذا كان إقليم بايلك قسنطينة محددًا من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط، الجنوب بالصحراء الكبرى إلى ما وراء بسكرة وواد سوف ، في حوض ريغ²، ومن الشرق بالحدود التونسية متبعا خطا من تقرت مرورًا بتبسة³ ، ومن الكاف حتى طبرقة، فتبسة تابعة لإمارة قسنطينة والكاف لإيالة تونس³.
يعتبر بايلك⁴ الشرق وعاصمته قسنطينة من أكبر المقاطعات⁵، فهو يمتد على رقعة جغرافية واسعة، قدرها شاو ب 230 ميل طولًا و 100 ميل عرضًا¹، يحد البايك البحر الأبيض المتوسط شمالًا² إلى ما

1 C.A.O.M. : HI 228 : Renseignement sur l'organisation administrative du Beylik de Constantine avant la prise de Constantine, rédigé en 1840, sans nom d'auteur, p.10.

2ناصرالدين سعيدوني، الشرق الجزائري، بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ج، د، ط، البصائر، الجزائر، د، ت، ص 147.

2منطقة وادي ريغ: تقع في شمال الصحراء جنوب شرقًا، الجزائر والتي تسمى أيضا الصحراء المنخفضة على أنها حفرة كبيرة غير متكافئة حوض واسع، تقع على بعد 600 كلم جنوب شرق العاصمة، وقد أطلق عليها هذا الاسم في وقت قريب كما ذكر العلامة عبدالمجيد بن حبة حسب قوله: "فإن كل من تحدث عنه من المؤرخين يقتصر على تسميته ريغ أو أرض ريغ ويسميه بن خلدون ... وريغ كلمة بربرية تعني السخة"، أنظر إلى: عبدالقادر خليفة، الهياكل الاجتماعية والتحويلات المجالية في حي النزلة -تقرت-مذكرة ماجيستر في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة منتوري قسنطينة، 2002-2003، ص 46.

3 أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847)، ج 1، ط 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004، ص 36.

4 هو مصطلح يتشكل من مقطعين "بك" و"لك"، فأما بك تلفظ باي في الأصل وهو أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشوية وأولادهم، ثم استعمل لقباً لمعظم كبار الموظفين والقادة الذين يكلفون بإدارة الولايات ويسمون وزراء الخارج، وقد اعتمده العثمانيون كلقب لحاكم الولاية أو المقاطعة، واشتق منه لفظة بيكلربك التي تعني أمير الأمراء وهي الرتبة الثانية من رتب الباشوية"، وتلفظ بيليري لأن الكاف الفارسية تنطق ياء، أنظر الى: أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي الى نابليون الثالث 1838-1871، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014، ص 19.

5فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص 49.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

وراء بسكرة وواد سوف و اينكر جنوبا، و شرقا الحدود التونسية مرورا بتبسة ووصول إلى طبرقة على ساحل البحر المتوسط³، و"غربا جبال البيبان و قرى بني منصور ومن الجنوب الغربي القرى الصغيرة لسيدي هجرس و سيدي عيسى التي تفصله عن بايلك التيطري⁴.

2 بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة:

يعتبر بايلك في ايالة الجزائر العثمانية، وذلك من حيث الموقع الإستراتيجي ،وكذلك موقع المدن ساحلية باستثناء بعضها مثل مدينة قسنطينة وتعد عاصمة بايلك الشرق الذي يحتل القسم الأكبر من بايلكات الجزائر المسيطر على مركز الإمارة⁵، بحيث تتميز مدينة قسنطينة من أحسن الحواضر في العالم، تشرف على سهول واسعة وأرياف سخية بالزراعة والفلاحة، وهي عبارة عن قلعة حصينة بالأسوار المرتفعة⁶.

ويبدو الوصول إليها يوجد فيه صعوبة إلا بعد العبور، ويرجع ذلك إلى منعها وتحصيناتها الطبيعية، ولذلك أصبحت تعرف بمدينة الهواء وهذا كناية عن كثرة القناطر والجسور الموصل إليها، ضف إلى ذلك كونها محاطة من فراغ في مختلف الإتجاهات، بحيث نجد في تاريخها ما يؤكد حصانتها و وإنفراد عمرانها، وهو قول حمود باي لوزيره الكاهية سليمان حينما أراد أن يقتحم مدينة قسنطينة وهويقول: " باركوا يا أهالي قسنطينة ذكرى أسلافكم الذين شيّدوا المدينة على قمة ممتنعة، في كل المناطق تحوم الغربان فوق رؤوس الناس، وتحلقون هنا فوق الغربان"⁷.

1 عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيون الاداريون في إقليم الشرق الجزائري-ارنست مارسيه نموذجا-، مذكرة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2007-2008، ص 42.

2 محمد صالح العنترى: فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة و تحقيق: يحي بوعزيز ، طبعة خاصة ،عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2009، ص17.

3 في وصف الباحث أندري نوشي أن الحدود الشرقية غير مستقرة ،وهي في حركية دائمة،أنظر إلى: André Nouschi , Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1916, Paris, 1961, p.15.

4 عائشة غطاس و أخريات :الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها ،طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني، 2007، ص 207.

5 Marcel Emerit , L'Algérie à l'époque d'Abdelkader, Paris, Larose, 1953, p.241.

6 André Nouschi, Constantine à la veille de l'occupation, Cahier tunisien, n°11, année 1955, pp.171- 178.

7 بدرالدين شعباني، مدينة قسنطينة في العهد العثماني-الأصالة والتراث-، مجلة الدراسات، مج7، ع2020، ص 81.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

والجدير بالذكر أن بايلك الشرق من أهم البيلاكات الموجودة في الجزائر العثمانية¹، تأسس سنة 974هـ/1576م²، ومقره قسنطينة³، ويحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد دار السلطان⁴، ويمتد من الحدود التونسية شرقا حتى بلاد القبائل الكبرى غربا ويحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء⁵.

وإذا قمنا بالمقارنة نجد مدينة قسنطينة مع مدن أخرى في نفس البايك على سبيل المثال لا الحصر نجد حاضرة بجاية التي تقع في الساحل الشمالي الشرقي، فإن بجاية كانت تعتبر خلال العهد الحفصي بالنسبة لقسنطينة بمثابة العاصمة السياسية فقط، ولم تصل إلى مستوى مدينة قسنطينة بالرغم من الأهمية البالغة لمكانتها من حيث كونها مركزا دينيا وتجاريا وكذلك علمياً بإمتهانها⁶.

ويضم البايك داخل حوزته مجموعة من القبائل الكبرى التي تحضى بنفوذ قوي بالمنطقة من ذلك

مثلا :

في الجهة الشرقية: عامر شراقة وأولاد زناتي، وأولاد زناتي، وكذلك أولاد يحيى بن طالب ويحمل شيخ القبيلة لقب الدير، كما نجد قبائل الحنانشة والشياينة وأولاد علي وتيفاش وكذلك النمامشة و العمامرة والمعط الله، أما بالنسبة لجهة الغربية يوجد قبائل التلاغمة، أولاد عبد النور، و عامر الغرابية، أيضا نجد مجانة المسكونة من طرف الحشم و عياض وأولاد خلوف وغيرها⁷.

أما من ناحية تركيبة المجتمع القسنطيني خلال العصر الحديث نجدها على النحو التالي: من الأتراك والكراغلة والعرب واليهود، موزعين حسب هذه الإحصائيات: 525 عائلة تركية وكرغلية، و 600 عائلة أهلية، و 100 عائلة يهودية⁸.

1 عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص63.

2 محمد بن ميمون الجزائري ،التخفة المرضية في الدولة البكداشية، د، ج، تق وتغ: محمد بن عبد الرحمن ،(د، ط)، الجزائر ، 2007، ص63.

3 شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ن المغرب) ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1977، ص102.

4 علي خلاصي ، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور ، د، ج، ط1، دار الحضارة ، الجزائر 2015 ص138.

5 عمار بوحوش ، نفس المرجع السابق ، ص63

6 Robert Brunschvig , La berberie orientale sous les Hafside : des origines à la fin du VXe siècle, Paris, T1, 1940, p.38.

7 Abdeljalili Temimi : Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830–1837),

Publication de la revue d'histoire maghrébine, vol.8, Tunis, 1978, p.50.

8 Grangaud Ibid , Histoire sociale de Constantine aux XVIIIe siècle, D.E.A, en histoire, 1991, p.17.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

والجدير بالذكر نجد الكثير من القبائل المشهورة بحاضرة قسنطينة، إضافة إلى ذلك نجد لها جذور تاريخية وهي القبائل النبيلة و العريقة التي كانت تحمل اسم "بلدي"، وارتبطت هذه القبائل بسكان ضواحي المدينة بعلاقات المصاهرة من جهة، وكذلك طبيعة و نمط حياتهم الخاص من جهة أخرى، من بين هذه العائلات أسرة بن الفقون أو بما يصطلح عليهم (عائلة الفكون)، أسرة بن حسين، أسرة صالح باي، أسرة باش تارزي، أسرة كوتشوك علي، أسرة بن جلول، أسرة بن لجاوي، وأجدر أملاكهم بالذكر التي توجد بوادي بومرزوق ووادي الرمال ومعظم أعيان سكان مدينة قسنطينة ملاك في الدواوير ويمثل نشاطهم الاقتصادي في الزراعة وغيرها¹.

وهكذا فإن بايلك الشرق يعتبر من أهم الأقاليم في إيالة الجزائر سواء من حيث عمقه الجنوبي أو مساحته أو ثروته، فهو يملك أحسن الأراضي التي تركز عليها زراعة الحبوب بالخصوص وهذه الأراضي السهلية الغنية بفلاحتها وضعت تحت تصف الباي مباشرة.

أما المناطق الجبلية والصحراوية فقد خضعت لسلطة لرؤساء المحليين²، وفي هذا السياق يذهب لوجي دوتاسي بقوله: "...أن أقليم مقاطعة حكومة الشرق محاطة بالجبال العالية المسكونة من طرف العرب والبدو والذين يعبرون بحريتهم ويكون جزءا منهم من المملكة يقسم إلى أوطان التي تحكم من طرف الشيوخ الذين يستخدمهم البايات في اغتصاب حقوق الانسان..."³.

وهكذا فإن شساعة بايلك الشرق وأهمية القبائل الكبرى التي تقنطه تبين لنا مدى صعوبة تسيير هذا البايك وإخضاع القبائل لأوامر الباي، وتذكر المصادر أن صالح باي كان في علاقة جيدة مع المرابطين، ولايطالبهم بنفس طاعة الرعية، ولأنه غمرهم بالإمتيازات والهدايا، مما أسهم في استقرار التواجد العثماني في بدايته⁴. إلا أن هنالك بعض المرابطين المعارضين لتواجد العثماني في الجزائر مثل: سيدي محمد الغراب، بحيث كان المرابطين السنين المتشددين، وموقفه واضح اتجاه السلطة الحاكمة، بحيث إستقر بجبال الأونقار، وجل خطبه ضد السلطة الحاكمة، مما أغضب صالح باي⁵، ونجد الكثير من المرابطين الذين موقفهم واضح اتجاه السلطة التركية، الذي أسهم هذا الأخير في إستقرار التواجد العثماني في بايلك الشرق

1 أحمد سيساوي، نفس المرجع السابق، ص18.

2 أحمد السليمانى ، النظام السياسي في الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الكتاب ،الجزائر 1993 ،ص37-38.

3 سفيان صغير،العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات ، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة باتنة ، 2011 - 2012 ، ص 63.

4 Ernest Mercier, Histoire de Constantine, p 282.

5 E.Mercier : Histoire de Constantine, p 282, 283 et M.Gaid : Chronique des beys de Constantine, p 41, et E.Mercier : Histoire de l'Afrique, tome 3, p 429 .

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

ومما سبق ذكره نلاحظ أن من خلال هذا التقسيم الإداري لأيالة الجزائر الذي وضع أسسه خير الدين بربروسا، أنه تأسس على نظرة استشرافية دقيقة وإستراتيجية على أسس عسكرية إدارية إن صح التعبير، وضحت لنا مدى أهمية الأيالة ومحاولة بسط الأمن والأستقرار داخلها.

تعتبر مدينة قسنطينة من أهم المدن التي تتميز بموقع جغرافي واستراتيجي، ويظهر ذلك من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان فالمتأمل الأولي لكتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان¹ يجد أن هذا المصدر قد تعرض لوصف دقيق وشامل لبلاد المغرب خلال المرحلة الأخيرة من العصر الوسيط حيث قام بتقسيمها إلى أربعة ممالك حسب نظام الحكم السائد في تلك الفترة الزمنية والجوهر في دراستنا هي مملكة تونس التي تنتمي إليها مدينة قسن طينة محل الدراسة والتي وضعها الحسن الوزان ضمن الأقاليم الأربعة التي تنقسم إليها هذه المملكة وأعطى لمدينة قسن طينة في مطلع القرن العاشر الهجري/م وصفا محوري تطرق فيها الى جوانب مختلفة من مظاهر الحياة لينتج لنا في الأخير نصوصا تاريخية مست بشكل مباشر وخاص الجوانب الطبيعية والسياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية والعمرانية².

بحيث يشير الحسن الوزان في بداية تعريفه لمدينة قسنطينة إلى أنها مدينة قديمة يعود بناؤها إلى الفترة الرومانية، وذلك في قوله: "مدينة قديمة بناها الرومان، وهذا شيء لا يمكن إنكاره نظرا لأسوارها العتيقة العالية السمكية المبنية بالحجر المنحوت المسود"³، وهذا ما تميزت به مدينة قسنطينة، إضافة الى

1 هو الحسن بن محمد الوزان، أبو علي، الغرناطي أصلا، الفاسي دارا، المسمى في أسره يحى الأسد والمعروف عند الإفرنج باسم ليون الإفريقي، جغرافي من العلماء، رحالة، مؤرخ أندلسي، ولد في غرناطة وهاجر طفلا مع أبيه وبعض أقاربه إلى فاس فتعلم بجامع القرويين، كان من أسرة وجيهة، فانتدب أبوه لبعض السفارات والوساطات السياسية، ثم انتدب هو لمثل ذلك، فتيسرت له الرحلة إلى أكثر بلدان إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط، حج سنة 921هـ. ودخل الأستانة ومصر وطاف بلاد المغرب الأقصى وزار تمبكتو عن طريق درعة وعاد منها عن طريق سجلماسة وحضر حروبا بين البرتغال والشريف محمد السعدي (القائم بأمر الله)، وأسر قرصان من الإيطاليين سنة 923هـ أو 926هـ قرب جزيرة جربة، وأخذه إلى نابلي وعرفوا أنه من أهل العلم فقدموه هدية إلى البابا ليون العاشر، وكانت للبابا عناية بعلم العرب، فأكرمه وأدخله في خاصته وسماه "جان ليون" وأشيع أنه تنصر، وما من دليل يؤكد ذلك، وتعلم الإيطالية واللاتينية، وكان يحسن الإسبانية والعبرية، وطلب منه البابا أن يترجم رحلته إلى الإيطالية ففعل، من مؤلفاته: "وصف إفريقيا"، "مختصر تاريخ الإسلام"، و"مجموع شعري" في الوعظ والزهد، وله رسالة باللاتينية في "تراجم الأطباء والفلاسفة العرب"، كتاب في "العقائد والفقهاء الإسلامي"، وقد عاد الوزان إلى بلاده حوالي سنة 934هـ/1527م، ومات على أكثر الروايات مسلما في تونس نحو سنة 1552م، انظر الى : خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج2، ص217-21، راجع ايضا: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، دبت، ج 01، ص592.

2 خديجة بورملة، قسنطينة في جغرافية ورطة الحسن الوزان، عصور الجديدة، ع18، عدد خاص بقسنطينة، أوت2015، ص44.

3 الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2 الطبعة 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص55.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

كثرة الشواهد العمرانية بها، وهذا ان دل إنما يدل على تدرج حضاري الذي عرفته حاضرة قسنطينة في فترات زمنية مختلفة.

وهو ما اتفقت عليه جميع المصادر الجغرافية السابقة له مثل كتاب المسالك والممالك للبكري، وذلك في قوله: "مدينة أولية كبيرة"¹، وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي الذي نجد لديه أوصافا للآثار الموجودة بها، والتي يؤكد أنها تعود إلى الفترة الرومانية²، وكتاب الاستبصار في قول صاحبه: "مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول"³.

أما بالنسبة لموقع المدينة وما يحيط بها من مظاهر تضاريسية، نجد لدى الحسن الوزان تفاصيل مهمة في قوله: "وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية، يمر عند قدميها نهر اسمه سوفغمار، والضفة الأخرى لهذا النهر محاطة أيضا بصخور، بحيث أن الشعب السحيق الواقع بين هذين الجرفين يستعمل كخندق للمدينة، بل هو أكثر نفعا لها من الخندق، وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة، بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة الجبل، بحيث أن الصعود إلى قسنطينة لا يمكن إلا من طريقين صغيرين ضيقين، أحدهما إلى جهة الشرق والآخر إلى جهة الغرب"⁴.

في حين تحدث البكري عن حصانة المدينة وموقعها المنيع، كما ذكر الأودية التي تتصل بها ومدى روعتها الطبيعية وكذا أهم القبائل التي كانت تسكنها (ميلة- نغزوة- قسيطة) وكذلك تحدث عن أسواقها⁵.

أما الإدريسي فيصف أسواقها وأهم المنتجات التي تباع فيها، بالإضافة إلى موقعها وتكوينها الطبيعي، كما تحدث عن كيفية البناء وأهم المواد المستعملة في تشييد المنازل في المدينة ووصف ودياها وتحصينها الطبيعي بالإضافة إلى السور المقام جهة ميلة والمزارع الممتدة في جميع جهاتها⁶، ومن جهته

1 لبكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج2، ص:24.

2 القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي أبي عبد الله الشريف، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص166.

3 مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص16.

4 الحسن الوزان، نفس المصدر السابق، ج 2، ص55-56.

5 الحسن الوزان، نفس المصدر السابق، ج 2، ص55-56.

6 عبدالحليم طاهري، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق القصر بمدينة قسنطينة، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص44.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بابلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

أبرز ياقوت الحموي موقع قسنطينة بالتحديد وأهم المناطق التي تحيط بها ، كما تكلم عن مزارعها ومناطقها الرعوية¹.

ويعد الرحالة البكري (ت480هـ/1087م) من الذين قدموا وصفا دقيقا لمدينة قسنطينة حيث يقول: "وهي مدينة أولية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعه ليس يعرف أحسن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن، قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار - تفسيره: سوداء -، وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد ثم بني فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر عليه إلى المدينة، ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده، ويسمى هذا البيت "العبور" لأنه معلق في الهواء².

وأطلق عليها الإدريسي (ق6هـ/12م) مدينة الهواء، في كتابه "نزهة المشتاق" حيث يقول: "..... ومنها في الشرق إلى مدينة قسنطينة الهواء ثمانية عشرة ميلا ويصل بينها جبل والطريق به، ومدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الإستدارة لا يتوصل إليه من مكان إلا من جهة باب في غر بيها ليس بكثير السعة، ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديرا بها³، وأراضيها كلها صلد، وهي من أحسن بلاد الله . "ولعله يقصد بالهواء الرياح المحيطة بكل جانب وذلك لارتفاعها إضافة إلى وديانها وشلالاتها وجبالها . وقد تغنى بها شاعر قسنطينة الفحل شاعر الدولة الحفصية المولود بقسنطينة عام (829هـ/1425م) (ابن الخلف القسنطيني فيقول:

ومن تونس وفت قسنطينة الهوى لتسع ليال خيله والركائب⁴.

بحيث يصف المتصوف الحسن الورثياني في رحلته عن تحصينات المدينة فقال " ...وعليها سور كبير ... وعسكر من الترك بقدر حالها وبأي سطوته عظيمة وحاله كبير ، وعساكره كثيرة ، ومددها قوي..."⁵.

كما تعرض الرحالة العبدري لمدينة قسنطينة بقوله: "هي مدينة عجيبة حصينة.... يحيط بها نهر هادر، في خندق غير سالك، بالصخرة التي تنتصب عليها كما يحيط السوار بالمعصم، وتحصنها هذه

1 ياقوت الحموي، أبي عبد الله شهاب الدين: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج4، ص349.

2 البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج2، ص244.

3 لإدريسي، أبو عبد الله الشريف: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، مج1، ص - 205-207..

4 أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، تح وتعد عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011، ص21.

5 الحسن بن محمد الورثياني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1974 ص 686.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

الصخرة مثلما تحصن قمم الجبال عش الغراب الأعصم¹، " هذا ما يدل على حصانة المدينة التي أثارت إعجاب الرحالة العبري.

كما يذهب ابن حوقل بوصف دقيق حول مدينة قسنطينة من خلال كتابه (صورة الأرض) قوله: "..... إلى مدينة قسنطينة الهواء وكثامة... يضيفون المارة ويطعمون الطعام....."، ثم يضيف: "وطريق آخر هو أقرب من الساحل يأخذ على الإبر بس تيفاش، قصر الإفريقي، تيجس، القسطنطينية، ميلة، مقره..."².

ويرى المؤرخ أحمد توفيق المدني من خلال وصفه لمدينة قسنطينة وعلى حد قوله:³ هي أم المدن من الناحية الشرقية ومركز الإدارة والتجارة والثقافة وهي أبداع مدن القطر الجزائري من حيث الموقع الطبيعي، فهي مدينة مبنية على جسر في صخرة بينهما وادي الرمال⁴، ويطلق عليه الأهالي اسم الوادي الكبير⁵، وتعرف تاريخيا بعش النسر⁶.

ويضيف الأديب الشاعر "غي دو موباسان" الذي زارها سنة 1890 في كتابه "ausoleil" حيث قال " : هذه قسنطينة المدينة الظاهرة، قسنطينة الغربية، فكما الثعبان الحارس يجلس تحت قدميها وادي الرمال الخارق، نهر جهنم الذي يصب في أعماق هوه حمراء، وكأن اللهب الخالد أحرقه إنه يجعل من المدينة جزيرة، هذا النهر الغيور والمدهش يحيطها بهوة مرعبة وملتوية بصخورها اللامعة والغريبة..."⁷.

ويذهب أيضا إميل فالي Émile VALLEY ويقول: "تقع مدينة قسنطينة بين التل والهضاب العليا وبين القبائل والسهول وتسيطر على إقليم زراعة الحبوب، وبهذا تعتبر أكبر وأوسع المناطق الزراعية وأغناها

1 العبدري، محمد بن محمد بن علي: الرحلة المغربية، تق سعد بو فلاقة، مؤسسة بونة للبحث والدراسات، الجزائر، 2007، ص 58،

2 ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي: صروة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص، ص 66-67.

3 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 31-32.

4 واد الرمال: هو وادي يحيط بالصخرة ويعود تكوينه إلى نهاية الزمن الرابع في عصر البلايستوسين الحديث، عندما بدأت المياه تتحت الصخر الكلسي وتوسع الشقوق الموجودة فيه وتعمها، فكون الوادي سلسلة من الدهاليز تحولت إلى مخازن للمياه التي عملت على كسر سقوف هذه الدهاليز وبهذه الصورة تكون الأخدود الحالي، أنظر إلى: رتيبة حميود، لألغاز الشعبية في مدينة قسنطينة (دراسة إحصائية تحليلية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة منتوري قسنطينة، 2004-2005، ص 28.

5 فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837)، تر، تق، أبو العبد دودو، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 73.

6 Rozet Et Carette, L'Algérie, Imprimeurs De L'institut, Rue Jacob, 56, Paris 1850, p 108.

7 بواريو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط 2، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، 2013، ص 167.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

وأكثر المناطق الأهلة بالسكان¹، ومن خلال وصف فالي قد وضع لنا العوامل التي جعلت من قسنطينة هي أكبر الأقاليم الجزائرية في الجانب الزراعي، ويعود ذلك إلى أهمية الموقع الجيوإستراتيجي، مما جعلها مركز إستقطاب للسكان، ومنها نجد أن مختلف أو معظم الكتابات سواء منها العربية أو حتى الفرنسية منها وغيرها، قد نالت مدينة قسنطينة وصفا دقيقا سواء من الناحية العمرانية أو الجانب الطبيعي، والإستراتيجي التي امتلكتها منذ القديم والتي لازلت تحتفظ بها ونجد الكثير من الرحالة أو ربما كلهم إن صدق القول و المتحدث عنهم قد أولوا في وصف لكل المظاهر الجغرافية في كتاباتهم والتي عرفت بها المدينة عبر التاريخ.

كل هذه المؤشرات لها دلالة واحدة وكذلك تؤكد لنا على حصانة مدينة قسنطينة من الناحية الطبيعية، بحيث أن موقعها في أعلى قمة الجبل والنهر المحيط بها، مما يجعل الوصول فيه الكثير من الصعوبة أو الدخول إليها، إضافة إلى أسوارها القوية، وهو ما يزيد من منعها، ولهذا يتم إختارها مركز لبايك الشرق من السطلة التركية في الجزائر.

3 الجذور التاريخية لأصل تسمية مدينة قسنطينة:

نجد عدة تسميات المدينة ويرجع ذلك إلى طول عمرها عبر التاريخ، وبالتالي سنحاول الوقوف على هاته التسميات من خلال ماورد في بعض المصادر والمراجع إضافة إلى بعض الدراسات، فمن بين أقدم هاته التسميات كان اسم سيرتا (Cirta)، ويقال عنه أنه اسم سامي الأصل وأنه تحريف للاسم الحقيقي الذي هو كرتن (crtن) والمقصود به هو المدينة القلعة أو إضافة إلى كونها مدينة قديمة بناها الرومان²، وكذلك سميت قسنطينة في القرون الوسطى "بسيرطا" وكانت عاصمة سلاطين نوميديا³، فقام ماسينيما والملوك الذين جاءوا بعده وقاموا بتنظيمها⁴، وقد وجدت عملة برونزية عثر عليها بضواحي

1 عمار بوطبة، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص24.

2 سعودي يمينة، نفس المرجع السابق، ص12.

3 يبدو أن نوميد هي لفظة بربرية الأصل، إلا أنها إمتزجت منذ القدم بكلمة نودماس اليونانية والتي تدل على الرعاة الرحالة أنظر إلى: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ط2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص29. أما في المصادر اللاتينية فقد أطلقت عليها باسم Numidae وذلك نسبة إلى سكان شمال إفريقيا، يمكن الرجوع إلى: فتيحة فرحاني، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني (213 ق.م-46 ق.م)، منشورات أبيك، (دم.ن)، 2011، ص21.

4 ابن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح، عبد الله حمادي، الطبعة الجديدة، دار الفائز للطباعة والنشر قسنطينة، 2017، ص83.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

المدينة ظهر على وجهها صورة لراس امرأة يعلوه تاج ويأخذ شكل بريجات-تصغير لبرج-مسننة أعلاه تتخللها أبواب، ويعتقد انها تشير الى أبواب سيرتا القديمة، وكان ذلك اثناء حكم النوميديين، وامام الراس المتوج داخلة العملة البرونزية، وجدت كتابة بونية جديدة، تتكون من أربعة حروف هي (ك-ر-ت-ن) ومجموع هذه الحروف يشير الى كارتن او كارتة القديمة لضرورة يقتضها النطق قراها الرومان وفقا لغتهم اللاتينية فيما بعد سيرتا¹.

وقد عرفت أيضا باسم اخر وهو "بلد الهواء" او "بلدة الهوى" حيث جاء في البحث الذي قدمه الأستاذ 'جو ليود' من كلية العلوم بباريس وحسب مضمون البحث: 'اشتهر موقع وادي قسنطينة، في سائر البلاد الجزائرية بروعة منظر مجراه الطبيعي في أعماق الشقوق السخرية، كما اشتهر بدوره التاريخي الذي لا نعرف له بداية، وقسنطينة ذات الوضعية الفطرية البديهية كانت مثار الهام للشعراء والكتاب وصدور الكثير من الامثال الشعبية والاقوال المأثورة في وصفها، وما فتا العرب يسمونها بلدة الهواء او بلدة الهوى'².

وتعرف المدينة حاليا باسم قسنطينة نسبة الى قسطنطين الكبير الذي أعاد بناءها وترميم اسوارها واعطاها هذا الاسم، وذلك بعد ان هدمها الصراع بين امبراطور روما (ماكس انس ودوم تيوس ألكسندر) والذي اتخذ من مدينة سيرتا عاصمة له غير مبال بالسلطة الحاكمة في روما³.

وترجح بعض المصادر التاريخية في سبب التباين والتناقض في أصل هذا الاسم فقد ذكرنا ان المدينة أطلق عليها بهذا الاسم نسبة مجددها قسطنطين، والأرجح هو ان اسم المدينة مركب من كلمتين هما: قصر - طينة، فامتزجت الكلمتان، وصارت بحكم النطق المتغير والتطور الزمني والتاريخي وما أصاب الكلمة من تحريف فتحول الاسم من "قصر طينة" الى اسم قسنطينة وذلك بإبدال الصاد سينا والراء نونا⁴، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد المغاربة في المغرب الأقصى يسمونها كما جاء في كتبهم التاريخية-قسم طينة (قسنطينة)⁵.

إضافة إلى ذلك نجد في معجم البلدان "لياقوت الحموي الرومي البغدادي، الذي أوقفنا على اسم (قسنطينة) فعرّفها على حسب قوله: " قسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسرة خفيفة فهاء، وتلقب مدينة وقلعة كما يقال عنها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد وهي من حدود افريقية مما يلي المغرب وحولها مزارع كثير..."⁶.

1سعودي يمينة، نفس المرجع السابق، ص 12.

2محمد بن شغيب المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص10.
3نفسه، ص 10.

سعودي يمينة، نفس المرجع السابق، ص 4.15

بورابو عبد الحفيظ، نفس المرجع السابق، ص 5.67

6لياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، مج4، دار صادر، بيروت، 1995، ص 349.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

لقد اختلفت الآراء وبيانت حول أصل تسمية مدينة قسنطينة، فنجد في عصر العلامة ابن قنفذ القسنطيني، كانت تسمى حصن طينة إذ يقول آخر رجزه:

يعرف بـ ابن قنفذ اشتهاره من حصن طينة تلك داره.

وفي سنة 1150هـ أصبحت المدينة تعرف بإسم "قصر طينة"¹، وما يؤكد ذلك ما جاء في قصيدة يستنجد فيها صاحبها... العلماء والصالحين من المغرب الأقصى وبالخصوص وكذلك أولياء المغرب العرب بشكل عام، وما جاء في هذه المطولة قوله:

ويـن قـصـر طـينـة ويـن بـن سـلمـيان وبدرالـمـدين

وكذلك في عصر ابن الفكون خلال القرن (11هـ/17م) عرفت كذلك بقصر طينة، والدليل على ذلك نص الرسالة بعث بها إليه العلامة إبراهيم الشهير بابن قدورة وحسب ما جاء فيها: "...إلى مقام العلوم التي بحرها زاخر و زينة بالحسن الناظر... ومن شرفت به -قصر طينة-..."².

وبالتالي نجد أن هناك اختلافات في الآراء حول أصل التسمية لقسنطينة وأقرب هذه الآراء هي اسم قسنطينة، الذي هو إسم مركب من كلمة قسروطينة حيث اجتمعت الكلمتان بحكم النطق المتغير والتطور الزمني في الكلمة، وذلك بتعويض الصاد سينا والراء نونا، ويرى أيضا المؤرخون خاصة الفرنسيين منهم أن الاسم المستقر (قسنطينة) يرجع في الأصل إلى الرومان³.

4 المراكز الثقافية والدينية لحاضرة قسنطينة خلال العهد العثماني:

تكمن القيمة العلمية والفكرية لأي مدينة من عدد مؤسساتها الثقافية وتنوعها، ومن كمية تمويلها وقيمة مداخيلها فهي تمثل الهوية أو الصورة الحقيقية لأي مجتمع، فمن خلالها يدرس المستوى الثقافي لأبناء تلك البيئة. فمدينة قسنطينة عرفت إنشاء المراكز الثقافية قبل الوجود العثماني بها، لكن مع دخول المدينة تحت الراية العثمانية 1535م وخلال فترات حكم باياتها اكتسبت مدينة قسنطينة قوة وحصانة، وكان حكام وأعيان المدينة مهتمين بتأسيس تلك المؤسسات، وأصبحت حاضرة ثقافية مثلها مثل باقي الحواضر المغاربية، وعرفت إقبالا داخل المدينة وخارجها، وبالتالي فيما تمثلت أهم المعالم الحضارية والثقافية لحاضرة قسنطينة في العصر الحديث؟

1 عبد الحفيظ بورايو، نفس المرجع السابق، ص 97.

2 نفسه، ص 98.

3 الصيد سليمان، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الاخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجراند، الجزائر 1994، ص 9.

أهم المساجد في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

حسب الدراسات السابقة نجد تباين وإختلاف في المعطيات والأرقام وكذلك الإحصائيات حول عدد مساجد قسنطينة خلال العهد العثماني، فحسب الورتلاني الذي زار المدينة في القرن الثامن عشر أنه يوجد بها نحو خمسة مساجد للجمعة وبعضها متقن في غاية الإتقان حيث يقول أن صانعها واحد،¹ أما خلال عهد صالح باي فقليل أن عدد المساجد بلغ خمسة وسبعين مسجدا، أما الإحصاءات التي جاءت قبل الاحتلال تقول أن قسنطينة كانت تضم خمسة وثلاثين جامعاً وهذا ما يؤكد فيرو (féraud) في عملية إحصائية قام بها، بحيث يذكر 75 مسجداً وجامعاً، إضافة إلى سبعة مساجد خارج المدينة في عهد صالح باي، ويذهب قايد فيذكر أن بمدينة قسنطينة يوجد حوالي مئة مركز ديني بين مسجد وزاوية وجامع ومدرسة.³

1.4.1 الجامع الكبير :

يقع بين الساحة المسماة بالبطحاء وسوق الجلود،⁴ وهو أقدم جامع بالمدينة،⁵ حسب ما دلت عليه كتابة عربية بالخط الكوفي كانت حول المحراب الحروف التي تتكون منها الكتابة من النمط الكوفي و لا تحمل نقاطاً،⁶ وقد جاء في نص، هاته الكتابة ما يلي: هذا من عمل بوعلي البغدادي في عام 530 هـ الموافق لـ 1136 م.⁷ ولكن لا نعلم إن كانت الكتابة دالة على إتمام بنائه أو إصلاحه وتجديد محرابه، ويذكر جورج مارسيلي أن تاريخ بناء الجامع الكبير مجهول ، وأنه كان موجوداً حسبما دلت عليه كتابة عربية أخرى عثر عليها أثناء الهدم في القرن السادس هجري،⁸ ويمتاز الجامع ببهاته الكتابات المنقوشة على جدرانها.⁹

1 الحسين بن محمد الورتيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، مج2، تن ورف: عبد الكافي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص791.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص248.

3 مريم رزاق بوعزة، أمال علوان، دور المساجد في التفاعل الثقافي في المجتمع الجزائري إبان العهد العثماني، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، ماي 2022، ص365.

4 أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ج5، ص181.

5 فاطمة الزهراء قشي معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، ع19-20، 2013، ص13.

6 كرشيد بوربية، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص71.

7 محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص232.

8 المرجع نفسه، ص232

9 أحلام صبرينة طرشي ، صناعة النحاس بقسنطينة دراسة فنية ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

قيل أنه أقيم على أنقاض معبد روماني¹، ولكن الحفريات والبحوث لم تثبت ذلك². كان يحتوي على أربعين عرصة ووصفه شيربونو بأنه يشكل³، بحيث يتكون بيت الصلاة فيه من ست بلاطات موزعة على ثمانية أساكيب، والمسجد محراب رائع حنيته تعلوها قبيبة مقصعة، وتنصبه المئذنة بالجدار الشمالي للجامع⁴، بحيث نجد الوصف الذي تكلم عليه الحسن الوزان بقوله: "...قسنطينة مليئ بالذور الجميلة والبنائات المحترمة كجامع الكبير..."⁵. (أنظر الملحق رقم 08).

جده ووسعه شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن عبد الكريم الفقون بناء الجزء الشرق من الجامع⁶، مما يلي مساكن آل الفقون التي من ضمنها تربتهم المخصصة لدفن عائلتهم⁷. كان لهذا المسجد دور كبير في مجال التعلم والتثقيف وإقامة الدروس⁸، ومن بين العلماء الذين لهم التدريس في هذا المسجد المكي البوطالي والشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي⁹ في مختلف العلوم¹⁰، أما منارته فهي حديثة العهد¹¹.

أبي بكر بالفايد، تلمسان، 2011-2012، ص 37.

1 العربي س.ب، الجامع الكبير معلم لثراء التراث المشيد بقسنطينة، 17/03/2018، elmassar-ar.com

2 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 5، ص 181

3 محمد المهدي بن علي الشغيب، نفس المرجع السابق، ص 232

4 عبد الكريم عزوق، تطور المآذن في الجزائر، ط 2، شركة ابن باديس الجزائر، 2011، ص 44.

5 الحسن الوزان، نفس المصدر السابق، ص 94.

6 وردة نوري، الجامع الكبير بقسنطينة تحفة تستقبل المصلين منذ 8 قرون، الفجر،

www.djazairiss.com 06/08/2011

7 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص 233.

8 كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر - التأسيس والتطور (1850-1959) -، مذكرة ماجستير، جامعة الإخوة

منتوري، قسنطينة، 2008، ص 29.

9 حمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي القسنطيني: أول مدير عربي لمدرسة عربية فرنسية في عهد الاستعمار الفرنسي بقسنطينة، عالم جليل، وأديب مشهور، أصل عائلته من عرش البوازيد عرب الصحراء وأشرفها، المستقرين غرب مدينة طولقة، وهناك ولادته، واسم والده عيسى خلافا لما في تحفة الزائر من كون اسم أبيه محمد.

استقر بمدينة قسنطينة قبيل الاحتلال الفرنسي للبلاد، وعندما كان بصدد طلب العلم، جاء إلى قسنطينة، وبعد إقامته مدة بها، توجه إلى ناحية أولاد يعقوب من أرض فرجوية التابعة لفتح مزالة عند بعض أقاربه هناك، ثم عاد إلى قسنطينة وقرأ بها في جامع رجب باي برحبة الصوف، على الشيخ السعيد بن طبال، قرأ عليه الفقه، وقرأ اللغة والأدب على الشيخ أحمد العباسي قاضي المالكية، وسكن دارا لبعض أقاربه من البوازيد في حي السوقية بجوار الجامع الكبير بقسنطينة، للمزيد أنظر إلى: عادل نويهيض، معجم أعلام الجزائر، نفس المرجع السابق، ص 85.

10 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص 237.

11 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج 5، ص 82.

2.4.1 جامع حسن باي 1:

يعد هذا الجامع من أهم مساجد المدينة²، أمر ببنائه الباي حسن المعروف باسم (قليان) ويكنى أيضا بأبي كمية، وكان ذلك سنة 1134هـ الموافق ل1721م، قام بتصميمه وبنائه الكاتب الحاج عباس ابن علي، حسبما دلت عليه كتابة عربية منقوشة على رخامة وجدت ببيوت قصر الباي المجاور للمسجد³.

لجامع سوق الغزل عدة واجهات الواجهة الشرقية والغربية والجنوبية، كما يمتاز بزخارف منقوشة بمهارة كبيرة⁴، ويبلغ طول منبره 3.34 متر وارتفاعه 2.78 متر، وعرضه 0.96 متر وهو مضع من الخشب المنقوش كما يمتاز أيضا بمحرابه وبقبابه⁵. (أنظر الملحق رقم 09).

جمع هذا الجامع مجموعة من العلماء⁶، وكان موظفوه في عهد صالح باي موزعين على النحو التالي مع مخصصات لكل منهم : الخطيب 100 ريال، الإمام 50 ريال، 30 ريالاً لرئيس المؤذنين ، 125 ريالاً لخمسة مؤذنين (25 ريال لكل واحد منهم)، 20 ريالاً لخمسة حزابين أي 4 ريالاً لكل واحد منهم، 4 ريالاً لحامل عكاز الخطيب، 28 ريالاً للمنظفين، 40 ريالاً لناظر الوقف (الوكيل)، و 48 ريالاً لمدرس المدرسة التابعة للجامع، 144 ريالاً للطلبة⁷.

حواله الاحتلال والتعصب الديني إلى كاتدرائية كاثوليكية⁸، وظل كذلك إلى أن عاد إلى أصله بعد الاستقلال⁹.

3.4.1 الجامع الأخضر :

ويسمى كذلك جامع سيدي الأخضر¹، أمر ببنائه الباي حسن بن حسين الملقب بأبي حنك عام 1157هـ الموافق ل1743م².

1 يطلق عليه اسم جامع سوق الغزل. أنظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج5، ص 82.

2 محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص240.

3 محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص243.

4 كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2013، ص122.

5 كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ص123.

6 خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007، ص78.

7 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص257

8 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 88 .

9 أحلام صبرينة طرشي، نفس المرجع السابق، ص 37.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

وحسبما دلت عليه كتابة وجاء في نص الكتابة ما يلي:

- 1- أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم.
- 2- وتشديد بنائه للصلاة والتسبيح.
- 3- ذو القدر العلي والتدبير الكامل الحسن الرأي أميرنا.
- 4- وسيدنا حسن باي أدام الله أيامه وكان تمام بنائه.
- 5- أواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة وألف.

يبلغ عرض هاته الكتابة 1.20 على 65 سنتمترا ارتفاعا أفرغت على الجبس إفراغا بارزا، ووضعت فوق النافذة الواقعة بين بابي بيت الصلاة لها شكل مضلع سداسي غير منتظم ضلعان منه متوازيان مستقيما الخط والأربعة الأخرى صغيرة منحنية³.

يوجد "على يمين وشمال الكتابة تزويقا مكونا من دائرتين ذواتي مركز واحد وزخرفا على شكل زهرة زين التاج المكون من الدوائر بنقط رسمت على شكل رقعة شطرنج بينما قسمت الدائرة الداخلية إلى ستة أقسام وضعت وسط كل واحدة منها نقطة ضخمة، أما الزخرف الزهري فيه زينة نباتية مختصرة". تعد الكتابة خمسة أسطر أطولها متفاوتة ومحصورة داخل أطر، الأحرف التي كتبت بخط مغربي تبرز صفراء على أرضية خضراء⁴.

جاءت نقطة الظاء على اليسار في لفظ العظيم(السطرالاول).

- الشكل الخاص للتاء في لفظ الصلاة (السطر الثاني).

- الحجم الغير عادي لحرف الدال الذي ينزل تحت السطر ويشبه اللام في آخر

الكلمة وذلك في لفظ سيدنا السطر الرابع⁵.

أما الكتابة رقم 02 فجاء فيها:

عَنْ إِذْنِ بَانِيَةِ لَوْجِهِ اللَّهِ	تَمَّ بِنَاؤُنَا الْبَدِيعِ الْبَاهِي
فَصَارَ مَسْجِدًا لَنَا كَمَا تَرَى	بِهِ حَسَنٌ بِكَ بِنِ حُسَيْنٍ أَمْرًا
وَجَزَاهُ جُزْءًا مَوْقُورًا	جَعَلَ اللَّهُ سَعْيَهُ مَشْكُورًا
هَجْرَةً مِّنْ لَّهُ الْعِزُّ وَالشَّرَفُ	سَنَةً سِتِّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً أَلْفٍ مِّنْ

1 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص110.

2 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص243.

3 رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شيوخ، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص159.

4 نفسه، ص159.

5 رشيد برويبة، نفس المرجع السابق، ص 159.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

نقشت هذه الكتابة المكونة من سجع على لوحة من الرخام مقياس كل جهاتها 56 سنتمتر أو مثبتة فوق الباب الأيمن لبيت الصلاة لجامع سيدي الأخضر. تعد أربعة أسطر مقسمة إلى جزئين داخل أطر ذات شكل مسدسي تتكون من جوانبه معينات ومثلثات وضعت وسطها نقطة كبرى، وفي المعين الأوسط عوضت النقطة بالتاريخ المرقم¹.

"الحروف المكتوبة بالخط النسخي الشرقي لوحظ الشكل الخاص لـ "من" الأولى من السطر الرابع ولفظة سنة (السطر الرابع) كما لوحظت بعض الأخطاء في الرسم: جزائه بدل جزاءه (السطر الثالث) وسنة سته بدل سنة ست السطر الرابع².

يقع هذا الجامع بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف وهو يطل على الشارع من ناحية الغرب يعرف باسم (شارع سيدي الأخضر)³. وهو من مساجد المذهب الحنفي، حيث يشهد له الأثريون أنه كان مسجد بديع الصنعة⁴، يمتاز بأعمدته الرخامية وتيجانه المبينة بنقوش عجيبة ومحرايه الذي يشابه مدخلا بارزا، وقبابه المزينة بزخارف على شكل زجاجات كروية طويلة العنق ومنبره الخشبي المنقوش ودكته⁵، أما فيما يتعلق بمئذنته فهي من الطراز المضلع مثمثة الشكل من القاعدة إلى القمة - وتتنصب على الركن الشمالي الغربي من المسجد. ويتخلل جدرانها الخارجية فتحات لكنها قليلة⁶.

4.4.1 جامع سيدي الكتاني:

أسس من طرف صالح باي⁷، عام 1190هـ / 1776م⁸، يقع بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة والذي كان في زمن الاستعمار يعرف بساحة (Negrier)، ويعرف حاليا

1 نفسه، ص161.

2 نفسه، ص161.

3 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص 110.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفس المرجع السابق، ج5، ص84.

5 رتيبة حميود، نفس المرجع السابق، ص34.

6 عبد الكريم عزوق، نفس المرجع السابق، ص96.

7 هو صالح بن مصطفى، ولد بأزمير على ساحل بحر ايجه غرب الأناضول سنة 1725، اضطرته الظروف أن يغادر موطنه الأول إثر تسببه في مقتل أحد أتريابه دون تعمد، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني،

البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص333

8 محمد المهدي بن شغيب، نفس المصدر السابق، ص237.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

بسوق العصر¹، يمتاز الجامع بمدخله البارز وأعمدته المصنوعة من الرخام الأبيض وأناقة تيجانه وأقواسه ومنبره وقبابه ومآذنته الأسطوانية، وقد جلبت مواد بنائه وزينته المعمارية من إيطاليا².

كما أوقف صالح باي أوقافا عظيمة لهذا المسجد من أمواله، ويذكر الشريف الزهار في مذكراته بقوله "بنى مسجدا كبيرا وصرف عليه أموالا طائلة قل نظيرها وجعل له أوقافا كثيرة"³. كما يتميز هذا الجامع بشكله المستطيل ويتكون من طابقين يقع بيت الصلاة فيه في الطابق العلوي⁴، وجاء في نص الكتابة رقم 01 ما يلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

- 2- مطالع الخيبر جاءت
3- وأشرق الجوّ منه
4- بنى به بأي الزمان
5- تراه في الخيبر يسعى
6- جاء ربي بيئنا
- من أفق شأو السعادة
بمسجد الإفادة
هو صالح ذو المجادة
نخرا ليل يوم الإعانة
في الجبنة وزينة

نقشت هذه الكتابة على لوحة من الرخام أثبتت فوق باب من أبواب جامع سيدي الكتاني صار موصدا اليوم.⁵

5 أهم الزوايا في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني :

الزاوية مفرد لكلمة زوايا ، فهي عبارة عن مبنى يضم قبة وضريح الولي أو شيخ الطريقة ومسجدا وقبور أبناء وأحفاد الولي أو الشيخ وأحيانا يضم مكتبة وملجأ للغرباء ،وبعض الزوايا أصلها رباطات .وهناك زوايا اشتهرت بالتعليم واخرى بالعبادة واستقبال الزوار والفقراء⁶.

وما يميز العهد العثماني بالجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها⁷. وقد صنفت مؤسسات الزوايا إلى صنفين أساسيين عرف الصنف الأول بالخلواتي يدعى فيه شيوخة المعرفة بالأسرار الدينية الغيبية الخاصة ، ويعرف شيوخ أصحاب هذا الصنف من الزوايا بالطرفيين ، أما الصنف الثاني من

1 رتبة حميود، نفس المرجع السابق، ص34.

2 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص240.

3 أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج أحد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1246هـ/1754-1830م)، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص65.

4 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص 103.

5 رشيد بورويبة ، نفس المرجع السابق ، ص179

6 ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 9، نفس المرجع السابق ، ص09.

7 أشرف صالح محمد سيد ، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد التركي ، مجلة اماراباك ، مج 4، ع7، 2013، ص67.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

الزوايا فقد عرف بغير خلواتي ، وهذا النوع من الزوايا يهتم بتعليم القرآن وتلاوته للناشئة وتدريب بعض العلوم الدينية واللغوية من طرف شيوخ هذه الزوايا¹. ولعبت هاته الأخيرة بمختلف أنواعها دورا كبيرا في الحياة .

الدينية والثقافية والاجتماعية وحتى السياسية، فقد اهتمت بتحفيظ القرآن وحمايته من النسيان والضياع، كما عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية في منظور²، مفهوم الآية الكريمة : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"³. وإنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك كانت الزوايا بمثابة مخازن ودوليين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون⁴. و في قسنطينة توجد مجموعة من الزوايا، وكانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة مثل : زاوية أولاد الفكون وزاوية ابن نعمون كما توجد بها زوايا خاصة بالأترار والكراغلة مثل: زاوية رضوان خوجة⁵. ومن خلال هذا الطرح سنقوم بعرض هاته الزوايا كمايلي:

زاوية ابن نعمون:

وهي المعروفة باسم الزاوية التيجانية⁶، بحيث تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة والدروس العلمية ، وبها مدافن آل بن نعمون وهما : محمد الشريف بن نعمون، وموني⁷.

زاوية النجارين:

تدعى أيضا زاوية حنصالة، تقع بحي النجارين ، تقام فيها الصلوات الخمس وبها بيت لتعليم القرآن للأطفال⁸، تقع بيت الصلاة فيها إلى الجنوب من الصحن، وهي في شكل مستطيل ممتد عموديا على جدار القبلة بها، كما يوجد بها محراب عرف تغييرات وذلك بعد الترميمات التي تعرضت لها الزاوية⁹.

زاوية الفقون:

تعرف أيضا بالزاوية التيجانية الفوقانية، تميزا لها عن زاوية (بن نعمون)، تقع بحي الخرازين وبزاوية الفقون قبر العلامة عبد الكريم الفقون.

1 أحمد مريوش ، نفس المرجع السابق ، ص 21-22

2 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص162.

3 سورة الحجرات، الآية 13.

4 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص162.

5 يمينة سعودي، نفس المرجع السابق، ص 52-53.

6 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص255.

7 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص173.

8 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص255.

9 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص173.

زاوية باش تارزي:

تقع بحومة الشارع من حي باب القنطرة، وهي تفتتح على شارع رئيسي كان يربط بين سوق التجار ورحبة الصوف وباب القنطرة. ويعرف حاليا باسم شارع الإخوة عرفة، أسسها عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي¹، في حدود عام 1212هـ، وقد جدد المسلمون زاوية الشارع حيث أصبحت من بين أهم المساجد بالمدينة وأصبحت تسمى الرحمانية، تتكون الزاوية من مدخل رئيسي يقع وسط الجدار الغربي يفتتح على جدار حوله رواق من ثلاث جهات في شماله توجد الميضاة ومن جهة شرقه كانت توجد بيت الصلاة ذات شكل مربع، كما بها محراب وعن اليسار يوجد ضريح مؤسس الزاوية يحيط بها سياج².

زاوية ابن رضوان:

تقع بحي البرادعيين، أصبحت مقر للمحكمة الإباضية بناء على الشريف مقناوة³، ذكر فايست وغيره من المؤرخين، أن رضوان خوجة قايد الدار الدار توفي بقسنطينة في عام 1220هـ الموافق ل 1805م، ودفن بالزاوية غير أن السلطات الاستعمارية نقلته إلى المقبرة الإسلامية ولم يذكر سبب نقله، لكن ابن شعيب يقول في كتابه أم الحواضر أن السبب واضح هو أن السلطات الفرنسية لما استولت على الأوقاف الإسلامية قامت بنقل هذه القبور حتى يتسنى لها البيع⁴.

6 الكليات والمدارس والمكتبات بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

لقد قمنا بدراسة البعض من المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ومن قام بإنشائها وهم وظائفها وموظفيها، إضافة إلى تلك الكيانات الثقافية والعلمية، قام بايات المدينة وأعيانها بإنشاء أنواع أخرى من المؤسسات، قصد توسيع الحركة العلمية وتشجيع مريدي المدينة وغيرها على القراءة والكتابة وطلب العلم بصفة عامة، لرفع رايته والقضاء على هاجس الجهل وتكوين جيل مثقف، وعندما كانت الثقافة في بداية عهدها ثقافة إسلامية محضة تتركز على تعليم القرآن الكريم وحفظه بواسطة مراكز التعليم الأولى (مساجد وزوايا)، تطور مفهومها مع التاريخ وتنوعت مشاربها، وذلك مع ظهور أنواع أخرى من المؤسسات الثقافية والتي سنقوم بدراستها في فصلنا هذا. فما هي هاته المؤسسات؟

1 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص 255.

2 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص 179.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 149.

4 نفسه، ص 181.

الكتاتيب في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني :

تعتبر الكتاتيب من أقدم وأهم الوسائط الثقافية بعد المساجد والجوامع التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية¹، فالكتاب بضم الكاف وتشديد التاء ، والجمع كتاتيب .وقد استعمل ابن سحنون كلمة مكتب عوض لفظة كتاب ، كما يطلق عليها كذلك اسم مسيد² في مناطق أخرى مثل الجزائر العاصمة³، وتتمثل الكتاتيب أقل وحدة من التعليم الابتدائي⁴، فهو يعد المرحلة الأولى التي يمر بها الطفل في تعليمه⁵، وتتمثل وظيفتها الأساسية في تحفيظ القرآن للأطفال وترتيبه، وكانت تؤسس منفصلة عن المسجد بغرض المحافظة عن نظفته ووقاره⁶، بل أن بعض الواقفين كان يفتح غرفة أو جناح في منزله على الشارع كتابا للأطفال.

كانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء ، والكثير منها يحمل اسم الحي الواقع فيه وبعضها يحمل اسم زاوية ، حيث كان يساهم في بنائها جميع طبقات المجتمع ، فكان الباشوات والبايات والموظفون يشتركون مع الاهالي في هذه المهمة العلمية الخيرية⁷.

أما شكل الكتاب فهو مقر بسيط مفروش بالحصير يتربع فوقه التلاميذ ويعطوهم المعلم بمصطبة من سرير أو كرسي⁸، وكانت تختلف مساحة الكتاتيب من كتاب إلى اخر ، وغالبا ما يشتمل الكتاب على اربعة حجرات واحدة لتعليم الصبيان والثانية لسكن الطلبة والثالثة للصلاة أما الرابعة فهي للمؤونة والأدوات الضرورية بالإضافة إلى مرافق أخر للوقود والطبخ والوضوء⁹.

1 يوسف بن أحمد حوالة ، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (450/90هـ)، ج1، مطابع جامعة أم القرى ، السعودية ، 2000، ص226.

2 مسيد هو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد، أنظر :ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، نفس المرجع السابق ، ص 276

3 مختارية تراري ، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة ، مجلة انسانيات ، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، ع14-15، 2001، ص 60

4 أحمد مريوش وآخرون ، نفس المرجع السابق ، ص 18

5 أحمد يحي ، الجزائر في عهد الدايات - دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية -ج2، دار الكفاية ، الجزائر ، 2013 ، ص 155.

6 أحمد مريوش وآخرون ،نفس المرجع السابق ، ص 18.

7 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1،نفس المرجع السابق ، ص277.

8 عيسى بن الذيب وآخرون ،نفس المرجع السابق ، ص43.

9 مختارية تراري ،نفس المرجع السابق ، 61.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

وكانت طريقة التعليم في الألواح الخشبية مطلية الصلصال ، وتكتب بأقلام مصنوعة من القصب والصبغ (الحبر) مصنوع بصوف الأغنام المحروقة ، وكان المعلم يحمل في يده قضيبا يستخدمه لتخويف كل من تماطل في حفظ القرآن المكتوب على اللوح ، وغالبا ما تكون طريقة العقاب بالفلقة¹. وكانت طريقة قراءة القرآن تتم مرتفع ، وبعد حفظ ما هو مكتوب على اللوحة يقوم التلاميذ بعرضه على الشيخ الذي قام بتدريسه²، ثم يقوم التلميذ بمحي اللوح بالماء وغالبا ما يكون ذلك في فترة الصباحية. وهناك من يقوم بمحي اللوحة مرتين في اليوم وذلك حسب قدرات التلميذ في الحفظ³، وكان الأطفال عندما ينهون حفظ القرآن الكريم يمنح لهم قطعة قماش جميلة من الكتان أو الحرير ليخيط ثوبا ليرتديه أو يقدمون له ثوبا جاهزا⁴.

أما أجرة المعلم فكان لا يتقاضى أجره من الدولة، بل يتحصل عليه من قبل أولياء التلاميذ⁵، وفي كثير من الأوقات كان الأهل يكافئون شيخ الكتاب على المجهود الذي بذله ببعض الحلوى والمؤن كالقمح والشعير والزيتون⁶... الخ.

وقد كان وقت التعليم بالكتاتيب القرآنية يتم صباحا ومساء، ففي الفترة الصباحية يبدأ من الساعة الخامسة أو السادسة حتى الساعة العاشرة صباحا، أما الفترة المسائية فيبدأ التعليم فيها من الساعة الثالثة إلى الساعة مساء⁷.

وللكتاب عدة أدوار ووظائف يقوم بها، فقد كان يهتم بتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي. بالإضافة إلى أنه كان يساهم في تعليم اللغة العربية وقواعدها، كما أن للتعليم الكتابي عدة خصائص ميزته عن بقية المؤسسات التعليمية، ولعل أهمها يمكن إيجازه فيما يلي: إمكانية التعليم لجميع فئات المجتمع الغنية منها والفقيرة. عدم التكلفة من أجل الالتحاق به فوسائله التربوية بسيطة يمكن الحصول عليها في البيئة المحلية، بالإضافة إلى أن الطريقة التربوية به عرفت نجاحا كبيرا بالرغم من أن الكتاب مؤسسة متواضعة⁸.

ونجد التعليم في الكتاتيب القرآنية كان يمر بأربعة مراحل مهمة بالنسبة للطلبة:

1 عيسى بن الذيب و آخرون ،نفس المرجع السابق ، ص44.

2 أشرف صالح محمد سيد ،نفس المرجع السابق ، ص69

3 عيسى بن الذيب و آخرون ،نفس المرجع السابق ، 44

4 أشرف صالح محمد سيد ،نفس المرجع السابق ، ص 69

5 عيسى بن الذيب و آخرون ،نفس المرجع السابق، ص44.

6 أشرف صالح محمد سيد،نفس المرجع السابق، ص 69.

7 يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى الجزائر ، [د.ت]، ص ص199

8 مختارية تراري،نفس المرجع السابق، ص ص61-62.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

وتتمثل المرحلة الأولى: عندما يحضر التلميذ لأول مرة يقدم له الفقيه لوحة ويسجل فيها حروف الهجاء العربية من جهة واحدة. أما الجهة الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة من الجهة الثانية وبعد حفظها يتم محيها وتكتب السورة الموالية لها، أما حروف الهجاء فتبقى لمدة شهر حتى يقوم بحفظها بشكل نهائي. ثم ينتقل التلميذ إلى معرفة صور الحروف وأشكالها ومعرفة وجه الشبه بين الأحرف.

أما المرحلة الثانية : تتمثل في كتابة المعلم سطورا من القرآن في جهة اللوحة ويقوم التلميذ بتمرير قلمه على ما كتب المعلم¹، ثم تأتي بعد ذلك.

أما بخصوص المرحلة الثالثة : يقوم المعلم في هاته المرحلة بكتابة سطر وترك سطرا فارغا ليأتي التلميذ ويكتب ما كتبه معلمه والغرض من هذه الطريقة هي تدريب التلميذ على إمساك القلم وكيفية التحكم فيه.

أما المرحلة الأخيرة وهي: المرحلة الرابعة : يقوم فيها التلميذ بتهجية الكلمة التي يملئها عليه المعلم فيعدد حروفها ويرجع عند كل حرف يريد كتابته إلى حروف الهجاء المرسومة في اللوحة².

المدارس في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

المدرسة كما عرفها المقرئزي نقلا عن ابن سيدة هي: درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة، والمدرس هو الموضع الذي يدرس فيه³، وعرفها أيضا المؤرخ الجزائري أبو راس الناصري (1165-1237هـ) في تأليفه عجائب الأسفار بقوله: المدرسة عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه⁴، فالمدارس العلمية مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية والغير دينية⁵. (أنظر الملحق رقم10).

ونجد الحسن الوزان يشير في حديثه عن مدينة قسنطينة إلى وجود مدرستين وزوايا ثلاث أو أربع دون أن يعطي الأسماء، ولا أي تفاصيل أخرى بحيث يقول : " تستطيع قسنطينة، نظرا لحجمها، أن تضم

1مختارية تراري، المرجع السابق، ص63.

2 المرجع نفسه، ص64.

3نقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ج3، تح: محمد زينهم ومديحة الشراقوي، مكتبة مدبولي القاهرة، 1997، ص436.

4المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر - جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن (13-10هـ) الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، جم وع: عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص25.

5أحمد مريوش، نفس المرجع السابق، ص15.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

ثمانية آلاف كانون، ... ومليئة بالدور الجميلة والبنائات المحترمة، كالجوامع الكبيرة، والمدرستين والزوايا الثلاث أو الأربع...¹.

وظهر هذا النوع من المؤسسات بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية واتصال شعوبها واحتكاكها بشعوب أخرى، ولهذا أصبحت الحاجة الملحة إلى اقتباس المعارف والعلوم المتنوعة والاستفادة من المعارف الضرورية الأمر الذي فرض إنشاء المدارس وانتشارها. فالجزائر لم تكن بها جامعات أو مدارس عليا بالمفهوم الحالي خلال العهد العثماني²، حيث اشتهرت المدن الرئيسية خلال العهد العثماني بكثرة مدارسها.

شهدت مدينة قسنطينة عددا كبيرا من المدارس، حيث يقول عبد القادر دحدوح أن عدد المدارس بها وصل إلى سبعة وتسعون مدرسة منها سبعة ثانويات والباقي في شكل كتاتيب³، أما خلال احتلال مدينة قسنطينة جاء في التقرير الذي كتبه الجنرال بيدو عن التعليم حيث قال عنه أنه كان منتشرا في قسنطينة، وكان بها مدارس من مختلف المستويات قدر عددها تسعون مدرسة ابتدائية يتردد عليها بين 1300 و 1400 طفل، وقد كانت هاته المدارس تابعة للمسجد أو الزاوية⁴، وكانت نفقاتها من الأوقاف⁵.

ويبدو أن العلامة عبد الكريم ابن الفكون قد ذكر أن هناك مدرسة تسمى مدرسة محمد بن أفوناس، نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن أفوناس الذي يعتبر من علماء قسنطينة. ومدرسة ثانية تحولت بعد زمان إلى زاوية تشرف عليها عائلة ابن الفكون. ومدرسة ثالثة أخرى و هي مدرسة الوزان، نسبة إلى الفقيه المتصوف والمحدث أبو حفص عمر الوزان بالمكان المعروف برحبة الجمال، وكان للوزان مسجد قريب من المدرسة آل إلى الزوال بعدما قامت الإدارة الفرنسية بتشيد على أنقاضها المسرح الجهوي. أما المدرسة الرابعة فهي المدرسة التي تعود إلى أسرة الباديبي، وقد عزم السلطان المريني أبو الحسن على تحويل دار المتصوف أبو الهادي إلى مدرسة بعد شرائه منه، ولكن لم يتحقق ذلك على أرض الواقع⁶.

أما فيما يخص العلوم التي كانت تدرس بهاته المدارس نجدها مختلفة وكذلك متنوعة وكان تصنيفه على النحو التالي:

1 أقدوش ماضي، بن بوزيان عبدالرحمان، حاضرة قسنطينة وإسهامات علمائها في الحركة الفكرية خلال القرن 7 10 هـ /16 13م، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج8، ع2، (عدد خاص)، نوفمبر 2022، ص41.

2 نفسه، ص 15.

3 عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني -دراسة عمرانية أثرية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، ج1، جامعة بوزريعة معهد الآثار، الجزائر، 2009-2010، ص95.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، نفس المرجع السابق، ص26.

5 العيد مسعود، نفس المرجع السابق، ص67.

6 أقدوش ماضي، بن بوزيان عبدالرحمان، نفس المرجع السابق، ص41.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

العلوم الدينية: تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وشرحه وتفسير الحديث وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول.

علوم اللغة والأدب : كالنحو والصرف البلاغة والعروض وقواعد الإنشاء. ثالثا - العلوم الطبيعية والتجريبية كالفلك والحساب والطب وصيدلة الأعشاب¹.
ومن أهم مدارس قسنطينة سنتطرق إلى دراسة مدرسة سيدي الأخضر والمدرسة الكتانية.

1.6.1 مدرسة سيدي الأخضر:

أنشأها صالح باي بجوار مسجد سيدي الأخضر عام 1193هـ الموافق لـ 1779م، بجوار الجامع الأخضر²، تتزين هاته المدرسة بكتابة تجمع عددا كبيرا من الحكم والنصائح والإشارات تدعو الطلبة إلى التقوى والصبر والورع ومحاربة الأهواء وتنتهي بتاريخ بناء المدرسة.

وجاء في نص الكتابة ما يلي: فاز " بالسعادة من أخلص العبادة رحم الله امرءا جعل الصبر مطية زاده والتقوى عدة وفاته... رحم... الله من قصر الأمل وبادر الأجل واغتم المهل وتزود من العمل ... ذكر الله نور الإيمان ومطرده الشيطان ... ذكر الله شعار المخلصين وشيمة المتقين العاقبة في الذكر حياة القلوب وفي رضى الله نيل... المطلوب ... وفي الطاعة كنوز الأرباح وفي الغروب عن الدنيا درك للنجاح ... ذكر الله مجالسه... العز لله... خاف الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم³... ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر ذكر الله أجل العادة وأجمل مادة... الجنة ... فمن جاهد نفسه ملكها وهي أكمل ثواب الله لمن عرفها..... جهاد النفس ثمن جاهد نفسك وقدم توبتك وأغلب شهوتك إمنع طاقة غضبك يكمل عقلك وتستكمل ثواب ربك...". طوبى للمنكسرة قلوبهم من أجل الله طوبى لمن شغل قلبه بالفكر ولسانه بالذكر ... يارب واجعل رجائي غير منكسر لديك واجعل حسابي غير منحزم العز الله ... قد تم بناء هاته المدرسة في ذي الحجة سنة 1193 والحمد لله رب العالمين⁴.

2.6.1 المدرسة الكتانية:

تعتبر المدرسة الكتانية من أهم المعالم الحضارية والفكرية في مدينة قسنطينة⁵، قام بتأسيسها صالح باي في ذي الحجة من عام 1202هـ الموافق لـ 1787م ، وعرفت بهذا الاسم المدرسة الكتانية - نسبة

1 يحي بوعزيز ، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، نفس المرجع السابق، ص 155-156.

2 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص 240.

3 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص 195.

4 كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص 196.

5 وردة ن، مدرسة سيدي الكتاني شاهدة على التواجد الديني في قسنطينة من ثلاثة قرون، الخبر، 29 يونيو، 2014.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

إلى ولي مدفون في تلك البقعة¹، تقع هاته المدرسة بمحاذاة السوق الشعبي الشعبي المسمى بسوق العصر، والذي أصبح يسمى بعد الاستقلال "بساحة بوهالي السعيد" وجنوب جامع سيدي الكتاني² الذي سبق الحديث عنه، خصص لها صالح باي أوقافا كثيرة³، أما نظام تسييرها فهو نفس النظام الذي وضعه وفضله على مدرسة سيدي الأخضر التي سبق ذكرها، وقد كان هذا النظام محط إعجاب الكثير من الأوروبيين. حيث علق فايسات على هذا القانون عندما قارن بينه وبين القانون المعمول به في الثانويات الفرنسية بقوله: فإذا قارناه بالنظام المتبع في نفس الوقت داخل ثانوياتنا في فرنسا، فإننا نرى أنه لم يكن أقل منه مستوى⁴، أما ناصر الدين سعيدوني فقال على تعليق فايسات: أنها تتم عن روح متفتحة وعقل واع فهي لا تقل في شيء عما كان جار به العمل بمدارس فرنسا آنذاك⁵. (أنظر الملحق رقم 11).

لقد كانت المدرسة الكتانية تنشر تعليما في المستوى الثانوي والعالي فقد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وشرح الحديث وتعليم الفقه والتوحيد، كما كانت تدرس فيها العلوم الطبيعية والتجريبية كعلم الفلك والحساب والطب وعلم صيدلة الأعشاب⁶، حيث ساهمت هذه المدرسة في رفع المستوى الفكري للسكان، لدرجة أن نسبة الأمية في قسنطينة كادت أن تنعدم في تلك الفترة، فالمدينة عرفت ازدهارا ثقافيا لم تعرف له نظير طيلة العهد العثماني بالجزائر، بالإضافة إلى ذلك كانت تقام بها حلقات الذكر والوعظ في المناسبات الدينية والتي كان يحضرها عامة الناس⁷.

تعتبر مدرسة سيدي الكتاني إحدى روائع الفن الجزائري في العهد العثماني⁸، وتوجد بها كتابتين جاء في نص الكتابة رقم 01 مايلي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على سيدنا محمد.

- الذي قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا.

3- لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا.

1 محمد المهدي بن علي شغيب، نفس المصدر السابق، ص 240.

2 - عبد الحليم طاهري، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، الجزائر، 2008-2009، ص 67.

3 أحمد مريوش وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 17.

4 محمد السعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران الجزائر، 2015، ص 158.

5 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، نفس المرجع السابق، ص 295.

6 أحمد مريوش وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 17.

7 محمد السعيد قاصري، نفس المرجع السابق، ص 159.

8 عبد الحليم طاهري، نفس المرجع السابق، ص 78.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

- 4- حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة الله.
 - 5- وفضل لم يمسه سوا واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. 6- أنظر ترى نزهة العيون قد زينت يكاد رونقها يسموا على القمر.
 - 7- تميم في حل الجمال قائلة في تماثل وحسن روضة الزهر.
 - 8- مدرسة تذهل في بهجتها الألباب تشفي بالعلم سيقام الجهلي البعث.
 - 9- بناها صالح باي المرتضي وجلالها من حسن سيرته يعلو على الدرس.
 - 10- فجر الملوك وسلطان السلاطين قد شاع عدله في البدو والحضر.
- الأعداد بالظفر .

- حب الخير لكل الناس من مسلم وغيره ومردى كتب هذا النص على لوحة مثبتة في الرواق الخارجي بخط الثلث وبأسلوب الحفر

البارز تتألف من إحدى عشر سطرا ، باللون الأصفر على أرضية بنية، كما تتميز هاته اللوحة بخطها الجيد والجميل .

أما الكتابة رقم 02 فقد جاء في نصها مايلي:

1- « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

2- رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "

لوحيتين من الجص مثبتتين في المحراب الأولى توطره من الداخل. والثانية من الخارج، كتابة قرآنية نقشت بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز ، كتبت بالخط الأصفر على أرضية زرقاء. وهي عبارة عن آيتين قرآنيتين كريمتين.

7 المكتبات في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.

كانت الجزائر خلال العهد العثماني في مقدمة الحواضر الكثيرة الكتب، بحيث كانت الكتب تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو تجلب من الخارج خاصة من بلاد الأندلس ومصر وإسطنبول والحجاز¹، كما حمل الجزائريون الكثير من المخطوطات من الخلافة العثمانية وبلاد المغرب².

1 أشرف صالح . محمد سيد، نفس المرجع السابق، ص71.

2 فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، 2013، ص437. 3- أشرف صالح محمد سيد المرجع السابق، ص72.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

لقد وجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، فقد كانت تلمسان عاصمة علمية مزدهرة وبجاية وكذلك قسنطينة فقد كان بها مصادر الكتب متنوعة من كتب الأندلسيين، فأهل قسنطينة كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن المخطوطات¹ وذلك بسبب وجود العلماء والأدباء المتعلمين والمتقنين بها².

كان نسخ الكتب يتم بالخط الأندلسي الذي سبق الخطوط الأخرى في المغرب العربي، فضلا عن الخط العثماني الذي جيء به إلى الجزائر³، وقد اشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والخطاطين منهم أبو عبد الله بن العطار، كذلك الشيخ إبراهيم الحركاتي اشتهر أيضا بالنساختة وحسن الخط حتى أصبح مشهورا له بذلك⁴.

مع سيادة العلوم الدينية في العهد العثماني فإن محتوى المكتبات كان من كتب التفسير والأحاديث الدينية والفقهاء والأصول والتوحيد والعلوم العقلية واللغوية⁵، وكانت مكتبات الجزائر مقسمة إلى نوعين:

المكتبات العامة :

وتتضمن مختلف المخطوطات في شتى الفنون، يلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة، وهي مكتبات وقفا للمساجد والزوايا والمدارس ومن أشهر هذا النوع من المكتبات⁶.
- مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة ومكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة ومكتبة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير بمعسكر⁷.

المكتبات الخاصة :

هي مكتبات خاصة بالمطالعة والبحث لكن في إطار العائلات العلمية والأعيان الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها⁸، وهذا النوع من المكتبات عدد كبير ولا يمكن إحصائه¹. ومن خلال هذا سنقوم بعرض أشهر مكتبات مدينة قسنطينة²، والتي نوجزها كالتالي:

1 أشرف صالح . محمد سيد، نفس المرجع السابق، ص71.

2- فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان، نفس المرجع السابق، ص 439.

3 المرجع نفسه، ص 438.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 290

5 فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان المرجع السابق، ص 438.

6 منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10-13هـ/16-19م) بين التأثير والتأثر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران، 2014-2015، ص138

7 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، المرجع السابق، ص 296.

8 منصور درقاوي، نفس المرجع السابق، ص138.

1.7.1 مكتبة عائلة الفكون:

كانت لعائلة الفقون مكتبة ضخمة بقسنطينة ، اشتهرت هاته المكتبة من أوائل القرن السادس في عهد عالم الأسرة وأديبها الشهير أبي علي حسن³، وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون الذي كان موجودا عند دخول الفرنسيين مدينة قسنطينة. ذهب ديسلان إلى قسنطينة غداة احتلالها واطلع فيها على المكتبة، وكتب تقريرا عن بعض محتواها بعد مكوثه بها لمدة خمسة أسابيع، فوجدها تحتوي على أكثر من ألفين وخمسمائة مجلدا وقد لاحظ ديسلان أن أكثر ما في المكتبة ، كتب الفقه والدين موزعة على النحو التالي:

أنواع الكتب	العدد
الفقه والعقيدة	أكثر من خمسين كتابا.
التوحيد	ثلاثون كتابا
الحديث	ثلاثمائة كتاب
مصطلح الحديث	أحد عشر كتابا
علم القرآن:	مائة وثلاثون كتاب
فقه المذاهب الأربعة	ثلاثمائة كتاب
التصوف	أربعون كتاب
التاريخية والجغرافية	تاريخ الدولة العثمانية، وفيات الأعيان لإبن خلكان، نفح الطيب للمقري، سراج الملوك للطرطوشي، سلافة العصر، تاريخ ابن الجوزي، جغرافية ابن الوردي
الأدبية	شرح لامية العجم للصفدي، ديوان ابن حزم وديوان ابن عربي وديوان الحفاجي، شرح التبريزي على المعلقات، شرح مقامات الحريري، فاكهة الخلفاء

1 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، المرجع السابق، ص 305.

2 المهدي البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص59.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، المرجع السابق، ص 305

هذا ما قد ذهب به ديسلان من بعض العناوين¹، السابقة الذكر.

2.7.1 مكتبة باش تارزي :

تحدث عنها ديسلان أثناء رحلته إلى مدينة قسنطينة، فقال عنها إنها أقل أهمية من مكتبة الفكون. ولكنها كانت تضم أكثر من خمسمائة مخطوط، أغلبها في الفقه والدين، وقال أنه وجد بها كتابين نادرين هما²: معارف ابن قتيبة، شرح ابن نباتة علي ابن زيدون.

وقد ذكر ديسلان أنه يوجد بمدينة قسنطينة مكتبتين أخريين خاصتين ولكنه لم يسميهما، لكنه قال عنهما أنهما أيضا تحتويان على الكتب الدينية في الغالب³.

8 الأوقاف في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

تعتبر الأوقاف من أهم المؤسسات الدينية والثقافية والاقتصادية في الجزائر منذ الفتح الإسلامي مروراً بالعهد العثماني والفرنسي وإلى يومنا هذا، إلا أنها برزت بشكل جلي خلال العهد العثماني في الجزائر وكان لها دوراً محورياً في جميع جوانبها، وبالتالي نحاول أن نسلط الضوء على الأوقاف في بايلك الشرق، حاضرة قسنطينة أنموذجا.

فالوقف يعتبر ظاهرة اجتماعية إسلامية، وقد عرف مدينة قسنطينة هاته الظاهرة (منذ العهد الحفصي)، ولو أن الوثائق التي تعود إلى تلك الفترة قليلة خاصة أواخر هذا العهد⁴. ولا يتم الوقف إلا بتوفر أربعة أركان وأولها أن يكون الواقف أو المحبس عاقلاً، وله كامل التصرف في ملكه⁵، وأن يكون الموقوف عليه أو الجهة المراد "الملك" لفائدتها أهلاً للملك كالفقراء وطلبة العلم... الخ، بالإضافة إلى أن يكون الشيء الموقوف معلوماً ومملوكاً للواقف⁶، وأخيراً من شروط الحبس أن يتم عقد مكتوب ويعبر بوضوح بصيغة: "وقفت" أو "حبست" أو "سبلت" حسباً مؤبداً لا يغير ولا يبديل⁷. وكانت غالبية الجزائريين تعمل بالمذهب المالكي الذي يذهب إلى المعروف أو المصلحة من صرف الحبس على المصلحة العامة مباشرة دون قيد أو تردد، أما المذهب الحنفي والذي تتبعه الفئة

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص306.

2 أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع نفسه، ص 306-307.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 308-309.

4 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص152.

5 فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص64.

6 عبد الرحمان بوسعيد، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في إطار المدرسة الدكتورالية الدين والمجتمع - ، جامعة وهران، 2011-2012، ص 11.

7 - فاطمة الزهراء قشي، نفس المرجع السابق، ص64.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

التركية وجماعة الكراغلة وبعض الحضر بالمدن الكبرى في الجزائر، حيث كان يسمح بجواز انتقال الموقوف وعقبه بما حبسه من وقف إلى غاية انتفاء الورثة المنصوص عليهم، وهذا مادفع بغالبية الجزائريين بتحبيس أملاكهم حسب المذهب الحنفي¹.

حيث كانت المدينة تخصص منحة سنوية للطلاب من دخل الأوقاف وتبلغ قيمتها 36 فرنك وكان معظم هؤلاء الطلبة من سكان الأقاليم²، بالإضافة إلى ذلك كان وكيل أوقاف العيون يصرف حوالي 500 فرنك من أجل نقل المياه إلى الأحواض السبعة الموجودة أو المنتشرة في وسط المدينة يوميا بنسبة حمولتين لكل حوض³، دون أن ننسى ذكر الإعانة نصف سنوية التي يقدمها وكيل الأوقاف للطلبة والتي تتمثل في كمية من الزيت والشموع والبخور والسجاجيد بالإضافة إلى تقديمه نصيب من الزلابية لموظفي المساجد والطلبة في منتصف شهر رمضان⁴.

كان في مدينة قسنطينة مؤسسات وقفية وتعرف بأوقاف مكة والمدينة وهي تسير من طرف الناظر وتتشكل أوقافها مما حبسه سكان المدينة، ويبعث مردودها مباشرة إلى مكة والمدينة عن طريق تونس، كما توجد مؤسستا سبل الخيرات والأندلس. أما مؤسسة الشرفاء لها مسجدان هما مسجد ابن مناد ومسجد سيدي بن عبد الشريف اللذين يعود مردود أوقافها لمؤسسة الشرفاء⁵.

غير أن هذه الأوقاف لم تعرف التنظيم إلا في عهد صالح باي، وهذا حسب ماجاء في أحد الوثائق بحيث تؤكد ذلك: "الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد... قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط... وضاع الكثير منها... وبلغ أمر ذلك لحضرة المعظم الأسعد المنصور سيدنا صالح باي أيده الله تعالى فألهمه الله إلى إحياء ما اندرس من المساجد والأوقاف... أمر حينئذ قضاته والمفتين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دثرت ويثبتوا ذلك بأربع سجلات متماثلة فامتثلوا أمره وبلغوا جهدهم في البحث عن الأوقاف المساجد وعن المساجد التي دثرت...⁶.

1 ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 إلى القرن 19، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص58
2 عبد الرحمن بوسعيد، نفس المرجع السابق، ص53.

3 ناصر الدين سعيدوني، "الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي"، مجلة الأصالة، 89-90، الجزائر، 1981، ص70.

4 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، نفس المرجع السابق، ص162-163.

5 ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص224

6 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، نفس المرجع السابق، ص154.

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجا

حيث استحدث صالح باي سجلا يحتوي على العقد التأسيسي لهذا السجل¹، ويضم 18 عقدا من الأوقاف الخيرية²، أما الأوقاف الذرية فيضم 19 عقدا³، كما يتضمن هذا السجل عقود لمعاملات أعيان مدينة قسنطينة⁴، وكان صالح باي وراء نصف تأسيس هذه الأوقاف، وقام بتأسيس النصف الثاني العديد من أعيان المدينة، ومن بينهم وكيل بيت المال رضوان خوجة، وناظر مسجد سيدي السبعيني مصطفى قيصارلي الذي بنى سبالة (عين ماء) قرب صالح باي، حرص على بقائها واستمرار مدها المارين بالماء الصالح للشرب بوقف العديد من الأملاك عليها كما تمت كل هذه الوقفيات على المذهب الحنفي لما يضمن للمؤسس بالاستمرار على رعاية أوقافه واستفادة عقبه منها⁵.

واعتبرت هاته العقود مصدرا لدراسة عمرانية، وذلك بمتابعة خطوات صالح باي العمرانية ورسم ملامح مشروعه المعماري المنحصر في منطقة سوق الجمعة⁶، كما يعتبر مصدر لفهرس الأعلام الجغرافية⁷.

من خلال ماسبق ذكره يمكن القول أن مظاهر الحياة الثقافية وأهم معالمها ومؤسساتها في حاضرة قسنطينة، خلال الفترة العثمانية أنها تميزت بنشاط علمي وفكري وديني وظهور حركة التأليف وغيرها، وذلك من خلال مؤسساتها العلمية، وكان ذلك بظهور الكثير من الاسر العلمية خاصة منهم المتصوفة، وبالتالي كانت قسنطينة حاضرة علمية بحذاقة استطاعت أن تفرض نفسها، وذلك بما أنجبت من علماء، كان لهم الفضل الكبير في تنشيط وتوير الحياة الثقافية والفكرية تدريسا وتأليفا.

1 فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1771-1792م)، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 19.

2 نفسه، ص 20-37.

3 نفسه، ص 45-60.

4 فاطمة الزهراء قشي، نفس المرجع السابق، ص 73.

5 ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 12-13هـ / 18-19م، معالجة مصادره وإشكالية البحث فيه البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 70.

6 ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع نفسه، ص 70.

7 ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر، نفس المرجع السابق، ص 71.

الفصل الرابع

المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر

1. الإطار الجغرافي لبايلك الغرب
2. التأسيس التاريخي لبايلك الغرب
3. اختيار مدينة معسكر عاصمة لبايلك الغرب
4. معسكر خلال التواجد العثماني في الجزائر
5. معالم الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني حاضرة معسكر أنموذجا
6. أهم المساجد في حاضرة معسكر
7. أهم الزوايا في حاضرة معسكر
8. أهم المدارس في حاضرة معسكر خلال العهد العثماني

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

تعتبر حاضرة معسكر من أهم المدن التاريخية سواء الفترة القديمة أو في فترة التاريخ الوسيط وبالخصوص في العهد العثماني بحيث احتلت مكانة مهمة لدى السلطة الحاكمة آنذاك، ويعود ذلك إلى العديد من العوامل التي كان لها بالغ الاثر في تنشيط الحركة السياسية والاقتصادية وخاصة الحياة الثقافية ومن جملة هذه العوامل نذكر أهمها منها: موقعه الاستراتيجي والحيوي والمهم وذلك من قربها من الحدود الغربية، إضافة إلى ذلك أنها تتوسط مجموعة من الولايات الغربية المهمة، هذه العوامل وأخرى كانت سبب في اختيار مدينة معسكر مقر بايلك الغرب قبل فتح وهران، بحيث تصبح اهتمام الحكام الأتراك، ونخص بالذكر محمد الباي الكبير.

والجدير بالذكر ان حاضرة معسكر عرفت نشاط ثقافي وحركية علمية كبيرة وبالخصوص خلال العهد العثماني وذلك يرجع إلى كثرة المؤسسات الثقافية والدينية والمدارس التي كانت بمثابة جامعات في تلك الفترة الزمنية، إضافة إلى دور المساجد الديني والتعليمي على حد سواء، التي بدورها كانت تقوم بالتدريس وتكوين المتعلمين إضافة ما شهدته حاضرة معسكر من استقطاب الكثير من العلماء والطلبة الاجانب سواء من الولايات المجاورة، أو حتى من البلاد المغاربية وكذلك المشرقية ومنح الاجازات العلمية للطلبة، وهذا له دلالة رمزية على أن حاضرة معسكر كانت بمثابة مدينة علمية بامتياز، إضافة الى مكانتها السياسية والتي أصبحت عاصمة بايلك الغرب بعد مازونة، ضف الى ذلك مكانتها الاقتصادية والفلاحية وغيرها من النشاطات بشكل عام.

وما يؤكد التاريخ بين ثناياه لا ينكره ناكراً سواء من المؤرخين والادباء ولا الشعراء و العسكريين ولا النخبة عامة أن حاضرة معسكر خاصة خلال العهد العثماني أنجبت جيل من العلماء الأعلام الذين ذاع صيتهم في البلاد المغاربية والمشرقية وشهد لهم الكثير من أعلام العالم العربي آنذاك، ولا يزال يشهد لهم التاريخ حول ما خلفوه من ارث ثقافي وفكري وأدبي وعلمي وديني... الذي ساهم في احياء الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية خاصة وفي المشرق والمغرب عامة، ومن بين هؤلاء الأعلام الذين تنوعت واختلفت علومهم ومعارفهم وشيوخهم وتلاميذتهم وارثهم الثقافي والفكري نذكر على سبيل المثال لا الحصر الحافظ أبو راس الناصري المعسكري، وعبدالقادر المشرفي، ابن زرفة الدحاوي وغيرهم من العلماء الاجلاء.

1 الإطار الجغرافي لبايك الغرب:

بايلك الغرب¹، وموقعه الجغرافي والفلكي و الاستراتيجي الذي المتميز ، بحيث جعل منه مركزاً جوهرياً ومحورياً بين إقليميّ بايلك الشرق² وكذلك بايلك التيطري³، فهو بذلك قد مثّل مركز الإشعاع والقلب النابض لكل البيلاكات الجزائرية في إطار التقسيم الإداري العثماني في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني⁴، وفي هذا السياق يذهب الآغا بن عودة المزاري بقوله: "... وفي الحقيقة أنه هو الثاني في المرتبة لكون الترك تولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها باي قبل الجهة الشرقية. وقاعدته وهران..."⁵، بحيث يتميز بمساحة شاسعة ويتكون من الحدود التالية:

- من الناحية الغربية: المغرب الأقصى.

1 كلمة بايلك وتعني منطقة جغرافية إدارية، أنظر الى فتحة خروبي، بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563-1792م، مجلة المرأة للدراسات التاريخية، مج 1 ، ع 1، جانفي 2014، ص 208، وكانت تستخدم عند المغول والسلاجقة، ثم انتقلت الى اللسان التركي القديم، وأصل مصطلح بايلك بكلك) وهو مركب من مقطعين بك ولك، فأما بيك وتلفظ باي في الاصل فهو لقب أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشوية وذريتهم، ثم استعمل لقباً لمعظم كبار الموظفين والقادة الذين يكفلون بإدارة الولايات ويسمون وزراء الخارج، ثم تأرجح استخدم لفظ البايك، فاستعمل للدلالة على نوع من الإيقاع الخاص بقدماى ضباط الإنكشارية المتقاعدين، ثم استخدم في الجزائر للدلالة على الإقطاعات التي تؤخذ منها الضرائب، بعدها أصبح يستخدم للحديث عن الحكم الإداري العثماني في البلاد، وبالتحديد عن المقاطعات الإدارية الكبرى، بعد دار السلطان، وان كان مفهومه أوسع حيث دل على الإدارة العامة والسلطة وكل شيء عمومي تابع للدولة في مجموع القطر الجزائري، انظر الى كمال بن صحرروي، اثر الاحتلال الاسباني على ريف بايلك الغرب الجزائري، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مج 2، ع 2، أكتوبر 2019، ص 112، انظر أيضا ناصرالدين سعيدوني ، وراقات جزائرية، نفس المرجع السابق، ص 241.

2 بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة، من أهمّ البايليكات سواءً من حيث عمقه الجنوبي أو مساحته أو ثرواته، كان يملك أحسن أراضي الحبوب وأجود أشجار النخيل. يمتدّ إقليمه من منطقة وادي سوف إلى البحر المتوسط، ومن الحدود التونسية إلى وسط جرجرة جبال البيبان، سيدي هجرس وسيدي عيسى. لعب هذا البايك دوراً كبيراً في مراقبة إيالة تونس وساهم في إخضاعها لنفوذ أتراك الجزائر، يختلف عن بايلك التيطري في الكثير من الجوانب عاصمته قسنطينة، كان تحت سلطة الباي منذ إنشائه عام 1535م، انظر الى قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايك الغرب 1711-1830م معسكر ومازونة نموذجاً، نفس المرجع السابق، ص 2.

3 بايلك التيطري وعاصمته المدية، يُعتبر أصغر البايليكات وأفقرها وأكثرها إرتباطاً بالسلطة المركزية. نُظِم في عهد حسن باشا بن خير الدين (1540 - 1552م)، يحّد هذا البايك من الشمال الأطلس البلدي، ومن الجنوب الأطلس الصحراوي ومن الغرب الشلف ومن الشرق جبال ونوغة. "المرجع نفسه" ص 2.

4 قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايك الغرب 1711-1830م معسكر ومازونة نموذجاً، نفس المرجع السابق، ص 2.

5 المزاري الآغا بن عودة طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 1، ص 270، نفس المرجع السابق، ص 270.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

- أما من الناحية الشرقية: نجد دارالسلطان.

- أما شمالا فيحده: البحر الأبيض المتوسط.

- أما من الجهة الجنوبية يحده: الاقليم الصجراوي¹.

ويعتقد أبو رأس الناصر أن مدينة وجدت هي الحدود الفاصلة بين الجزائر والمغرب²، ويقدم " أرامبورودون جوزيف Aramburu Don-joseph "تقرير يبين فيه حدود بايلك الغرب وهي على النحو التالي: من دار السلطان شرقا وبالتقريب عند نهر الشلف حتى واد ملوية على الحدود المغربية في الغرب، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا³. (أنظر الملحق رقم 11).

بحيث نجد في منطقة بايلك الغرب تنوع جيولوجي ومناخي وحتى تضاريسي⁴، وان التنوع في التضاريس يعكسه هذا الجزء من بلاد المغرب، بحيث نجد من البحر الى الجنوب مجموعة متنوعة من الجبال، وسهول، وهضاب، إضافة الى بعض الاراضي القاحلة مع وجود مناطق ترتفع فيها كمية الملوحة، إضافة الى أنهار⁵، ومن بين هذه التضاريس على سبيل المثال لا الحصر: جبل تنشفي بولاية تلمسان بحيث يصل ارتفاعه حوالي 1843م على مستوى سطح البحر، ضف الى ذلك جبال تسالا بولاية سيدي بلعباس⁶، ونجد بمعسكر جبال بني شقران⁷، وجبال الونشريس⁸، إضافة الى الجنوب نجد جبال قزور⁹، و بشار نجد فيها جبال كنتر¹.

1 Louis Rinn, le royaume d'Alger sous le dernier Dey ,Adolphe Jourdan Imprimeur Libraire éditeur ,Alger ,1900 ,p 51 .

2 الأغبان عودة المزاري، نفس المصدر السابق، ص 210.

3 Aramburu Don-joseph de , Oran et l'ouest Algérien au 18 Siècle, Présentation et traduction de ,Korso et Epalza Alger B, N, 1978) P , 09.

كاميلية دغموش، نفس المرجع السابق، ص 4.73

5فتيحة الواليش، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994، ص 36.

6 Robert Tinthoin, L'Oranie, sa géographie, son histoire, ses centres vitaux, éd, Robert Oran, 1952, P11.

7 محمد موفق، مقارنة من ثورة بني شقران، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 2، ع 3، ديسمبر 2006، ص 47.

8مصطفى خاتمي، قبائل الونشريس ودورهم في المقاومة خلال الفترة الرومانية 40م-284م)، هيروودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، ع 3، ستمبر 2017، ص 19.

9فطيمة الزهراء حوتية، ملامح من التنظيم الثوري في العرق الغربي الكبير بالجنوب الجزائري، مجلة آفاق للعلوم، ع 10، جانفي 2018، ص 344.

والسهول نجد نوعين :

سهول منخفضة :وهي القريبة من البحر وتمتد من ريو صلاو الى غاية الشلف ،ونذكر منها تليلات ،هبرة ،المقطع .

سهول عليا داخلية :مثل سهل مغنية ،تلمسان ،سيدي بلعباس ،معسكر ،تيارت ،وجنوبا نجد كثنان رملية في منطقة الساورة أهمها العرق الغربي الكبير،وعرق ايجيدي عرق الشاش²،أما الهضاب نجدها واسعة في المناطق الداخلية وتمتد بين سلسلتي الاطلس التلي والاطلس الصحراوي،أضافة الى الاودية أهمها واد شلف ،و تافنة ،وسيق وغيرها³.

ومن الناحية المناخية نجد القسم الشمالي يتميز بكثرة تساقط الامطار مع ارتفاع في نسبة الرطوبة والبرودة شتاء أي يتميز بمناخ البحر الابيض المتوسط⁴.

اما القسم الجنوبي :يتميز بارتفاع في درجة الحرارة مع فترات جفاف ،أضافة الى البرودة شتاء⁵.

2 التأسيس التاريخي لبايك الغرب:

ويرجع تاريخ ظهور بايلك الغرب الى النصف الاول من القرن 16م⁶،وذلك خلال حكم حسن بن خيرالدين 1540-1552م⁷، وفي سنة 1563م أصبحت مازونة عاصمة البايك⁸، ثم أصبحت قاعدة قلعة بني راشد، ثم بعدها معسكر ثم صارت وهران في الفتح الأول، ثم أصبحت مستغانم، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران في الفتح الثاني⁹، وتولى الحكم فيها الباي ابن خديجة الذي عينه حسن

1 بن علي أبوبكر، الثورة التحريرية في منطقة الساورة 1954-1962،رسالة ماجستير،المركز الجامعي ببيشار،2006-2007،ص 2.

2 كاميلية دغموش،نفس المرجع السابق،ص 74.

3نفسه،ص 74.

4 Robert Tinthoin,op,cit,p13.

5 فتيحة الواليش،نفس المرجع السابق،ص 42.

6 كمال بن صحراوي،نفس المرجع السابق،ص 6.113

7 حسن باشا بن خير الدين 1540-1552م هو ابن خير الدين بربروس، أول من وطّد دعائم الحكم العثماني بالجزائر سنة 1551م، حيث إنتهج سياسة مضادّة لكل الدول الأجنبية بما فيها فرنسا، التي كانت ترتبط بالدولة العثمانية بروابط رسمية جيدة ساعدتها من الإستفادة بالإمتيازات الإقتصادية مع إسطنبول، و التي شملت جميع أقاليم الدولة العثمانية بما فيها الجزائر،انظرالنقدور بوجلال، العلم والعلماء في بايك الغرب 1711-1830م معسكر ومازونة نموذجا،نفس المرجع السابق،ص3.

8 كمال بن صحراوي نفس المرجع السابق،ص 113.

9 الأغابن عودة المزاري،نفس المصدرالسابق،ص 270.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

آعلى الناحية الغربية سنة 1563م¹، وبذلك يعتبر بمثابة الباي الأول نظرا لعمله على اقامة تنظيم إداري بالببايلك².

والجدير بالذكر أن الإدارة العثمانية بالجزائر، قامت بتقسيمها إداريا الى أربعة مقاطعات إدارية وذلك من أجل تسهيل عملية الحُكم و وكذلك عملية التنسيق بين الإيالات، و كان ذلك في فترة حسن باشا بن خير الدين كما ذكرناه سابقا، وكان هذا التقسيم على النمط التالي: دار السلطان التي تمثل الحكم المركزي³ وثلاثة بابليكات هي: بايلك التّيطري، وببايلك الشرق الذي عاصمته قسنطينة⁴، وببايلك الغرب الذي أسس سنة 1563م، والذي كانت عاصمته أولاً مازونة ثم معسكر وبعد استرداد الثاني لوهراّن سنة 1792م أصبحت هي العاصمة الرسمية للببايلك⁵.

بحيث تولى حكم بايلك الغرب في بدايات العهد العثماني في الجزائر بايان اثنان، أحدهما مازونة والأخر تلمسان، وقام الباي مصطفى بن يوسف بوش لاغم⁶ ألمسراتي 1686-1733م بنقل عاصمة الببايلك الى قلعة بني راشد، ثم إلى معسكر سنة 1701م⁷، ثم تليها مدينة وهران بعد الفتح الأول من الاسبان استردادها ما بين 1708-1732م⁸، ثم

1 محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد ابن عبدالكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 16.

2 كمال بن صحراوي نفس المرجع السابق، ص 113.

3 دار السلطان وهو يعتبر أصغر المقاطعات وأكثرها أهمية، لانه يمثل مركز السلطة الادارية والتي تتمثل في الباي أو الباشا أو الحاكم العام للجزائر - مدينة الجزائر - . ويحدها شرقاً دلس وغرباً شرشال ، ومن شمال البحر المتوسط إلى سفوح الأطلس البلدي جنوباً، مع بعض الإمتداد في بلاد القبائل و التيطري. وتتقسم دار السلطان إلى أوطان يحكمها قواد تحت إشراف آغا العرب، أو قائد الجيش وكلّ وطن له قائده الخاص، انظر الى صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص 281.

4 فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص ص 47-49.

5 محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 254.

6 مصطفى بوشلاغم هو الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي، ابن يوسف بن محمد ابن إسحاق المسراتي، الذي جمع له في توليته بين الإيالة الشرقية و الغربية. تولى بايا على مازونة وتلمسان فكان أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة 1686م، ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معاً للقلعة ثم إلى معسكر وجعلها قاعدته لكونها وسطاً بين مازونة وتلمسان، فتح وهران سنة 1708م، وجعلها قيادة حكمه توفي سنة 1734م بمستغانم بعدما ملك سنّاً وأربعين سنة فدفن بها، انظر الى قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايك الغرب 1711-1830م معسكر و مازونة نموذجا، نفس المرجع السابق، ص 5، أنظر أيضا الأغا بن بن عودة المزاري "المصدر السابق"، ص ص 274، 275.

7 يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دارالغرب الاسلامي للنشر و التوزيع، ط2، وهران، 2004، ص 80.

نفسه، ص 8.76

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

تليها مستغانم سنة 1732م. لينتقل بعد ذلك إلى معسكر ثانية سنة 1737م، وليستقر نهائياً بوهران بعد الفتح الثاني سنة 1792م¹، على يد محمد الباي عثمان الكبير².

لكن هنا الآغا بن عودة المزارى يشير خلال ذكره لبايك الغرب الوهراني وعواصمه وبآياته أن توحيد القسمين -مدينة مازونة ومدينة تلمسان- قد تم في سنة 1686م وأصبح مقر الحكم بايلك الغرب قلعة بني راشد ثم تحول إلى مدينة معسكر³.

ونجد ابن سحنون الراشدي يشير إلى الحدود الجغرافية لمنطقة بايلك الغرب خلال العهد العثماني أنها تمتد من البحر الابيض المتوسط شمالاً إلى الأغواط جنوباً⁴، ومن الحدود المغربية غرباً إلى بايلك التيطري وكذلك دارالسلطان في الجهة الشرقية ويتميز بموقع استراتيجي هام على جميع الأصعدة⁵.

ونلاحظ مما سبق، أنّ هناك تدرج في استقرار بالنسبة مركز الحكم في بايلك الغرب وهذا راجع إلى الحملات البحرية الإسبانية من جهة، ومن جهة أخرى وجود بعض القبائل التي جاهرت بالعصيان والتمرد ضد الوجود العثماني⁶، وفي نفس الوقت كانت متحالفة مع الوجود الإسباني في الغرب الجزائري⁷، منها على سبيل المثال لا الحصر: قبائل بني عامر⁸ وغيرها من القبائل، وفي ذلك يقول الراشدي عنهم: "وقد

1 محمد بن يوسف الزباني، نفس المصدر السابق، ص، ص192-193.

2 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص76.

3 ابن عودة المزلي، طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخازنها الأسود، مخطوط بمتحف وهران زبانة، وهران، ص208، نقلاً عن كاميلية دغموش، نفس المرجع السابق، ص78.

4 ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدي، منشورات التعليم الأصلي، سلسلة4 التراث، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص12.

5 فتحة الواليش، نفس المرجع السابق، ص16.

6 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، نفس المرجع السابق، ص279.

7 هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، فرعا لدولة العثمانية وغرب المتوسط (1492-1912م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة اسطمبولي مصطفى معسكر، 2020-2021، ص19.

8 من القبائل التي تحالفت مع الإسبان أثناء احتلالهم للمنطقة الغربية، وقد أحصى عبد القادر المشرفي ثلاثة بطون لبني عامر؛ تتكون من تسعة وسبعين قبيلة في الجزائر أغلبها قبائل وهرانية، للمزيد انظر إلى عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر، تح محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017م، ص13.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

استعملت هذه القبائل كجواسيس وعملاء ضد بني بلدتهم من طرف الاسبان الذين قويت بهم شوكتهم واستعملوهم في الغارات على الابعدين والاقربين فيأخذون أموالهم ويتهكون وحرمانهم...¹

هذه العوامل وأخرى كانت سبب في عدم استقرار مركز الحكم في مكان واحد، ونلاحظ أيضا إنتقال الحكم من مدينة إلى أخرى. في بداية الامر استقرت بـمازونة² التي كانت تمثل عاصمة بايلك الغرب³ حتى في حدود نهاية القرن السادس عشر الميلادي 16م⁴ ، حيث أُعتبر الباي ابن خديجة⁵، من أشهر البايات الذين أقاموا بها بعدما عيّنه حسن آغا على الناحية الغربية إثر حملة وهران سنة 1563م⁶، والذي عمل على إقامة التنظيم الإداري بالمنطقة الغربية وبذلك كان الباي الفعلي الأول، ثم جاء الباي السايح الذي حكم مدة 11 سنة، والباي محمد بن موسى والباي شعبان الزناقي، الذي برز بدوره في إحدى الحملات

1 أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في اخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصرالدين سعيدوني، دارالنبائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 63.

2 ونجد لها عدة تسميات منها مازونة تعني أرض الرجال الاقوياء، ومازونة اسم قبيلة من زناتة لأن اسم أبيهم مازون، وقيل مشتقة من كلمة "ماسونة" بلدة رومانية فتحول الاسم اللاتيني ماسونة الى البربري ملزونة، اظر الى فاطمة غالم، عبدالقادر بوباية، مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية، عصور الجديدة، ع 23- عدد خاص، أوت 1437هـ/2016م، ص 381، ويعرفها الشريف الإدريسي مازونة فقال "هي مدينة بين جبل في أسفل، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن موقفة ولسوقها يوم معلوم وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصب. أما الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف في الدراسات اللاتينية بليون الأفريقي فيقول عن مازونة في رحلته ومعجمه وصف إفريقيا فيقول "مدينة أزلية بناها الأفارقة، على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أساور متينة... والأراضي المزروعة تعطي غلة حسنة" للمزيد يمكن الرجوع الى محمد الأمين بلغيث، مدرسة مازونة الفقهية وأثارها خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي قراءة تاريخية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج 1، ع 1، ماي 2004، ص 118.

3 قدور بوجلال، فغرور دحو، الدور الثقافي والحضار لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الانسانية، مج 6، ع 1، جوان 2016، ص 42.

4 محمد ميمون الجزائري، نفس المصدر السابق، ص 36.

5 هو باي وهران 1708 - 1732م مؤسس مدينة معسكر ودفن بستغانم، حرر مدينة وهران من الأسبان في 1732 بعد قرنين من الاحتلال 1509 - 1708م، وفي 1732م عاد الأسبان من جديد لكنهم في سنة 1792م غادروا نهائيا وهو تاريخ مغادرة بايات الغرب معسكر واستقروا بوهران إلى غاية 1830م. أنظر عاشور شرفي معلمة الجزائر القاموس الموسوعي تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)، تدقيق ومراجعة مصطفى ماضي، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2009، ص 39.

6 محمد بليل، مساهمة علماء وطلبة منطقة مستغانم في تحرير وهران الأول والثاني 1708 - 1792، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا، مج 2، ع 2، اكتوبر 2019، ص 248.

على وهران وتوفي فيها¹، أما عن آخر البايات فهو مصطفى بوشلاغم الذي قام بنقل مقرّ البايلك إلى معسكر سنة 1701م، بحيث حاول هذا الأخير من محاصرة وهران وتحريرها من طرف الإسبان خلال فترة الداى بكداش، لكن حكمه لها لم يستمرّ طويلاً إذ قام الإسبان احتلالها من جديد، وهذا ما جعله يفكر ان ينتقل مرة ثانية إلى مدينة مستغانم مجدداً لتصبح مقر حكم بايلك الغرب بعدما استعصى استرداد مدينة وهران حيث إستقرّ بها حتى وفاته².

3 اختيار مدينة معسكر عاصمة لبايلك الغرب:

إنّ من العوامل التي جعلت مدينة معسكر كعاصمة لمقاطعة بايلك الغرب، قد يرجع بالدرجة الأولى إلى أسباب عديدة، نذكر منها أنّ مدينة معسكر أنها كانت تتميز بموقع استراتيجي ممتاز وتعد مدينة معسكر محطة تتحكم في المسلك الطبيعي الذي يشكله وادي الحمام والذي بدور يعتبر منطقة ربط بين الجهات الساحلية والأقاليم الداخلية، كما أنها تمثل مركزاً مهماً على الطريق الرابط بين قلعة بني راشد ومدينة تلمسان الأمر الذي أهلها لتكون سوقاً لمنتجات السودان ومقر تجاري لبضائع فاس وملنقى لتجارة الغرب الجزائري³، إضافة إلى عامل آخر حصانة موقع مدينة معسكر على منحدرات جبال بني شقران على ارتفاع 600 متر، بمحاذاة وادي تدومان، وهذا ما جعلها في مأمن من الخطر الإسباني الذي كان يتهدد وهران و نواحيها وأبعد عنها التحرشات المغربية التي كانت تستهدف مدن تلمسان و الشلف⁴، وبحكم موقعها وقربها من مدينة وهران، وبحكم سيادتها الشرعية على الجهة الغربية وبالتالي تتحمل الحملات الاحتلال الإسباني، إضافة إلى ذلك تعتبر حلقة وصل بين المناطق الساحلية والمناطق الداخلية⁵، وتعتبر منارة للعلم ومقصداً للطلاب من شتى بلاد المغرب بفضل إنتعاش الثقافة فيها وظهور عدد هام من العلماء الاجلاء الذين كان لهم بالغ الاثر في جميع الجوانب⁶، وهي مركز هام على الطريق بين قلعة بني راشد¹، بحيث تقع في

1 الأغبين عودة المزاري "المصدر السابق" ص 271.

2 محمد بليل، مساهمة علماء وطلبة منطقة مستغانم في تحرير وهران الأول والثاني 1708-1792، نفس المرجع السابق، ص 251.

3 تقي الذي بوكعبر، النقوش الاثرية بمعسكر خلال العهد العثماني مقارنة تاريخية اثرية، المجلة امغربية للمخطوطات، مج 13، ع1، سبتمبر 2017، ص ص 175-176.

4 تقي الدين بوكعبر، النقوش الاثرية بمعسكر خلال العهد العثماني مقارنة تاريخية اثرية، نفس المرجع السابق، ص 176.

5 حبيب بوزادة، دور علماء معسكر في فتح وهران من الاحتلال الإسباني 1206هـ/1792م)، عصور، مج 18، ع 1، جوان 2016، ص ص 155-156.

6 فاطمة درعي، العالم مصطفى بن زرفة الدحاوي ورحلته القمرية، الحوار المتوسطي، ع13-14، ديسمبر 2016، ص 150.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

منطقة زراعية بامتياز تمتلك عدة سهول مثل: سهل غريس من جهة أخرى، وموقعها الجيوستراتيجي الذي تمتعت به في حالتها الدفاعية والهجومية وتضامن سكانها ومقتهم الشديد للاستعمار وخصوبة تربتها وأرضيتها للزراعة²، لكن الأهم من كل هذه العوامل، هو أن معسكر أُختيرت لتحقيق الأهداف العسكرية المتمثلة في محاصرة وهران والقضاء على الوجود الإسباني فيها³.

بعد إسترجاع مدينة وهران التي تعد مركز البايك بعد الفتح الثاني، وإجلاء الإسبان عنها في سنة 1792م⁴ خلال عهد الباي محمد بن عثمان الكبير⁵، إذ ترجع خلفيات ذلك إلى تحرير وهران الأول سنة 1708م من يد الإسبان مع بداية القرن الثامن عشر 18م، بعد أن أمر الداوي محمد بكداش بإلحاقها لبايك الغرب إعتراضاً بجميل الباي مصطفى بوشلاغم⁶، هذا الأخير الذي جعلها مقراً دائماً له فاستقر بها مدة ربع القرن إلى أن إستعادها الإسبان سنة 1732م⁷. فرغم محاولات هذا الباي في إستعادتها مرّات عديدة إنطلاقاً من معسكر، ظلّ الإسبان سادتها مدة حوالي ستين سنة إلى أن إستعادها الباي محمد الكبير نهائياً سنة 1792م، هذا الأخير الذي نقل إليها مقرّ البايك ثانية وقام بدعم السلطة العثمانية في

1 قلعة بني راشد الواقعة بإقليم بني راشد، والذي يمتدّ على طول نحو خمسين ميلاً من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلاً، جهته الواقعة جنوباً كلّها سهول، والواقعة شمالاً كلّها تقريباً مرتفعات. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ليون الإفريقي وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر بيروت دار الغرب الإسلامي (1983) ص 26، وتعتبر قلعة بني راشد إحدى قلاع العلم والمعرفة، إلى جانب كونها مركزاً اقتصادياً وتجارياً، انظر للمحمد بوركيب، جوانب من مخطوط "قلعة بني راشد" للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخاطر، مج 1، ع 1، جانفي 2004 ص 103، كما اصطلح عليها الاسم الأمازيغي تاسق دالت حسب ما أورده الجغرافي البكري أبي عبيد البكري (1992 ص 737) واسم الرباط يف كتاب الاستبصار إضافة إلى الطاوة الاسم القديم عن بطليموس وتقع القلعة ضمن إقليم بني راشد على سفح جبل بربير المطل، انظر إلى بختة خليلي، أضواء على تاريخ قلعة بني راشد وسير علمائها، المحترف، مج 8، ع 4، ستمبر 2021، ص 52.

تقي الذي بوكعب، النقوش الأثرية بمعسكر خلال العهد العثماني مقارنة تاريخية أثرية، نفس المرجع السابق، ص 2.177

3 طالب عطاء الله علاقة الحكام الأتراك برجال الدين والعلماء في الجزائر 1656-1830 بحث في منهجية الدراسات المعمقة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية- دائرة الدراسات التاريخية 1980 ص 08.

4 فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص 48.

5 قدور بوجلال، الإسهامات العسكرية لعلماء وطلبة حاضرة معسكر في فتح مدينة وهران عام 1791م على ضوء المصادر المطبوعة، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 6، ع 1، أبريل 2022، ص 410.

6 عبد القادر مسلم، خاتمة أنيس الغريب المسافر، تحقيق وتقدير مبراح بونار، مطبوعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 15.

7 المهدي بن شهرة، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، ط1، دار الريحانة للكتاب الجزائر، 2007، ص 154.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

ناحية الغرب الجزائري، بحيث تعد هذي الاخيرة انطلاق البداية لتوسع الى أقصى حدود الغربية التي تصبح تحت لواء بايلك الغرب¹.
قام بتغيير مقره من مازونة الى من وهران، وتكون المناطق الجنوبية تحت م راقبته وكذا إخضاع معسكر ليصبح قريبا²، وذلك بالاستعانة بالقبائل الموالية الإسبان كبنى عامر³، ونجد في هذه الفترة مواقف العديد من المؤرخين الذين عاشوا الفترة وكتبوا عنهم ومن بينهم نجد كل عبد القادر المشرفي والشقراني الراشدي⁴، اللذين تطرقا في كتاباتهم عن هذه القبائل وعلاقتها بالإسبان في كتاب بهجة الناظر⁵ وتشير الباحثة فاطمة درعي أن من أسباب هذا التحالف و الولاء للإسبان هو راجع إلى ضعف الوازع الديني والفساد إضافة إلى الطمع والنهب وغيره، وفي هذا الصدد يذكر المشرفي: "لم استقل قدم الإسبانين بوهران وانحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف ايمانهم... وكثر بهم السواد على المسلمين فكانوا لهم أعوانا وفي الدين الفاسد..."⁶، بحيث قام الداى بكداش لي بوشلاغم بإرسال الإمدادات وتم وصلها، بحيث كانت مجهزة من حوالي ثمانية آلاف جندي إلى تسعت آلاف من النظاميين اما المتطوعتين فزادا عدادهم عن عدد الجيش النظامي اما في ما يخص الاسلحة المستعملة فقد كان البارود بشكل كثير، وأيضا كانت الفساطيط وغيرها من الأسلحة⁷.

- 1 قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايك الغرب 1711-1830م معسكر ومازونة نموذجا، نفس المرجع السابق، ص7.
- 2 عزيز سامح التز، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1989، ص 458.
- 3 فاطمة درعي، القبائل المتعاونة مع الإحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر (المشرفي والشقراني أنموذجا)، مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والانسانية، مج 2، ع 2، ص 40.
- 4 هو أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، ينسب الى قبيلة بني شقران التي تقطن المنطقة الواقعة بين مستغانم وغريس، وأنه عاش فترة من حياته بمدينة معسكر وذلك في النصف الثاني من القرن 13هـ/19م، وتأثر بالاحداث التي شهدتها البلاد الجزائرية تلك الفترة الزمنية والتي تميزت خاصة بالثورات المتتالية ضد الاستعمار الفرنسي، وقد ذكر عن نفسه أثناء حديثه عن فيضان وادي الحمام عام 1253هـ/1837م، أنه كان يتلقى العلم بإحدى مداس مدينة معسكر، للمزيد انظر الى فاطمة درعي، القبائل المتعاونة مع الإحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر (المشرفي والشقراني أنموذجا)، 2021 نفس المرجع السابق، ص 35.
- 5 فاطمة درعي، القبائل المتعاونة مع الإحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر (المشرفي والشقراني أنموذجا)، نفس المرجع السابق، 2021، ص 33.
- 6 نفسه، ص ص 40-41.
- 7 عبدالرحمان الجامعي، فتح وهران، ج1، تح مختار حساني، (د،ط)، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2003، ص ص 22-24.

4 معسكر خلال التواجد العثماني في الجزائر:

تقع معسكر شمال غرب الجزائر في السفوح الغربية لجبال بين شقران المطلّة على سهل غريس المعروف بإمكانياته الزراعية الكبيرة، وهي ذات مناخ شبه قاري غير منتظم التساقط غير انها تحظى بوجود واد تودمان أو وادي عين السلطان كمصدر مائي رئيسي يقسم المدينة قسمين شرقي وغربي، وفي هذا الموقع أسس الرومان خلال القرن 2 م حصنهم المعروف بـ بكاسرتانوفـا Castranova، أي بمفهوم الحالي المعسكر الجديد، طمعا في إمكانيتها الزراعية الكبرى من الحبوب وغيرها، قبل أن يتخلوا عنها خلال القرن 3م لصالح القبائل البربرية الذين تذكر المصادر التاريخية أنهم أسسوها على أنقاض المعسكر الروماني وعرفت في عهدهم بأـم العساكر¹.

وعرفت حاضرة معسكر نهضة وثورة دينية وعلمية وفكرية كبيرة خلال العهد العثماني، خاصة خلال القرن الثامن عشر 18م، وتغيرات جذرية على جميع المستويات، وبالخصوص المنشآت الدينية والمؤسسات التعليمية، إذ قامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة واسعة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة، نبغ بها علماء أجلاء وفقهاء نوو الرأي في العلوم الدينية وفقهاء، وشعراء وحكماء في علم التوحيد، وأدباء ولغويون مبرزون ومحدثون أمناء، ومدققون في الرواية ومتصوفون، وحتى مؤرخين نبغوا في ميدان الدراسات التاريخية، وطلاب علم ومعرفة²، كل من مصطفى الرماصي³ وأبو راس الناصر، ابن سحنون الراشدي، ابن هطال التلمساني، الطاهر بن حواء، عبد القادر المشرفي، والمصطفى بن عبد الله

1توأمة نـعناعـة، عمارة المساجد العثمانية في بايلك الغرب بين استمرار الطرز المطية ومظاهر الانتفاع على الطرز الوافدة، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج3، ع1، جوان 2019، ص 118.

قدور بوجلال، العلم والعلماء.... نفس المرجع السابق، ص 286.

3 مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي عالم من فقهاء المالكية العاملة المتقن المحقق النقاد المدقق له عدة تأليف منها شرحه على متن السنوسية سما كفاية المرید على شرح عقيدة التوحيد و حاشيته على شرح التتائي لخليل وحاشية على الخرشي و له الهدية في أخبار الراشدية و مما وقعت عليه من مؤلفاته فتاويه ونوازله، توفي سنة 1724 م حسب صاحب معجم أعالم الجزائر و سنة 1723 م حسب صاحب شجرة النور . و الملاحظ انه رغم شهرة الرماصي و مكانته العلمية كيف وهذا المشرفي يبني رد هذا على شهادته إلا أن ترجمته في المصادر هي قليلة .وقد ذهب صاحب شجرة النور الزكية و محمد بن عبد الكريم في تعليقه على فتح الله الى انه ابو الخيرات مصطفى بن عبد اهلل بن موسى الرماصي و جعله صاحب شجرة النور الزكية من علماء فاس بل وكثير من علماء الجزائر جعلهم من علماء فاس مغفال القطر الجزائري تماما و ناسبا لعلمائه الى فاس ولا يخفى ما في هذا التوجيه من خلل وعليه ارجح الى ما ذهب اليه صاحب تعريف الخلف بحكم أنه أكثر اطالعا على ما سطر وكتبه علماء الجزائر راجع أبو راس الناصر فتح الله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته، حقه و ضبطه و علق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1991 ، ص 82، نقلا عن تقي الدين بوكعب، جوانب من التراث العلمي المخطوط لأسرة المشارف بمعسكر، مجلة متون ، مج 9، ع4، ديسمبر 2016، ص 212.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

إبن زرفة الدحاوي¹، وغيرهم من علماء الراشدية لا من هذا الصنف من العلماء، وعليه يصدق أحمد الشريف زهار نقيب الاشراف فيقوله: "...وكان أهل هذه المدينة يعني أم العساكر علماء عاملين وأولياء صالحين وهم اهل فصاحة وسنة وورع..."²

5 معالم الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني حاضرة معسكر أنموذجا:

إن الحديث عن الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني عامة وبايلك الغرب خاصة، نجد فيه الكثير من الثوابت التاريخية التي تعكس المعالم المادية والحضارية والثقافية والفكرية التي احتضنها بايلك الغرب في تلك الحقبة الزمنية، وهذا إن دل انما يدل على ازدهار الحواضر العلمية -سواء قبل أو أثناء التواجد العثماني في الجزائر- التي تمثلت في عواصم بايلك الغرب كل من مازونة ومعسكر، وهران ضف الى ذلك تلمسان، والتي ذاع صيتها في المغرب و المشرق العربي، والتي كانت مقصد الكثير من العلماء وطلبة العلم وغيرها من الوفود، وبالتالي يعتبر بايلك الغرب نشاط الحركة العلمية ومسقط العلم

1 هو مصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زرفة الدحاوي، وهو حفيد العالم الجليل عبد الرحمن بن علي المعروف بدحو بن زرفة المتوفي سنة 1065هـ/1654م، حيث عرفه المشرفي بقوله "هو عبد الرحمن بن علي بن عثمان بن عيسى بن عثمان الراشدي، وهو من كبار علماء الراشدية في عصره، ووصفه بالشيخ العلامة وبالولي الكبير والقطب الشهير، وقد كانت له مكانة رفيعة عند الحكام في عهده" انظر الى فاطمة درعي، العالم مصطفى الدحاوي ورحلته القمرية، نفس المرجع السابق، ص 151.

أما نقلا عن تقي الدين بوكعبير، و دحو فغرور في حقيقة ضبط اسمهم، وهي على النحو التالي لقد ضبط الشيخ محمد المصطفى الدحاوي اسمهم في كتابه على النحو التالي في كتابه الإكتفا "في حكم جوائز الأمراء والخلفاء" قال "المصطفى بن عبد الله الشهير بنسب الشيخ الولي عبد الرحمن بن علي المعروف بمرضعة جده زرفة" الدحاوي، ب س 01 (وفي كتابه الرحلة القمرية ذكر اسمهم فقال «محمد المصطفى بن عبد الله ابن عبد الرحمن المعروف بابن زرفة مرضعة جده» الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، صفحة 03)، أما في كتابه تلخيص الجمان فذكر اسمهم فقال «محمد المصطفى ابن عبد الله ابن عبد الرحمن المضاف في النسب لمرضعة جده زرفة» الدحاوي، ب س 03 . من هذه النصوص الثلاث يتضح أن اسمهم هو محمد المصطفى بن عبد الله، طبعا لا يوجد اختلاف في طريقة ضبط لاسمه في كتبه الثلاث، لكن الإشكال يكمن أنه لم يوضح قربه أو بعده عن جده الشيخ سيدي دحو أي كم حلقة بينه وبين جده سيدي؟ حيث أنه لا يعلم لسيدي دحو ابن اسمه عبد الله، للمزيد راجعتني الدين بوكعبير، دحو فغرور، الإسهامات العلمية للشيخ محمد المصطفى بن عبد الله الدحاوي المعسكري، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع و التاريخ، مج5، ع1، ستمبر 2019. ص 167.86.

2 بلعربي خالدي، بن شرقي حليلي، حلبي، حلبي مصطفى، التحولات الثقافية والفكرية بحاضرة أم عسكر أواخر العهد العثماني، مجلة الرسالة الدراسات والبحوث الانسانية، مج7، نع4، جوان 2022، ص 133.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

والعلماء، كل هذا وغيره عن طريق مؤسساته العلمية الفاعلة التي كان لها بالغ الاثر في ازدهار الحياة الثقافية والفكرية و الدينية فيه، والتي تضاهي مراكز الحواضر العربية الاسلامية .

1.5 أهم المساجد في حاضرة معسكر:

ما ثبت تاريخيا ان التواجد العثماني في الجزائر كان له عدة أدوار في جميع المجالات وعلى وجه الخصوص قام الاتراك ببناء الكثير من المساجد في الايالة الجزائرية ونذكر منها بايلك الغرب الذي حظي بشكل كبير ببناء المساجد والتي معالمها لا تزال قائمة حاليا وخاصة في عواصم بايلك الغرب كل من معسكر وكلك مدينة وهران ، والتي كان لها دور فعال في الحياة الثقافية والفكرية من خلال نخبتها العلمية في تلك الفترة الزمنية وفي هذا الصدد نحاول ان نتطرق الى المساجد في حاضرة معسكر التي تعتبر من الحواضر الكبرى التي عرفت حركة كبيرة في بناء المساجد و الجوامع ¹، و هنا نجد بينهما وهو كالتالي:

✓ مفهوم المسجد:

● لغة:

قيل :موضع الصلاة باعتبار السجود، وهو أخفض محط قائم ،بمعنى انحنى وتذلل، وهو سجود باختيار الإنسان يستحق عليه الثواب ،وقال تعالى : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ﴾²، وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة ،وهو اسم جامع حيث يسجد عليه³.

● إصطلاحا:

فقد اشتقت كلمة المسجد بسكون السين وكسر الجيم من جذرها الاشتقاقي في اللغة وهو "سجد"⁴، وقيل المسجد اسم مكان يصلي الناس فيه كجماعات، أو البيت الذي يسجد ويتعبد للصلاة ،فكل موضع يتعبد

1 الفرق بين المسجد و الجامع أن الأول تؤدي فيه الصلوات الخمس، أما الثاني فتقام فيه الصلوات الخمس و صلاة الجمعة وتتظم به حلقات العلم و المعرفة، وعادة ما يسمى الجامع بمسجد الخطبة. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي....، ج1، "المرجع السابق"، ص 243.

2 سورة النجم، الآية 62.

3 إسرائ موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء المجتمع -دراسة موضوعية- قدم هذا البحث إستكمالا لمتطلبات الحصول علىدرجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الاسلامية بغزة، ديسمبر 2017م، ربيع الاول/1439هـ، ص 9.

4 بشير قادرة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والاطار التشريعي الجزائري، الإحياء ، مج 12 ، ع 1، ديسمبر 2010، ص 199.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

فيه فهو مسجد¹، وتتمثل وظيفة المسجد الأساسية في أداء الصلوات، وتحفيظ القرآن، وتعليم الفروض الدينية، وبعض العلوم الإسلامية²، إضافة إلى ذلك وظيفة القضاء³.

نجد الكثير من المساجد في حاضرة معسكر، والتي تأسست قبل وأثناء التواجد العثماني في الجزائر، وحضيت معسكر بشكل كبير ببناء و الاهتمام بالمساجد، خاصة من بعض البايات الذين بالجانب الثقافي عامة والجانب الديني خاصة، ومن بينهم الباي محمد الكبير الذي أعطى اهتمام كبير بهذا الجانب، وبالتالي نحاول ذكر أهم المساجد في حاضرة معسكر:

1.5.1 مسجد عين البيضاء:

يقع هذا الجامع في حي عين البيضاء في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، بحيث تم بنائه على أرض مائلة إلى الشرق، وذلك بعد أن قام الباي محمد بن عثمان الكبير بشراء أرضه من أصحابها بثمن مرتفع وهم مستبشرون ببيعها حسب ما ذكره ابن سحنون الراشدي⁴.

بحيث نجد لهذا الجامع أربعة تسميات، فالتسمية الأولى هي "جامع العين البيضاء"، نسبة إلى العين لونها كان أبيضاً، فاتخذ منه اسمها، أما التسمية الثانية فهي جامع الموجودة بالمنطقة، حيث أن "الباي محمد الكبير"، نسبة إلى مشيده، والثالثة هي "جامع المبايعه"⁵ لمبايعه زعماء منطقة غريس⁶ والحشم⁷.

-
- 1 محب الدين أبي الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، ج8، دس، ص 174.
 - 2 فاطمة سيدهم، علاقات دابات الجزائر بالدولة العثمانية مابين 1791-1830م، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 319.
 - 3 سعيد بوزينة، محمد مشموش، المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل، مجلة الانسان والمجال، مج7، ع1، جوان 2021، ص 119.
 - 4 عبدالقادر قرمان، المؤسسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني، Revue d'études archéologiques، مج 11، ع 2، ديسمبر 2013، ص 79.
 - 5 نفسه، ص 79.

6 غريس هو سهل من سهول الوطن الراشدي، سمي غريسا، لأنه كان مغروسا بأنواع الأشجار نوات الأثمار، وسكانه هم بنو زروال، وبنو توجين، ومغراوة، والوطن الراشدي عاصمته معسكر، غرب الجزائر، يحده شرقا جبل المناور، وغربا جبل كرسوط، وجنوبا جبل البنيان، وشمالا القلعة، وبنيت معسكر على عهد بني زيان في القرن السابع الهجري، أنظر إلى مخطوط، أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريسق 11هـ/17م، الطبعة الأولى، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، المسيلة، 1425هـ/2005م، ص 8.

7 هي مشتقة من لفظ "الحشم" من الحياء و، النعرة، والنصرة، بحيث أطلق هذا اللقب على الحشم منذ القرن التاسع الهجري، عندما انضموا لبني زيان، وصاروا أنصارا لهمو، موطن الحشم وهو جبل عمورفي حدود مدينة أقلو حالياً، عرفوا باسم بني راشد، ترجع أصولهم لقبيلة زناتة البربرية، والظاهر أنهم لما استوطنوا سهل غريس، بعد أن كان ملكا لقبيلة بني زروالو، ويذكر أنهم اختلطوا بأشرف غريس، للمزيد أنظر إلى: بودريالة نورالدين، نفس المرجع السابق، ص 36.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

يعتبر هذا المسجد من أهم و أروع مساجد الايالة ،وتم تأسيسه هذا الاخير خلال إقامة الباي محمد الكبير بمدينة معسكر اهتم بتعميرها وبناء هذا المسجد سنة 1195هـ/1781م،وسمي هذا الاسم نسبة إلى وجود عين مائية أسفل السور الشرقي لمعسكر ، وسمي كذلك بمسجد المبايعه وذلك نسبة إلى مبايعه الأمير عبد القادر الثانية من طرف سكان معسكر ، وسمي كذلك بمسجد سيدي حسان وأطلق هذا الاسم من طرف الاستعمار حتى يطمس معالم هذا المسجد ، وكان معلما هاما في نشر العلم والمعرفة بمعسكر .

الباي	مدة حكمه	المسجد المنجز من طرفه
الحاج عثمان بن الحاج إبراهيم	1160-1170هـ الموافق 1747- 1756م	شيد الجامع الكبير بأمر منه سنة 1160هـ/1747م وألحق به دار والقبة سنة 1167هـ/1753م
محمد بن عثمان الكبير	1192-1213هـ الموافق 1778- 1799م	شيد جامع عين البيضاء والمدرسة المحمدية سنة 1195هـ/1780م

المعطيات التاريخية لإنشاء مسجدا العثمانيين¹.

2.5.1 جامع مصطفى بن التوهامي أو الجامع الكبير:

وللاشارة يعد هذا الجامع من أقدم الجوامع بمدينة معسكر² ،بحيث يقع بقلب مدينة معسكر ويظهر ذلك من خلال اللوحتين التأسيسيتين أن بداية بناءه كانت سنة 1160هـ / 1747 م أما تاريخ الانتهاء فكان 1162هـ / 1749 م ويعتبر النواة الأولى للعمارة الدينية امتاز الجامع الكبير بجماله ودقة بناءه أسس من قبل الباي الحاج عثمان بن زيان بن ابراهيم ،حيث قام بتجديده وتوسيع مساحته وجلب المياه إليه واستبدال منبره³، و كانت هندسة بناء الجامع الكبير والنقش والخطوط به من طرف المهندس من أصل

1 إبراهيم مجاهدي،آمال يوسف،عناصر الدعم في العمائر الدينية العثمانية بالغرب الجزائري،دراسة تنمطية "مساجد مدينة معسكر أنموذجا"،مجلة هيروت للعلوم الانسانية والاجتماعية ،مج 5،ع2، 2021،ص 184.

2 نفسه،ص 35.

3 أحمد بن هطال التلمساني ،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي ،تح ،تقمحمد بن عبد الكريم،ط1،دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ،القاهرة،1969م،ص28.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

تركي: أحمد بن محمد بن حاج الحسين بن صار مشيق التلمساني¹، وبالتالي قام الباي محمد بن عثمان تغيير في التصميم العام²، وإحداث خمسة أحواض للوضوء به، وجلب لها الماء عبر قنوات وسواقي حيث تغنن الباي في صنعه³، ويؤكد ابن سحنون أنه من العجائب حين قال: "أن النسك انو يقصدونه للزهوة"⁴، بحيث نقشت كتابة واضحة بخط عربي أصيل وتمثل في الخط كوفي خارج المحراب من الجهة اليمنى⁵، وقد ذكر العالم ابن سحنون الراشدي حيث يقول: "... أما بعد: أمر بتشييد هذا الجامع المبارك، خليفة السلطان محمد باي بن عثمان"⁶ ضف إلى ذلك، ما كتب من الجهة اليسرى بحروف صغيرة، ويذكر كذلك ابن سحنون الراشدي بقوله: "إنتهى بحمد الله على يد المعلم أحمد بن محمد حج أحسين بن صار مشق التلمساني رحمه الله، في أول يوم من ذي القعدة عام خمسة وتسعين ومائة وألف"⁷.

و من الملاحظ أن تخطيط هذا المسجد يشبه الشكل و الطراز المحلي المنتمي بدوره إلى الطراز المدني القائم على أساس الأروقة الموازية والعمودية على جدار القبلة أو البلاطات وكذلك الأساكيب ، والسقف الجمالوني والقبه البيت تتقدم المحراب ، ونتيجة للزيادات المتكررة التي تعرض لها المسجد تحول مسقطه المضع إلى المتعدد الاضلاع بمحيط قدره 136م، حيث يبلغ أقصى طول ضلع 44م فيما يبلغ العرض 24م، كما أن المدخل الرئيسي قد أضحي مدجما يف بيت الصلاة، هذا الاخرى يقسم إلى خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة وستة عمودية عليه، تتشكل من اصطفااف البوائك ذات الخمسة عقود المتجاوزة في كل بائكة وهي محمولة على أعمدة مزدوجة ودعامات، بالإضافة إلى رواق يف مؤخر المسجد المقابل لجدار القبلة وآخر يتقدم جدار القبلة مباشرة تحده بائكتين من خمسة عقود التي

1 جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956 الجزائر دار الغرب للنشر و التوزيع 2003، ص 24 .

2 ويذكر قدور بوجلال أن الباي محمد بن عثمان الكبير هدمه كليا بحيث قام باعادة بنائه من جديد وذلك من أجل اعطاء صورة جمالية على نمط عثماني، للمزيد قدور بوجلال ،المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير،دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية،مج 17،ع2،ديسمبر 2017،ص239.

3 قدور بوجلال ،المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير،مجلة العلوم الانسانية،مج 7،ع1،نفس المرجع السابق،ص 239.

4 مبروك مهريس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة لعلم الآثار الجزائر جامعة الجزائر 1981-1982) ص 50.

5 قدور بوجلال ،العلم والعلماء...نفس المرجع السابق،ص91.

6 ابن سحنون الراشدي، "المصدر السابق"،ص128.

7 "المصدر نفسه"،ص128.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بابلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

ترتكز على تجميعات من الأعمدة الدعامات والمسجد مزود بعدة فتحات ونوافذ صغيرة على غرار تلك الخمسة الكبيرة التي جندها بالجدار الشرقي أي القبلي¹. ويدوا أن الباي محمد الكبير قد أقام بالجامع الكبير ستة عشر حوضاً من أجل للوضوء وكذلك قام بجلب لها الماء وكان ذلك عبر القنوات والسواقي من أرض يتوفر فيها الماء، و قد إشتراها من أجل هذا الغرض، حيث كانت تلك الأراضي تتوفر على ينابيع كثيرة إشتراها الباي من أهلها لتسخيرها في خدمة من يأتون لهذا المسجد. ² كما قام هذا الباي ببناء مدرسة كبيرة ألحقها بالمسجد.³ وحتى تؤدي هذه المدرسة دورها الذي وضعت من أجله فقد رتب لها الباي محمد الكبير المدرّسين و النظّار، وخصّص لها بعض الأوقاف الكثيرة للإنفاق عليها، إلى جانب ترويدها بمكتبة غنية بنفائس المخطوطات، والكتب النادرة بذلت من أجل الحصول عليها أموال طائلة.⁴

يعد الجامع الكبير إحدى المنشآت الخيرية والمؤسسات الدينية والتعليمية التربوية، الذي نال إعجاب الكثير من الأدباء والمفكرين والفقهاء، إذ وصفه المؤرخ المشهور ابن سحنون الراشدي في كتابه: "الشعر الجماني في إبتسام الشعر الوهراني"، على أنه من أهم المؤسسات التعليمية والثقافية الزاهرة في المجال الأدبي والتاريخي والثقافي، وبالخصوص الجانب الديني وأنه كان مركز إشعاع حضاري في الحضارة العربية الإسلامية عامة، وفي الحضارة المغاربية خاصة⁵، وأنه كان يمتاز بجماله ودقة بنائه والزخرفة العالية والنقوش بالحروف العربية على جدرانه والعناية بالعيون والإضاءة والنظافة به وغيرها⁶. وفي هذا المقام أصبح هذا الجامع من المباني الهامة والتميزة أو من العجائب، حسب تعبير ابن سحنون الراشدي حيث كان الناس يقصدونه للتتوّع والتعجب لما تميز به من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وفنونها لا غير⁷. (أنظر الملحق رقم 12-13).

وفي هذا السياق يذكر الآغا بن عودة المزاربي: "... وبنا رحمة الله -الباي محمد الكبير- الجامع الأعظم، قليل الوجود بالعين البيضاء من بلدة معسكر...".⁸ كما وصفه الأديب الشاعر أحمد بن محمد

1 حسب وصف توأمة نعااعة، نفس المرجع السابق، 120.

2 "المصدر نفسه"، ص 127.

3 جاكراً لحسن "المرجع السابق"، ص 23.

4 حمدادوبن عمر أبوراس الناصر المعسكري وكتاباتة التاريخية 1155 . 1238هـ / 1737-1823م. رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، وهران جامعة وهران (2002-2003) ص 8.

5 ابن سحنون الراشدي "المرجع السابق"، ص 128.

6 "المصدر نفسه"، ص 128.

7 أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، "المرجع السابق"، ص 260.

8 الآغا بن عودة المزاربي طلوع سعد السعود...، ج 1، "المصدر السابق"، ص 295.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

بن علال القرومي وصفا شعريا في إحدى قصائده، التي مدح فيها الباي محمد الكبير وأعماله الجليلة ومواقفه الجريئة، كبناءه للمسجد الكبير ومدرسته العريقة وتوليته بنفسه إدارتهما بمنطقة معسكر،¹ ونذكر منها بعض الأبيات في هذا المجال حيث يقول:

أَلِقِ الْعَصَا وَفُكِّ رِحَالَ رَكَائِي
بِالْمَسْجِدِ الْمُنَشَّيِّ بِأَمِّ الْعَسْكَرِ
الْمُحْكَمِ التَّشْيِيدِ فِي شُرْفَاتِهِ
فَتَرَاهُ يُحْسِنُ كَالرِّيَاضِ الْمُطِيرِ
عَجَبًا مِنْ مَسْجِدٍ فِي الْأَرْضِ قَدْ
حَاكَى السَّمَاءَ تَطَاوُلًا فِي الْمَفْخَرِ
تَحْيِيهِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الْأَشْعَرِيِّ²

ويبدو أن الجامع الكبير³ بحاضرة معسكر لم يقتصر على أداء الصلاة فقط، بل كان دوره القيام بوظيفة التعليم لسكان هاته الحاضرة وضواحيها، وذلك من خلال تنظيم الدروس و التناظر الفكري بين اهل العلم من مشايخ وغيرهم⁴، وأيضاً القيام بوظيفة الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله من خلال تقديم الدروس وتنظيم الملتقيات و المناظرات الفكرية بين العلماء والطلبة في باب الجهاد وفضائله⁵، وكذلك الشيء الملاحظ أن الباي محمد الكبير كان يقوم بتخطيط لبناء الجامع الأعظم ليكون عبارة عن مركز كبير من أجل التعليم بحاضرة معسكر خاصة وبايلك الغرب عامة(أنظر الملحق رقم 20)، وذلك من أجل منافسة كل جامع القرويين بفاس. ولكن مرور الزمن ولم يتحقق له ذلك، فقد نقلت العاصمة إلى وهران بعد فتحها الثاني سنة 1792م، ووقعت ثورة الطريقة الدرقاوية التي كانت حاجز و سبب في تجميد الحركة العلمية و الثقافية بحاضرة معسكر وضواحيها⁶، وعلى حسب ما ذكره أحمد بن هطال التلمساني¹

1 ابن سحنون الراشدي "المصدر السابق"، ص ص 127، 128.

2 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث.... "المرجع السابق"، ص 252.

3بعد مسجد معسكر الكبير من المؤسسات التي لها مكانة كبيرة لدى الأهالي ولدى الحكام على السواء، حيث تمكن الأمير عبد القادر فيما بعد، من جمع شيوخ بني عامر فيه، الذين كانوا قد رفضوا دفع العشور له لمواصلة الجهاد ضد الفرنسيين، واستطاع إقناعهم بحنكته المعهودة. وكان المكان الذي تم فيه تجنيد السكان في جيش الأمير، وطلب منهم شراء الخيول والأسلحة والمؤونة الحربية، ونهاهم عن عرض منتجاتهم في الأسواق فكان أحوج ما يكون إليها في ذلك الوقت، بل كان يرى بأن الأولوية للجيش المرابطة قبل السكان في ذلك الظرف. انظر إلى علي بن العيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 134.

4 جاكز لحسن "المرجع السابق"، ص 23.

5 دور بوجلال، إسهامات العلماء في التعريف بالوسائل القتالية ونشر الوعي العسكري خلال فتح وهران الثاني عام

1791م على ضوء المصادر المطبوعة، نفس المرجع السابق، ص 412.

6 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي....، ج 1، "المرجع السابق"، ص 259.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

في كتابه، أن الجامع الكبير بمدينة معسكر كان يضمّ عددا كبيرا من الموظفين الذين يقومون بتسيير شؤون المسجد، وتمثل هذا السلم الديني في إمام الخطيب الجمعة، وإمام الصلوات الخمس وأربعة مؤذنين وسمّاع وأربعة أساتذة ومقدّم للطلبة²، حيث إرتبط التعيين الرسمي لهؤلاء الموظفين بما يأخذو من أجور و من مداخيل الأوقاف والهيايا والعطايا خلال المناسبات وغيرها، إضافة إلى ذلك ما كانوا يحصلون عليه من حصيلة الغنائم.³

وفي هذا السياق قام الباي محمد الكبير بوضع و تعيين وكذلك ترتيب موظفي الجامع الكبير وملحقاته بحاضرة معسكر، على شكل هيكل إداري منظم يقوم بتسيير المسجد، وذلك من خلال الأوقاف التي حبسها الباي على الجامع الكبير،⁴ حيث تضمنت أجور موظفي الجامع الكبير بمعسكر ما يلي:

- بالنسبة لإمام المسجد الكبير: يتقاضى راتبا معلوما حوالي أربعون ريالاً.
- أربعون ريالاً بالنسبة لخطيب المسجد الكبير.
- ثمانون ريالاً لمؤذني المسجد الكبير الأربعة، بحيث يتقاضى كل واحد منهم عشرين ريالاً.
- أربعون ريالاً لقراء القرآن في المسجد - الحزّابين - صباحا ومساء، وهم أربعة حيث كان يتقاضى كل واحد منهم حوالي عشرة ريالاً.
- أربعون ريالاً لمدرس صحيح البخاري.
- ستون ريالاً للمدرسين وهم ثلاثة مدرسين في الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية، حيث كان يتقاضى كل واحد منهم عشرين ريالاً.

1 هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني، من أبرز علماء الوطن الغريسي الراشدي خلال القرن الثامن عشر (18م)، حيث كان كاتباً ومستشاراً للباي محمد الكبير حاكم البايك الغربي ومبعوثاً له في المهمات الخارجية، كما ذكر أحمد بن علي بن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني أن الباي محمد الكبير - عندما كان يستعد لفتح وهران -، وجّه كاتبه أحمد بن هطال مع قاضي المطّة مصحوبين بهدايا إلى سلطان المغرب الأقصى، ليسمح لهما بشراء ما يحتاج إليه الباي من أسلحة حربية، للمزيد راجع قدور بوجلال، العلم والعلماء...، نفس المرجع السابق، ص 179.

2 أحمد بن هطال التلمساني، نفس المصدر السابق، ص 28.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج1، "المرجع السابق"، ص 326.

4 لقد بلغت مساحة بيت الصلاة بهذا المسجد، حوالي 283.50 م² أما مساحته من الخارج فلقد بلغت حوالي 351م² كان له باب يؤدي إلى المدرسة، وعدد نوافذه عشرون نافذة تشبه نوافذ الحصون العسكرية، تتسع من الداخل بـ 96 سم وتضيق من الخارج بـ 55 سم. للمزيد أنظر قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 94، للمزيد أكثر انظر الى مبروك مهيّرس المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، دبلوم الدراسات المعمّقة لعلم الآثار الجزائر جامعة الجزائر (1982) ص، ص 67، 84.

- أربعون ريالاً يتقاضاها مصحح ألواح الطلبة.
- خمسة عشر ريالاً يتقاضاها وكيل خزانة الكتب - المكتبة - الملحقة بالجامع الكبير.
- عشرة ريالاً يتقاضاها راوي حديث يوم الجمعة.
- خمسة عشر ريالاً يتقاضاها منظر بيوت الطهارة.
- أربعون ريالاً يتقاضاها وكيل الوقف.
- أربعة سلطاني ذهباً يتقاضاها الطلبة الذين يحضرون دروس صحيح البخاري في كل سنة.
- نصف ريال في الشهر، مخصص لكل بيت من بيوت الطلبة العامرة لشراء الزيت المستعمل في الإنارة.¹ (أنظر الملحق رقم 14).

وبالتالي نستنتج أن حاضرة معسكر قد عرفت الكثير من النشاطات الفكرية والدينية والعلمية، وازدهار الحياة الثقافية بشكل كبير، وتبلورت فيها مؤسساتها التعليمية و الدينية وغيرها، ولعل من أهمها المساجد التي ذكرناها سابقاً. كما شهدت هاته الحاضرة أيضاً ازدهاراً إقتصادياً وإجتماعياً، بالنظر إلى الأموال المخصصة إلى الموظفين بتلك المساجد، حيث خصص الباي محمد بن عثمان الكبير ربع الأوقاف للإنفاق عليها وصيانتها² إلى جانب محب للعلم للعلماء³، والمؤرخين والفقهاء بها، حيث منحهم العطايا والهدايا التي تليق بمستواهم ومكانتهم الإجتماعية والعلمية في المجتمع المعسكري آنذاك⁴، ويسمى حالياً بمسجد سيدي حسن الذي تمت فيه مبايعة الأمير عبدالقادر الثانية كقائد للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1832م⁵.

و مما سبق، يعتبر هذا الجامع من أهم معالم النهضة الفكرية و الدينية والثقافية ،⁶ التي كان لها دور كبير في تنشيط الحياة الدينية بمدينة معسكر خاصة والايالة الجزائرية عامة⁷ ، وفي ترسيخ الثوابت الامة الجزائرية وعقول الأجيال على مر الزمان، وفي إحياء الحياة الفكرية والثقافية بشكل واسع وبطريقة جد إيجابية

1 قدور بوجلال، العلم والعلماء...، نفس المرجع السابق، ص 94.

مبروك مهيرس "المساجد العثمانية في وهران ومعسكر"، نفس المرجع السابق، ص 154. 2

3 اسماعيل زيوش، جوانب من السياسة الدينية للباي محمد الكبير ببائلك الغرب 1779-1797، دراسات وأبحاث، مج 12، ع 1، جانفي 2020، ص 381.

4 مبروك مهيرس "المساجد العثمانية في وهران ومعسكر"، نفس المرجع السابق، ص 154.

5 قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، مجلة العلوم الانسانية، مج 7، ع 1، نفس المرجع السابق، ص 239.

6 علي بن العيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 134.

7 تقي الذي بوكعبر، النقوش الاثرية بمعسكر خلال العهد العثماني مقارنة تاريخية اثرية، نفس المرجع السابق، ص 179.

الفصل الرابع :المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

ودرس فيه الكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم انذاك ، كان على رأسهم العلامة الحافظ أبو راس الناصر الراشدي¹.

وفي هذا السياق يقول الشاعر علال القرومي يمدح فيها الباي محمد الكبير ومدينة معسكر عاصمة الفكر والثقافة والعلم في تلك الفترة الزمنية في قوله:

لِمَا نَقَّيْتِ بَوَافِدِ الْحَسَنِ الْبَهِيِّ يَزْجِي الْمَطَايَا مَغْرِبًا فِي الْمَعْسَكِرِ²

وقال أيضا شعرا معظما لتأسيس محمد الباي الكبير لجامع الأعظم:

أَلْقِ الْعَصَا وَفَكَرِحَالِ الرِّكَائِي بِالْمَسْجِدِ الْمُنْشَى بِأَمِّ الْعَسْكَرِ

الْمُحْكَمِ التَّشْيِيدِ فِي شَرَفَاتِهِ فَتَرَاهُ يُحْسِنُ كَارِيضِ الْمَمْطَرِ

عَجَبًا مِنْ مَنْسَجِدٍ فِي الْأَرْضِ قَدْ حَاكِيَ السَّمَاءِ تَطَاوُلَ فِي الْمَفْخَرِ

تَحْوِيهِ مَدْرَسَةً غَدَّتْ أَثَرَهَا تَحْيِيهِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الْأَشْعَرِيِّ³

3.5.1 مسجد سيدي حسن او المبايعة :

تم تأسيسه من طرف الباي محمد بن عثمان الكبير وتم بنائه في حي يدعى حي عين البيضاء كما يدعى بحي الصباحية تم الفراغ من بناءه في أول شهر من ذي القعدة 1195 هـ/ 19 أكتوبر 1781

م، وهذا حسب ما ورد في كتابة محفورة على مادة الجص، تزين واجهة المحراب، ونصها كالآتي:
بسم الله الرحمن الرحيم .

صل الله على سيدنا محمد و اله وصحبه .

الحمد لله.

أما بعد أمر بتشديد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد باي بن عثمان.

يده الله أمين.

انتهى بحمد الله على يد المعلم احمد بن محمد بن حج احساين بن صارمشيق .

1 يحيى بوعزيز المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 ،ص.208

2 أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ،مرجع السابق ،ج2،ص261

3 سفيان صغييري،أثر علماء الجزائر في النشاط الفكري والتعليمي بالمغرب الأقصى من القرن 17 إلى 19م، كلية العلوم

الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي ، 2022/2021 ، ص 202

التلمساني رحمه الله في أول يوم من ذي القعدة عام خمس هـ وتسعين و مائة والـ¹، وقد أخطأ الدكتور Leclerc في مقاله المسمى « inscriptions Les arabes de mascara » ،الذي نشر في المجلة الإفريقية في سنة 1860م، في البحث عن بناء الجامع و تاريخ تأسيسه ، بحيث وضع سنة 1175هـ بدل 1195هـ، كما أنه ذهب إلى أن صحن الجامع، كان يحتوي على كتابة نصها "كتب الحروف محمد بن صارمشق"، وحاليا لم ولن حاليا ليس لها أثر في الجامع، كما يذكر بأنه قام بالبحث عن مصدر ومعنى كلمة "صارمشيق" فوجد في تلمسان عائلات تحمل هذا اللقب، أصولها ترجع تركيا². بحيث أشرف على بناءه المعلم أحمد بن محمد بن سالي التلمساني ويمثل هذا المسجد حسب ما ذكر المؤرخ يحي بوعزيز على أنه عبارة معلم إسلامي،بحيث ساهم في تنشيط الحياة الثقافية بمدينة معسكر وتولى التدريس فيه علماء وفقهاء وغيرهم،وكان على رأسهم العالم المشهور الحافظ محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري الذي كانت وفاته في عام 1232 هـ/ 1822م ودفن بمدينة معسكر حيث اشتغل بالتدريس والتعليم والتأليف في هذه المدينة³.

4.5.1 مسجد الكرط :

تم بناءه من طرف الباي محمد الكبير⁴،و هو موجود في معسكر القديمة و يقع في الجهة الغربية للقرية ملتصقاً بضريح سيدي يوسف بن عيسى وفي الجهة الجنوبية مقبرة القرية، وأقام سيدي يوسف زاويته بالكرط وأسس إلى جانبها الجامع المعروف بجامع الكرط وهو مسجد قديم، فظهوره كان قبل هذه الفترة المدروسة وتبدو أهميته في كونه أن عدد كبير من العلماء والمشائخ والفقهاء تعلموا فيه القرآن الكريم ودرسوا به ، ومن أشهرهم العائلة المشرفية " والتي تنتسب إلى قبيلة المشارف وتتفرع هذه القبيلة إلى أربعة أفخاذ، هي أولاد سيدي أحمد بوجلال وأولاد سيدي علي وأولاد سيدي عب وأولاد سيدي منصور " ومن أشهر علماء هذه القبيلة ابن مشرف محمد والشيخ يوسف بن عيسى المشرفي والشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي والشيخ محمد الطاهر بن عبد القادر المشرفي، وهؤلاء عاصروا المرحلة الأخيرة من الحكم

1 عبد القادر قرمان، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية، عمرانية ومعمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2014، 2-2015، ص 114-115.

2 عبد القادر قرمان، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية، عمرانية ومعمارية، نفس المرجع السابق، ص 115، للمزيد أنظر الى :

Leclerc CH « Les inscription arabes de Mascara, Mosquée d'Ain Beidha », revue Africaine, T 4, Année 1859-1860, offices des publications universitaires- Alger, p43.

3 أحمد بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، ترجمة الشيخ المهدي البوعبدلي ، منشورات وزارة التعليم 1973 م ص 132.

4 علي بن العيفاي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 136.

العثماني وكان لهم دور مهم في الإشعاع الثقافي العلمي بمعسكر، وقام الباي محمد الكبير بترميمه وتوسعته وتزيينه وقد ساهم هذا المسجد مساهمة فعالة في نشر العلم والثقافة¹.

6 أهم الزوايا في حاضرة معسكر:

من أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر، هو انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها في المدن والأرياف، إذ عرفت حاضرة معسكر بمكانة هامة في الميدان الفكري خلال العهد العثماني لانتشار التعليم في هذا الإقليم بداية من القرن العاشر للهجرة 16م بتأسيس عدد كبير من الزوايا به واحتضانها مهمة التعليم، كزاوية محمد بن يحيى السليمانى، وزاوية عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي، وزاوية الشيخ محمد المشرفي الإدريسي شيخ الرماصي، وغيرها من زوايا العلم والمعرفة بالوطن الغريسي الراشدي، باعتراف علماء وبالإضافة إلى تفوق علمائها في الفقه المالكي، كانت منبع علم التوحيد الذي قال في حاشيته على صغرى السنوسي، بأنَّ سنده من بينهم الشيخ أحمد المقرئ في علم التوحيد يتصل بعلماء زوايا الراشدية العارفين بهذا الشأن²

1.6 زاوية سيدي بوسكرين:

إن الدراسات التاريخية: لم تقوم بتحديد تاريخ بناء هذه الزاوية لعدم وجود لوحة تأسيسية فيها، وكذلك بسبب قلة المصادر التي تتحدث عنها باستثناء رسالة مخطوطة محفوظة في خزانة الزاوية، تشير إلى أنها كانت قائمة في أواخر القرن التاسع هجري، وبالتحديد سنة 893 هـ، غير أن تاريخ تأسيسها مجهول³.

توضح لنا هذه الرسالة أن هذه الزاوية كانت عامرة بالطلبة، حتى أنه ال يكاد يمر زائر بمعسكر إلّ ويسمع دوي وأصوات الطلبة، فيقول عبد السالم الإدريسي في ذلك: "...والذي نوصيكم أيها الطلبة به ج هو ال د والاجتهاد في القراءة، وتقوى الله والعمل بطاعته ألن من يدخل معسكر يشاهد ويسمع أصواتكم، وأنتم تتلون كتاب الله والاستعانة به والتوكل عليه". رسالة مخطوطة لعبد السالم الإدريسي أحد مشايخ وزان محفوظة بالزاوية⁴.

والجدير بالذكر هو أن هذه الزاوية قد ذاع صيتها بين زوايا العلم، لما تميّزت به من مكانة علمية كبيرة، وذلك لتوفر عاملين أساسيين هما: مجموعة العلماء القائمين عليها وهم الشيخ أبي زكرياء اليعقوبي

1 سعد طاعة، نفس المرجع السابق، ص35.

2 قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، نفس المرجع السابق، ص244.

3 عبدالقادر قرمان، الزوايا في مدينة معسكر خلال العهد العثماني، مجلة مواقف، مج17، ع1، جويلية 2021، ص777.

4 عبدالقادر قرمان، الزوايا في مدينة معسكر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص777.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

وإخوته إبراهيم، محمد ويعقوب، ولوفرة المال الذي يَسَّر على الطلبة أمور الدراسة والمعيشة. كما أصبح لها عالقات علمية مع زوايا المغرب الإسلامي وعلمائه، خاصة علماء المغرب الأقصى، الذين أجادوا بعلم علماء هذه الزاوية وطلبتها، وبانتفاعهم بأقوالهم وأفعالهم، وذلك من خلال المكاتبات التي كانت تتم بينهم¹.

2.6 زاوية القيطنة:

أسسها الشيخ بن مصطفى بن مختار الغريسي جد الأمير عبد القادر²، على الضفة اليسرى لوادي الحمام بين بوحنيفة وحسين غرب معسكر بحوالي 20 كلم، خلال العهد العثماني بمكان يدعى "شعبة غار الطلبة"، ووجد بها مسجدا لأداء الصلوات الخمس، ومدرسة لتلقين العلوم، وخلف المسجد رفع مبنى للزاوية هو أوسع بكثير المسجد³، والتي كان على رأسها الشيخ محي الدين⁴، 1206 هـ الموافق ل1792 م، وعرفت في عهده مركزا دينياً وثقافياً ذا صيت واسع على المستوى و المغاربي وحتى العربي، بعدها تولى شؤون تسييرها الشيخ محي الدين الذي ورث عن أبيه المشيخة وكثر عليه مريدو الطريقة حتى أصبحت كل قبائل الحشم⁵ بحيث تقدم له الصدقات وتكن له كل الولاء والاحترام⁶ "وحسب ماذهب به صاحب تحفة الزائر فإن تاريخ بناء قرية القيطنة⁷، يعود خلال سنة 1792 م بينما يرجع الأمير عبد القادر تاريخ بنائها

- 1 عبد القادر قرمان، الزوايا في مدينة معسكر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، صص 777-778.
- 2 سعد طاعة، الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث التاريخية، مج 5، ع10، ديسمبر 2019، ص 32.
- 3 عدة بن داها، النزعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني، مجلة مواقف، مج 3، ع1، ديسمبر 2008، صص 86-87.
- 4 فتيحة بن حميد، الحملة العسكرية الفرنسية بقيادة كلوزيل على معسكر سنة 1835 م - قراءة في الحثيات والنتائج، مجلة الدراسات التاريخية، مج 19، ع1، فيفري 2018، ص 121.
- 5 مصطلح الحشم أطلق على مجمل الأنصار من قبائل بني راشد لما انتظموا الى بني زيان وناصرهم واستوطنوا وطن معسكر في سهل غريس، وينتمي الحشم الى القبائل الهلالية الذين اختارهم أحمد المقراني خلال اشتراكه مع الحسين بن خيرالدين في افتكاك مدينة وهران عام 1563م، واسكنوهم سهل مجانية على سفوح جبل هرسبان وتحولوا الى مصدر فرق المقراني كما ينتمي جزء منهم الى قبائل العريب التي كونت جماعة المخزن خلال الحكم العثماني لمنطقة حمزة قيادة المقراني، انظر الى كمال بيزم، وضع قبائل الحشم المقرانيين بعد انتفاضة 1871 بالحضنة، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، مج 6، ع 12، جانفي 2011، ص 40، للمزيد أكثر راجع مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، نفس المصدر السابق، ص 95.
- 6 علي بن العيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 105.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

إلى أواخر القرن الثاني عشر هجري¹، وعرفت الزاوية إشعاعاً دينياً كبيراً وكان من أبرز شيوخها الشيخ المشرفي والشيخ مصطفى بن مختار ويأتيها المريدون من مراكش وسوس وكذلك إفريقيا والإسكندرية، وهي تحتوي على سبعة مجالس للتدريس واختصت الزاوية في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد وعلوم اللغة العربية، واعتبرت الزاوية من بين أهم المعاهد العلمية العليا التي كانت موجودة في الجزائر في تلك الفترة الزمنية وكان يقوم بإدارتها الشيوخ والعلماء، كما تخرج منها الكثير من أعلام العلم والتقوى بحيث ساهموا مساهمة جبارة في نشر الثقافة، وقد تخصصت الزاوية في علوم الفقه واللغة ويقول الأمير عبد القادر " من اجتاز الوادي قاصداً القرية يؤمن ولا سبيل عليه، وذلك أن الجد اختطها بإشارة أهل الخير فقال له متطوعاً ذهب من القاف إلى الحاف فلم نجد مثل هذا الكاف².

وقد احتوت هذه المؤسسة العلمية والدينية جميع مراحل التعليم من أدنى مرحلة ونقصد به المستوى الأول من التعليم إلى أعلى مستوى منه، كما كانت برنامجها سبعة جلسات علمية ودراسية، ودرس فيها من العلماء بها خاصة في العلوم الشرعية والفقه والحديث وعلم الكلام، ووجد الشيخ العلامة أبوراس الناصري بحيث يؤكد بقوله ويصف لنا زاوية القيطنة: "ذهبت للقيطنة وقد اجتمعت جموع من الطلبة، فقرأت لهم الجزء الأول أربع مرات والثاني كذلك فتعجب الشيخ وبهت وقال ل"الباي" إنما اختبرته على من هو أكبر منه من تلامذتي، لأنه فيه النفع والقريحة"، كما كان الشيخ عبدالقادر المشرفي من الذين اختارهم الشيخ مصطفى بن المختار الراشدي للتدريس بهذا الزاوية وأخذ عنه، وعلى عادة ذلك العهد فقد كان شيوخ هذا الزاوية يكرمون الطلبة النجباء والمتفوقين ويفخرون بهم مثل ما فعل الشيخ المشرفي مع تلميذه أبوراس بقوله: "وصار الشيخ يعظمني وأعطاني القمح والشعير والدرهم والسمن والزيت والكباش فجازه الله خيراً"³.

1 وهي كلمة مشتقة من القطن، وتشرف القرية على مشارع واد الحمام، وهو واد من أكبر الأودية وأغذاها ماء ذا عروج في اليمين والشمال، صالحة للزراعة والضرع، وينسب الوادي إلى والي مزار قبره اسمه سيدي محمد بن حنفي، انظر إلى محمد بكار، الشيخ محيي الدين بن مصطفى والزاوية القادرية، مجلة آفاق الفكرية، مج3، ع1، فيفري 2015، ص41.

2 سعد طاعة، نفس المرجع السابق، ص32.

3 سعدية رقاد، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، جامعة أحمد بن بلة 1، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2018-2019، ص137.

3.6 زاوية الشيخ عبد القادر المشرفي :

تأسست هذه الزاوية بمدينة معسكر على يد مؤسسها الشيخ العلامة عبد القادر المشرفي¹، الذي تصدر للتدريس بها بعد عودته من معهد القيطننة، حيث ذكرت المصادر التاريخية أنه أسس لنفسه زاوية بمسقط رأسه بالكرط، كانت بمنزلة زاوية سيدي محي الدين في منطقة واد الحمام²، وكان يقصده جمع كثير من الطلبة وغيرهم ويؤكد ذلك أبا راس في قوله³: " انتفع به خلق كثير شريعة وحقيقة وبرهانا وطريقة، له دروس حسنة بسلس العبارة والطف الإشارة.....وله كرمات خارقة ومناقب رائقة"⁴.

ويقول فيه الشيخ أبو حامد المشرفي⁵: " كان يقوم الليل ويقوم والنهار مع بثه العلم للطلبة فلا تخلو زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات يأخذون عنه العلم"، وفي نص آخر لأبي حامد المشرفي متحدثا عن

1 هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي المعسكري المعروف بعبد الله ويعرف أيضا ب سقط، وكان يدعى شيخ الجماعة وإمام الراشدية، ويرجع نسبه الى أسرة المشارف ذات الاصول الوثيقة بالعرهوبيين أبناء مشرف بن عبد الرحمان بن مسعود، وأسرة المشارف إدريسية النسب من الفرع الحسني حسب أبو حامد المشرفي، وبالنسبة لتاريخ ولادته هناك جدل في شأنه، وجل أعلام هذه الفترة وبالتالي يصعب تحديده بالضبط، بحيث نجد تاريخ وفاته يوم الخميس 10 رمضان سنة 1192هـ/02 أكتوبر 1778م، وقد اشترك بنفسه في الهجوم على وهران والتحرير لها سنة 1119هـ/1708م، بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم، فإننا نستطيع أن نضع احتمال ولادته مع نهاية 1691م، وبداية سنة 1692م، ومن المؤكد ان ولادته كانت بقية الكرت ضواحي مدينة معسكر، حيث نشأ عبد القادر المشرفي بإقليم الراشدية، وتلقى تعليما وتكونا فقهيا وأدبيا تماشيا وشروط الفقهية العالم، للمزيد أنظر الى قدور بوجلال، جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الاسبان بوهران على ضوء مؤلفه "بهجة الناظر" مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج13، ع1، جانفي 2022، ص ص 349-350.

ونجد تعريف اخر هو الفقيه أبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بوجلال بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن مسعود بن عبد الله بن الشيخ يوسف الشريف بن عيسى البوخليلي بن صالح بن الحسن بن أبي القاسم بن عبد الله بن محمد بن الشيخ يعقوب الشريف بن أبي إسحاق بن عبد الله بن أبي عمران بن موسى بن الشيخ صفوان الشريف/بشار بن موسى بن سليمان بن يحيى بن موسى بن السيد عيسى بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط خامس الخلفاء الراشدين رابع لبخلفاء الراشدين أمير المؤمنين رضي الله عنهما جميع، راجع الباحث بن عبو بوجمعة المشرفي.

2 عدة بن داهاة ، النزعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص87.

3 الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، تح بلهاشمي بكار، مطبعة ابن خلدون، الجزائر، 1961، ص 332.

4 أبو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق، ص 53.

5 يذهب كل بن عمر حمدادو، وجمال الدين مهلول، ان هناك جدل كبير حول تاريخ ولادة العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي، لكنه ليس بالجدل الحاد حول التسمية والكنية، بحيث أخذ ما أورده صاحب كتاب "إتحاف المطالع" الذي ذكر أنه

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

زاوية الشيخ عبد القادر المشرفي قائلا: " فقد كان في زمن الباي أبي العوينات -موضع قريب من معسكر - منتصبا لتدريس العلوم الفرعية والأصلية وكانت عنده محلة من الطلبة كبير منهم و في بعض الأوقات يزيد عن ثلاثة مائة طالب من العلم يتدارسون فيما بينهم¹، ولم تنقص من عدتهم في الغالب عن المائتين حسبما بلغنا متواترا من أسلافنا". وبلا شك كانت زاوية العلامة المشرفي منارة علمية هامة في المنطقة، يقصدها الكثير من الطلبة والعلماء للاستفادة من دروس العلامة عبد القادر المشرفي الذي كان حجة عصره².

4.6 زاوية أبي راس الناصر:

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن زاوية أبي راس الناصر المعسكري، التي كانت هي الأخرى إحدى قلاع العلم والمعرفة بمدينة معسكر. إذ كانت مهمة هذه الزاوية تربية العامة تربية إسلامية بحتة والمحافظة على الدين الإسلامي والالتزام بذكر الأوراد وتحفيظ القرآن الكريم لكل من يريد ذلك، ونشر العلم على الأخص منه اللغوي والفقهية وتفسير القرآن وشرح الحديث³.

كانت زاوية العلامة أبي راس هي الأخرى إحدى فضاءات العلم والمعرفة في الوطن الراشدي، أشار إليها المؤرخين بتسميات مختلفة، فقد أطلق عليها المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه "تاريخ الجزائر العام" اسم المسجد في قوله "قابتني له صديقه الباي مصطفى منزالي مسجدا بمعسكر وأسس له به مكتبة حافلة"⁴، أما المؤرخ أبو القاسم سعد الله فيقول عنها في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي": " كان لأبي راس مكتبة كبيرة حبسها له أحد بايات وهران وسماها بيت المذاهب الأربعة"، أما أبو راس الناصري فاكتفى

توفي عن عمر يناهز التسعين سنة، ونأخذ ما أورده صاحب كتاب "الأعلام" الذي ذكر تاريخ وفاته سنة 1313 هـ الموافق ل1895م، وبعملية حسابية نستنتج ان يمكن القول ان تاريخ ولادته سيكون سنة 1804-1805م بالتقريب الموافق ل1222-1223 هـ وما يؤكد هذه المقاربة هو ما ذكره من قرائن من أحداث وقعت له في حياته مثل حضوره لاجتماع مبايعة الأمير عبد القادر، ومشاركته في المعارك الأولى له، و معاصرته لأبي راس الناصري، وشاهد على أحداث احتلال الفرنسيين للجزائر، للمزيد انظر الى جمال الدين مهلول بن عمر حمدادو، منهج أبو حامد العربي المشرفي في التأريخ للجزائر من خلال مخطوط " طرس الأخبار بما جري آخر الأربيعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار"، الحوار المتوسطي، مج 11، ع 2، ستمبر 2020، ص 241-242.

1 أبو حامد المشرفي، ياقوتة الدسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، تق، تحبب عمر حمدادو والعربي بوعمامة، دار قرطبة، الجزائر، 2011، ص 292.

2 قدور بوجلال، اسهامات الشيخ عبد القادر المشرفي في الحفاظ على وحدة إيالة الجزائر أمام الاخطار الإسباني، مجلة الحضارة الاسلاميه، مج 17، ع 29، جوان 2016، ص ص 549-550.

3 قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، نفس المرجع السابق، ص 246.

عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7 الجزائر 1995، ج3، ص 5714

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

بذكر المكتبة دون المسجد، وسماها "بالمصرية"، بقوله: "ثم أني أختم هذا الباب الأبدع بما مدحت به مصريتنا، التي هي بيت المذاهب الأربعة¹... وهذه مكتوبة في بيت كتبنا، في بهوها بخط بعض تلامذتنا"²، ويذكر أن الباي مصطفى هو الذي أمر ببنائها بقوله: "وبناها الملك الأصفى... السيد مصطفى بايبي الله لك بيتا في الجنة، كما بنيت لنا بيت الكتب بلا أذى ولا مني"³، والظاهر أنها مكتبة تحولت فيما بعد إلى زاوية، ويعود سبب بنائها إلى حادثة سياسية تمثلت في أن العلامة أبي راس الناصري امتحن ذات مرة فرمي من طرف خصومه الحساد بالمشاركة في ثورة درقاوة القائمة ضد السلطة التركية سنة 1217هـ/1802م، فعزل الشيخ يومها من منصب القضاء، ولما ظهرت براءته بنى له صديقه الباي مصطفى منزالي هذه الزاوية⁴، أما عن تاريخ بنائها فلم يتطرق له المؤرخين، ولكن ربما يكون بعد انتهاء ثورة درقاوة سنة 1220هـ/1805م، أما موقعها فقد شددت وسط مدينة معسكر غرب ساحة الركابة بحي بابا علي يحدها من الجهات الثلاث الشمالية والشرقية والجنوبية طريقتين رئيسيين، أما الناحية الغربية في تحاذي المنازل المجاورة⁵.

لقد كانت هذه الزاوية تشع بالعلوم والدروس التي يلقيها العلامة أبي راس على طلبته كما أنها كانت مقصدا للزائرين والمریدين، خاصة وأن العلامة أبو راس اعتنى كثيرا بالتصوف الإسلامي وبشيوخه وبكتبهم المشهورة فيذكر "قوت القلوب" للمالكي والقشيري و"رسالته" وابن السبعين ونهايته في مكة المكرمة والحلاج وقصته والشيخ عبد القادر الجيلاني وابن عربي الحاتمي المرسي الملقب بالشيخ الأكبر ويقتبس مقتطفات من نثرهم وشعرهم ويناقش آراءهم وينتقدهم أحيانا⁶. وعلى غرار زوايا الغرب الجزائري فإن زاوية العلامة أبي راس الناصر كانت تعتمد على الطريقة القادرية⁷، فكانت مهمتها تربية العامة تربية إسلامية بحتة

1 ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص299

2 ابو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق ص74-75، المهدي بوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، اعداد وجمع عبد

الرحمن ديب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص56

3 ابو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق ص75

موشعال سعاد، المرجع السابق، ص2564

5 بوجلال قدور، العلم والعلماء، المرجع السابق، ص100

6 ابو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، منشورات ثالة، الجزائر، 2003، ص70

7 موشعال سعاد، نفس المرجع السابق، ص257

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر نموذجا

والمحافظة على الدين الإسلامي، والالتزام بذكر الأوراد وتحفيظ القرآن الكريم لكل من يريد ذلك¹. وعليه فلا يستبعد الدور المنوط الذي كانت تؤديه هذه المؤسسة في خدمة العلم والثقافة.

5.6 الزاوية الراشدية:

تعود تسمية هذه الزاوية إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، المعروف والملقب بجمال الدين التجيني، كان من كبار أعيان مشايخ المغرب وعلمائها العارفين لعلم الشريعة الإسلامية، انتهت إليه رئاسة تربية المريدين ببلاد الراشدية، فاجتمع عنده جماعة كبيرة من كبار المشايخ والصالحين². وبعد وفاة أبيه، أسس الشيخ سيدي أحمد بن يوسف لنفسه زاوية بقلعة بني راشد، كانت معلما دينيا ومركز اعتزال وحركة صوفية لنشر التصوف بين العوام، وكان التعليم بها مقصورا على تربية دينية وعلى تدريب في الزهد وعلى إصلاح الإنسان والمجتمع، وصف الشيخ زاويته بقوله: "زاويتنا كسفينة نوح من دخلها أمن الخوف" ويقول أيضا "ما دخل في قبتنا إلا شفي من علته ولا ملهم أغيث في لهفته ولا مكروب إلا فرج الله كربته ولا حزين إلا راحة بال"³، ومن البديهي أن تكون الزاوية مقصدا لكثير من الطلبة، الذين تهافتوا عليها نظرا لموقعها الجغرافي وشهرتها العلمية⁴، كما أنها كانت ملجأ ومأوى للفقراء وعابري السبيل.

والزاوية، ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزاويا معينة. كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، إذ أن التداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا، فالجوامع والمساجد و الزوايا بحاضرة معسكر كانت مخصصة للعبادة والتعليم من جهة ورباطا وملجأ ومسكنا للطلبة والعلماء من جهة أخرى⁵.

ويظهر لنا جليا أن التركيز والاهتمام بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في أهالي معسكر ، فلا تكاد تجد قرية أو حيا بحواضر البايك الغربيو حاضرة معسكر تخلو من مسجد. بإعتبار أن المسجد كان بمثابة ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وفي هذا الاطار يقول أبو القاسم سعد الله: "...فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق و الكتاتيب..."⁶

1 بوجلال قدور ،نفس المرجع السابق،ص 100

2 مجموعة أساتذة ، الحياة الروحية في الاسلام، معسكر رجال وتاريخ ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر 1987،ج1، ص49

3جيلالي طول ، معسكر رجال وتاريخ ، دار الاديب للنشر والتوزيع ، الجزائر 2006 ،ص116، 117

4 العيد مسعود ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني....، المرجع السابق ص63

5 نفسه" ص 243.

6 نفسه"، ص 244.

ومن الملاحظ أنه كانت من وظائف المساجد بحاضرة معسكر نجدها كثيرة ومتعددة، إقامة الرابطة بين أهل القرية و المدينة بها خاصة في بنائه وأداء الوظائف فيه، بإعتبار أن المجتمع الريفي بمعسكر لم يتأثر بالحركة الثقافية التي أحدثها الباي محمد الكبير، وفي هذا السياق يذهب صالح فركوس: "بالرغم من تشييد الباي للمؤسسات الدينية والتعليمية، فإن المجتمع الريفي لم يتأثر بالحركة الثقافية التي أحدثها محمد الكبير، وإنما ظل أبناؤه مثل باقي أبناء المجتمع الريفي الجزائري عامة يتلقون قدرا من العلم في الزوايا، التي كان يديرها المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية..."¹

7 أهم المدارس في حاضرة معسكر خلال العهد العثماني:

1.7 قراءة تاريخية عن مدينة مازونة التاريخية:

عرفها الشريف الإدريسي مازونة فقال: هي مدينة بين جبل في أسفل، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن موفقة ولسوقها يوم معلوم وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصب، وأما الحسن بن محمد الوزان الفاسي فيقول: عن مازونة في رحلته ومعجمه وصف إفريقيا "مدينة أزلية بناها الأفارقة -حسب قول بعضهم- على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، تمتد عمتينة، لكن دورها قبيحة فقيرة، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، لقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم، لكنها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل لوك تونس وتارة من قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب حتى أصبحت اليوم القرن السادس عشر قليلة السكان، وهم إما نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريبا فقراء، لأن الأعراب يتقلون كواهلهم بالإتاوات، والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة"².

تعد حاضرة مازونة من المدن التاريخية العتيقة و العريقة الواقعة ، و تعتبر قاعدة هامة لها موقع إستراتيجي ومركزي يراقب الطسرق بين الشرق و الغرب، و كانت ملتقى لعناصر مختلفة، و حضارات متعددة، وصفت منذ القدم بمدينة العلم و الثقافة أراضيا خصبة، و غنية بثرواتها الزراعية³.

1 صالح فركوس الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية... ، نفس المرجع السابق، ص 28، للمزيد راجع حمدان بن عثمان خوجة المرأة. تقديم وتعريب محمد العربي الزبيبي الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1975 ص، ص 318، 320.

2 محمد الأمين بلغيث، مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وآثارها قراءة تاريخية)، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج1، ع1، ماي 2004، نص 118.

3 مارمول كر بحال إفريقيا، ج 2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1984، ص 395.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

وولكن هنالك اشكالية أمام الباحثين والمؤرخين في تحديد وضبط أصل التسمية، خاصة في ظل غياب الوثائق الارشافية و التاريخية التي تؤكد التسمية، و لا تزال الإشكالية قيد البحث حول مصدر تسمية كلمة "مازونة" شأنها شأن معظم المدن التاريخية، و هذا ما أدى إلى ظهور عدة فرضيات و جدل تاريخي حول أصل التسمية.

نجد عدة تسميات لمدينة مازونة واصل تسميتها، وبالتالي هنالك من اعتبر كلمة "مازونة" أنها مصطلح بربري يعني "أرض الرجال الأحرار الأقوياء"¹ و هناك من يقول أنها "ماسينا" و هي بذلك مدينة رومانية بسبب الآثار المكتشفة، بينما يرى آخرون أن مازونة أسسها "مانع" الذي تزوج أميرة بربرية تدعى "مازونة" و هناك من قال أنها تعني أسماء آخرين بربريين أحدهما "مازونا" و الآخر "مديونا"، أما بطليموس 146 ق.م ، فيرى أن مملكة كانت تابعة لنوميديا في عهد ماسينيما ، و يعتقد آخرون أن كلمة "مازونة" تعني "ماء زونة" نسبة البنة ملك تسمى "زونة" حيث حط الرحال بجبال المنطقة و طلب من رجاله أن يحضروا الماء البنته فلما وجدوا المنبع حرموه على الغير، و قالوا هذا "ماء زونة"².

ويذهب آخرون في تأصيل كلمة مازونة إلى أميرة تحكم المدينة، تملك كنز كله من قطع نقدية تسمى "موزونة" فيما ينسب أحدهم المدينة لقبيلة زيانية وبالتحديد لأحد أسلافها يطلق عليه "مازون"³. أما بالنسبة لرحالة الجغرافي ابن بطوطة فنذكرها من غير وصف حيث قال: "قوصلنا... إلى مدينة تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان، كما ذكرها العبدري في رحلته بحيث يصفها كتالي: "ثم رحلنا على طريقنا الأول إلى مليانة فتيما منها على طريق مازونة، مثوى خطوب الزمان ومناخ ركاب الحدثان، وهي بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجرف واد منقطع شبه قلعة، وواهية حسا ومعنى"⁴.

يعد البعد التاريخي لمدينة مازونة وحسب اشارة الرحال الإسباني Mormol فيرجعه إلى عهد الروماني، عندما قام بجولته عبر الغرب العربي خلال القرن السادس عشر،. ويذكر أن مازونة مدينة قديمة أسسها

1 ميلود ميسوم مدرسة مازونة "دراسة تاريخية فنية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، مكتبة علم الآثار، 2002-2003، ص4

ميلود ميسوم مدرسة مازونة "دراسة تاريخية فنية"، نفس المرجع السابق، ص2.4

3 محمد بن يوسف الزياني دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم و تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر، ش و ن ت، 1978، ص55.

4دواحي جلول عبدالقادر، أضواء على مدينة مازونة و مدرستها الجزائرية خلال العهد العثماني في الجزائر، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، ع70، ديسمبر 2020، ص44.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

الرومان مستدلا ببعض الآثار الموجودة ، أما ابن خلدون فيرجع تأسيسها إلى القرن الثاني عشر ميلادي 565هـ على يد عبد الرحمن أبو منديل زعيم قبيلة مغراوة ، ويشير محمد بن يوسف الزياتي إلى أن مازونة تعرضت للتدمير عام 665هـ حسبما ذكره ابن المدينة مازونة مولاي بلحميسي في قوله:

ويصفها "شاو shaw الرحالة الإنجليزي في كتابته حول مازونة أنها تأسست من قبل الأهالي باعتبار أن بناياتها تشبه القلعة، هو يعارض مارمول Marmol-Carvjaj الذي يرجعها إلى الفترة الرومانية، بحيث يذهب أنه ينبغي أنه بالضرورة وجود آثار وبنيات تعود إلى هذا العهد، غير أن الإدريسي يحدد بعض التفاصيل حول المدينة، ويذكر أنها كانت موجودة منذ القدم قبل الإسلام بحوالي بضعة قرون¹. (أنظر الملحق رقم 16).

وخلدت مدينة مازونة في الشعر العربي من قبل من زارها وأعجب بها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر هذه النماذج:

بحيث نجد الشيخ جلول البدوي يمدح مازونة وساكنتها وبعض ألقاب العوائل التي كانت ولا تزال إلى اليوم فقال:

اذكر مازونة وأعرف قدر ما اشتمل	عليه من خير ينويه مرتاد
مدينة جال فيها العلم جولته	إذ عث فيها من الأعلام أطواد
آل الحميسي فيها امتاز فضلهم	وما أنثوا منه ما جاروا وما حادوا
مضوا مصابيح هدى في القضاء	مدى يسوسهم في مجال العذل ميعاد
فعالم يتولى شرح غامضة	من الشوارد فواحها لهم زاد
وعالم همم للفقه منبعت	وفكره فيه بالأدراك وقاد
تتاولوه فلم يبرح بهم لهجا	كأتما احتكروه الدهر أو كادوا

ومدح عبد الله المشرفي قاضي معسكر الصادق الحميسي المازوني وهو تلميذه وقد زاره بمازونة:

مازونة خير القرى	وأهلها خير أناس
لم تلق فيهم جنيا	إلا كريمًا أو ماس
العلم صار طبعه	والمجد خير لا يقاس
أكرم به من عالم	سما بفكر ودرس

1 دواجي جلول عبدالقادر، نفس المرجع السابق، ص 45.

2 مولاي بلحميسي مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليين، نفس المرجع السابق، ص 31.

ضاهي بفقّه مالگًا وأغنة أبنا نواس¹

ويذكر الرحالة ابن الفنون الحسن بن علي القسنطيني خلال رحلته من قسنطينة إلى غاية مراكش، ملتحقاً بالخليفة الموحي محمد الناصر 1199م/1214م:²

ويقول الرحالة المصري صديق أحمد سنة 1332هـ - 1919م: قيلت هذه القصيدة في شأن محمد أبي راس بن أبي طالب المتوفى 1917م.

ألمأ على مازونة وانظرا العلى
وهل بعد بيت العلم بيت لقايد
لها شهرة قدما بيت علومها
حماها منيع والمقام مشيد
أبى الله إلا أن تكون كعبة
رحلت بلادا في الزمان كثيرة
فشاهدت كلاً بين مثن وشكر
لا عجب فالله أيد أزرها
غنيت به بدر الأئمة مالگا
محمد أبوراس لذا سار نهجه
وقال له بين الرجال يخدمه
فأظهر مكنونا وأبدي دقايقا
وبرز بل عزّ النظير وفاته
وأثنى عليه الفقه والسدين والهدى
ومن يخدم العليا فالله عونهُ
فدم يا إمام القوم درة تاجهم

فمازونة بيت الهدى وسلام
دعائمهُ فوق السما ومقام
ونشر التقى بين السورى وأنام
وذكر لها يسرى كيدر تمام
ملاذا لمن قد ضل بين ظلام
لأنظر حال العلم بين خيام
لها خير صنع في أجل نظام
هذا السني بين الملا كإمام
فقيه الثرى بل رأس كل همام
وسوى سبيل الفقه خير إمام
وعزم متين فوق حد حسام
وأخرج آيات بخير قوام
وفاق فكل قد رمى بزممام
بقول بديع في جميل كلام
ويجزيه خيراً وفق صنع سلام
وبدراً منيراً فيك مسك ختام¹

1 دواجي جلول عبدالقادر، نفس المرجع السابق، ص 45.

2 بكير سعيد المدينة الجزائرية في الشعر العربي الحديث، مازونة أنموذجا، مجلة الحضارة الإسلامية، مج 14، ع 18، مارس 2013، ص 713.

3 مولاي بلحميسي مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليين، نفس المرجع السابق، ص 05.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

تعتبر حاضرة مازونة مدينية دينية وفقهية² وهي من أهم المدن التاريخية العريقة والأصيلة ذات البعد الديني و العلمي والفكري، تمتد جذورها التاريخية الى الحضارات القديمة³، بحيث تعتبر مرجعية تاريخية هامة في تاريخ الجزائر الحديث، والتي تحظى بموقع استراتيجي مميز⁴، بحيث تقع في قلب جبال الظهرة⁵، ومُلتقى الطرق والحضارات السابقة، وُصفت منذ القدم بمدينة العلم والثقافة وسُميت "بأَمّ الأحكام المكنونة"، فامتدّت بتاريخها إلى جذور الحضارات القديمة⁶. كما تعتبر مركز محوري في الحياة العلمية و الفكرية و الثقافية والتعليم بها أدوارا رئيسية في تكوين الطلبة وتخريج العلماء الذين كان لهم أيادي بيضاء في إثراء التاريخ و الحضارة

العربية الإسلامية والمحافظة عليه في الجزائر خلال العهد العثماني⁷، وعليه نجد بالموطن المازوني كثرة العلماء والفقهاء النابغين في ميدان علوم الحديث والفقاه والفتوى على مذهب الإمام مالك، الأمر الذي جعل منهم محطّ أنظار العلماء من مختلف أقطار المغرب الإسلامي، استنادا ما قاله أبو راس الناصر: "... وقد مررت بطريقي بالشيخ.... أبي عبد الله الشيخ محمد بن لبنة... فسألني عن وجهتي..."

1 بكير سعيد المدينة الجزائرية في الشعر العربي الحديث، مازونة أنموذجا، نفسالمرجع السابق، ص 713.
2 مازونة مدينة عتيقة تقع نحو أربعين ميلا من البحر المتوسط، ذات حدود فلكية بين خطي عرض 36.03° و 36.07° درجة شمال خط الإستواء وخطي طول 0.45° و 0.53° درجة شرق خط غرينتش. وهي بذلك تعد بوابة الإقليم الغربي، إختلف الباحثون في تاريخ تأسيسها فوجدت عدة آراء منها أنها بلدة قديمة أسسها الرومان، بدليل ما قاله الرحالة الإسباني مارمول Marmoul الذي جال في المغرب خلال القرن السادس عشر الميلادي، حيث إعتد في ذلك على وجود الآثار الرومانية و اللوحات المنقوشة. في حين وُجد رأي مفاده أنّ المنطقة كانت معمورة منذ العهد النوميدي بدليل وجود القبائل البربرية وبالخصوص قبيلة مغراوة ذات الصيت الكبير في بلاد المغرب الإسلامي، راجع هامش قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 185، وللمزيد انظر الى مولاي بالحيمسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين الجزائر منشورات المجلس العلمي 2005، ص 3.

3 ابراهيم عبو، مدرسة مازونة الفقهية ودورها الفكري والحضاري، الحوار الثقافي، مج7، ع 1، ديسمبر 2017، ص 249.
4 أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900 م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص 12.

5 وهي كلمة تشتق من الظهر أو السنام وهذا ما ذهب به بلحميسي، ونجد لها معنى آخر وهو الشمال وبالتالي عكس القبلة التي تعني الجنوب، للمزيد أنظر الى

Moulay Belhamissi , Mazouna une petite ville une longue histoire , sned Alger , 1981,P 12.

6 جنان الطاهر مازونة عاصمة الظهرة ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري الجزائر مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع (2005)، ص، 9.

7 ميلود ميسوم، ملامح من الحياة الثقافية بحاضرة مازونة خلال العهد العثماني، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج10، ع1، جوان 2019، ص 12.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

فقلت له ذاهب لمازونة قال: لم؟ قلت: لقراءة الفقه فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاهه وما يتعلق به...¹.

وتلتقي شهادة أبو راس الناصري مع شهادة ابن سحنون الراشدي في أن أكثر المناطق الريفية ويعني خارج الحواضر، كانت تعرف نشاطا علميا وتعلما، عرفت كثرت العلماء والفقهاء، فعلى مستوى مدينة مازونة وجدا عدد ليس بقليل من العلماء المغمورين، بحيث يعتبرون كمرجعية فقيهة في علم الفقه².

2.7 مدرسة مازونة الفقهية:

تعدّ هذه المعاهد من أهم مراكز الإشعاع الثقافي آنذاك بمازونة³، فقد كانت نقطة تحوّل حاسمة في حياة الطلبة الذين اجتهدوا في طلب العلم والرقي إلى درجة العلماء والفقهاء، وكانت هذه المراكز تتمثل أساسا في المدارس والمساجد والزوايا، ومن بين هذه المعاهد:

1.7.2 مدرسة مازونة:

لقد اشتهرت مدرسة مازونة الفقهية بالحديث وعلم الكلام وخاصة بالفقه حتى قيل "مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري"⁴، وبنظام خاص معمول به منذ تأسيسها في القرن السادس عشر⁵، فإزدهرت حلقات الدروس بها خلال القرن الثاني عشر الهجري 18 م، وهو ما نستنتجه من خلال المشوار الدراسي لأبرز خريجيها لا سيما الشيخ أبو راس الناصر الذي درس على شيوخ بلده معسكر، ولما ذكرت له مازونة وكثرة مجالسها ونجابتها طلبتها وقريحة أشياخها سافر إليها وفيها درس على عدد كبير من العلماء الذين تخصص جُلهم بالفقه المالكي، وبالأخص بإقراءهم كتاب مختصر الشيخ خليل⁶.

1قدور بوجلال، العلم والعلم...، نفس المرجع السابق، ص186، للمزيد انظر الى أبو راس الناصر فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص20.

2بن عمر حمدادو، واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني بايلك الغرب، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج4، ع7، ديسمبر 2013، ص22.

3محمد الأمين بوحلوفة، مخطوطة مدرسة مازونة قراءة في التاريخ ووجد لبعض مخطوطاتها، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ع7، جانفي 2017، ص228.

4 لزغم فوزية الإجازات العلمية...، "المرجع السابق"، ص79.

5 سعية رقاد، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث تخصص العلم ومؤسساته في بلاد المغرب في العصور الوسطى والحديثة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2018-2019، ص212.

6 Moulay Belhamissi Histoire De Mazouna Des Origines à nos jours Alger S.N.E.D p50.

ويذهب ابو القاسم سعد الله بقوله عن حاضرة مازونة و مدرستها " اما مدرسة مازونة فقد كانت على درجة كبيرة من الاهمية في النواحي الغربية من البلاد وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والاندلس والمغرب الاقصى... " ¹، فاستمرت تشعّ بالمعرفة حتى بعد إنتقال عاصمة البايك الغربي من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، بحيث تعتبر مقصد الكثير من الطُلاب وعلى وجه الخصوص طلبة النواحي الغربية وعلى وجه التحديد من مدينة ندرومة وكذلك ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران.²

2.7.2 الجذور التاريخية لتأسيس مدرسة مازونة الفقهية:

تُعدّ مدرسة مازونة الفقهية من أقدم المدارس التي أسّست خلال العهد العثماني،³ حيث تُشير لوحة التّدشين⁴ الموجودة بمدخلها، وإحدى الوثائق التاريخية⁵ إلى أنّها تأسّست من طرف الشيخ محمد بن الشارف المازوني في سنة 1029هـ / 1619م ⁶، فدرّس بها مؤسسها حوالي أربع وستين سنة،⁷ وعنه تخرّج الحافظ

1 Géniaux char les Mazouna. In Revue des deux mondes ; 1921 P 452.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...ج1، "المرجع السابق"، ص 285.

3 مولاي بالحيمسي، مازونة مقصد الدارسين...، "المرجع السابق"، ص 21.

4 وحسب اشارة الدكتور قدور بوجلال في حديثه عن المدرسة المدرسة من الناحية التاريخية بقوله "توجد حاليا بالجهة اليمنى عند مدخل المسجد الملحق بالمدرسة، حيث تمكّنّا من الإطّلاع عليها في إطار البحث الميداني الذي قمنا به بمازونة وبالتحديد في مدرستها الفقهية القديمة. كما تمكّنّا من أخذ صورة فوتوغرافية عنها وضعناها في قائمة ملاحق المذكرة، ومّا جاء فيها "أسّس الشيخ سيدي محمد بن الشارف هذه المدرسة والمسجد في أوائل القرن الحادي عشر هجري، ودرّس بها نحو 64 سنة إلى أن توفّي في سنة 1164 هجري وخلفه نجله من أب إلى ابن". في مقابلة ميدانية أجراها الباحث بمدرسة مازونة الفقهية بعد إجرائه لحوار شفوي مع الحاج هني محمد إمام مسجد ومدرسة مازونة الفقهية، المسماة مسجد محمد بن الشارف بتاريخ 25 أفريل 2007م، انظر قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 186.

5 نقلا عن الباحث قدور بوجلال وحسب اشاراته في هذا السياق عن حديثه عن وجود بمدينة مازونة عند عائلة هني إحدى الأسر العلمية التي توارثت العلم والثقافة جيلا عن جيل بحاضرة مازونة، وهي عبارة عن رسالة عدّد فيها مؤلفها أساتذة وشيوخ بل وحتى علماء مدرسة مازونة الفقهية منذ نشأتها إلى تاريخ تحرير الوثيقة وهو سنة 1910م، مبتدئا بمؤسسها ابن الشارف المذكور، ثم ابنه السيد عبد الرحمن ولما توفي تولّى التدريس ابنه السيد علي والد الشيخ أبي طالب، وهكذا إلى سنة تحرير الوثيقة الموجود نسخة منها بقائمة ملاحق المذكرة، أنظر الى قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 190.

6 جمال عطابي، معالم وأعلام مدينة مازونة التاريخية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 10، جوان 2017، ص 248 .

7 تذكر المصادر التاريخية ان من أسّس المدرسة هو محمد بن الشارف المازوني تلك المدرسة الفقهية من ماله الخاص، بعد أن قام ببيع قطعة أرض بثمن قدره 30 دورو كونها غير صالحة للبناء، ليشتري بعدها قطعة أرض أخرى تتوسط المدينة قصد تهيئتها لأن تكون حيّزا تعليميا يُدرس فيه الفقه. لكن ملاحظناه أنّه وقع خطئ في ضبط تاريخ وفاة ابن

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

مصطفى الرماصي(أنظر الملحق رقم19)، فتوارث أبناؤه المدرسة وتداولوا على التدريس بها، وأبرزهم الشيخ محمد بن علي المعروف بأبي طالب محمد بن علي بن عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الشارف بن احمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن محمد بن عمر البناوي بن محمد بن عبد الله بن مسعود ابن الحسن بن سلمان بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن احمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله¹ الكامل بن الحسن بن الحسين بن علي ابن طالب بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي أصبح على رأسها منذ سنة 1189هـ/ 1775م وخلفا لوالده وبقي مُدرّساً بها أربعة وأربعين سنة إلى وفاته.²

بحيث تعلم الشيخ أبو طالب مبادئ العلم الصحيح بمسقط رأسه وحفظ القرآن على يد والده العلامة على بن عبد الرحمن، كما يبدو أنه أخذ علم الحديث عن كثير من علماء عصره وأشهرهم شيخ الجماعة بالجزائر القاضي المفتي أبي عبدالله محمد بن جعدون والشيخ بن علي الشريف الزواوي³. وتشير إحدى الوثائق وحسب ماجاء فيها بأن مؤسس المدرسة بل وحتى خلفه كانوا يتأصلون نسباً من الأشراف، حيث يمتدّون في أصولهم النسبية إلى غاية البيت النبوي عبر الشجرة الحسينية، وقد جاء فيها: "... العلامة والمجاهد والشهيد المرحوم سيدي هني بن محمد بوطالب بن علي بن عبد الرحمن بن إمام محمد بن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن محمد بن أحمد بن البلداوي نسبا إلى جماعة العيديون، الساكنون بإزاء الهبط... وجدّهم إسمه محمد بن عبد الله بن موسى بن مسعود بن مسعود بن الحسن... بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ."

كما يثبت هذا النسب الشريف عبد الله بن محمد بن الشارف ابن علي حشلاف، أثناء حديثه عن الشجرة الحسينية وفروعها الطيبة بقوله: "... ومن فروع مولانا عبد العزيز حفدة الشيخ أبو طالب بن الشيخ ابن

الشارف ذلك أنه أسس المدرسة سنة 1029هـ والفرق بين تاريخ التأسيس وتاريخ الوفاة 135 سنة وهذا غير منطقي ولعلّ الأقرب إلى الصواب هو سنة 1093هـ كتاريخ وفاة وذلك بالجمع بين تاريخ التأسيس 1029هـ) ومدة تدريسه بالمدرسة 64 سنة). ينظر لزغم فوزية الإجازات العلمية...، "المرجع السابق"، ص 79، راجع أيضا دور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 191.

1 مخطوط ج 2 كتاب الأصل المازوني مخطوط بالمدرسة، نقلا عن جمال عطابي، نفس المرجع السابق، ص 248.
2 محمد الأمين بلغيث، "مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي". مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، العدد الأول، 1425هـ/ 2004م، ص، 127.

3تقي الدين بوكعب، دراسة وتقديم مخطوط الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب"المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 14، ع 2، ديسمبر 2018، ص 173.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

الشارف المازوني، فمنهم شيخنا وشيخ إفريقية على الإطلاق المرحوم الشيخ سيدي محمد بن سيدي هني المكنى أبي راس...".

وعلى ما يبدو أن التعليم بمدينة مازونة قد كان على درجة كبيرة من الأهمية، حيث أنّ شهرة مدرستها الفقهية تجاوزت الحدود الإقليمية فاستفادت من المناخ الثقافي الذي ساد المنطقة، وبالخصوص تلمسان وجامع القرويين بالمغرب الأقصى والزيتونة بتونس. وزيادة على هذا، فقد كانت مدرسة مازونة الفقهية تسع من حيث الحجم ما بين 60 إلى 80 طالبا، حيث إعتبر جاك بيرك Jacques Berque هذا العدد مقياس المراحل.

3.7.2 شروط الإلتحاق بالمدرسة:

تُعتبر مدرسة مازونة الفقهية من بين المدارس التربوية التي تخرّج منها العديد من العلماء والفقهاء خلال العهد العثماني، لخاصّيتها القائمة على تدريس الفقه المالكي ومجموعة من العلوم الدينية والدنيوية المختلفة.¹ حيث أشار مولاي بالحميسي في حديثه عن شعار الطالب بمدرسة مازونة على وجود تسلسل هرمي للموظفين والطلبة والعلماء بها، كان قائماً على شروط العلم الأربعة وهي:

شُرُوطُ الْعِلْمِ أَرْبَعَةٌ	فَأُولَاهَا التَّفَرُّغُ لَهَا.
وَتَأْنِيهَا وَجُودٌ جَدٌّ	تَبْلُغُ لِلْفَتَى أَمْلُهَا.
وَتَأَلُّهَا فَعَنَ شَيْخٌ	يُمَدُّ لِلْهُدَى سُبُلُهُ.
وَرَابِعُهُ مَا مَذَاكِرُهُ	مَعَ الْإِخْوَانِ وَالْفَضْلَاءِ. ²

وعليه فلقد كان الإلتحاق بمدرسة مازونة الفقهية، يقتضي من العالم أو الطالب الانصياع لمجموعة من الضوابط والشروط هي كالاتي:

- تعمل المدرسة بتحفيظ القرآن الكريم³، لأنّه واجب ديني لا سيما فيما يخص الطلبة المسافرين والمقيمين بالمدرسة، وفي هذا المقام يقول أبو راس الناصر: "... فقلت له ذاهب لمازونة قال: لم؟ قلت: لقراءة الفقه فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاه وما يتعلّق به...".⁴
- يجب الإلتزام الخلقي والانضباط بالنسبة للطلبة المقيمين بالمدرسة.

1 جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة...، " نفس المرجع السابق"، ص 93. - محمد الأمين بليغث مدرسة مازونة الفقهية وأثارها...، " نفس المرجع السابق"، ص 127.

2 قدور بوجلال، الدور الحضاري والثقافي لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق، ص 44. 3 نفسه، ص 44.

4 أبو راس الناصر فتح الإله...، " نفس المصدر السابق"، ص 20.

- أن يقبل الطلبة المقيمين النوم بإستمرار في المدرسة.
- يحرم كل طالب العلم من كل الخدمات الإجتماعية و وكذلك التغطيات المالية، وفي هذا السياق يقول مولاي بالحميسي: "... ولم يكن الطلبة آنذاك يحلمون بالمنح والخدمات الإجتماعية، ولا بالتَّغطية الطبيَّة ولا بمؤسَّسات التَّرفيه ... حافظا للدراسة".¹
- عدم السماح لأيّ أحد من الطلبة القاطنين بمازونة، ولا من رجال إدارة العلم بها التّوم في المدرسة ما عدا المسافرين من العلماء والطلبة.
- تكفّل المجتمع المازوني بالإئناق على المدرسة الفقهية وطلبتها بإعتبارها صدقة جارية، بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي: "... ولا يقتصر العون على ما ذكرنا بل تكفّلت العائلات بغسل ثياب الطلبة، كما بادر أهل الإحسان بدفع تكاليف الكراء والتدفئة وكذلك شراء الشموع للإنارة".²
- يجب إحترام الشيخ المشرف على التدريس وجميع المشائخ الآخرين، والإنصياع لأوامر الشيخ وإستشارته في الغايات العلمية وغيرها،بالإضافة إلى إحترام مواقيت التدريس التفرغ للعلم والمراجعة المذاكرة، ويجب الحفاظ على النظام الداخلي والإلتزام به مثل اللباس الخاص أو الحصول على الطعام والماء والحطب وغيرها من الإحتياجات، وهذا فيما يتعلق بالطلبة المسافرين المقيمين بالمدرسة.³
- عدم السماح للمقيم من الطلبة بالخروج من المدرسة إلاّ عند الضرورة، بحيث لا يُشترط أن يكون الطلبة المقيمين من المدينة أو البادية.
- يمكن فصل الطالب المقيم من المدرسة إذا لم يُظهر نبوغه في العلم، فَيُبعد عنها ويقع إختيار مجاور آخر في مكانه، أو في حالة ما أساء مجاورة صحبة أقرانه أو قام بأعمال أو أقوال غير لائقة.⁴

4.7.2 مواد التدريس و طرقه:

حسب ما ذهب به الباحث قدور بوجلال من خلال إطلّاعه على العديد من المصادر الفقهية بخزانة كتب مدرسة مازونة، وجد في ثناياها أسماء عدّة كتب أعتمدت في التدريس لسنين طويلة بالمدرسة، وبقيت تُدرّس حتى عهد أبو راس المازوني.⁵ وكذلك طرق التدريس في العلوم الدينية حيث كانت المادة

1 مولاي بالحميسي مازونة مقصد الدارسين...، " نفس المرجع السابق"، ص 31، انظر أيضا: قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 189.

2 "المرجع نفسه"، ص 31.

3 بوكفة يوسف مدرسة مازونة الفقهية...، " نفس المرجع السابق"، ص 31.

4 مولاي بالحميسي معلم القرآن...، " نفس المرجع السابق"، ص 38.

5 أبو راس المازوني هو محمد بن محمد بن أحمد بن هني بن محمد أبو طالب المازوني بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن الشارف المازوني، المعروف بأبي راس المازوني نسبه إلى جده لأمه أبو راس الناصر المعسكري. ولد بمازونة حوالي منتصف القرن 19 م من أم تدعى زولة بنت الشيخ أبي راس الناصر ومن أبناءه المعروفين أحمد، محمد، ومحمد الشانبيط تولى منصب الإفتاء، كما كان مشتركا في جريدة كوكب إفريقية العربية من شيوخه والده محمد بن أحمد بن هني

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

الأساسية فيها والتي اشتهرت بها والتي تتمثل في الفقه المالكي¹، بدليل ما قاله أبو راس الناصر: "... ثم إنصرفت من مازونة وقدمت إلى أم عسكر ما معي شيء من المال ولا غيره سوى معرفة الفقه وحده... قال: هذه عادة طلبة مازونة...".² ضف إلى ذلك ما ذكره الشيخ مصطفى الرماصي قائلاً: "لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله إذا به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام، وقد صنّف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى...".³

وعلى ما يبدو أنّ الكتاب العمدة في الفقه بالمدرسة قد كان مختصر خليل - مصنف - في الفقه المالكي وشرح الخرخشي والزرقاني والحديث الشريف⁴، وتبعاً لذلك لُقّب مشايخ المدرسة وطلبتها "بالخليليين"⁵ بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي: "... والكتاب العمدة في الفقه بالمدرسة هو مختصر خليل، الذي غطى مختلف التصانيف في المشرق وفي المغرب، كرسالة أبي زيد القيرواني وكتاب لباب الألباب وتحفة بن عاصم وغطى موطأ مالك ومدونة سحنون... فإقتصر برنامج التدريس على هذا المصنف دون سواه، وقد أجمع أهل المذهب على عظيم "فائدته...".⁶

وفي هذا السياق، نجد أنّ علماء وطلبة مازونة قد ركّزوا على الجزء الأول من المختصر،⁷ بدليل إشارة مولاي بالحميسي قائلاً: "... وفي مازونة اشتهر المختصر ومن مازونة نبغ عنصر أسرار خليل

وعبد القادر بالحميسي وجده أحمد بن هني. حيث تولى التدريس بعد وفاة والده محمد بن أحمد بن هني، وقد كان ذا علم ووجاهة عند الناس بتمكنه بواسطة دوره التعليمي على أن يُبقي الإشعاع لمدرسة مازونة الفقهية بالبايلك الغربي فدامت فترة تدريسه أكثر من 50 سنة، انظر الى هامش رقم 36 قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 193.

1 بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية...، " نفس المرجع السابق"، ص، 39.

2 أبو راس الناصر، فتح الإله...، " نفس المصدر السابق"، ص 21.

3 مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، " نفس المرجع السابق"، ص، 32.

4 تقي الدين بوكعبير، تلخيص الجمان من حياة الحيوان لمحمد مصطفى بن زرفة الدحاوي المعسكري، دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2019-2020، ص 148.

5 بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية...، " نفس المرجع السابق"، ص، 39.

6 مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، " نفس المرجع السابق"، ص، 32.

7 ينظر التعليق الموجود بتهميش الصفحة رقم 194 في مقابلة أجزاها الباحث قدور بوجلال مع الدكتور مولاي بالحميسي بمقرّ سكناه بالجزائر العاصمة، بحيث يصف فيها الدكتور فيها عدة معلومات حول التاريخ الثقافي لمدينة مازونة، تطرّق فيه إلى أنّ المختصر قد أوحى عدّة تلخيصات وشروحات وهوامش وحواشي وتعليق حتى جاوزت هاتيه الكتب المائة. فإستعمل في مازونة شرح الخرخشي و الألبى وعليش وزرقاوي، ومال بعض الفقهاء إلى جانب من جوانب المصنف فإعتنوا به إعتناء خاصاً وحرّروا له المنتخبات والمختارات، وسمّوا بعض أعمالهم الموجز الوجيز والتهذيب، إلى درجة أن بادر

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

وعمّ نوره في الأقطار، وبقي هذا الكتاب أكثر المتن الفقهية تداولاً في الجزائر، على الرغم من إيجازه الذي يصل إلى الإبهام. وما من شكّ أنّ دعاء الشيخ خليل في مقدمة كتابه كانت من الدواعي التي فتحت أعين العلماء والمتعلمين، إذ قال: نسأل الله أن ينفع به من كتبه أو قرأه، أو حصّله أو سعى في شيء منه، ويُلَقِّبه الناس لشهرته بالكتاب وتُسَمِّيه العوام سيدي خليل، و الكتاب الأصلي في أربعة أجزاء: كتاب الصلاة وكتاب الزكاة، وكتاب البيوع وكتاب الإيجار...¹.

ومما سبق نستنتج أنّ علماء وطلبة مدرسة مازونة قد تمثل تكوينهم في الجانب الفقهي خاصة المذهب المالكي بمختصر الشيخ خليل، لا سيما الجزء الأول من الشرح المعنون بـ: "منح الجليل على مختصر العلامة خليل"². والذي يحتوي فيها على مجموعة من الأبواب وغيرها وكل باب يوضح مسألة فقهية معينة .

لقد كانت طريقة التدريس بمدرسة مازونة قائمة على عدّة استراتيجيات تعليمية ومناهج خاصة بها،³ خاصةً منها قيام أحد الطلبة بقراءة فقرة من الكتاب المُقرَّر تدريسه، ثمّ يقوم الشيخ بشرحها حسب ما تجود به قريحته وينتهي إليه حفظه وإتقانه، فيفسح المجال خلال الدرس أو عقبه للطلبة للمناقشة والتعقيب وطرح الأسئلة إثراءً للدرس وتعميقاً للفائدة.⁴

كما انها تميزت بطريقة و بمنهجية استثنائية في تقديم الدروس لطلبتها وتلقينهم علوم الشريعة وأصول الفقه وغيرها من العلوم، ويؤكد الباحث عبو إبراهيم في توضيح و شرح طرق ومناهج التدريس

المعجبون بقيمته فإستنتخوا منه العديد من النماذج للإستفادة الفقهية.انظر الى دور بوجلال،العلم والعلماء...،نفس المرجع السابق،ص 194.

1 "المرجع نفسه"، ص 194.

2 كما يشير قدور بوجلال نقلا عن الدكتور مولاي بالحميسي على أنّه قد اقتصر هذا المصنف دون سواه، حيث إنقسم إلى 61 بابا تناولت العبادات وباب النكاح والطلاق، والمواريث والمعاملات والتبرعات والأعياد. " نفس المرجع السابق"، ص 32. وللمزيد عن الشيخ خليل راجع أحمد بابا التنبكتي كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. ج 1، تحقيق علي عمر القاهرة مكتبة الثقافة الدينية (2004)، ص ص 129، 132.

3 لقد لاحظ بوسكي Bousquet الذي زار مدينة مازونة سنة 1947م، أنّ من خصائص التعليم بالمدرسة الفقهية أن يلقى بالعامية، لكن الدكتور مولاي بالحميسي قام بنقده بقوله "لقد فاته أنّ للعامية خصالا كجلب المتعلم البسيط والأخذ بيده، كما فاته أنّ اللغة الشعبية خالية من كل غريب أو تعقيد و اللغة الفصحى شيء آخر". ينظر تعليق الموجود بتهميش الصفحة رقم 198، قدور بوجلال،العلم والعلماء نفس المرجع السابق،ص 198 – للمزيد ينظر

Bousquet promenade Sociologique Une medersa dechue Mazouna. In Revue Africaine ; 1947 ; P P 412, 413.

4 زيدان نعيمة "سيرورة المدرسة الجزائرية". مجلة المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ تصدر عن المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي، معسكر، العدد الأول، جانفي/ ديسمبر 2007، ص 27.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

بمدرسة مازونة الفقهية، بقوله: " ظلت مدرسة مازونة الفقهية تعتمد في التدريس على العلوم الدينية والنقلية أساساً، حتى عهد أبو راس المازوني، كما ظلت الطريقة التقليدية هي أساس التدريس نظراً لظروف العصر"¹.

وعلى ما يبدو أنّ مدرسة مازونة اختصت مدرسة مازونة الفقهية بتدريس الفقه المالكي الذي كان المادة الأساسية فيها²، وكان الكتاب الأساسي في الفقه هو مختصر خليل³، فيبتدئ الدرس بقراءة الكتاب المُراد تدريسه ويُقتصر فيه على تقرير المتن وحلّ المشاكل ويطلبون الدروس مع ذلك، بحيث يجعلون من طلوع الشمس أو قبلها أو بعدها بقليل ليسيّر إلى قرب الزوال درساً واحداً ومن بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب درساً⁴ ولا يستطيع ذلك إلا مهرة ممّن لا يحتاج غالباً إلى مراجعة في تقرير المتن وحلّ أشكاله ويُسمّون ذلك "سرداً". فبذلك تيسّر إلقاء مثل مختصر الشيخ خليل في أربعين يوماً والألفية في عشرة أيام من تجزئة المختصر بأربعين جزءاً لكلّ يوم جزءاً، نصفه في درس أولّ النهار ونصفه في درس آخره، ومن تجزئة الألفية بعشرة أجزاء لكلّ يوم جزء كذلك إلى غاية إنتهاء الطريقة التعليمية لمشايخ وعلماء المدرسة الفقهية.⁵

وإلى جانب ذلك وُجِدَت طريقة ثانية للتدريس بالمدرسة والقائمة على طريقة التقليد والرواية وترديد أقوال المُتقدّمين وحفظها حفظاً سطحياً⁶، بدليل ما ذكره بوكفة يوسف في حديثه عن مدرسة مازونة الفقهية قائلاً: "... فكلّ من جلس من المشايخ للتدريس يُمكن أن يُؤلف لطلبته كراسة أو أكثر شرحاً، أو حاشية

1 سوسن ابرادشة، مدرسة مازونة الفقهية وتأثيرها على الحواضر المجاورة، دراسة تاريخية، مج 10، ع 2، أكتوبر 2022، ص 257.

2 فاطمة درعي، المذهب المالكي وجهود علمائه في ترسيخ ثقافة التعايش في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، مج 13، ع 2، ديسمبر 2021، ص 253.

3. نفسه، ص 253.

4 حيث أنّ من مميّزات هذا التدريس بمازونة أن يستلمح التعليم إذا أدخلت في الدرس الفوائد الزائدة، بحيث تبقى التصانيف بدون إثراء وتعديل فإن لم يكن في مجلس التدريس زيادة من الشيخ فلا فائدة في حضور مجلسه، بل الأولى لمن حصلت له معرفة الإطلاع والقدرة على فهم ما في الكتب أن ينقطع لنفسه ويلزم النظر. النظر التعليق الموجود بتهميش الصفحة رقم 200، قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 200.

5 ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي الجزائر في التاريخ...، "المرجع السابق"، ص 202.

6 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج 2، "المرجع السابق"، ص 10.

... حتى يرى جميع الطلبة وينظرونه مُرتدياً عمامة وجبّة وفوقها أحياناً برنس، وكان لباس المشائخ هذا يُميّزهم عن الآخرين...¹.

وبما أنّ التّعليم كان من المستوى العالي بحاضرة مازونة،² وفي هذا السياق نجد ان طريقة التدريس كانت تعتمد على نظام الحلقة العلمية بمدرسة مازونة، بحيث تبدأ بأن يطلب الشيخ من أحد طلبته بقراءة نص من المصنف والذي يُمثّل موضوع الدرس، حيث يبدأ الشيخ مباشرةً في شرح النص³، وفي هذا السياق يذكرو يقول الشيخ أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه-: "يدخل الطالب إذن مكان الدّرس فيجد المُدرّس أو المُدرّسين وحولهم الطّلاب في حلق أو نصف دوائر، وكلّ مُدرّس يتناول مسألة أو كتاباً معيّناً، فإذا كان الطالب قد كوّن فكرة واضحة عن مُدرّس بعينه قبل مجيئه، فإنّه يقصده مباشرة ويجلس إلى حلّفته ويُتابع دراسته معه في المادة التي يدرّسها أو المواد...".⁴

وعليه فلقد كان للشيخ بالمدرسة الحرّية في وضع البرنامج التعليمي وفي تحديد أوقات التدريس وعقد الحلقات العلمية، والتي يكون التركيز فيها من طرف الشيخ على الفكرة العامة من النص، فيأخذ أولاً في شرح المسألة وتوضيحها و الإستشهاد لها من محفوظه المنقول ومعقوله الحواشي والتصانيف الفقهية. بحيث قد لا يُنهي الشيخ المسألة في نفس الحلقة، ذلك أنّ ميزة الشيخ النّاجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدّة مرّات ومن عدّة وجوه، فكلماً أطلّال الشيخ في المسألة وأفاض فيها كلّما كان ذلك من ميزات نجاحه، وعادةً ما كان يختم حلّفته العلمية بإملاء خلاصات على الطّلاب فينسخونها بحذق وعناية.⁵

أمّا إذا كان الشيخ بالمدرسة قد تميّز بتبحّره في العلوم الفقهية وسعة فكره غير متقيّد بالمنقول و المسموع من المسائل، فلقد كان من الضروري على الطلبة أثناء الحلقة العلمية تسجيل الدّرس كلّ حريصين في ذلك على ألاّ يفتوتهم شاردة أو واردة من درس شيخهم خلال عملية التلقين،⁶ حيث كان

1 بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية...، " نفس المرجع السابق"، ص 52.

2 أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي... ج 1، " نفس المرجع السابق"، ص 348.

قدور بوجلال، العلم والعلماء...، نفس المرجع السابق، ص 200.

4 أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق"، ص 348، 349.

5 بوكفة يوسف مدرسة مازونة الفقهية...، "المرجع السابق"، ص 53 .

6 لقد أشار مولاي بالحيمسي على أنّ الطريقة الجاحظية هي سرّ النّجاح في التدريس بمدرسة مازونة الفقهية، حيث مزج شيوخها بين الجدّ و الهزل، وذكر النكتة المريحة التي تسحر الأبواب - كما قال أبو راس الناصر - فالترويح عن النفس وتلطيف الجو كان يعين كثيرا طلبتها على تجرّع غموض المتون، وفي طليعتها المختصر. وبالتالي فإنّ مدّة التفرغ تقتضي من الطالب حسب ظروفه ومواهبه ونجابته ما بين 3 سنوات و 10، وأحيانا أكثر من ذلك والطالب آنذاك كان لا يبالي

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

بعض المشايخ بالمدرسة الفقهية يُحَفِّزُونَ الطلبة على حُبِّ الإطلاع والتزوّد بالمعرفة، وذلك من خلال إعتمادهم على المعقول من التصانيف والشروح والحواشي الفقهية المحتوية على العديد من المسائل الدينية والدينيوية، ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي في قوله: "فمنهم... أبو طالب سيدي محمد بن علي بن الشارف قرأت عليه النصف الأول من المختصر مراراً قراءة تحقيق وتدقيق، مطرزة بجزيل الفروع النقلية والفوائد السنية... وقرأت على حفيده... أبي العباس أحمد بن هني النصف الثاني من المختصر... وناولني شرحه الكبير... كما ناولني... حاشيته المذكورة على الخرشي في جزئين ضخمين...".¹

وعلى ما يبدو أنّ الحفظ والرّواية كان من بين المُميّزات الأساسية لشيخ المدرسة، بإطلاعه على العديد من العلوم وأسانيدنا وحفظ الكتب الكاملة كشرح مختصر الشيخ خليل والرسالة وابن الحاجب وغيرها من الكتب والشروح.² كما إمتاز بعض مشايخ المدرسة بكثرة التّأليف في مختلف العلوم التي درّسوها لطلّابهم في شكل شروح أو مُلخّصات أو في شكل كتب ودواوين مستقلة، إعتد عليها طُلاب مدرسة مازونة بدرجة كبيرة في مسيرتهم العلمية وتكوينهم الفكري و الديني.³ ويعزز "الفقيه والأديب عبدالقادر الخطابي صاحب كتاب "الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ طالب"، وهو أحد خريجي مدرسة مازونة التاريخية والفقهية، بحيث يمدح فيها مدرسته ويدعو طلبة العلم إلى زيارتها والاقامة بها، مذكراً بفضل الكبير لأساتذتها ومفتخراً بهم، وبكرم وجود أهلها وسكانها، وطيبة أصلهم وحلاوة مرافقتهم بقوله:

إِذَا رُمْتَ فِيهِ الْأَضْبَجِيَّ فَعَجَّ عَلَى دِيَارِ بِهَآ حَلَّتْ سُعُودُ الْكُوكِبِ
وَخَطَّرَ حَالَ السَّنْدِ وَأَنَّهُ إِقَامَةٌ بِمَا زَوْنَةُ الْعَرَاءِ ذَاتِ الْمَنَاصِبِ
تَجِدُ سَادَةَ لِفُضْلِ الْعِلْمِ مَهْدُوا طَرِيقًا بِهَآ أَضْحَى التَّعْصِي بِجَانِبِ⁴
إِلَى أَنْ قَالَ:

فَلَا غَرَوْ أَنْ ضَاهَتْ مَازُونَةُ مِصْرِنَا وَإِنْ تَفْتَخِرَ لَهَا النَّقَاحُ وَاجِبٌ¹.

بالوقت همّه الوحيد ملأ الوطاب، آخذين طُلاب مدرسة مازونة بالحكمة الفائلة لا يكون الرجل عالماً حتى يسمع ممّن هو أسنّ منه وممّن هو مثله وممّن هو دونه. مولاي بالحيمسي مازونة مقصد الدارسين...، "المرجع السابق"، ص 37.
1 ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي الجزائر في التاريخ...، "المرجع السابق"، ص ص 196، 197.
2 للمزيد عن الحواشي والشروح الفقهية والمصنفات ينظر عبد العزيز لعرج "المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وإنتشارها". مجلة دراسات إنسانية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر، العدد 01، 2001.
3 بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية...، نفس المرجع السابق، ص 52.
سوسن ابرادشة، نفس المرجع السابق، ص ص 258-259.

والجدير بالذكر أنّ مدرسة مازونة الفقهية قد كانت على درجة كبيرة من التنظيم المُحكم لهياكلها التعليمية، فقد وُجِدَت فيها العطلة الأسبوعية وكذلك الصيفية لطلبتها، بدليل ما ذكره مولاي بالحميسي قائلاً: "وكانت الدروس لا تتوقّف سوى مساء الأربعاء ويوم الخميس، فيستريح الطلبة في العطلة الأسبوعية وما أوجههم إلى ذلك... وكذلك تتوقف الدراسة خريفًا وشتاءً وربيعًا أمّا الصّيف فيتوقّف النشاط إلى أن يحلّ اعتدال الطقس فتُستأنف الدروس..."².

وقد اشتهرت مدرسة مازونة الفقهية في العهد العثماني بهجرة طلبة المغرب الاقصى، وبقيت هذه الهجرة متواصلة إلى أن تم غلق المؤسسة أبوابها عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، بحيث تعتبر اجازة المدرسة أهمية بالغة لمستوى علمائها الفقيهه والدينية العالية، بحيث كان حاملوها يوظفون لتولي مناصب القضاء وخاصة في وجدة وتازة والريف³.

3.7 المدرسة المحمدية:

• الموقع الجغرافي للمدرسة:

تشير المؤشرات التاريخية التي وردت في بعض المصادر، والتي تذكر ان بناء المدرسة كان بجوار جامع الباي محمد الكبير⁴، وما ثبت ذلك النص المنقوش على اللوحة التأسيسية لجامع عين البضاء والذي يذكر بناء المدرسة بجانب الجامع، وبمقارنة مع ما جاء في هذه المصادر، إضافة الى نص اللوحة التأسيسية يمكن تحديد موقع المدرسة والذي يقوم عليه حالياً مسكن الامام الملحق بالجامع⁵.

كانت المدرسة المحمدية في طليعة المدارس العلمية في بايلك الغرب⁶، الذي أسس المدرسة هو الباي محمد بن عثمان الكبير⁷ التي كانت لها سمعة واسعة في العالم العربي الاسلامي¹، بحيث كانت

1. أحمد بحري، نفس المرجع السابق، ص 253

2 مولاي بالحميسي مازونة مقصد الدارسين...، " نفس المرجع السابق"، ص 38.

3 فاطمة سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص 358.

4 ابن سحنون الراشدي، نفس المصدر السابق، ص 61.

5 بوعبد الله بلجوزي، المدارس التعليمية في عهد الباي محمد الكبير دراسة تاريخية اثرية، قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، مج 4، ع 2، جوان 2017، ص 193.

6 سعديّة رقاد، الحواضر العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، عصور الجديدة، ع 23، عدد خاص، أوت 2016، ص 369.

7 لقد سُميت المدرسة بهذا الاسم، نسبة إلى محمد بن عثمان الكردي. أما لتسميته بالكبير فذلك راجع إلى المكانة التي حظي بها هذا الباي بين سكان البايك الغربي، لاسيما بعد إسترجاعه لوهران والمرسى الكبير سنة 1792م من الإحتلال الإسباني، أنظر الى قدور بوجلل، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص 103.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

المدرسة مجهزة بكافة الوسائل التعليمية والفكرية من مكتبة وكذلك يوجد قاعة مطالعة²، بناها إلى جانب الجامع الأعظم، حيث أُلحق هذا الباي بالجامع الأعظم بمعسكر مدرسة عليا تسمى المدرسة المحمدية نسبة إليه، وتبركا بإسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو مدرسة "الحايطة" كما وردت على اللوحة التذكارية للجامع الأعظم.³

كانت المدرسة تحتوي على نظام داخلي وخارجي متميز، لأنها توفر مجموعة من الغرف الصغيرة الخاصة لمبيت الطلبة، إضافة تتوفر على الموافق الأخرى الضرورية التي تساعد التلاميذ على الدراسة ومواصلة تعليمهم، وظلت المدرسة كمعهد علمي يضم الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين يسارعون إلى الإقبال على العلم بلهف شديد، وبالتالي تعد مركز إشعاع علمي وحضري وثقافي⁴.

لقد أعتبرت المدرسة المحمدية من أهم المدارس التي أسسها هذا الباي بالجزائر،⁵ بحيث تعد من أكبر المعاهد العلمية تضم الكثير من الاساتذة أكفاء متفرغين لمهنة التعليم لا غير⁶ إذ تمكن محمد الكبير بفضل تلك المدرسة من أن يجعل من مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة، بدليل ما قاله أبو راس الناصر بشأنها: "إنّ المدرسة المتعارفة عندنا، هي التي تبنى لدراسة العلم... كالمدرسة البوعنانية بفاس... والمدرسة المستنصرية

والبياشية بتونس والقشاشية في الجزائر"⁷ وفي هذا السياق يقول عنها ابن سحنون الراشدي بقوله: "...وهي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها..."⁸

ويمكن القول أن إهتمام الباي محمد الكبير ببناء الجامع الأعظم بحاضرة بمعسكر، قام بتأسيس المدرسة المحمدية بجانبه⁹. وذلك تماشيا مع التقاليد الإسلامية المعروفة كما نجد ذلك في مصر الجامع الأزهر، وكذلك جامع القرويين في المغرب وجامع الزيتونة في تونس، بإعتبار أنّ فكرة المدرسة المستقلة

1 عبد العزيز بومدين، الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي راس الناصري الجزائري دراسة وتحقيق الجزء الأول)،مذكر مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الاسلامية،تخصص،كتاب وسنة،كلية العلوم الاسلامية،قسم العقائد والاديان،جامعة الجزائر 1،2016-2017،ص ص 36-37.

2قدور بوجلال،المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير،نفس المرجع السابق، ص 249
3 Leclerc. Ch « op- cit » ; P 44.

4 قدور بوجلال،المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير،نفس المرجع السابق، ص 249

5 قدور بوجلال،المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير،نفس المرجع السابق، ص 249.

6 "المرجع نفسه"، ص 17.

7 أبو راس الناصر عجائب الأسفار.... " نفس المصدر السابق"، الورقة 90.

8 ابن سحنون الراشدي الثغر الجماني.... " نفس المصدر السابق"، ص 127.

9 بن عمر حمدادو،نفس المرجع السابق،ص 28.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

عن الجامع، لم تكن تدور في خيال الباي محمد الكبير¹، وقال أحمد بن محمد بن علال واصفا مسجد عين البيضاء والمدرسة المحمدية:

عَجَبًا لَهُ مِنْ مَسْجِدٍ فِي الْأَرْضِ

قَدْ حَسَاكَ السَّمَاءُ تَطَّأُولًا فِي الْمَفْخَرِ

وَتُرِي الْمُدْرَسَ قَدْ عَزَّ كُرْسِيَّ

يُلَقَّى عَلَى الْعُلَمَاءِ حُبَّ الْجَاهِ وَهَرِ

تَحْوِيهِ مَدْرَسَةً غَدَّتْ آثَارُهَا

تُحْيِيهِ بِالْعِلْمِ الشَّيْخُ الرَّيْفُ الْأَشْرَفِيُّ².

ونستشهد في هذا السياق بما ذكره محمد بن علي السنوسي في معرض حديثه عن أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم بقوله: ومنهم شيخينا مشايخنا الهمام الحافظ الإمام، سيدي محمد بوراس المعسكري - رحمه الله - كنت أتردد إليه كثيرا واستفيد منه استفادة عظيمة، لتمام حفظه واتقانه لكل فن حافظا لمذاهب الائمة الأربعة، جواب كل ما سئل عنه بين شفتيه وغالب مناخذنا عنه من أهل ناحيته أخذ عنه" أما عن المواد و العلوم التي كانت تدرس في هذه المدرسة، فهي لا تقلّ عن المواد التي كانت تدرس بأشهر المدارس الإسلامية، حيث غلب عليها الجانب الديني على وجه الخصوص، إضافة الى الجانب اللغوي ونجد بعض الكتب في التاريخ والسيرة النبوية. ويرجع هذا إلى توجه ورؤية العلماء الذي كان منصبًا بالدرجة الأولى على الفقه والتفسير والحديث والشعر وغيرها.³ إذ تخصصت مدرسة المحمدية في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد، إلى جانب علوم اللغة العربية. فمن كتب الفقه نجد حواشي شرح الشيخين الزرقاني و الخرشي،⁴ وحاشية الشيخ مصطفى الرماصي،¹

1 قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، نفس المرجع السابق، ص 249.

2 تقي الدين بوكعبير، النقوش الأثرية بمعسكر خلال العهد العثماني مقارنة تاريخية أثرية، نفس المرجع السابق، ص 186.

3 جاكز لحسن " نفس المرجع السابق"، ص 30.

4 وهما الحاشيتان اللتان إعتد عليهما العديد من علماء الراشدية، لاسيما أبو راس الناصر وعبد القادر المشرفي و الشيخ مصطفى الرماصي. إذ تمكّن الباحث من الحصول على نسخ من مخطوط الشيخ الخرشي و الشيخ الزرقاني من مكتبة محمودي البشير، الواقعة ببلدية البرج ولاية معسكر، من بينها شرح الشيخ الخرشي في الصلاة على الشيخ خليل في عدة أبواب من النكاح و البيوع و الصلاة، ضف إلى ذلك شرح عبد الباقي الزرقاني وغيرها من الشروح. قدور بوجلال، العلماء...، نفس المرجع السابق، ص 105.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

إلى جانب ذلك نجد الكثير من المؤلفات و الكتب في مجال النحو على مثل: شرح الشيخ المكودي، وفي اللغة كتاب القاموس للشيخ الفيروز آبادي ومقامات الحريري، وفي الأصول شرح الشيخ المحلي. بالإضافة إلى كتب أخرى في التصوف والمنطق وعلم البيان، وغيرها من العلوم النقلية والعقلية الأخرى.² ويبدو ان المدرسة المحمدية خصصت للدراسات العليا قصد تخرج رجال الدين ،وكذلك موظفي بايلك الغرب³، وهذا الاخير يدفع بابي راس الناصري لتشبيه المدرسة المحمدية بالمدرسة البوعنانية بفاس ،ومدرسة اني الإمام بتلمسان ،والمدرسة المستنصرية والباشية بتونس ،والقشاشية بالجزائر⁴.

ويمكن الإشارة إلى الحقيقة التالية: هي أنّ العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو والبيان وغيرها، ظلّت الشغل الشاغل للمدرسة المحمدية. حيث أدّى التركيز عليها إلى عدم العناية بالعلوم الأخرى، وهذا القصور لا ينطبق على مؤسسات العلم والثقافة بحاضرة معسكر، بل هي حال الإيالة الجزائرية عموماً، وهو ما أدى إلى انحطاط وضعيّة العلوم العقلية به خلال العهد المدروس، وليس أدلّ على ذلك من قلة المشتغلين بالطب والكيمياء، الفلك، الحساب، الجبر، وغيرها من العلوم الطبيعية والتجريبية.⁵

وذلك ما لاحظته الرحالة الإنجليزي شو Shaw⁶، الذي زار العديد من الأقطار الإسلامية في القرن الثامن عشر 18م، وقال عن وضعيّة العلوم العقلية في الجزائر بأنّ أيّ علم لم يأخذ بدرجة من الكمال. مؤكّداً على أنّ هذه الوضعيّة ليس ناجمة عن قلة الأشخاص الذين يمارسون الطبّ، أو أيّ من المهن التي تتطلب بعض المعرفة بالعلوم الدقيقة، إلّا أنّ كل ما يفعلونه هو من قبيل العادة والتعود معتمدين في ذلك على ذاكرتهم القويّة وذكائهم الفذّ.⁷

1 مصطفى الرماصي شرح حاشية شمس الدين التتائي. ج1، مخطوط بخزانة الشيخ البشير محمودي، البرج - معسكر.
2 عبدالحق شرف، العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي (ت1895) حياته وآثاره، متكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2006-2007، ص52.

بوعبدالله بلجوزي، نفس المرجع السابق، ص3.194.

أبي راس الناصري، عجائب الاسفار ولطائف، نفس المصدر السابق، ص4.188.

5 شاكراً مصطفى موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله. ج3 بيروت دار العلم للملايين (1993) ص 1653.

6 كان الدكتور شو Shaw) كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من سنة 1720 إلى 1732م، وإستطاع أن يقدم عملاً بعنوان "جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر و الشرق" ترجم إلى الفرنسية ونشر الجزء الخاص بالجزائر تحت عناوين مختلفة منها "Voyage de Monsieur Shaw dans la régence d'Alger" و "الجزائر قبل قرن من الإحتلال الفرنسي". قدور بوجلال، العلم والعلماء...، نفس المرجع السابق، ص 105.

7 Shaw L'Algérie un siècle avant l'occupation française. Traduit par J, Mac, Carthy ; Paris Editions Imprimerie de Carthage 1968) P 48.

والجدير بالذكر، أنّ بعض المدرّسين بالمدرسة المحمّدية قد تطرّقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية كالحساب والفرائض والفلك، ولكن دراستها لم تكن إلاّ للإستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة.¹ فالحساب كان للإعتماد عليه في التجارة والفرائض وتقسيم التركات وغيرها، وكان الفلك يدرس لمعرفة الزّوال وأوقات الصلاة، وبالتالي فعدم إهتمام علماء معسكر بهذه العلوم هو الذي جعل الكتاب الأوروبيين ينتقدون التعليم في الإيالة الجزائرية عموما، ومما لاشك فيه أنّ إنتقادهم فيه شيء من الحقيقة.² وزيادة على هذا، فلقد ذكر المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي صاحب الرحلة القمرية بشأن المدرسة المحمّدية حديثا، مفاده أنّها كانت عبارة عن حلم بين الخواص والعوام، نظرا للإنحطاط الحضاري الذي بلغته الجزائر العثمانية. حيث عزم الباي محمد الكبير على تشييدها فأنفق عليها المال الجزيل، وإستجلب لها المياه وأوقف لها الأوقاف،³ وجّهّها بكل الوسائل التعليمية والتثقيفية من مكتبة إلى قاعات مطالعة وغرف لمبيت الطلبة.⁴ كما عين لها الموظفين وإصطفى لها أحسن المدرّسين في إطار شمل الهيئة المشرفة على التّأطير، حيث عين أساتذة من الطراز الكبير من أمثال: محمد بن عبد الله الجليلي الذي ولاّه إدارتها، ومحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي، والطاهر بن حوا.⁵

ومن الملاحظ أنّه كان محور المدرسة المحمّدية تدريس العلوم الإسلامية وتخريج الأئمة وموظفي البايلك والقضاة والمفتيين، حيث إحتوت المدرسة على مكتبة كبيرة أنفق عليها الباي محمد الكبير أموالا طائلة لجمع وإستتساخ المخطوطات النادرة، وضعها تحت وصاية الحبوس لخدمة الطلاب وأئمة المسجد و المدرّسين الملحقين بالمدرسة.⁶ وحتى لا تغفل عن دور شيوخها وطلابها في حرب وهران سنة 1792م، فقد كان مديرها محمد بن عبد الله الجليلي رئيسا لرباط إيفري، والطاهر بن حوا نائبه، وإبن زرفة الدحاوي مقيّد حوادث الفتح. إلى جانب إعتبار طلاب المدرسة المحمّدية من بين الأوائل المستجيبين للمرابطة حول وهران، وتشكيلهم للوفد الذي إمتنن مهمّة دعوة الطلبة إليها من أنحاء البايلك الغربي.⁷

1 جاكز لحسن " نفس المرجع السابق"، ص، ص 43، 44.

2 محمد بن جبور صورة الجزائر و الجزائريين من خلال الكتابات الفرديّة في القرنين 17 و 18م. رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية وهران جامعة وهران 2002-2003) ص، ص 132، 133.

3 أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن إبن زرفة الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3322، الورقة 19 .

4 صالح فركوس الباي محمد الكبير... " نفس المرجع السابق"، ص 17.

5 أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي....، ج1، " نفس المرجع السابق"، ص 282.

6 حجاج ميلود "الباي محمد بن عثمان محرر مدينة وهران" مجلة المتحف الوطني، أحمد زبانه، وهران، ص 31.

7 المهدي البوعبدلي الرباط و الفداء في وهران.... " نفس المرجع السابق"، ص 27.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

وما يمكن الإشارة إليه أيضا، هو أنّ الطلبة كانوا يبادلون شعور أساتذتهم فيقدرونهم ويحترمونها، لما يحملونه من علم وإعترافا بما لهم من فضل، فيما بذلوه من جهود جليلة من أجلهم. ويظهر ذلك جليا فيما كتبه العلماء من مذكرات عن مشايخهم الدالة على ما كان عليه مدرسي المدرسة المحمدية في ذلك العصر، من عفة وتواضع وسماحة وعلاقاتهم بطلبتهم، في محاولة منهم لتزويد الطلبة بما ينفعهم من علوم دينية ودنيوية.¹ ولعل أحسن دليل على ذلك هو أبو راس الناصر العسكري الذي تولّى مهمّة التدريس بهذه المدرسة،² حيث إنّفق حوله عدد هائل من الطلبة من بينهم محمد بن علي السنوسي،³ الذي أورد حديثا أثناء ذكره لأساتذته الذين تتلمذ على أيديهم بقوله: "... ومنهم شيخنا وشيخ مشايخنا الهمام والحافظ، الإمام سيدي محمد أبو راس العسكري البلد الناصري، المحتد رحمه الله، كنت أتردد إليه كثيرا، وأستفيد منه إستفادة عظيمة لتمام حفظه وإتقانه لكل فن حافظا لمذاهب الأئمة الأربعة جواب، كلّ ما سئل عنه بين شفّتيه وغالب من أخذنا عنه من أهل ناحيته أخذ عنه"⁴

ولا شك أنّ مدرسة المحمدية بحاضرة معسكر، قد فقدت أهميتها ولم يبرز نجمها في التاريخ مع إنتقال عاصمة البايك الغربي من معسكر إلى وهران سنة 1792م، وهجرة مدرّسيها وفقدان الإهتمام بالمدرسة أيضا. وبالتالي لم تتوفر معلومات عن مصير هاته المدرسة وتاريخ غلقها، كما لم يُحصى عدد العلماء المتخرّجين من هاته المدرسة، أو حتى المشاهير منهم، ممّا يوحي بأنّها كانت عبارة عن مؤسسة ثانوية ملحقة بالجامع الكبير الأعظم لا غير.⁵

1 صالح فركوس الباي محمد الكبير.... " نفس المرجع السابق"، ص 27.

2 أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج1 الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (1989) ص86.

3 الشيخ محمد السنوسي 1202هـ/ 1776م هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي، مؤسس الطريقة السنوسية في مستغانم. نشأ في بيت علم ودين وفضل، فدرس علوما متنوعة من بين تأليفه "الدرر السنوية في أخبار السلالة السنوسية" (مطبوع) و المسائل العشر المسماة "بغية المقاصد و خلاصة المراد" (مطبوع). يحيى بوعزيز أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة.... ج1، "المرجع السابق"، ص 233.

4 ابن سحنون الراشدي الثغر الجماني.... "المصدر السابق"، ص 66.

5 وهذا بدليل الأوقاف التي كانت تنص على نفقة المدرسين بالجامع الكبير بمعسكر دون المدرسة المحمدية، وبالتالي يتضح أنّ المدرسة كانت ثانوية بالنسبة للجامع. أنظر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي... ج1 "المرجع السابق" ص، ص 281، 282. بليروات بن عتو "المرجع السابق"، ص 222.

4.7 مدرسة القيطنة:

يعود تأسيس المدرسة إلى سنة 1206هـ/1792م¹، بحيث تعتبر مدرسة القيطنة من أهم المؤسسات التعليمية وكذلك الثقافية والفكرية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ تأسست هذه المدرسة بمنطقة القيطنة² بالقرب من بوحنيقية حوالي سنة 1200هـ/1787م، على يد مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر، تبعد عن معسكر حوالي 20 كلم³.

وقد ذكر في كتاب تحفة الزائر، أي في بداية القرن الثالث عشر الهجري 13هـ، فإن الأمير عبد القادر يذكر في مذكراته التي كتبها في قصر أمبواز أنّ معهد القيطنة أسس في أواخر القرن الثاني عشر الهجري 18م.

بدليل أن سنة 1206هـ هي تاريخ تجديد المعهد وليس تاريخ بناءه، لأنّ الباي محمد بن عثمان الكبير الذي كان أحد تلامذة الشيخ مصطفى بن المختار إشتهر في تلك الفترة بتجديد وبناء المساجد لا غير⁴، وبعد وفاة المصطفى بن المختار في عين الغزال بليبيا تسلّم أمور إدارتها الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر⁵.

1 عبد الحق شرف، نفس المرجع السابق، ص 52.

2 القيطنة هي قرية على بعد 28 كلم من مدينة معسكر مقر أسرة الأمير عبد القادر، إختطها جدّه المصطفى بن المختار سنة 1206هـ/1792م. وفيها درس مجموعة من العلماء أمثال عبد القادر المشرفي وأبو راس الناصر = المعسكري وغيرهم من الطلبة المتخرجين من هذا المعهد، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيقية. أنظر حمدادو بن عمر "المرجع السابق"، ص 67.

3 مصطفى بن المختار الغريسي جد الأمير عبد القادر، درس وتفقّه في غريس، أخذ الطريقة القادرية على الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، فأسس قرية القيطنة وزاويته ومعهد بواي الحمام سنة 1206هـ/1792م، ووظف في زاويته علماء أجلاء أمثال شيخه عبد القادر المشرفي. كما كان من بين تلامذته ومريدي طريقته الباي محمد بن عثمان الكبير الذي لم يردّ له طلبا، ضف إلى ذلك أنه جمع بين الشريعة والحقيقة وتبحر في العلوم العربية والفقهية وعلم التصوف والحكمة، حتى قال فيه صاحب القول الأعم "فهو فيها البحر الذي لا يعرف له ساحل، ولا يبلغ إلى أدناه متناول". كما نظم الأشعار والمدائح مثل مدحه للشيخ الهاشمي بن علي بن شنتوف، خلال عودته من حجته الرابعة، إلا أنه أدركته الوفاة في برقة الليبية سنة 1212هـ/1797-1798م، فدفن بعين الغزال قرب درنة وخلفه من بعده ابنه محي الدين. يحيى بوعزيز. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج3 بيروت دار الغرب الإسلامي (1995) ص، ص 244، 245.

4 ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي الجزائر في التاريخ....، "المرجع السابق"، ص 227. أنظر أيضا جاكّر لحسن "نفس المرجع السابق"، ص 27.

5 يحيى بوعزيز أعلام الفكر والثقافة.... ج2، "نفس المرجع السابق"، ص 245.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

لقد تطوّرت المدرسة تطوّرا كبيرا وأصبحت تلقّب بمعهد القيطنة نظرا لتوافد الطلبة والعلماء عليها.¹ وعرفت في عهده إشعاعا دينياً وثقافياً وحضارياً في حاضرة معسكر وخارجها²، وإضافة على ذلك فلقد كان من العلماء الذين درّسوا بها عبد القادر المشرفي، الذي كان يعدّ من كبار علماء عصره لدرجة أنّه عُيّن مديرا بهذا المعهد العلمي.³ وزيادة على ذلك أن أبو راس الناصر المعسكري الذي إمتهن التدريس بهذا المعهد الديني الكبير، بدليل قوله: "ذهبت للقيطنة وقد إجتمعت بجموع من الطلبة".⁴ وغيرهم من الطلبة الذين تخرجوا من هذا المعهد وصاروا علماء كبار، حيث ذاع صيتهم في الجزائر والمشرق العربي، وهذا ممّا يدلّ على علوّ همّتها وذكرها في الآفاق.

وممّا يذكر أنّه لا جدال في أنّ مدرسة القيطنة كانت مدرسة معترفا بها من قبل علماء الراشدية أولاً، ثمّ من علماء الأمصار ثانياً.⁵ فها هو المؤرخ أبو راس الناصر المعسكري الذي زار المعهد في عهد مؤسسه مصطفى بن المختار يقول عنها: "وقد ذهبت للقيطنة ذات يوم ووقفت بباب الجامع، فإذا هو نواله كبيرة بمحرابها - النواله تطلق إلى الآن على الكوخ - وعن يمينه بيت الشيخ المشرفي، فرأيت مصطفى بن مختار أحد تلامذة الشيخ المذكور يدرس في الأوّل من المختصر - خليل -، ثم رجعت في ساعة فرأيت الشيخ يدرس الثاني، ولم يُبال بي أحد من الطلبة كأني نسيّاً منسياً"⁶ وزيادة على هذا، فلقد كانت مدرسة القيطنة من المدارس التعليمية الهامة في الإيالة الجزائرية، حيث جمعت بين كل مراحل التعليم من أدنى مرحلة إلى أعلاها، كما كان بها ستّ حلقات تعقد لجلسات العلم بمعيّة عدّة أساتذة. كما كانت تضمّ عددا كبيرا من الطلاب تراوح عددهم ما بين 700 و 1800 طالب علم دائمي الدراسة، مما يوحي بأن عدد الطلاب الملتفين حول علماء هذه المدرسة كان هائلا في تلك الفترة.⁷

1 حمدادو بن عمر "المرجع السابق"، ص 44

2 سعد طاعة، الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثمان، نفس المرجع السابق، ص 33.

3 جاكّر لحسن " نفس المرجع السابق"، ص 27.

4 أبو راس الناصر فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية و العلمية". حقّقه وضبطه وعلّق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب (1990) ص 24.

5 إذ يعطي جاكّر لحسن في الدراسة التي قام بها قائمة العلماء، الذين تخرجوا من معهد القيطنة، مثل الأمير عبد القادر (1808 - 1883م)، ومحمد مرتضى الحسن الجزائري (1827 - 1901م) وغيرهم من العلماء. راجع جاكّر لحسن نشاط جمعية العلماء المسلمين... " نفس المرجع السابق"، ص، ص 28، 29.

6 أبو راس الناصر فتح الإله.... "المصدر السابق"، ص 43.

7 مجموعة أساتذة "الحياة الروحية في الإسلام معسكر رجال وتاريخ".... " نفس المرجع السابق"، ص، ص 13، 15.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

أما عن أهم العلوم التي كانت تدرّس في هذه المدرسة ففي غالبيتها علوم شرعية وعقائدية، إذ تخصصت مدرسة القيطننة في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد، إلى جانب الحديث وعلوم اللغة العربية من نحو وبيان، إذ أنّ كلّ شيخ من شيوخها تخصص في باب من أبوابه،¹ إلى جانب ذلك إهتمّ المدرّسون بها بتدريس المذاهب الصوفية، بإعتبار أن مؤسس هذه المدرسة كان من المتصوفة من جهة.² ولكون مواد التدريس بها قد إنحصرت.

وفي رواية الحواشي والشروح والمختصرات التي وضعت على المصادر، كمختصر الشيخ خليل³ في الفقه المالكي وألفية ابن مالك⁴ في النحو، وصحيح البخاري في الحديث والعقيدة الصغرى في أصول الدين، ومجموعة من كتب التوحيد للشيخ السنوسي وكتب الحكم العطائية، وحواشي الشيخ الدردير وكتب الأئمة السنّة المعتمدة، ولعل هذا ما يوضح طغيان الطابع العقائدي على العلوم الدينية الأخرى بهاته المدرسة.⁵

ومما تجدر الإشارة إليه، هو أنّ حاضرة معسكر قد عرفت مجموعة أخرى من المدارس التي كانت في الوقت نفسه زوايا تقوم بالدراسة والتعليم⁶ نذكر منها:

مدرسة زاوية سيدي علي شريف بسيق، وزاوية محمد بن قاللة الحسني بالكرط، مدرسة زاوية مصطفى بن الطيب بعقاز، مدرسة زاوية سيدي علي بلحجاج ببني شقران، مدرسة زاوية سيدي قادة، ومدرسة زاوية أبي راس الناصر بمعسكر.⁷ وغيرها من الزوايا التي كان لها الفضل الكبير في إعطاء

1 أبو راس الناصر عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر. ج1. تقديم وتحقيق المخطوط من طرف محمد غالم وهران منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية (2005) ص12.

2 يحيى بوعزيز أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة... ج2، نفس "المرجع السابق"، ص، ص 244، 245.

3 ضياء الدين خليل بن إسحاق موسى بن شعيب ت 749هـ/ 1348م) من أكبر فقهاء المالكية، شرح جامع الأمهات لابن الحاجب في ست مجلدات، ثم إختصره في الكتاب المعروف بمختصر خليل. إبراهيم بن علي ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. ج1 تحقيق علي عمر القاهرة مكتبة الثقافة الدينية (2003) ص 313.

4 منظومة في النحو لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي المتوفي بدمشق 672هـ/ 1274م له بالإضافة إلى الألفية المشهورة "الشافية في النحو" و "لامية الأفعال" و "الوافية في شرح الكافية له". أنظر جلال الدين السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة. ج1 تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم طبع بمطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه (1964) ص، ص 130، 137.

5 أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي... ج2، " نفس المرجع السابق"، ص 239.

6 مجموعة أساتذة الحياة الروحية في الإسلام معسكر رجال وتاريخ،.... " نفس المرجع السابق"، ص 14.

7 بوغرارة نعيمة زاوية أبي راس الناصر بمعسكر.... " نفس المرجع السابق"، ص 17.

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجا

المعلومات، وتزويد الطلبة بالأفكار والفتاوى والآراء الفقهية. بالإضافة إلى تأثيرها الكبير على شخصية علماء الراشدية، بل وحتى في تكوينهم العلمي والمعرفي.¹ ومن خلال هذه المقاربة نجد أنتشار واسع للمؤسسات الثقافية والدينية في حاضرة معسكر، وتميزت خلال العهد العثماني بحياة فكرية وثقافية مزدهرة وهذا عن طريق مؤسساتها الفاعلة في تنشيط الحياة الثقافية بها، إضافة إلى ذلك ظهور الكثير من الشخصيات السياسية والعلمية التي كان لها بالغ الأثر في إثراء بحر العلوم.

1 ذلك أنه كان الغرض من تلك التنقلات لعلماء معسكر بزوايا الوطن الغريسي الراشدي، هو تبادل المعلومات و الأفكار و الفتاوى و الآراء الفقهية، مما يوحي بأنها كانت إحدى قلاع التدريس إلى جانب المدرسة. أنظر مجموعة أساتذة "الحياة الروحية في افسلام معسكر رجال وتاريخ".... "المرجع السابق"، ص 15.

الفصل الخامس

نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً

1. الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي
2. الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني
3. الشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري
4. الشيخ أبو راس الناصر المعسكري

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

إن من المعايير الحقيقية لتطور وازدهار المجتمعات والامم هو المعيار الثقافي الذي يعد من المؤشرات والمعالم الموضوعية في نجاح المجتمع، ويكون ذلك عن طريق رصيدها وإنتاجها الفكري والعلمي والثقافي والتاريخي وغيرها من الجوانب.

والواقع ان الجزائر خلال العهد العثماني لم تكن بمعزل عن الحياة الثقافية، بحيث تشير وتؤكد العديد من المصادر الأجنبية والمحلية، أن الواقع الثقافي بالجزائر كان في أعلى مستوى، والدليل على هذا بوجود الكثير من المؤشرات التاريخية والحضارية التي تعكس لنا الصورة الحقيقية لذلك الواقع الثقافي والعلمي المزدهر والذي تميز بأطر واتجاهات فكرية مختلفة ومتعددة، ويظهر ذلك من خلال المؤسسات الثقافية المنتشرة في الايالة الجزائرية وهذا الاخير دليل مادي لا يمكن الطعن فيه.

وما يؤكد هذا الاخير ظهور رواد العلم والتأليف التي عرفت الجزائر خلال العهد العثماني، وبروز أعلام الفكر والثقافة والتصوف والمتصوفة الذين يساهمون بشكل كبير في إثراء الحياة الثقافية في الجزائر خلال تلك الفترة، وكان ذلك من خلال مؤلفاتهم ومخطوطاتهم في جميع المجالات دون إستثناء، مما يعكس روح العصر والتطور والازدهار الذي عرفته الجزائر آنذاك.

ويبدو ان من خلال هذه الدراسة نحاول إعطاء صورة على بعض نماذج أعلام التصوف والفكر بالجزائر، الذين زواجت و انصهرت حياتهم بين العلم والتصوف، وهذا ربما لا يصلح رسالة أن الزهد والتصوف في الحياة لا يفقد التطور والازدهار، بل هو في نظرهم أنه لا يمكن فصل العلم عن الدين، ويكمن ذلك أنه لا يكتمل فهم الدين الصحيح إلا بالعلم الحقيقي، وبالتالي في هذا الفصل نسلط الضوء على: نماذج من مؤلفي الجزائر خلال العهد العثماني وهي شخصيات علمية عاشت في الفترة المذكورة وكانت لها إسهامات في المؤلفات النقلية والعقلية وعلوم التصوف.

1 الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي:

شهدت الجزائر مع مطلع القرن السادس عشر عدة تحولات جذرية خاصة على المستوى السياسي وكان ذلك بقدوم العثمانيين إلى الجزائر بهدف م77 واجهة الخطر الإسباني الذي كان يهدد بشكل دائم السواحل الجزائرية، وفي خضم هذه الهجمات الإسبانية، اعتمدا الاتراك على رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية، وكذلك توظيف بعض الزوايا، واعتمدوا على شيوخ القادرية¹، كما استندوا كذلك إلى الشاذلية²، من أجل تحريك عجلة الجهاد، بحيث كان لهم اليقين التام والمطلق في مدى تأثير شيوخها على الأتباع في حكمهم³. وكذلك قدرتهم في التأثير على الأهالي من العامة، برغم تخوفهم من تحالفها مع سلاطين المغرب ونفوذ الشاذلية ارتبطت بكثرة فروعها وزواياها وكثرة أتباعها، حيث كانت تتمتع السلطة بنفوذ روحي وعقائدي على العامة نتيجة الاعتقاد السائد من طرف السكان والحكام بتأثير الشيوخ بسبب البركة التي عندهم، ومن هذا المنطلق عمل الإخوة بربروس على كسب وتأييد شيوخ الزوايا الدينية، فعمل خير الدين على زيارة المرابطين وشيوخ الزوايا، وخاصة الزوايا الساحلية⁴.

1 تنتسب القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ / 1166م) تنشأت في بغداد، وانتشرت في مختلف مناطق العالم الإسلامي، تقوم على برنامج تربوي، يقوم على قواعد سلوكية في العلاقة بين الشيخ المؤدب و المرید، وعلى أساس طريقة تربوية تتضمن النصيحة والأخذ بيد المرید وفق مراحل خلال عملية التكوين الصوفي والتدرج به من السهل إلى الصعب إلى غير ذلك من المبادئ كما بنيت الطريقة على تخصيص أوراد وأحزاب وأدعية تتضمن مجموعة من الأدعية مثل دعاء التوسل والدعاء الشريف، و الأحزاب مثل حزب الإشراف، والحزب المبارك، وحزب الحفظ، والإستغفار مئة مرة والتسبيح مئة مرة وذكر لا إله إلا الله مئة مرة، وقراءة الفاتحة بعد الصلوات الخمس والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعدد 121 مرة، للتفاصيل عن القادرية أنظر إلى: إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، تهذيب ومراجعة عبد الهادي، قطش دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 12.

2 وتنتسب إلى مؤسسها علي بن عبد الله بن عبد الجبار المعروف بالشاذلي، المولود بغمارة من جبال الريف عام (593هـ / 1196م) تتلمذ على الشيخ عبد السلام بن مشيش 622هـ / 1225م) وكانت انطلاقة الشاذلية من مصر، بعد أن استوطن الشيخ مع أتباعه بالإسكندرية حوالي سنة (642/1244م)، وقام بتكوين مدرسة صوفية أشرف عليها مع أبرز تلاميذه، ومنهم الشيخ أبو العباس المرسي (616هـ / 1219م - 686هـ / 1287م)، وابن عطاء الله السكندري (ت709هـ / 1309م) الذين كان لهم دور كبير في نشر تراث الشاذلية وجمع أورادها، للتفاصيل راجع: أحمد بن محمد بن عياد الشافعي، 2004 المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، إعتنى به عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص 14، 16؛ وأنظر أيضا: محمد بوذينة، أبو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، تونس، 1989، ص13.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص192.

4 FILALI Kamel, saintete Marabotique et Mysticisme, Contribution à l'étude du mouvement Marabotique en ALgerie sous La Domination ottomane, in Insanyyat, 1997, N°3, P121.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

عرفت الجزائر العديد العلماء والمرابطين الذين كان يتبعون و ينتمون إلى الطريقة الشاذلية خلال العهد العثماني، مثل الشيخ الثعالبي الذي كانت له رحلة إلى المغرب والمشرق ،تحصل فيها على مجموعة من العلوم وأخذ الطريقة الشاذلية عن شيوخها ،مما ساهم في انتشارها بين الجزائريين¹، ودعى إلى الجهاد ضد الإحتلال الإسباني في مدينة بجاية والجزائر ،وكذلك الشيخ محمد التواتي الذي دعا إلى الجهاد وكانت زاويته مركزاً متقدماً لمواجهة العدو الإسباني، ومأوى للحكام العثمانيين ، ومنهم بيبي راييس وابن عمه كمال راييس الذي وجدا الأمان والإستقبال من الشيخ التواتي².

وللإشارة هنا كان أغلب المرابطين قبل العهد العثماني من أتباع الطريقة الشاذلية، وكان أثرها جلياً ببلاد المغرب، حيث انتشرت عن طريق هجرة المرابطين لطلب العلم في المغرب الأقصى وتونس، والزيارات المتبادلة بين العلماء وشيوخ الطرق ،بالإضافة إلى ما تميزت به تعاليم الطريقة الشاذلية التي لا تنكر التمتع بالدنيا والسماح بامتلاك الثروة، مما فتح المجال واسعاً أمام الأتباع ،وعلى حد قول الشيخ أبوالقاسم سعد الله -رحمة الله عليه- فإن المتصوفة الجزائريين كان أغلبهم ماديين³.

ولعل من أهم وأبرز العلماء الأعلام المتصوفة والمرابطين الذين كان يتبعون منهج الطريقة الشاذلية خلال هذه الفترة الزمنية الشيخ العلامة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي مؤسس الطريقة الراشدية ،الذي كان يتمتع بنفوذ صوفي وله مكانة عالية بين أهالي المجتمع نتيجة الفكر والإعتقاد في ولايته وتأثير كراماته وكذلك بركته ودعوته ،وأنّ الله ينزل غضبه على من أغضب وليّه كما هو الحال في سقوط وهران والمرسى الكبير وربط ذلك بدعوة الشيخ الملياني وذلك حسب وصف الصباغ⁴.

ويرتبط نشاط الشيخ أحمد بن يوسف الملياني بدوره الصوفي وزاويته التي كان لها دور كبير في نفوذه بالمنطقة وكثرة عدد مريده، ومن أجل التعرف وتسليط الضوء على نشاط أحمد بن يوسف الراشدي الديني و الجهادي وعلاقته بالعثمانيين نحاول أن نعطي ترجمة تاريخية عن نشأته وسيرته العلمية والدينية ودور زاويته ومريده في انتشار الطريقة الراشدية، أو تعرف بالطريقة اليوسفية⁵.

1 أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص495.

2 يشير أبو القاسم سعد الله أن الشيخ التواتي منحهم رمزا يتمثل في عصا صلبة لكمال راييس دلالة عن قرب تخليه عن منصبه ، أما بيبي راييس منحه عصا طرية دلالة على المستقبل الزاهر ، وهذا الاعتقاد كان له أثر في الحكام العثمانيين والمرتبطين بشيوخ التصوف : أنظر : سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 466.

3 نفسه، ص492.

4 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الصباغ، 1140هـ ، 1727م ، بستان العارفين هار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار ، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1707 ، ص 117. نقلا عن يوسف بن حيدة، أحمد بن يوسف الملياني ودوره في تدعيم الحكم العثماني بالجزائر خلال القرن 16، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج4، ع4، ستمبر 2018، ص240.

5 للمزيد أنظر إلى : أحمد الحمدي، مخطوط بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار مقارنة منهجية تاريخية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج5، ع6، جوان 2009، ص7.

1.1 قراءة تاريخية للشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي:

2.1 مولده ونشأته:

كما يطلق عليه أحمد بن يوسف بالملياني الراشدي واسمه الكامل حسب جاءت به بعض التعاريف¹ هو: "أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف²، بن عبد الجليل بن يمداس بن عبد الله الرضى بن حسن أحمد بن زين العابدين بن حمود بن علي بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر³ بن عبد الكامل بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب⁴، ولكن هذه النسبة لم يتطرق إليها الصباغ، أي النسبة النبوية، وذلك بحكم الصباغ أحد تلاميذ أحمد بن يوسف الملياني وراويته هي الأقرب زمنياً وحتى مكانياً⁵، كان ميلاده بقلعة بني راشد بجبال بني شقران جنوب شرق معسكر أوساط القرن الخامس عشر، كما أطلقت عليه تسمية المريني نسبة إلى أسرته الزناتية التي ينتمي إليها والي بدورها جاءت من مراكش متوجهة إلى قبائل هوارة ذات الشهرة الواسعة في المغرب الأوسط⁶، كما جاء في المصادر التاريخية.

كما كان مولده حسبما جاءت به بعض الدراسات بجبال بني شقران موطن قبيلة هوارة⁷، أي حالياً في قلعة بني راشد⁸، ويذهب الكثير من المترجمين ويتفق لشخصيته أن أبوه أبو عبد الله محمد وأمه آمنة

1 يوسف بن حيدة، نفس المرجع السابق، ص240

2 عبد النور عبد الرحمن، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 7، عدد خاص، فيفري 2023، ص299.

3 Bodin (M) , Note et question sur sidi Ahmed ben Yousef, Revue Africaine, N°66, 1925, OPU, Alger, 1986 ,pp169,175.

4 مختار حساني، عرض لمخطوط الملياني، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج10، ع1، ديسمبر 2014، ص238.

يوسف بن حيدة، نفس المرجع السابق، ص240.

5 يوسف بن حيدة، نفس المرجع السابق، ص240

6 فتحي زناقي، الولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني كما وصفه ابنُ مُريدِه أبو عبد الله محمد الصباغ القلعي في كتابه (بستانُ الأزهار في مناقبِ زمزم الأخيار ومعدنِ الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار)، مجلة الاستيعاب، مج3، ع2، ماي 2021، ص575.

7 Basset, M. René, Les Dictons satiriques attribués a Sidi Ahmed Ben Yousef, Paris, Ernest Leroux ,1890, p. 3.

8 بني راشد يمتد هذا الإقليم على نحو خمسين ميلاً من الشرق إلى الغرب وعلى عرض يمتد إلى خمسة وعشرين ميلاً، ويقسم إلى فرعين الأولى تدعى قلعة هوارة والثانية والمعسكر، يتكلم أهلها غالباً بالزناتية إحدى لهجات الأمازيغية. للمزيد ينظر: الوزان الحسن وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص26-27، وتعتبر الراشدية أحد مواطن العلم والمعرفة والجهاد في الجزائر للمزيد أنظر إلى: بن عمر حمدادو، مراكز الاشعاع الثقافي وخزائن المخطوطات بالمغرب الأوسط، الحوار المتوسطي، مج3، ع1، مارس 2012، ص38.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

بنت يحيى بن أحمد بن علي الغريسي¹، أحمد بن يوسف راشدي النسب والدار²، وحسب ماذهب به صاحب مؤلف تعريف الخلف برجال السلف: "بأنه الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقراءة السبعة الحجة أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا ودارا³، ويذهب البعض منهم بوصفهم له بما يعرف: "الشيخ البركة" وأيضا "الغيث الهائل" و"الكبريت الأحمر"⁴، كما اهتمت بعض الروايات المتأخرة بأمر بالشيخ يوسفالملياني الراشدي الذي اشتهر بالإنساب إليه، ويقال أنه منذ يوم ولادته كفله رجل إسمه يوسف ورباه بلبن بقرته وعاملة معاملة الأب لابنه الحقيقي⁵، والاقرب من الحقيقة أنه سمي أحمد بن يوسف يعود ذلك لإسم جده يوسف بن عبد الجليل الذي كانت شخصيته أقوى و أهم من شخصية الأفراد المذكورين في الشجرة⁶، وقد ذهبت مجمل الروايات بأنه والده بالتبني، مع ذهاب بعض الخاصة إلى أنه ليس والده مباشرة ولكنه يعتبر من آباءه الأقدمين حيث يتصل به في سلسلة النسب⁷، ويبرر الصباغ⁸، هذا الارتباط غير المباشر واعتبار بأن يوسف جدّ قصي للشيخ أحمد قد تكون له دلالات وأهداف مرجوة من هذا الترتيب أو الإتصال النسبي، خاصة وأن أهمية النسب الشريف تكمن في الارتباط الطريقي حيث شروط تأسيس الطريقة يجب أن يكون له علاقة وكذلك الارتباط بالبيت النبوي في سلسلة متصلة حتى يستطيع أن يجمع عددا من الأتباع، كما يعتبر النسب الشريف مرجعية أساسية التي تنطلق منها وتبنى عليها مشروعية الطريقة الصوفية ولعل هذا ما نجده في بعض مناقب الملياني الراشدي دارا ومنشأ، الحسن بن سبأ⁹.

والجدير بالذكر هنا أنه له خمس نسبات وهي كالتالي:

1 محمد حاج صادق، مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1964، ص ص 76-77.

2 عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق 16-17م ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 2000، ص 63.

3 محمد الحفناوي، نفس المصدر السابق، ص100.

4 إسماعيل بركات، أحمد بن يوسف الملياني وضريحه المجال والمقدس بين الحضور المادي والاستحضار المعنوي من خلال كتب المناقب والأحكام، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 7، ع1، جوان 2023، ص301.

5 محمد حاج صادق، نفس المرجع السابق، ص76.

6 نفسه، ص77.

7 يوسف بن حيدة، نفس المرجع السابق، ص241.

8 الصباغ: هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن علي القلعي، وهو ابن تلميذ مخلص لسيدي أحمد بن يوسف وكان قاضيا بقلعة هواره التي تسمى اليوم قلعة بني راشد، بحيث عاصر سيدي أحمد بن يوسف وعرفه شخصياً وألف له بعد وفاته "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار" كتب بين سنوات 952هـ/1545م وسنة 962هـ/1555م، للمزيد يمكن العودة إلى: محمد حاج صادق، نفس المرجع السابق، ص73.

9 يوسف بن حيدة، نفس المرجع السابق، ص241.

- أ) **الداموي**: أي من بني دامود وهم فرع من مغراوة¹ مازالت حول قرية دامود في توات.
ب) **المريني**: لأنه أقام مدة بين فيجيج وسلجماسة ببلاد زناتة بني مريين.
ج) **الهوراري**: يقال إنه قضى الجزء الأكبر من حياته ببلاد هواراة الشاملة لمدينتي قلعة بني راشد ويبلل بقرب معسكر.
هـ) **الراشدي**: أطلق عليه هذه الكنية لأنه قضى الجزء الأخير من حياته الخاصة في بني راشد وهم فرع من أصحاب القلعة².
و) **الملياني**: لأنه دفن بمليانة³.

لم تؤرخ الأدبيات إلى ميلاد للشيخ أحمد بن يوسف الملياني المتصوف متى ولد بالضبط، ولكن هناك إشارات تبين التاريخ التقريبي الذي حاول بعض الباحثين ترجيحه في منتصف القرن 9هـ/15م، يذهب البعض انه ولد حوالي 840هـ/1437م، وقيل سنة 836هـ في دامود أحد قصور توات⁴، وبالتالي يوجد تضارب وإختلاف بين الروايات وبين المؤرخين حول تاريخ ميلاده بالضبط لكن الأرجح والأقرب كما ذكرناه سابقاً.

3.1 معالم تصوفه و تأسيسه للطريقة.

كان استقرار الشيخ أحمد بن يوسف بدوار رأس الماء، بقلعة بني راشد، حيث مثل هذا الحيز الطبيعي والبشري المجال الذي نشأ فيه وترعرع به بحيث قضى مراحل حياته المتنوعة⁵، ومن جملة ما روي عنه أنه درس وتخرج من مدارس تلمسان أواخر القرن 9هـ/15م⁶، ثم بعدها إنتقل في طلب العلم

1 **بيلة مغراوة**: هي اكبر بطون زناتة البربرية في بلاد المغرب، وهي من القبائل البتر البدو الطاعنة الراحلة، برزت كقوة لا يستهان بها، وصفها ابن خلدون في مصنفه العبر بقوله: "هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة، وأهل اليأس والغلب منهم.. للمزيد أنظر إلى: عبدلي زوبيدة، هيصام موسى، قبيلة مغراوة الزناتية في ظل الصراع بين الأمويين بالأندلس وبني زيري الصنهاجيين حلفاء الفاطميين ببلاد المغرب (391361هـ/ 1001.971م)، مجلة عصور الجديدة، مج11، ع2، جوان 2021، ص104.

2 محمد حاج صادق، نفس المرجع السابق، ص77.

3 أحمد الحدي، رمزية الكرامة ومدلولها في مناقب أحمد بن يوسف الملياني، مجلة الحضارة الإسلامية، مج17، ع28، جانفي 2016، ص476.

4 عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، المجلة المغربية للمخطوطات، مج10، ع1، ديسمبر 2014، ص66

5 يوسف بن حيدة، نفس المرجع السابق، ص242.

6 فتحة عماري، عبد القادر فكائر، نفس المرجع السابق، ص288.

ليستقر به المقام ببجاية¹، بحيث تتلمذ على الشيخ أحمد زروق²، (ت 899هـ / 1492م) وأخذ عنه مبادئ وأسس الطريقة الزروقية وسلك على يديه³، وساهم في تكوينه العلمي والديني حيث أصبح حسب ما ذكرت بعض الروايات مرجعية في للعلوم الفقهية والصوفية التي اكتسبها ، كما ذاع صيته في الكرامات والبركة ، وشكل مصدراً لدنيا لا منة فيه لفقير أو فقير عليه حتى زروق نفسه⁴، ثم انتقل إلى الزاب وبلاد الجريد القيروان طرابلس الاسكندرية القاهرة جدة ، ثم حج و مكث في مكة وبعدها انتقل إلى المدينة المنورة حيث بقي فيها سنة كاملة⁵، كل هذا ساهم في تكوينه الديني وجعله شخصية لها بالغ الأثر على المجتمع في تلك الفترة الزمنية.

4.1 الحياة الصوفية للشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي:

بعد أن تتلمذ وتعلم الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي على الشيخ أحمد زروق وأخذ عنه العهد ، لم يغادر بجاية إلا بعد إذن منه ، ولكن الإذن كان من شيخ آخر يدعى أبا القاسم البسكري، وانطلق نحو دواره رأس الماء للقيام بالوظيفة التعليمية المهمة بالشريعة ونشر الطريقة والقيام بدور الشيخ والمعلم لينتفع الناس بعلمه وعمله⁶.

وقد وصل أحمد بن يوسف إلى "راس الماء" هذا الدوار الذي سيكون بمثابة نقطة الانطلاق في تأسيس حياة الزهد والتصوف، وبناء الحياة الفقهية والدينية بالنسبة للشيخ الملياني، وأيضاً دائرة التوسع التي ستشمل مناطق النفوذ المتعددة وفي جميع الإتجاهات، بحيث تم تأسيس زاويته الأولى، وكانت خطواته الأولى الإصلاحية بسوق أم العساكر باعتبارها منطقة تجارية ومحطة عبور لكثير من الأهالي من مختلف المناطق واستطاع أن يقوم بدور الإمام والواعظ والمرشد، وهكذا نجح في كسب شهرة وتأبيد

1 فتحى زناقي، نفس المرجع السابق، ص 576.

2 أحمد زروق البرنسي: هو أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، اشتهر باسم زروق نسبة لجدته الذي كان أزرق العينين، ولد سنة 846هـ/1442م عرف بتصوفه الإصلاحية الذي استهدف جانب السلوك والمعاملات وأصول التربية الدينية، وبتأليفه الصوفية الكثيرة. التقى به الملياني في بجاية وهناك أخذ عنه مبادئ الطريقة الزروقية القائمة على أصول الطريقة الشاذلية، انظر إلى تعليق: فتحة عماري، عبدالقادر فكاي، نفس المرجع السابق، ص 295. ومن مؤلفاته نجد: شرح الحكم العطائية، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة، اغتنام الفوائد في التنبية على معاني قواعد العقائد للغزالي، شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، تأسيس القواعد والاصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف، وله نظم، للمزيد أنظر إلى : فتحى زناقي، نفس المرجع السابق، ص 576.

3 عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، نفس المرجع السابق، ص 66.

4 عبد الله نجمي، نفس المرجع السابق، ص 63.

5 عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، نفس المرجع السابق، ص 66.

6 الصباغ، نفس المصدر السابق، ص ص 85-86.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

من طرف المريدين ، وهذا ما تكشفه روحه العلمية والفكرية التنظيمية التي بدأ يتميز بها الشيخ الملياني¹ صاحب الطريقة الراشدية² ، وقد اكتست الرحلة الصوفية التي قام بها الراشدي أهمية في تكوين الشيخ المؤسس ، بما ساهمت به من تنشئة صوفية ، ومثلت عنصراً هاماً في مساره التكويني خاصة الديني ، لأن السفر بما فيه من شدائد وتجارب وتحصيل معارف بحيث يمثل مدرسة تكوينية يتعلم فيها المريدين وينمي فيها استعداداته الخلقية ، ويطور مواهبه من خلال العثور على شيخ يوجهه في مسيرته الروحية . ومما يجدر ذكره أن تكوينه الصوفي ساعده على تأسيس طريقة صوفية حملت اسم الراشدية وذلك نسبة إلى قلعة بني راشد فهي تنتمي في نظامها الفكري وسندها الصوفي إلى طريقتين الشاذلية والزروقية³ ، فقد تلقى الشيخ المؤسس أصول الزروقية عن الشيخ أحمد زروق بطريق التلقين بمعهد تمقرا نواحي بجاية ، حيث أخذ عنه الطريق بسنده إلى أبي الحسن الشاذلي وطريق التبرك بسندها في لباس الخرقا إلى عبد القادر الجيلاني⁴ ، ويبدو أن اتصال الطريقة الراشدية بالشاذلية كان عن طريق اتصال زروق بمحمد السخاوي وهو الذي انفرد به الصباغ ، كما أن اتصاله أيضاً بأحمد بن عقبة عن أبو زكريا القدير عن علي بن وفا عن محمد بن وفا عن داوود الياخلي عن ابن عطاء الله عن أبو العباس المرسي عن أبو الحسن الشاذلي ، وبهذا حاول أحمد بن يوسف أن يدمج طريقته بعدة طرق صوفية وبالتالي أخذاً من الطريقة الشاذلية والزروقية والغزالي محاولاً الانفراد عنها بمسحته الراشدية في التربية والتأهيل والتعليم وفقاً لنظام سلوكي وطقوسي يكون يتميز به في حدود هذا الوصف⁵.

ويبدو أن هنالك تأثير كبير لطريقة الشاذلية على الطريقة الراشدية يظهر جلياً في سيرة وتكوين الشيخ يوسف الملياني، وهذا ما يؤكده ابن عسكر بقوله: "ومنهم الشيخ العالم ولي الله تعالى أحمد بن

1 عبد الله نجمي، نفس المرجع السابق، ص 63.

2 الطريقة الراشدية: تنتمي في منظومتها الفكرية والسلوكية إلى الطريقتين الزروقية والشاذلية، حيث العالقة التي نظمت بين أحمد بن يوسف الملياني وشيخه أحمد بن زروق بمعهد "تامقرا"، والتي كان قوامها؛ التآرجح بين الجود والامتنان، والتتكبر والتعلق، والصحبة والافتداء، وحضور المجلس العلمي بالجامع العبدلي، وتعزيز التواصل مع شيوخ الشاذلية بتلمسان، والإصلاح الاجتماعي الديني لمجتمع التأسيس لزواياها والتصدر لمشيختها بنطاق غرب المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن 10هـ/16م القبيلة، وتلقين التصوف العرفاني، وأخير ، من خلال مذهب صوفي رسم أبعاد عالقة أتباعها بالخالق وبالوجود الذي يعيشونه دنيا أو يعتقدونه آخرة، أنظر إلى: الصباغ القلعي، (مخ)، ورقة . 210و، 238و، 243ظ، 305ظ. الحاج موسى علي بن احمد الجزائري، (مخ)، ورقة. 14و، 265ظ، نقلا عن إسماعيل بركات، نفس المرجع السابق، ص 312.

3 فتيحة عماري، عبد القادر فكايير، نفس المرجع السابق، ص 288.

4 يوسف بن حيدة ، نفس المرجع السابق، ص 243.

5 نفسه، ص 244.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

يوسف الملياني من أصحاب الشيخ زروق¹، حيث أخذ من مبادئه التخلي أحمد بن عن الزهد² في الدنيا والتمتع بملذاتها، فلم يكن يوجه مريديه بضرورة لبس الخرق الصوفية، كما كان يلبس الثياب الجميلة ويركب الفرس ويملك الأراضي، حيث يذكر الصباغ في هذا الجانب بأن الشيخ أحمد بن يوسف لما أنهى تكوينه على يد الشيخ زروق منحه هذا الأخير حفنة من الدراهم اقتنى بها فرساً بقعاء وسرجاً ودراوية³ كما قامت طريقته على أساس اختلاف المناهج الصوفية والتيارات الفكرية.

والمنهاج العرفاني محاولاً الجمع بين الجانبين الظاهري والباطني، بحيث وظف الشيخ تجربته وخبرته وعلمه وأسرار الخلق وطبائعهم في تخصيص ما يحتاج كل مريد من السلوك، وكان يناول تلاميذه الأذكار ويشكلون دائرة للذكر الجماعي مع استعمال الغناء والموسيقى والأناشيد والآلات، وتسمى أتباعه بالفقراء⁴، وكان الراشدي كثير التلقين للأتباع وغيرهم، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبي: "أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء"، فقال له: "قد دعونا الخلق إلى الله، فأبوا ففنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر فقال الشيخ الخروبي "فوجدته أوسع مني دائرة⁵.

ونظراً للمكانة التي تمتع بها المؤسس وانتشار تعاليمه الصوفية فقد تفرعت طريقته⁶، إلى فرعين: الطريقة الراشدية، والزروقية، والطريقة اليوسفية التي انحرفت في الاعتقاد في الشيخ عبد الله، الذي تزندق واتجه اتجاه باطل حسب ما روي عنه، واتبعه الكثير من الغوغاء وأهل الأهواء من الحواضر، وتذكر بعض الروايات أن هذه النحلة ظهرت في حياة الشيخ فلما بلغه ذلك قال: "من قال عنا لم نقل يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير الملة أحمد بن يوسف حتى نسبه بعضهم للنبوذة⁷.

5.1 مناقبه وكرامته:

حسب ما ذكرته بعض المصادر فهي كثيرة وبالتالي نحاول رصد بعضها:

1 ابن عسکر أبو الربيع سليمان محمد بن عبد الله الحوات الشفشاوني (ت1231هـ/1816)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 124.

2 الزهد: هو ميل انفوس إلى ما دعا الله سبحانه إليه، والإنقطاع إلى خدمته بنسيان ما يقع بها طباعها، وتقسده استراحة النفس وميلها على رخص الفقهاء، وقد سئل أحدهم عن الزهد فقال: هو ترك الحرام، فإن تحققت هذه الأخيرة رجي القبول من الله تعالى، أنظر إلى: نورالدين غرداوي، نفس المرجع السابق، ص 78.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 494-496.

4 الصباغ، نفس المصدر السابق، ص 243.

5 عبد الله نجمي، نفس المرجع السابق، ص 115.

6 Rinn, op-cit, pp 271-273.

7 ابن عسکر أبو الربيع سليمان محمد بن عبد الله الحوات الشفشاوني، نفس المصدر السابق، ص 125.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

يعد الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي ذا مكانة مرموقة متخلق بالخصال الحميدة الدينية، كريم الأخلاق، حسن العشرة، ذا حرمة ووجاهة من الأعيان الزاهدين الوارعيين، مما أهله أن يكون في رئاسة السالكين وتربية المريدين ببلاد بني راشد والمغرب الإسلامي كله¹، ونجد أيضاً في مجال المعرفة الصوفية في بعض تفاصيلها بمعرفة الله، بحيث وصفه الشيخ أبو محمد عبدالله الهيطي وهو من أحد معاصريه، بأنه من كبار العارفين بالله وذلك بقوله: "... إذا سألك أحد بماذا تعرف الله، فقل: الله واحد موجود، له أسماء وصفات، وذات أسمائه لا تشبه الأسماء وصفاته ولا تشبه الصفات وذاته لا تشبه الذوات وهو موجود لا يعلم أحد كيف هو، ولا أين هو لا يشبه شيء ولا يشبه شيئاً كل ما يخطر في عقلك أو همك فالله بخلاف ذلك لا يعلم الله إلا الله والعجز عن الإدراك إدراك"، وبالتالي يعتبر هذا القول دلالة على زهد الشيخ الملياني ومنها عدم الخوض في المسائل الغيبية التي تؤدي بصحبها إلى الضلالة².

تزوج العديد المرات³، كما ذكر عنه كان لا يرفض الهدايا جرياً على عادة أصحاب الطريقة الشاذلية كشرطهم في ذلك أن تؤخذ أو تترك الله⁴، فأثنى عليه ابن أبي محلي السجلماسي وسماه الحسن اليوسي: "شيخ الطوائف المغربية"، وقال عنه ابن القاضي المكناسي: "الولي الصالح المقطوع بولايته كما سماه محمد بن الراشدي الملياني أبي بكر الدلائي" شيخ المشايخ سيدي أحمد بن يوسف، ويذهب ابن عسكر الشفشاوني قائلاً فيه: "جليل القدر كبير الشأن، من كبار مشايخ الصوفية، فتح عليه في علوم أسماء الله تعالى وتصريفها، وكان عارفاً بالله" وهذا ما يؤكد التلمساني محمد بن سليمان الصائم على حد قوله: "الشيخ الرباني سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وهو أيضاً من تلامذة سيدي أحمد زروق، وله عناية مع الله عظيمة وعوائده معه كريمة، ظهرت على يده الخوارق وشهدت له الحقائق"⁵.

أما وصف محمد المهدي الفاسي جاء بنحو التالي: "الشيخ الإمام الهمام العارف الكبير الكامل الحجاج الفذ المنفرد أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني"⁶.

1 الكتاني أبو محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ط1، ج2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2004، ص ص 14-15.

2 الصباغ، نفس المصدر السابق، ص 260.

3 يذكر أنه تزوج 4 نساء على الأقل، وكان له نكورا وإنثاء من أزواجه، وأيضاً الكثير من الخدم، والأحفاد من أولاده، للمزيد أنظر: إلى الوزان الحسن، نفس المصدر السابق، ص ص 28-29.

4 Bodin. M. Notes et quettions sur sidi Ahmed ben Yousef, Revue Africaine. Alger. N 66, 1925, p 148.

5 قويدر قيديري، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في كلام على قصيدة حزب العارفين لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2013، ص 542.

6 محمد المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفة الجزولية والزرقية، مخطوط رقم 2046 نسخ في 1813، قسم العربية المكتبة الوطنية الفرنسية bnf، مكتبة غاليليا الرقمية، نسخة رقمية مصورة، ورقة 17، تم الاطلاع عليها يوم: 2023/06/25، على الساعة 10:00 صباحاً، أنظر إلى الرابط:

أما بالنسبة الحسين الورتيلاني نجد انه قد مدحه في رحلته بقوله: "سيدي أحمد بن يوسف الذي كانت ولايته ظاهرة شرقاً وغرباً وكراماته وخوارق عادته نفعنا الله به آمين ورضي عنه لا تحصى¹.
جاء عن ابن مريم في مؤلفه: "البستان الكثير من كرامات الشيخ أحمد بن يوسف، نحاول أن نذكر منها: أن الشيخ زروق الفاسي سأل يوماً تلامذته ببجاية، قال من يخبرني بشيء عن ابني في فاس؟ فأجابه أحمد بن يوسف أنا أراه أمام غرفته مع أمه تمشط له، قال زروق: ثم ماذا؟ قال: ضفرت، شعره، وربطته بحاشية من حرير على رقبته، قال زروق: بارك الله، فيك، وأقبل مسافر بعد قليل من فاس، وأثبت كل هذه التفاصيل، وذكر أيضاً أن امرأة كانت مسكونة بجن، فجاءه بعلها، وحصل منه على قرطاس قرأه عليها، وفي الحين نطق الجن على لسانه، وصاح: "معا وطاعة لله وللشيخ إني خارج، فتخلصت المرأة بذلك².

- ويذكر أيضاً أنه كان ذات يوم مع اثنين أو ثلاثة من أصحابه فأخبر تلميذه الصباغ بزيارتهم له في منزله فرأى الصباغ من واجبه تحضير وجبة لعدددهم، لكن لما كانوا في الطريق، التحق بهم موكب عظيم للمشاركة في الزردة، فلما رأى الصباغ ذلك حدث له اضطراب شديد، فقال له الشيخ: قدم لنا ما حضرت لا غير، واقتصر هو على أن يذوق من كل لون قبل أن يفوته لأصحابه مع شيء من الدعاء، فشبخوا جميعاً وخلفوا الفضل، وقد جرى مثل هذا في عدة مناسبات³.

- وذكر كذلك أن أحمد بن يوسف سافر يوماً ورافقه في رحلته تلميذه سعيد اعراب راجلاً، وهو راكب إلى سيرات على بعد 21 كم من مستغانم، فاعترضهما وادي سيرات حاملاً - ويطلق عليه اليوم وادي يسر -، وهنا يقول الشيخ لسعيد اعراب: "أمسك ذيل فرسي، واغمض عينيك وتقدم، فقطعا السيل، ولم يمس الماء صباط سعيد اعراب الذي أذاع القصة وضمن صحتها"⁴.

- ومنها في مشهد مشابهة أو تكاد أن رجلاً من الجزائر العاصمة كان في ليلة قر لا له أن يقطع وادي مينة وهو من روافد وادي شلف وهو جاري بسرعة، ويذكر أنه خاف على نفسه وعلى دابته بالتالي استنجد بسيدي أحمد بن يوسف الملياني، فأحضره له في الحين لفيف من الملائكة في شكل قنطرة مشى عليها من دون مشقة إلى ضفة الوادي الأخرى، فمضى في الغد إلى الشيخ أحمد بن يوسف وروى عليه قصته، فما كان من الشيخ إلا أن قال له: "داداك ذاك" وكان هو عند مغادرة فراشه في الفجر

<https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b110019337/f1.item>

1 الحسن بن محمد الورتيلاني، نفس المصدر السابق، ص 107.

2 ابن مريم، لبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: ابن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1906، ص 90.

3 ابن مريم، البستان، ص ص 120-121.

4 نفسه، ص 81.

مبللا فرأته زوجته ستي، وألحت عليه أن يبقى تحت الغطاء حتى لا يمرض ، فحكى لها الحكاية ، وقال: إنه أحس في ظهره بحوافر الدابة¹.

6.1 - تلاميذه

تتلمذ على يديه خلق كثير نذكر منهم:

➤ **الصباغ الجد:** ويعرف بمحمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن الصباغ ، الذي أشتهر بابن معزى، وهو يعتبر والد صاحب البستان ، كان من أفضل وأقرب أتباع أحمد بن يوسف، يدافع عنه ويلازمه حيث ما حل ورحل يقوم بغسل ثيابه، فكان أكثر من الأب والأخ الشقيق، وكان يكتب الشعر من أجل مدح شيخه والدفاع عنه، حتى استشهد في وقعة مجسر الشوخ عام 1815م².

➤ **الصباغ الحفيد :** وهو محمد بن الصباغ القلعي، تولى عدة وظائف منها قضاء القلعة، وهي وظيفة هامة لا يشغلها عادة إلا الفقهاء، وقد كان من علماء القرن العاشر الذين غلب عليهم الميل إلى التصوف - محمد بن عبد الجبار الفجيجي المسعودي التلمساني، شاعر متصوف صاحب العديد من القصائد وبالخصوص مدح النبي صل الله عليه وسلم أشتهر في كامل المغرب الأقصى والأوسط وأصبح له الكثير من الأتباع، توفي في سنة 950هـ الموافق لسنة 1543م - أبو الحسن علي بن عبد الله الفيلاي الذي ورث الشيخ روحيا، ومثله في المغرب الأقصى حيث نال صيتا عظيما في الطبقات الشعبية، لكنه اتهم بالزندقة واعتناق مذهب الإباضية³.

➤ **محمد بن سعيدة القلعي** الذي مات مجاهدا في معركة ضد الإسبان سنة 924هـ الموافق لسنة 1518م⁴.

➤ **قاسم سعيد القلعي** الذي مات مجاهدا في المعركة نفسها سنة 924هـ علي بن قاسم ابن السابق المدعو ابن الحولاء لأن أمه كانت حولاء، وكان يتطوع للأذان بالمسجد الجامع بالقلعة⁵.

➤ **محمد بن عبد الجبار الفجيجي التلمساني:** ت 950هـ/1543م⁶، ومحمد بن أحمد الشريف الزهار، وسليمان بن أبي سماحة⁷، وعمر بن سليمان العلوفي⁸، و محمد بن عبد الرحمن السهيلي (ت 936هـ/1530م)¹.

1 نفسه، ص 82.

2 محمد حاج الصادق، نفس المرجع السابق، ص 89.

3 ابن مريم، البستان، ص ص 287-288.

4 ليليا شتوح، نفس المرجع السابق، 220.

5 نفسه، ص 377.

6 عبد الرحمن عبدالنور، نفس المرجع السابق، ص 305.

7 عبدالمنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، نفس المرجع السابق، ص 67.

8 عبد الرحمن عبدالنور، نفس المرجع السابق، ص 306.

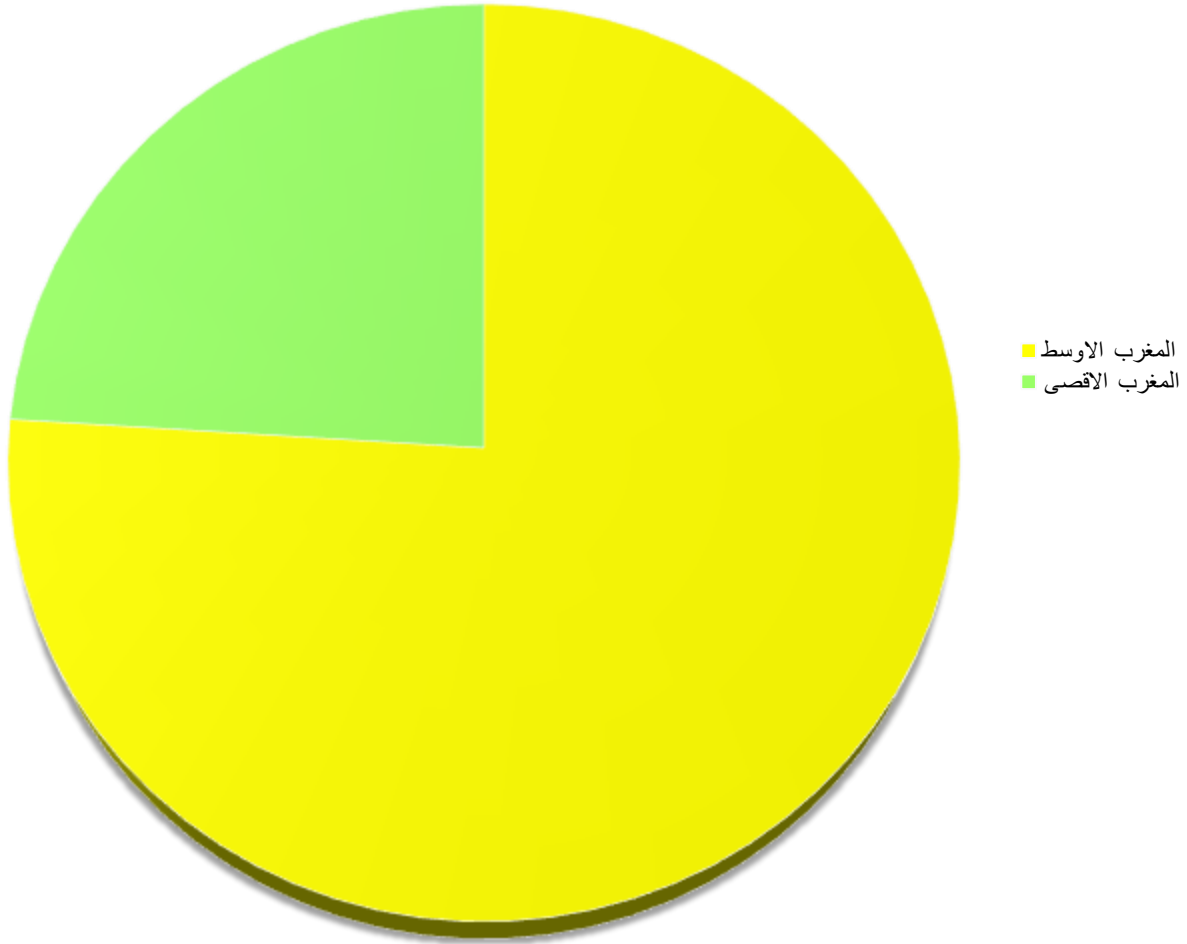
➤ أبو العباس أحمد البطحي: نظم الشيخ أحمد بن يوسف بقصيدة تزيد على مائة بيت².

➤ عبد الله أخلال: كان فقيراً فأصبح غنياً بدعاء من الشيخ، واستطاع افتداء الكثير من الأسرى المسلمين عند النصارى هؤلاء بعض تلاميذه، ولا نستبعد أن يكون للشيخ تلاميذ غير هؤلاء، غير أن الذين ترجموا له جرت عادتهم، أن يذكروا عدداً قليلاً من التلاميذ المترجم لهم، على سبيل المثال لا الحصر.

1 محمد إدريس الطيب، الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، ص324.

2 محمد حاج صادق، نفس المرجع السابق، ص90.

دائرة نسبية تقارن بين عدد تلاميذ أحمد يوسف الراشدي في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى



المصدر: عبدالنور عبدالرحمن، نفس المرجع السابق، ص307.

7.1 إسهاماته الفكرية والعلمية:

إن المصادر التي ترجمت لأحمد بن يوسف أشارت إلى كل الكتب التي ألفها مما يدل على مساهمته وأثاره المخطوطة في المجال العلمي، إن هذا الإنتاج الفكري يكشف أن من أهم صلحاء وعلماء بني راشد والذي يتمثل في شخصية "أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي. وكذلك المستوى الثقافي الذي بلغه وكان عظيماً، كما يكشف عن سعة من خلال انتشار أفكاره انتقال طريقته إلى المغرب الأقصى، ونسبت إليه المؤلفات والرسائل التالية:

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق¹: وهو عبارة عن مخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2792²، وهناك نسخة أخرى موجودة بمكتبة الشيخ بنعزوز القاسمي³.
بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي⁴: وهو عبارة عن مخطوط يتكون من 114 ورقة. الرموز والإشارات وهو عبارة عن مخطوط موجود بمكتبة القاسمية بالهامل ويتكون من 27 ورقة.

رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق: نسخة من المخطوط موجودة بمكتبة بنعزوز القاسمي.
رسالة في أحكام الخرق الشريفة: وهي عبارة عن مخطوط يتكون من ورقة محفوظ في مكتبة الأسرة العثمانية بطولقة، وهي عبارة عن رسائل وأحكام جمعها تلامذته.
مختصر لكتاب التصوف: وهو عبارة عن مخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط، يوجد ب 40 ورقة تحت رقم 1141.

حكم في التصوف: وهي عبارة عن حكمه سجلها أتباعه، ومنها مزال متداولاً إلى اليوم⁵.
ويذهب البعض على أنها حكمة التي سجلها بعضهم، وقد إشتهر عنه الكثير من الحكم، والتي لاتزال منتشرة بين الناس، ومن حكمه المعروفة نجد "خديم الدنيا أسيراً، وخديم الآخرة أجيراً، وخديم الحق أمير، وأيضاً " من ذلك على الدنيا أتعبك، ومن ذلك على العبادة فقد أشقأك، ومن ذلك على مولاك فقد نصحك...". والمخطوط هو متواجد بالخزانة العامة بالرباط رقم: 1066، ضمن مجموع من الصفحة 258 إلى 265⁶.

المنهج الحنيف في معنى الاسم اللطيف: عبارة عن مخطوط به 14 صفحة موجودة بمكتبة بنعزوز القاسمي يشرح ويفسر فيه اسم من أسماء الله الحسنى وهو اسم اللطيف⁷.

1 شنتوح ليليا، الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الصوفي، *Annales de l'université d'Alge*، مج32، ع1، مارس 2018، ص221.

2 الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، نفس المرجع السابق، ص 177-183.

3 نقلا عن: عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، نفس المرجع السابق، ص68.

4 مزدور سمية، التراث المخطوط وأهميته في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط مخطوط: بستان الأزهار لابن الصباغ القلعي أنموذجاً، مجلة البحوث والدراسات، مج15، ع1، جوان 2018، ص326.

5 عبدالنور عبدالرحمن، نفس المرجع السابق، ص304.

6 نقلا عن: فتحي زناتي، نفس المرجع السابق، ص578.

7 عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، نفس المرجع السابق، ص68.

رسالة في أحكام الخرفة: وهي عبارة عن أقوال وحكم و كذلك رسائل الشيخ الملياني، قام بجمعها أحد تلامذته، ومن بينها رسائله إلى أهل فجيح، فاس، تافيلات وحتى بلاد الهند وغيرها. مخطوط في 45 ورقة وهي مجموعة بكمية الاسرة العثمانية بمنطقة طولقة¹.

رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق: وهي عبارة عن العديد من المسائل في التوحيد والعقيدة والتصوف، بحيث تحتوي على طريق المعرفة ودرجات المعرفة والمكاشفة، المجاهدة، وحسب الباحث تواجد هذا المخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 2792د، وتوجد نسخة أخرى بمكتبة الشيخ بلعزوز القاسمي².

8.1 وفاته

توفي سنة 931هـ/1524م في بلدة براز التي عرفت فيما بعد بالخربة، ثم سميت بالخربة، وهي تقع شمال غرب عين الدفلى³، ويذكر أنه دفنه إبنه محمد ابن مرزوقة في مدينة مليانة، وبني له باي وهران⁴، "محمد الكبير" ضريحا ومسجداً في القرن الثاني عشر الهجري⁵، وقبره مشهور حالياً واصبح مقصد الزيادة والتبرك، وهذا أحد الأدياء يقول فيه:

لَسِنَّ عَزَّ حَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَوْقِفٌ
فَهَذَا ضَرِيحِ الْقُطْبِ عَزْمَوْقِفِ
وَإِنْ شَطَطَ الْبَدْيَارِ عَنَّا فَعَيْرَةٌ
حَدَائِقِ أَنْسِ مَالْنَا عَنْهَا مَضْرِفِ
إِلَيْهِ وَإِلَّا لَاتَشُدُّ رَكَائِبِ
وَمِنْهُ وَإِلَّا لَأَيْنَسَانِ مَسْرِقِ
أَيَا مَعْشَرَ الْأَحْبَابِ هَذَا مَنَّا
يُخَطُّو رِحَالِ السُّؤْلِ لِاتَوْقِفِ
وَمَنُوا عَلَيَّ أَبْصِرْكُمْ بِتَأْمُلِ
فَقَدْ طَالَ مَا حَنَنْتِ وَطَالَ التَّشْوُقِ
وَحَقَّ إِلَهِي لَا رَجَعْتُمْ بِخَيْبَةِ
أَبَشِّرْكُمْ أَنِّي كَهَيْلٍ وَأَخْلَفِ

¹ قحي زناقي، لولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني كما وصفه ابن مريد أبو عبد الله محمد الصباغ القلعي في كتابه (بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار)، مجلة الاستيعاب، مج 3، ع2، 20-05-2021، ص579.

² فتحي زناقي، المرجع نفسه، ص579.

³ قتيحة عمري، عبدالقادر فكايير، نفس المرجع السابق، ص288.

⁴ وهران: هي عاصمة الغرب الجزائري قال عنها الحموي وهران مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء ولها مسجد جامع، وبني مدينة وهران محمد بن أبي أعون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين الذين ينتجعون مرسى وهران انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص385.

⁵ عبدالمنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، نفس المرجع السابق، ص67.

أَلَيْسَ مَعَانِي الْجُودِ قُبَّةٌ أَلَّتِي لَهَا حِمْلٌ كَبِيرٌ بَلْ هِيَ أَشْرَفُ¹.

يتضح لنا أن الشيخ أحمد بن يوسف من الشخصيات الصوفية المتميزة في تاريخ الصوفية عموماً، فقد ظهر في القرن التاسع الهجري، واشتهرت طريقته في حياته وهي ظاهرة قليلة الوجود في تاريخ الصوفية، وقد ظهرت على يديه الكثير من الكرامات، ولكن تبقى سيرته يكتنفها الكثير من النقص ولاسيما في الأطوار الأولى من حياته وأغلب تراثه ما زال مخطوطاً، وتجدر العناية به، وتحقيقه حتى يتسنى لنا فهم فكره أكثر.

1 إسماعيل بركات، أحمد بن يوسف الملياني وضريحه المجال والمقدس بين الحضور المادي والاستحضار المعنوي من خلال كتب المناقب والأحكام، نفس المرجع السابق، ص307.

2 الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني:

1.2 نشأته:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى الفكون التميمي من قبائل تميم العربية ولد عام 988هـ/1580م بقسنطينة وهو اليوم الذي مات فيه جده عبد الكريم أما والده فهو أبو عبد الله محمد خطيب الجامع الأعظم كان فقيها صوفيا توفي بعد رجوعه من الحج في أواخر محرم عام 1045هـ، في قرية المويلح بمصر¹.

ويكنى أبا محمد، والفكون بفتح الفاء، وضم الكاف المشددة²، من أسرة عرفت بالعلم والسلطان والحكم، فنالت احتراما كبيرا، فجده عبد الكريم ابن عبد الله، محمد ابن أبي محمد عبد الكريم ابن أبي زكرياء يحيى ابن محمد الفكون القسنطيني، التميمي³، وتعود أصول والدته عائلة حسنية شريفة، وبالتالي تعتبر الأسرتين مجددتين كليهما من أسر ذات علم ومكانة دينية واجتماعية⁴.

لكن أحد المؤرخين وهو عبد القادر الراشدي في كتابه "عقد الآلي المستضيئة لنفي ظلام التبليس" والذي توفي سنة 1194هـ/1780م، يذكر أن أصل عائلة الفكون يعود إلى بلدة فكونة الموجودة جغرافيا في جبال الأوراس⁵.

ومن أشهر أسلافه العلامة الشيخ الأديب حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني، يعتبر من أشرف قسنطينة، ومن كريم أروماتها، شاعر المغرب الأوسط خلال القرن السادس و أول السابع الهجري، ينحدر من أسرة ضاربة في أعماق التاريخ الجزائري، تتميز بالعلم والجاه والوقار خلفا عن سلف، وقد قال المقري عن عبد الكريم الفكون: "هو العالم الذي ورث المجد لا عن كلاله، وتحقق الكل أن بيته شهير الجلالة، بيت بني الفكون، هضاب العلم والوقار والسكون لا زال الخلف منهم يحيون مآثر السلف"⁶.

1، حسين بخوة، أحمد الحمدي، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري (988-1073هـ/1580-1663م) مجلة الخلدونية /مج9، ع1، جوان 2016، ص62.

2 عبد القادر بوزياني، حياة شيخ الإسلام عبد الكريم القسنطيني (ت1073م)، آثاره العلمية كتاب ((فتح المالك في شرح لامية ابن مالك))، مج15، ع1، جوان 2013، ص169.

3 عبد القادر بوزياني، دراسة تحليلية في منهج مخطوط "فتح المالك في شرح لامية ابن مالك" لعبد الكريم الفكون القسنطيني (ت1073م)، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج16، ع1، جوان 2020، ص124.

4 حكيم بن يلس، مراكز التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية خلال القرنين (السادس عشر والثامن عشر) -دراسة فنية تحليلية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2020-2021، ص179.

5 أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص49.

6 عبد القادر بوزياني، نفس المرجع السابق، ص170.

وتعتبر عائلة ابن الفكون من البيوتات العلمية العديدة في مدينة قسنطينة، كعائلة ابن باديس وعائلة ابن نعمون وعائلة ابن الوزان وعائلة ابن الخطيب، عائلة ابن عبد الجليل¹، وقد عرفت أسرته بكثرة المال و الأملاك الواسعة، وكانت تنفق من ذلك على أبواب البر والإحسان، وامتدت بمجدها وعراقتها الى الزمن الحاضر، ويعرفون باسم عائلة سيدي الشيخ، وتبعاً لبعض اللسان اللهجي الجزائري قد ينطقون القاف الكاف بثلاث نقاط فوق القاف، كالجيم القاهرية، فيقال: الفقون².

ويبدو أن الشيخ عبد الكريم الفكون درس علوماً كثيرة، إلا أن هناك قصة طريفة حدثت له حسب الرواية، وهي من الأسباب التي أدت به إلى تعلم علم النحو، حسب ما جاء في القصة أنه رأى في المنام بأن جده أعطاه ورقة كتب عليها "كان فعل ماضٍ" ففسر الفكون رؤياه بأن جده ينصحه بتعلم علم النحو³.

وكان لها امتيازات اقتصادية ومعنوية لا حصر لها، فقد كانت من أغنى الأسر في قسنطينة بحيث تمتلك العقارات والأراضي وتعيش عيشة راضية هنية، وإيضاً لها زاوية خاصة تطعم من الفقراء وتنتشر العلم وتستقبل الضيوف من الجزائر وخارجها، وتبث منها آثرها وتأثيرها⁴.

وعلى ما يبدو أن ثقافة عبد الكريم الفكون هي محلية بحتة، بحيث لم ينتقل خارج الجزائر لطلب العلم، أما رحلاته التي قام بها فإن ذلك كان بعد نضجه وعلى إثر أداء مهمة رسمية وهي قيادة ركب الحج⁵، وكان من أعيان المالكية في المغرب⁶.

2.2 شيوخه:

ويبدو أن أهم ما ميز حياته العلمية كثرة شيوخه، بحيث يعتبر والده أحد شيوخه الأوائل، بحيث حفظ على يديه القرآن الكريم⁷، وتلقى المبادئ الأولية لعلوم الدين في زاوية الفكون، وأخذ من شيوخ عصره أمثال الشيخ أبي حفص عمر الوزان والذي بدأ الفكون بذكر ترجمته في كتابه منشور الهداية وقد وصفه بأنه شيخ الزمان ويقوتة العصر والأوان العالم العارف بالله الرباني توفي عام 965 هـ⁸، وكذلك تعلم على

1 يمينة سعودي، نفس المرجع السابق، ص 57.

2 نفسه، ص 170.

3 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف الحال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق، أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 11.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 520.

5 عبيد بوداود، تجربة عبد الكريم الفكون في التأريخ والترجمة من خلال مؤلفه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج 9، ع 12، جوان 2005، ص 322.

6 أمحمد بوشريط، ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: "منشور الهداية" أنموذجاً، عصور الجديدة، ع 18، عدد خاص بقسنطينة، أوت 2015، ص 89.

7 عبد القادر بوزياني، دراسة تطيلية في منهج مخطوط، نفس المرجع السابق، ص 124.

8 الحسين بخولة، وأحمد الحمدي، نفس المرجع السابق، ص 64.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

يد محمد التواتي المغربي الذي وصفه ب"سيبوية زمانه" وكان التواتي معجباً بتلميذه الفكون¹، الذي قال عنه الفكون بقوله: "الشيخ الأستاذ التحرير النحوي آخر المتكلمين لسان حجة الإسلام"²، أخذ عنه الصرف والنحو وليس المقصود به التواتي الجزائري الذي كان في بسكرة والخنقة، وقد أثر فيه التواتي أكثر من غيره وخاصة في فكره النقدي الواضح وثورته على الغموض والابتداع والانحراف، ودعوته إلى السلفية الصحيحة والصالفة³، وهو صاحب كتاب "الخبر في معرفة عجائب البشر" والذي ألفه اعتماداً على المصادر الأدبية وبعض الطرائف وكان ذلك أثناء تواجده بمدينة قسنطينة، وبالتالي يكون عبد الكريم الفكون قد أخذ عليه العلم وهو مقيم بحاضرة قسنطينة⁴، وأجازه بن سليمان الأوراسي، وكذلك عبد العزيز النقابي وغيرهم⁵.

وكذلك نجد من شيوخه: سليمان القشي: وهو أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي نسا، أصله من بلدة نقاوس، ثم هرب من مرض الطاعون الذي أصاب المنطقة سنة تسعمائة وثلاث وستين 963هـ، بحيث هلك والده فيه واستقرا في قسنطينة، وبعدها رحل إلى مصر قاصداً مكة والمدينة المنورة، لكن الظروف أقعدته في الجامع الأزهر الذي أخذ فيه العلم على شيخ عصره العلامة النحرير البحر الفهامة أبي النجاة سالم السنهوري المختصر والرسالة والألفية العراقي، وأقام بها مدة ثم رجع إلى قسنطينة، ويصفه الفكون بشيخ البركة بقوله: "ومن أشياخنا في البدية الشيخ البركة"⁶.

وبعد وفاة عبد الكريم الفكون الجد خلف ابنه محمد جميع وظائف التي كان يتولها والده، ومنها إمامة وخطابة بالجامع الأعظم في قسنطينة⁷، و الواقع أن ولده كان - محمد الفكون كما يقول عنه ابنه الفقيه - من الفقهاء المتصوفة، يقوم أثناء الليل وأطراف النهار، ويدرس العلم كان من الفقهاء الصوفيين، ولذا كان يرجع إليه في المسائل والإفتاء⁸.

- 1 ياسين بريك، موقف علماء السنة الجزائريين من التصوف في القرن الحادي عشر هجري عبد الكريم الفكون أنموذجاً، المعيار، مج 18، ع 35، جوان 2014، ص 8.
- 2 أحمد بوشريط، نفس المرجع السابق، ص 91.
- 3 يمينة سعودي، نفس المرجع السابق، ص 58.
- 4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 295.
- 5 رفيق حميدة، تعقبات عبد الكريم الفكون عن ابن المسيح في عمدة البيان من خلال كتابة نظم الدرر في شرح المختصر - المقدمة والطهارة - مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، مج 10، ع 1، جوان 2020، ص 560.
- 6 عبدالقادر بوزياني، حياة شيخ الإسلام...، نفس المرجع السابق، ص 173.
- 7 عبيد بدواود، تجربة عبد الكريم الفكون في التأريخ والترجمة من خلال مؤلفه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية مجلة الحضارة الإسلامية، مج 9، ع 12، جوان 2005، ص 323.
- 8 أمحمد بوشريط، ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: "منشور الهداية" أنموذجاً، مجلة عصور الجديدة، مج 5، ع 18، أكتوبر 2015، ص 90.

ومما تجدر إليه الإشارة طبيعة المناصب الرفيعة والعالية التي حصلت عليها أسرة آل فكون إمارة ركب الحج¹، حيث يقول المهدي البوعبدلي عنها: "كانت خطة إمارة ركب الحج لا تسند إلا لأمثل عالم، تراعى فيه عدة مقاييس أهمها التبحر في العلم والاستقامة إذ هو الممثل لبلاده ولنخبة علمائها حيث يجتمع بجل علماء الأقطار الإسلامية، ويتبادل معهم الإجازات و التأليف ويشارك في المناظرات العلمية التي كانت تعقد لحل المشاكل العويصة فكانت مهمة الركب في رحلاته الإفادة والاستفادة"²، وبالتالي تولي قيادة بعثة الحج مع الحق الكامل في اختيار أعضاء القافلة والاستفادة من هذه المهمة مادياً بقدر الإمكان، وإدارة جميع أوقاف الجامع الكبير الهائلة دون مراقبة ولا محاسبة وإعفاء جميع الأوقاف التابعة للعائلة وجميع أملاكها في المدينة والريف من الضرائب ومن كل الغرامات، والإعفاء أيضاً من الغرامات والسخرة وحق دخول المدينة والخروج منها وحق توفير الطعام والسكن للجنود والموظفين العثمانيين، كما تستفيد عائلة الفكون من هذه الإجراءات لخدمتها وكذلك رعاها ومساعدتها والمتصلين بها ونيل الهدايا والعطايا العقارية وغيرها والاستفادة من حق العشر من الزرابي والخشب المحمول من نواحي أوراس إلى قسنطينة والاستفادة من حق المكس على أسعار الخضار والفواكه، ومن جهة أخرى فإن جميع من يلتجأ إلى العائلة سواء من المترل أو غيره ولو خارج المدينة مصون لا يتعرض لأي عقوبة ولو ارتكب جريمة، وكل من مد شيخ الإسلام يده لحمايته لا يجوز التعرض له، كما أن لشيخ الإسلام الكلمة العليا في تطبيق الشريعة الإسلامية، والسهر عليها، وقد كان عبد الكريم الفكون في السادسة والخمسين عندما تولى تلك الوظائف حسب مذكرته المصادر التاريخية³.

ولهذا يمكن القول أنه كان يتحسس من تولى الوظائف لهم خاصة وظيفة القضاء، وذكر الفكون الحفيد في "منشور الهداية" أنه لما حضرته الوفاة اقترح عليه مكان دفنه، و من الأمكنة المقترحة الموضع الذي به أخوه قاسم الفكون فأجاب أنه ثقيل موحش و ظن أنه فر من مخالطة دفنه قائلاً: "إن سيدي كان قاضياً ولا أحب الدفن هناك"⁴.

ولما توفي الفكون الجد عام (988هـ) خلفه ابنه محمد في إمامة الجامع الكبير⁵، ويذكر مرسى الشهادة المسلمة من قبل جعفر باشا أواخر أوت عام 1581م فيها: "وقد عين لكرامة الإمام، و خطيب المسجد الكبير خلفاً لو الده المتوفى يؤدي الصلوات الخمسة، ويلقي الخطبة ويتولى كل الوظائف التي

1 عبد القادر بكاري، منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون من خلال مؤلفه: منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا، مج1، ع1، جانفي 2018، ص130.

2 البوعبدلي المهدي، عبد الكريم الفكون والتعريف بتأليفه "منشور الهداية"، مجلة الأصالة، ع 51، نوفمبر 1977، ص 15.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفس المرجع السابق، ص ص 528-529.

4 الفكون، منشور الهداية، نفس المصدر السابق، ص50.

5 نفسه، ص50.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

كان يشغلها والده، بناء عليه تحول له كل السلطات المطلقة لإدارة أموال المسجد الكبير ويعد جميع نفقاته، ويوجه جميع عامليه، ولا أحد يعترض على ما يراه مناسباً لا الموظفين في المسجد ولا القضاة ولا ممثلي سلطتنا، ولا إدارة الحبوس ولا أحد آخر¹.

ويؤكد فايستات Vayssettes على أن الفكون الحفيد قد تولى وظائف أبيه محمد مع ركب الحج وذلك بعد وفاة هذا الأخير بمويلح خلال سنة 1045هـ كما ذكرناه سابقاً، بحيث يعطينا عقد توثيقي يحدد فيها وظائف الفكون وذلك بتاريخ أول رمضان 1048هـ، جويلية 1638م²، وهذه بمثابة شهادة تسمح له استخدام الطبول والإشراف على قافلة الحج، في حين يذهب الكثير من الباحثين أن تم تكليف الفكون بقيادة بركب الحج كان ذلك بعد ثورة 1642م والتي قام بها بني عبد المؤمن³.

ويذهب الشيخ أبو القاسم سعد الله برأيه أن محمد بن قاسم بن محمد الشريف الحسني وهو جد الفكون من جهة أمه قد تولى الفتوى ونقابة الشرفاء بعد أن تجاوزت المحن التي أحاطت به، وتظاهر آل الفكون أيضاً مع عائلتي ابن باديس وابن نعمون، فمحمد نعمون هو بن أخت عبدالكريم الفكون الجد وكان أحمد بن باديس متزوجاً من أخت والده الفكون كما تزوج صاحبنا نفسه مع بنت أحمد بن حسن الغربي، الذي تقلد عدة مناصب شرعية ومخزنية في تلك الفترة الزمنية⁴.

بحيث تعتبر أسرة الفكون من الأسر الغنية التي يرجع ثرائها إلى ما قبل الوجود العثماني، وكانت تمتلك زاوية ومدرسة، وقد تنازل آل الفكون لأصهارهم آل بن نعمون بعد أن بنوا مدرسة خاصة بهم⁵. وفي هذه الزاوية دفن أبو محمد عبدالكريم الفكون، كما أن الفكون يذكر في عدة مناسبات الزاوية والمدرسة، أحياناً بغير تمييز، فكلما ذكر العلماء والطلبة الذين يقصدونه في حاضرة قسنطينة للقراءة وطلب العلم، أو الزيارة إلا وذكر أنهم نزلوا عنده في مدرسة العائلة ومرات بزوايتها، لأن أصل تأسيس الزاوية والمدارس هو من أجل خدمة الطلبة ونشر العلم وغيرها من الجوانب⁶.

وبقيت هذه العائلة لمدة تزيد عن ثمانمائة سنة وهي تحمل لواء مشيخة الإسلام في حاضرة قسنطينة أي إلى فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر، ورافق ذلك العديد من الصلاحيات المختلفة وأيضاً

1 Mercier Ernest, Elévation de la famille el Fagon. Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1878, p226.

2 Vayssettes Eugène, histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837, Paris, Bouchene, 2002, p 224.

3 Grangand Isabel, la ville emprenable une histoire sociale de Constantine au 18^{ème} siècle édition media plus, Constantine, 2004, p p 249-254.

4 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، نفس المرجع السابق، ص 41.

5 حكيم بن يلس، نفس المرجع السابق، ص 179.

6 نفسه، ص 179.

الممتلكات من عقارات وغيرها، وكذلك نجد أسرة عبد مؤمن وبمجرد ضمان الإشراف على أمور الدين بالمدينة، لم تحاول هذه الأسرة أي ابن الفكون التدخل مباشرة أو بطريقة غير مباشرة في الأمور السياسية وإنما اكتفت بالإشراف على السلطة الروحية أي الدينية¹.

3.2 مكانته العلمية:

يعد الشيخ عبد الكريم أحد أعلام عصره في العلم والتصوف والزهد والحكمة، بحيث قضى نصف حياته أو أكثر في زاوية الفكون يطلب فيها العلم والمعرفة، وبعد وفات أبيه و جده ورث عنهم إدارة شؤون الجامع الأعظم في قسنطينة، بحيث اشتغل بالإمامة والخطابة والتدريس، وهي وظائف تقليدية وراثية في الأسرة، إضافة للإشراف على الأوقاف الجامع، ومما عرف عليه فصاحة اللسان وسلامة لفظه وشجاعته الأدبية².

عرف عبد الكريم الفكون عن رجال عصره حسبما ذكره الحنفاوي نقلا عن رحلة العياشي أنه "كان رضي الله عنه في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما يقتدي به فيها، وله فيها تأليف كثيرة شهد له فيها بالتقدم أهل عصره وألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب والتردد إلى الحرمين الشريفين، مع كبر السن وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم قرأناها الله وتركناها الله، توفي بقسنطينة بالطاعون³، وكان ذو اطلاع واسع لأمّهات الكتب والمخطوطات التي جمعها شيوخ العائلة بمختلف ميادينها الأدبية والفقهية⁴.

ونجد العياشي يزيد في وصفه فيقول عنه: "ومن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدي محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع... سيدي عبدالكريم الفكون القسنطيني... على نهج أبيه وعاداته في ذلك محافظا على سلوك وسيرة والده... والحلم الوقار، فأحبه القلوب ومالت إليه النفوس..."⁵.

1 حكيم بن يلس، نفس المرجع السابق، ص-ص 176-177.

2 عبدالقادر بكاري، منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون من خلال مؤلفه: منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، نفس المرجع السابق، ص 130.

3 الحنفاوي محمد: تعريف الخلف برجال السلف طبعة مؤسسة الرسالة. تونس 1982 - ص 166.

4 فاطمة الزهراء طوبال، ظاهرة التدخين في الكتابة التاريخية في العهد العثماني مخطوط "محدد السنن" لابن الفكون أنموذجاً، مجلة الراصد العلمي، ع5، ماي 2018، ص 85.

5 العياشي عبدالله بن محمد، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الورد، ج2، تحقيق تخرّيج وتعليق الشيخ احمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2011، ص 514.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

وهذا ما يؤكد لنا الغبريني حول مكانته العلمية بقوله: "هو من الفضلاء النبهاء، وكان مرفع المقدر، ومن له الخطوة والإعتبار، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة أود، أو إصلاح حال"¹.

ويؤكد إبراهيم الغرياني القيرواني: الذي كانت بينه وبين الفكون مراسلات تدل على تلك العلاقة الوطيدة بين هذين العالمين، فذكره في شعره يحلي فيع الشيخ بد الكريم الفكون، والتي لها دلالة على رفعة منزلته العلمية، وجاء في قوله:

شَيْخٌ فَفِيهِ وَلِيَّ عَالِمٍ عِلْمٌ بِهِ افْتِخَارِي وَعَهْدِي عَنْهُ لَمْ يَحِلَّ
إِلَى قَوْلِهِ : رَبِّي يُنِيلُ مُرَادِي إِنَّنِي لَهَج فِي قُرْبَةٍ وَمُرَادِي نَلْتَقِي أَمْلِي
لِأَنَّهُ فَاضِلٌ فَاقَ الْمَنَاطِرَ فِي كَلِّ الْمَكَارِمِ مِنْ جَارٍ وَمَرْتَحِلٍ².

ويذكر المقرئ قائلاً: "سلالة العلماء الأكابر، ووارث المجد كابرًا عن كابر" وهو يقصد الشيخ عبد الكريم الفكون صاحب كتاب "منشور الهداية"، ثم يذكر أن: "له سلف علماء ذو شهرة، ولهم في الأدب الباع المديد...³"، هذا تأكيد دقيق على أن أفراد هذا البيت الفكوني عرفوا بنباهتهم وعلمهم الأمر الذي زاد شهرة.

كما يعرفه العلامة القطب الشيخ محمد بن محمد مخلوف بقوله الإمام العلامة العمدة القدوة الفهامة الجامع بين علمي الظاهر والباطن.⁴
أما أحمد بن قاسم البوني يقول عنه:

بِسِيْدِي عِبْدِ الْكَرِيْمِ الْعَالِمِ الصَّالِحِ الْفَكْوْنِ ذِي الْمَكَارِمِ⁵.
بعدها أسندت له مهمة أملاك الجامع وأوقافه، فهي مسؤولية كبيرة تحتاج إلى الدقة والاحصاء والحساب، لأنها مصدر رفعة وثناء، كما أنها مصدر حسد وغبطة، وحسب المصادر قد قام بها خير قيام⁶، ولقب بشيخ الإسلام بشكل رسمي، وأصبح مرجعية دينية إضافة أسندت له الفتوى⁷.

1 الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، ط2، 1979م، ص334.

2 نفسه، ص334.

3 المقرئ، أحمد بن محمد: نفع الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط)، 1988م، ج2، ص-ص: 480-482.

4 الصيد سليمان، نفع الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، الطبعة الأولى. الجزائر 1994 ص 21.

5 أحمد بن قاسم البوني، الدرّة المصونة، ص96.

6 عبدالقادر بوزياني، دراسة تحليلية في منهج مخطوط، نفس المرجع السابق، ص124.

7 نفسه، 127.

4.2 تلاميذه:

خلف الشيخ عبد الكريم الفكون عدد ليس بقليل من طلبته والذين درسوا وتعلموا على يده، بخصيص ان مدينة قسنطينة تعتبر حاضرة علم، وكان يتوافد عليها الكثير من طلبة العلم، وانتشرا صيت الشيخ عبد الكريم الفكون بين طلبة العلم، وبالتالي أصبح مقصد الكثير الدراسين من أجل الاخذ من علمه ومعرفته الجليلة، وتعتبر زاويته هي ملجاء ومقصد الطلبة والوافدين، ونجد من أشهر تلاميذته:

- ابنه محمد ابن عبدالكريم محمد عبد الكريم الفكون.

- أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي، الجعفري الجزائري، المتوفي سنة (1080هـ)¹، وقد ترجم الثعالبي لشيخه، وسجل ما قرأه على يديه من كتب وما أجاز به في ثبته المسمى (كثر الرواة)، وهو أشهر تلاميذ الفكون، قرأ عليه موطأ الإمام مالك والصحيحين، والسنن الأربع، والشفاء للقاضي عياض².
- أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي السجلماسي المغربي، الرحال المتوفي 1090هـ أخذ عنه علم الحديث³.

- أبو عمران موسى الفكيرين، قرأ عن الشيخ الفكون كتاب المرادي في النحو وغيره.
- أبوزكريا يحيى بن محمد بن عبدالله بن عيسى الشاوي، المتوفي سنة 1096هـ.
- بركات بن باديس من أهل قسنطينة، المتوفي سنة 1107هـ، أشار إلى أنه تتلمذ على الفكون في كتابه (نزع الجلباب)⁴.
- أبو العباس أحمد بن عمار بن داود، خطيب الجامع الأعظم بالجزائر⁵.

وكذلك نجد من أشهرهم الشيخ مخلوف قرأ عليه النحو ثم ترك العلم وراح يأخذ ويشغل بالتصوف العملي. ومنهم محمد الهاروني أصله من زاوية أولاد هارون بمتيجة وطن من عمالة الجزائر، قدم إلى قسنطينة عام 1022هـ، حيث وجد الفكون في حال بناء داره الجديدة. ومنهم أبو عبد الله البهلولي وأبو القاسم بن يحيى من جبل زواوة قرا المرادي على الألفية ففتح الله في تلك القراءة بأبحاث ووارد أفكار ما أعجب الجميع نظرا واستدلالا، فلما حصل الختم في التأليف طلبوا القراءة في غيره فممنعهم الشيخ من ذلك. وحدث عن أبي عبد الله انه أصبح له أتباع وتلامذة وحق له ذلك، لمل له من قوة الفطنة وقبول

1 حسين بوخلوة، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري، نفس المرجع السابق، ص65.

2 عبدالقادر بوزياني، حياة شيخ شيخ الإسلام...، نفس المرجع السابق، ص174-175.

3ترجمة في شجرة النور الزكية، ص314، نقلا عن عبدالقادر بوزياني، حياة شيخ الإسلام...، نفس المرجع السابق، ص175.

4 ياسين بريك، نفس المرجع السابق، ص10.

5 أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، نفس المرجع السابق، ص93.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

البحث وواسع العارضة وفصاحة اللسان. ومنهم عاشور القسنطيني، كان يحضر الإقراء على الألفية وربما يسأل المرة فكان الشيخ لا يرد له الجواب لبلادته، فكان دائماً يستشكل المسائل نحواً وفقها وكلاماً يأتي إلى الشيخ به مرة ببطاقة ومرة بالكتاب نفسه، ومرة مشافهة وقد رحل إلى تونس¹.
- علي بن داود الصنهاجي، تقلد منصب الفتوى بقسنطينة، قرأ على سالم السنهوري ويذكر أنه أجازه، وقرأ على الفكون تآليف في النحو كقطر الندى ونحوه².

- كذلك نجد أحمد الميلي: وهو ممن تعاطى خطة الشهادة، ويذكر أنه قرأ على يد التواتي والفكون الجد ومحمد بن الحسن كان إذا رأته حسبته فطناً وإذا باحثته تجده بليداً، يحفظ مسائل غراب ومشكلات صعباً ليقطع من يريد معارضته حتى سماه التواتي "كبيش النطاح" درس على الفكون المرادي وربما ساعده في حل الكثير من الإشكالات تطرح عليه أثناء قراءته كتب الحديث³.

5.2 الإنتاج الفكري والعلمي للشيخ عبد الكريم الفكون:

تموت الرجال وتبقى آثارهم، توفي الشيخ عبد الكريم الفكون عن عمر يناهز خمسة وثمانين سنة (85)، وكان ذلك في سنة 1073هـ، لكن خلف وراءه إرث من العلوم والمؤلفات والمخطوطات، التي يشهد لها التاريخ بوجودها، ويشهد لها العلماء بقيمتها وأهميتها العلمية والدينية والتاريخية والحضارية والفكرية وغيرها من الجوانب المضيئة فيها، ومن شتى المصنفات، ويبدو أن الشيخ عبد الكريم الفكون ألف أغلب بل حسب ما هو مؤكد أن جل مؤلفاته في عهد حياة والده، أي حوالي سنة 1045هـ/1635م، وخير شاهد على كثرة مؤلفاته ما قال عنه البوني في قوله :

مؤلف التواييف الكثيرة وكــــان ذا مناقــــب أثيــــرة⁴.

ترك الشيخ عبد الكريم الفكون جملة من المؤلفات للغوية والأدبية، بحيث قال عنها العياشي في رحلته: إنها مستوفاة في فهرسة الشيخ عيسى الثعالبي في كتابه: "كنز الرواة"⁵، ونجد التراجم من التأليف، بحيث يذكر أبو القاسم سعد الله أن عبد الكريم الفكون ترك مؤلفات لا يفوقه فيها إلا معاصره أحمد

1 الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ص 94.

2 نفسه، ص 92.

3 نفسه، ص 95.

4 البوني، نفس المصدر السابق، ص 96.

5 وردة مسيلي، شرح لامية الأفعال بين ابن الناظم الأندلسي (ت: 686هـ) وعبد الكريم الفكون القسنطيني (1073هـ) دراسة وصفية تحليلية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 5، ع 10، جانفي 2009، ص 150.

المقري، كما كان للعائلة مكتبة بها 4000 مجلد¹، ولكنها تحاول نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

شرح على أرجوزة المكودي في فن التصريف، ألفه سنة 1048هـ².

شرح على شواهد الشريف على الأجرومية سماه "فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن علي".

شرح جمل المجرودي ومخارج الحروف من الشاطبية .

شرح على مختصر الإمام الأخضر الجزائري في فقه المكالمة.

ديوان شعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مرتب على الحروف الأبجدية.

مخطوط النوازل.

محدد السنان في نحور إخوان الدخان³.

6.2 منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية:

على رغم الأهمية الكبيرة التي اكتسبتها جميع مؤلفات ابن الفكون، إلا أن كتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" - وهو العنوان الكامل للكتاب - قد احتل مكانة هامة لدى الدارسين والباحثين، سواء في شقه الديني أو التاريخي أو حتى في أعماق الأدب الجزائري، ولقد إهتم شيخ المؤرخين -رحمة الله عليه- الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي قام بتحقيق الكتاب وقال عنه أفضل ما ألف الفكون⁴، بحيث لقد ترجم عبد الكريم الفكون في كتابه (منشور الهداية) لبعض أجداده الذين عاشوا أثناء الحكم الحفصي بمدينة قسنطينة، بحيث لم يذكر لهم أي مشاركات أو مساهمات في الجانب السياسي. منهم الجد عبد الرحمان، ومحمد شقرون بن حليلة (جده لأمه)، وأبو زكريا يحي الفكون الذي قيل أنه التقى خير الدين بتونس⁵، لهذا رأيت أن أبحث و أتطرق إليه بشيء من التفصيل للتعريف بمحتواه وظروف وأسباب تأليفه.

ضمن الشيخ عبد الكريم الفكون كتابه منشور الهداية مجموعة من التراجم بلغت 75 ترجمة لعلماء قسنطينة وناحيتها في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، وسجلها في شكل مذكرات وتقاييد على مراحل مما جعلها قد تقصر أو تطول، ولا تخلو من التكرار والاستطراد وتداخل التواريخ، فقلما

1 بلخوص الدراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، منكرة من أجل الحصول على شهادة الماجستير، فرع تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012، ص31.

2 ياسين بريك، نفس المرجع السابق، ص11.

3 الصيد سليمان، نفع الأزهار، نفس المصدر السابق، ص23.

4 عبيد بوداود، نفس المرجع السابق، ص324.

5 المنور عواد، البيوتات العلمية في قسنطينة، البيت الفكوني أنموذجاً، مجلة الحضارة الإسلامية، مج20، ع2، ديسمبر 2019، ص502.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

يذكر تاريخ الولادة، وقد يترك تاريخ الوفاة بياضاً، إذا لم يتوفر لديه، وقد انتهج فيها طريقة خاصة، تتضمن أخباراً لطيفة وأراء شخصية صريحة تسببت له بعد ذلك في مضايقات ومشاحنات، وهذا ما أشار إليه في قوله: "رمتني من أجله العيون، وانحقد علي بغیضي القلوب وأكثر الشؤون"¹. ويهدف ابن الفكون من خلال كتابه منشور الهداية أساساً لهدف إصلاحي فهو يتحسر على مجتمعه الذي انتشر فيه الجهل والفساد والزندقة والنصب والاحتیال²، وتلاشت فيه القيم والمبادئ بحيث يصف أهل زمانه على حد قوله³: "لما رأيت الزمان بأهله تعثر، وما سفائن النجاة من أمواج البدع تنكسر، وسحائب الجهل قد أظلتها، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيساً، والعالم في مترلة يدعى من أجلها خصيصاً، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأس لائحة، وروايح السلب والطرده من المولى عليه فائحة"⁴.

وفي مكان آخر يذكر عصره الذي يتميز بفساد الخاصة ورقاد العامة بقوله: "وزماننا الذي فاض فيه عباب الجهل والدعوى وطلقت كواكب البدع والأهواء فلا ترى إلا مدعياً في العلم أعلى منصبه، ومرتباً في شامخ التربية، أرفع فتنة وجعلوا الطريقتين العلم والتصوف شباكاً لتحصيل الدنيا المنصوبة وحبالات لجمعها بأوتاد مضروبة، وما نظروا على عاقبة الأمر عقابه والوقوف بين يدي العالم بالخفيات ودقة حسابها، ونسأل الله العافية وصلاح حال الأمة"⁵.

وهذا ما جعله يتصدى لما كان يسميه (الطائفة البدعية)، ويبيدي غيرته على الدين والأخلاق، فاعتبر ما كتبه واجباً، إذ يقول "هذا الجهاد هو الذي أحد من السيف في نحور أعداء الله، وناهيك بهم أعداء... فعظم الباحث على النصح هذا التقيد"⁶.

وقد كان في معظم ما كتبه مستنكراً للبدع والشعوذة والخرافات، وجاءت دعوة سلفية ضد الذين حادوا عن سبيل الشرع الصحيح ومسلك الجماعة، وقد أفصح عن هدفه هذا بقوله: "والبر بتأليفه أردت وإرشاد الأمة ونصحها قصدته"⁷.

وقد اشتمل منشور الهداية على أربعة أصناف من التراجم لكل صنف فصل خاص به، إذ خصص الفصل الأول من مؤلفه "في من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم، ومن قبل زمنهم ممن نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواتراً"، أردنا التنبيه عليهم وذكر ما كانوا عليه وزمان وتواريخ وفاتهم، ويذكر أن

1 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية... تحقيق أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 31.

2 ياسين بريك، نفس المرجع السابق، ص 12.

3 عبدالقادر بكاري، منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون... نفس المرجع السابق، ص 132.

4 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية... تحقيق أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 31-32.

5 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية... تحقيق أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 32.

6 نفسه، ص 33.

7 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية... تحقيق أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 33.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

الذين التقى بهم أو سمع عنهم وعددهم أربعة وعشرون، أشهرهم عمر الوزان، يحي الأوراسي، محمد العطار أحمد الغربي، محمد الكماد، علي بن يحي الياوروي، أحمد بن تكفة محمد بن حسن، عبد اللطيف المسبح، بركات المسبح، علي المرواني علي الغربي، أبو القاسم العطار، بركات بن سعيد، محمد التواتي، سليمان القشي، النقاوسي، عبد العزيز النفاطي، محمد القاسي، مضيفا إليهم آل الفكون المتقدمين وهم يحي وقاسم وجده عبد الكريم ووالده محمد¹.

وما يشد الانتباه والغرابة هو أن الفكون لم يذكر التواريخ الميلاد وحتى الوفاة إلا لفئة قليلة منهم، ويبدو لنا أنه كان من المفترض الإشارة إلى التواريخ وفاتهم وهذا لكونهم عاشوا قبله وماتوا خلال حياته².

أما الفصل الثاني: فقد خصصه لمن تولوا المنصب الشرعية والدينية وهم لا ينسبون إلى هذا، وغير أهل له فكانوا مدعين العلم أو متشبهين بالعلماء³، باستثناء القليل منهم الذين تتوفر فيهم شروط تولي الخطابة والتدريس حسب رأي الفكون، وعددهم اثنان وعشرون أشهرهم: محمد بن القاسم الشريف، يحي بن باديس، احمد الجزيري، محمد السنوسي المغربي، محمد بن نعمون، عبد اللطيف بن سعيد⁴.

أما الفصل الثالث: فهو عبارة عن تراجم لمن ادعى الولاية⁵ بحيث وصفهم عبد الكريم ابن الفكون بالدجاجلة الكذابين والمنشقة المبتدعة الضالين المضلين⁶، وهم خمسة عشر، اشتهر منهم: "سيدي قاسم بن أم هانئ"، "أحمد بوعكاز"، "الحاج الصراوي"، "الشيخ طراد"، "سيدي الجليس"، "عبد المالك السناني"، "العابد الشابي"، ألحق بهم "محمد السادي البوني" رغم علمه وورعه وقد أخذ عليه تصرفات كانت منه ونسبت إليه⁷.

وختام الفصول الثلاثة هناك فصل ختامي ختم به ابن الفكون كتابه منشور الهداية ذكر فيه بعض الأصحاب والمقربين منه الذين وصفهم بإخوان العصر ويقصد بذلك الذين عايشهم وعاصرهم، والذين لهم صلة بالشيخ عبدالكريم الفكون⁸، وعددهم أحد عشر وأغلبهم خارج قسنطينة مثل الشيخ بلغيت القشاش،

1 عبد القادر بكاري، منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون... نفس المرجع السابق، ص 133.

2 عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، أنظر إلى: أبو القاسم سعد الله، ص 176.

3 محمد بوشريط، نفس المرجع السابق، ص 94.

4 يمينة سعودي، نفس المرجع السابق، ص 62.

5 الولاية: هي الحصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة، وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حسن الكائنات، فيبقى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، فأولها التمكن من الفناء، ونهايتها تحقيق البقاء، وبقاء البقاء، ويبقى الترقى والاتساع فيها أبداً سرمداً إلا ما لا نهاية له، أنظر إلى: نورالدين غرداوي، نفس المرجع السابق، ص 45.

6 بوشريط محمد، نفس المرجع السابق، ص 95.

7 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 2. ص 356.

8 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية... نفس المصدر السابق، ص 14-15.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

أبي العباس حميدة بن باديس، أحمد المقري، محمد بن ناجي، محمد بن الموهوب، محمد وارث الهاروني، على بن عثمان الزواوي وأحمد بن الحاجة الميلي¹.

يحتوي مخطوط منشور الهداية لعبد الكريم محمد لابن الفكون معلومات قيمة تبين لنا الواقع الثقافي والاجتماعي إضافة الى الحياة السياسية أي نظام الحكم في بايلك الشرق، والعلاقات العامة في تلك الفترة الزمنية الذي كان يمتد ما بين القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، السادس عشر والسابع عشر للميلاد، إذ يمكن التعرف من خلال هذا المخطوط على الجوانب الثقافية والحياة العامة الدينية في الجزائر عامة وبايلك الشرق خاصة، إضافة إلى الوضعية التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني²، ومناهج وطرق التدريس وكيف تمنح الإجازة للطلبة المتخرجين، ويمكننا الاطلاع على أهم المؤسسات التعليمية، مثل الكتاتيب والزوايا وغيرها، وأهم الإنتاج الفكري والعلمي للعلماء ونشاطهم بالخصوص في الجوانب الثقافية منه، وعلاقة هذه الفئة بالحاكم العثمانيين وما كانت تمارسه السلطة من تضمين عليهم، كما يصف المؤلف نفوذ تلك الأسر التي توارثت العلم واشتهرت بظاهرة التصوف كظاهرة دينية اجتماعية إن صح الوصف، ومدى تأثيرها على واقع الثقافة والحياة العلمية والفكرية، أما الحياة الاجتماعية والاقتصادية فهي تظهر من خلال المؤشرات العديدة التي تضمنها مخطوط منشور الهداية مثل إشارته إلى موسم الجفاف والقحط والمجاعة (1602-1611-1647) والمراحل الزمنية التي ظهرو انتشرت فيها الأوبئة خلال هذه السنوات حسب ما جاء في المخطوط: (1602-1622-1634-1644-1680)، وكذلك يذكرهم أسماء القبائل والأعراش والعائلات منها: (الغربي ابن باديس، العطار، الفكون، الموهوب، ابن نعمون، الحركاتي، المسيح) بالإضافة إلى المناصب المخزنية وطبيعة السلطة المحلية وعلاقتها بالسكان واتصالها بالعلماء، أما عن الجانب السياسي ومن خلال مخطوط منشور الهداية بحيث يصف لنا تلك التمردات الكثيرة وما ارتبط بها من عمليات اضطهاد من طرف السلطة الحاكمة ومتابعات للسكان، وهذا إن دل فإنما يدل على التوتر في العلاقات بين الأهالي والسلطة الحاكمة، وقد وردت إشارات في منشور الهداية على تمرد يحي الشاوي بعد سنة 988هـ/ 1545 م وخالد بن نصر شرق قسنطينة قبل (1045 هـ) ومحمد بن الأحسن النقاسي وأحمد السوسي المغربي وإلى مهاجمة سكان قسنطينة للحامية التركية 1075 هـ / 1567 م³.

ويذكر الشيخ عبد الكريم الفكون في "منشور الهداية" أن أمه كانت شريفة حسينية من عائلة محمد بن قاسم الشريف الحسني (عاش في القرن 10هـ/16م) الذي كان متولياً وظيفته الفتوى مزوار الشرفاء بقسنطينة-أي نقيب الأشراف بحيث يقول ابن الفكون: "ومن أهل الفتوى الجد للأم مزوار الشرفاء أبو

1 عبد القادر بكاري، منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون، نفس المرجع السابق، ص133.

2 عبدالعزيز الهادي، الخطاب الديني الاصلاح في العهد العثماني الشيخ عبد الكريم الفكون (988-1073هـ)-

(1580-1662م) نموذجا، أفاق فكرية، مج10، ع1، ماي2022، ص282.

3 يمينة سعودي، نفس المرجع السابق، ص64.

عبد الله محمد بن قاسم بن محمد شقرون الشريف الحسني أبو والدتي، تصدر للفتوى في زمن الجد .. يقصد الشيخ عبد الكريم - وكان له فضل معرفة وادراك¹.

ويبدو أن الفكون أخذ في تسجيل مذكراته خلال العشرينات من القرن الحادي عشر الهجري والدليل على ذلك أنه أرخ لمرض خطير حل به وألزمه الفراش خلال سنة 1025 هـ (1616م) وقد دام معه المرض ثلاث سنوات وبدأ يخف عنه خلال سنة 1028/1029 هـ و أشار إلى زيارة المولى علي إلى قسنطينة قادمًا من السلطة الأحمدية وقد تولى السلطان أحمد العثماني بين (1013-1027هـ) (1604 - 1617م) فتكون الزيارة المذكورة قد تمت خلال هذه الفترة، ثم إن الفكون استعار من مراسلته مع أحمد المقري أبياتا ضمنها منشور الهداية، والمراسلة وقعت في عام 1038 هـ والمعروف أن المقري توفي عام 1041هـ².

والفكون يسمي تأليف أحيانا تأليف وأحيانا تقييدا ديوانا والنا الذين تعرض لهم يسمى حيام تارة ترجمة وتارة فهرسة وتارة سيرة، ثم إنه كان يلتزم طريقة معينة في تراجمه فبالإضافة إلى الاستطراد فإنه كان يطيل ترجمة البعض حتى تتجاوز الترجمة الواحدة عدة صفحات وأحيانا يكتفي ببضعة أسطر في الورقة الواحدة، وقد يناقش قضية كلامية أو صوفية طارحا الأسئلة ومجيبا عندها دون أن يكون في ذلك علاقة بالترجمة التي يتناولها، وكثيرا من التراجم التي تعرض لها تشمل جيلين أو ثلاثة، فهو يذكر فلانا وبعد انقطاع بتراجم أخرى يذكر ابنه وبعد انقطاع آخر يذكر حفيده وهكذا الأمر بالنسبة لعائلات بأكملها منها عائلة الغربي، ابن باديس، ابن العطار، وابن نعمون فيعطي صورة عن توارث العلم أو التصوف في الأسرة الواحدة وليس ذلك مقصورا على قسنطينة ولكن بالنسبة للأقاليم والأرياف الأخرى³. والجدير بالذكر أن من أبرز من ألف على هذا الوتر الذي إتبعه الشيخ عبد الكريم الفكون هو العلامة ابن مريم التلمساني في كتابه "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" وكذلك نجد ومحمد بن سليمان "كعبة الطائفين" فالثلاثة ذكروا تراجم العلماء والفقهاء والأولياء. مع ملاحظة أن ابن مريم لم يترجم لمعاصريه، وأنه هو وابن سليمان راحا يغرقان في إثبات الكرامات إلى أن تصبح غير معقولة أحيانا أي نجد فيها المبالغة في هذا الجانب، وفي اعتقادنا هذا يفسد العقيدة، عكس الفكون الذي ميز بين الأولياء بحق وأدعيا وإن صح القول أن شيخ الإسلام إلتزم بوسطية في الدين⁴.

✓ **الحياة الاجتماعية:** يعرفنا كتاب (منشور الهداية) على بعض الطبقات الاجتماعية المتكونة من الأجناد الأعراب وطبقة خاصة وعن علاقة التي تربط تلك العلاقات بالسلطة المحلية والمركزية⁵.

1 الفكون، نفس المصدر السابق، ص68.

2 عبد الكريم الفكون : منشور الهداية، نفس المصدر السابق، ص15.

3 نفسه، ص16.

4 الحسين بوخلوة، أحمد الحمدي، نفس المرجع السابق، ص71.

5 محمد بشريط، نفس المرجع السابق، ص98.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

وعلى رغم من كل هذه الامتيازات التي يتميز بها كتاب منشور الهداية لمؤلفه ابن الفكون وما يحتويه من أهمية تاريخية وأدبية فقد ظل مخطوطاً، رغم أنه ذكر من قبل كل من فايسات E Veyssette وشاربينو Cherbonneau، كما نقل منه أبو القاسم الحفناوي في تعريف الخلف برجال السلف إلى أن قام بتحقيقه والتعليق عليه والتقديم له الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله اعتماداً على مخطوطة نادرة للشيخ أمير مما سهل الانتفاع به، ويمكن الباحثين من الرجوع إليه وبالتالي فهو مرآة نرى منها جانبا من حياة أجدادنا في عصر ساد فيه الغموض والفوضى.

لم يكتفي عبد الكريم الفكون في تأليف النثر (منشور الهداية) فقط بل له أعمال أخرى في التصوف جديرة بالذكر من ذلك قصيدة له في التوسل بالله سماها سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل أولها¹.

بأســــــــمائك اللهم أبــــــــدي توســــــــلا
فحقق رجائــــــــي يسا إلهــــــــي تفضــــــــلا.
وهو النوع الأول في التوسل إلى الله بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه التابعين والفقهاء والأولياء.

ولعل أهم عمل كتبه الفكون في هذا الباب هو ديوانه الذي خصصه لمدح الرسول فقد نظم عدة قصائد في هذا المعنى بحيث رتبها على حسب الحروف الهجاء مضمناً كل حرف من الحروف حرفاً تقرأ من أول كل بيت وأول كل بيت في الحرف وتجمع بحيث يخرج منها "اللهم اشفني بجاه محمد، أمين" وهو الديوان الذي رآه العياشي واخبر أن الفكون قد كتب عليه ما عمد به عند الغمة وساعة الغياهب المد لهمة، والتزم فيه أن يجعل مبدأ كل سطر حرفاً من حرف "إلهي بحق الممدوح (اشفني، أمين) وقال العياشي أن جملة ذلك خمس وعشرون من كل قصيدة².

بــــــــدرا بــــــــدرت الخــــــــافقين ســــــــعوده
نــــــــور بــــــــه الأكــــــــوان أضــــــــحت تــــــــلاً
لــــــــه في العــــــــلى أــــــــلى العــــــــلى رُتــــــــبة وفي
مــــــــراقــــــــي ذرــــــــى العرــــــــقان قــــــــدمــــــــا مــــــــبــــــــو
أضــــــــاء وُجــــــــود الكائــــــــنات ببعثــــــــه
وطلعتــــــــه الغرــــــــى مــــــــن الشــــــــمس أضــــــــو³.

إلا ان وصل الى خمس وعشرين بيتاً في حرف الهمزة، ونفس عدد الأبيات في حرف الباء، ومثله في كل حرف من الحروف الهجائية، وقد أخبر العياشي أيضاً الفكون قد انتهى من هذا الديوان سنة 1031هـ، أي قد بلغ من العمر ثلاث وأربعين سنة، فمساهمة الفكون في باب التصوف مساهمة كبيرة، سواء كمنتج أو ناقد لأصحابه⁴.

✓ مصادره:

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص140.

2 نفسه، ص141.

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفس المرجع السابق، ص140.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفس المرجع السابق، ص141.

إعتمد عبدالكريم الفكون على مجموعة وجملة من المصادر المتنوعة في المؤلفات التي كانت رائجة في الوسط العلمي والفكري، وفي حلقات الدروس في زمانه، ولعل من المصادر التي إعتمدا عليها ابن الفكون في تأليف (منشور الهداية) نذكر مايلي:

- المدخل لمحمد بن الحاج أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت 737هـ/1337م)، وهو كتاب مدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبية على بعض البدع التي إنتحلت وبيان شناعتها وقبحها.
- حسن أحمد بن عبدالله بن البنا الحنبلي الطرطوشي البغدادي، الرد على المبتدعة كتاب أراد مؤلفه التقرب إلى الله بقمع أهل البدع والأهواء وكشف عوراتهم وهتك أسرارهم.

المنظومة القدسية لأبي عبدالرحمن سيدي الصغير بن محمد الاخضري البنطيوسي (953هـ/1546م) صاحب الجوهر المكنون في علم البلاغة هي منظومة بديعة في آداب السلوك وتسمى بالمنظومة القدسية في طريق السنة، تذكر أحوال المتصوفة في القرن 10هـ/16م، تدعو إلى التمسك بالعلم ونبذ البدعة والعمل بالكتاب والسنة وتحتوي على 364 بيتا طبقت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية¹.
كما استشهدا بفتاوي السباطي وأراء الغزالي ومقولات البسطامي ورسائل زروق ومرويات أبي الحسن الشاذلي وغيرهم.

-اعتماده أيضا على القرآن الكريم في قوله تعالى: "عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ...."².

7.2 موقف الشيخ عبد الكريم من التصوف والمتصوفة والطريقة:

يعد عبدالكريم من المتصوفين، ويذكر أنه كان شاذليا زروقا، وهو لا يخفي ولا ينكر ذلك، بل بالعكس يجهر به في غاية الصراحة والصدق، وكان يسير على مقتضى تعاليم الطريقة الشاذلية والطريقة الزروقية في آرائه وأفكاره وحتى سلوكه، ويبدو أنه تأثر بهذه التعاليم من عدة مصادر³، منها أنه أخذ تعاليم هذه الطريقة عن والده عن جده عن عمر الوزان الذي قال فيه الفكون أنه دعوة الشيخ الصالح أبي العباس أحمد زروق⁴، الذي كان يأتي مع طائفة من التجار كل سنة إلى مدينة قسنطينة، قادما من المغرب، وكان والده عمر الوزان يعمل جابيا للضرائب بباب المدينة، ولمكانة الزروق، يذكر أنه كان يعيفه من دفع الضرائب، وقد حضر ذات مرة فلم يجد والد الوزان، فسأل عنه، فأخبر أنه قد رزق

1 علاء الدين زعموشي، نفس المرجع السابق، ص 39.

2 البقرة، الآية 239.

3 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، نفس المرجع السابق، ص 109.

4 هو أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي بزروق (846-899هـ) آخر الأئمة الصوفية المحققين الجامعين بين الحقيقة والشريعة له عدة مؤلفات خاصة في التصوف ولعل من أبرزها "شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشرح مشكلاته"، يمكن الرجوع إلى: الفكون، منشور الهداية، نفس المصدر السابق، ص 35-36.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

بمولود، واشتغل بوليمته، فقصده إلى داره وحمل الولد في كفه، وأخذ يدور به الغرفة وهو يتمتع له بكلام صوفي وأدعية، مفادها أن عمر الوزان سيكون من أهل العلم والصلاح في قومه¹. ويبدو أن هنالك الكثير من الأدلة الأخرى التي تثبت أن الفكون كان متأثراً بالطريقة الزروقية، حيث ذكر أنه قرأ على يد الشيخ يحي الأوراسي الذي أخذ الطريقة عن شيخه الطاهر بن زيان الزواوي عن أحمد زروق²، كما نجد الفكون متأثر أيضاً بصورة كبيرة بالشيخ عبدالرحمان الأخضرى وقد استشهد بأبيات قصيدته المشهورة بالقدسية التي انتقد فيها إنحرافات الصوفية³. فالتصوف الحقيقي عند عبدالكريم الفكون قائم على أسس علمية وعملية والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة، والإبتعاد عن مغريات السياسة والسلطة وكل ما تعلق بالحكم، وعلى الرغم من هذه الشروط قد تبدوا وتظهر خيالية، فإن هناك شواهد كثيرة على وجود من توفرت فيه، ولعل عبدالرحمان الثعالبي والأخضرى إضافة إلى عمر الوزان خير شاهد على ذلك، فهم قد أضافوا إلى العلم الزهد والتصوف، وبالتالي في نظر الشيخ عبدالكريم الفكون أن تصوفهم صحيح لأنه ينطلق من عقيدة مؤسسة بالعلم.

ويرى ابن الفكون أن إهتمام بعضهم بعلوم الباطن فقط يعتبرون منحرفين عن الطريق الحقيقي للتصوف، وهذا ما حدث لدى الكثير في عصر عرف الكثير من الجهل والتخلف، فقد ظهرت فئة تدعي دعوات ضالة ومضرة بالمصالح العامة، وعلى الرغم من هذا الأخير لم يوقفوا عند حدهم بل سمح لهم بالنشاط والنمو وانتشار الفوضى الدينية مع كثرة الخرافات وحلول السحر محل العلم⁴. بحيث نجد الفكون نقل عن الشيخ الزروق أن العلم الصحيح قد طوي، وقد بدأ الإنحراف في التصوف منذ ما يزيد عن 200 سنة، ونقل الزروق عن بعض المشايخ أن التربية رفعت في سنة 824هـ⁵.

ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قاسم أم هاني فقد إتخذ طريق الشعوذة، لكي يرد ما كان لأسلافه من زكاة وأعشار، ويذكر عنه بدأ بإكثار من الصوم والصلاة وبالغ فيهما، وقام بلبس المرقعة، حتى أشتهر أمره بين الناس. وذكره الفكون وقد سرد سلوكه والأفعال التي كان يقوم بها مستنكراً عليه ذلك، بحيث يقول فيه: «فأظهر إذ ذاك البدعة، أشهر الخدعة نوجعل تلامذه سماهم الفقراء، على طريق أهل البدع واتخذوا

1 عبدالكريم الفكون، منشور الهداية، نفس المصدر السابق، ص 36.

2 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، نفس المرجع السابق، ص 110.

3 حسين بوخوة، عبدالكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره (988هـ-1073هـ) (1580م-1663م)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة السانوية، وهران، 2008-2009، ص 73.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 482.

5 حسن بوخوة، نفس المرجع السابق، ص 76.

الحضرة... يجتمعون للذكر المولى جل جلاله فيغيرون اسمه ويرقصون، وربما يتضاربون، فتراهم ككلاب نابحة ولعابهم كمياء طافحة... لا يفرقون بين واجب و مندوب ولا محرم ومكروه، ويعتقدون أن ما هم عليه من الحق الواضح والطريق الأقوم الراجح...¹، ويبدو أن ابن الفكون لاحظ أفعال هذه الفئة المتصوفة أنها لبست لباس الدين من أجل قضاء مصالحهم والدفاع عنها بحجة طاعة الله. ومن تصرفات هذا الأخير أنه إذا رأى فرساً جميلة يذهب إلى صاحبها ويقول له إياك أن تتبعها، ثم يأخذها منه إما بدن ثمن أو بثمان بخس، وإذا رفض صاحب الفرس هذا العرض يهدده الشيخ بالنكبات.

ونجد أمثال قاسم كثير منهم، فهذا الشيخ محمد الحاج بدأ حياته في نواحي أم دكال متنسكا ومعتزلاً عن الناس، ثم ظهر في البوادي واتخذاً زوايا ورعايا تزي عليه ويأخذ الأعراس والجبايا، وأصبح هو يولي من يشاء ويعزل من يشاء، ويعطي العهد ويمنع وكان أتباعه يحلفون برأسه، وكان الجليس قد ظهر عليه الجذب وكثر الخنا على لسانه والتفوه به، كما يقول الفكون أمام الذكور والإناث على السواء وكان يأكل الحشيشة ويعطيها لمن يزوره، بل يلزمه بأكلها، وعندما مات له قط أسف عليه وصنع له كفناً وجعل مشهداً ومدفناً، والغريب أن خاصة وعامة قسنطينة قد جاؤوا للجنائز وتغزية الشيخ في فقيده².

ونجد ابن الفكون يعرف بسلطنتن المجدوب، ومحمد الزعلاني إذ يقول: "استعمالهما الحضرة ومخالطة النسوان، وتصديهما لإعطاء العهد وقبول ما يأتيهم من أيدي اللصوص وتناول مال الظلمة... وكثيراً ما يتعاطون أخذ أموال المسلمين المسمى عندهم (بالوعدة) ولا يبالون من أي وجه أخذه ولا من أي يد تناولوه"³.

ويبدو أن الشيخ عبدالكريم ابن الفكون قد خصص فصل لابن الحاج صاحب المدخل يستنكر فيه التساهل في إعطاء الإجازات للفقراء، ولو سألته عن فرائض الوضوء وسننه أو فضائله، وكذلك في الغسل أو التيمم أو الصلاة جهل ذلك غالباً.

كما نلاحظ أن ابن الفكون قد وجه انتقاداً شديداً للهجة على ظاهرة الإختلاط بين الرجال والنساء إلى الحد الوقوع في المخالفات الشرعية، وعندما عرف بعبد الله بوكلب الذي تعلق بإمرأة وتعلقت به حتى أنها كانت تبيت عنده وحملت منه، فقالت إن الأولياء أعطوها لها، فانظر إلى هذا الانتهاك العظيم للحدود الله، والابعد من ذلك في نسبة أولياء الله وأهل صفوته إلى قبائح وخبائث⁴.

وبالتالي الشيخ الفكون كان له موقف واضح وصريح من الانحرافات التي يقوم بها المتصوفة، إذ روى عن الغزالي ما قاله عن انحراف متصوفة زمانه وسر خصالهم الخارجة عن دائرة التصوف

1 عبدالكريم الفكون، نفس المصدر السابق، ص 120.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 482.

3 عبدالكريم الفكون، نفس المصدر السابق، ص 160.

4 حسين بوخلوة، عبدالكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره، نفس المرجع السابق، ص 103.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

الحقيقي فقال: "... هكذا نجد أن بعض الدراسين قد شعروا بتريدي الأحوال الصوفية وضعف الأخلاق بالمقارنة إلى الأزمنة الغابرة ،لانكاد نجد من الثوار الذين رفعوا صوتهم ضد انحراف التصوف عن جادته الحقيقة ،إلا بعض الأصوات ،وكان أقوالها بدون ريب هو صوت عبدالكريم الفكون ،فهو انتقد متصوفة عصره بشدة ،ورمى معظمهم بالزندقة ،واتخاذ التصوف ذريعة للوصول إلى الدنيا واستغلال عقول العامة"¹.

ونجد الشيخ عبدالكريم الفكون قد أكثر من الإستشهاد بالقدسية للأخضري،حتى كاد يذكرها ومن

الأبيات التي ذكرها:

وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصَّوْفِيَةِ مَقَالَةٌ جَائِيَةٌ صَافِيَةٌ
إِنْ رَأَيْتَ رَجُلًا يَطِيرُ أَوْ فَوْقَ مَاءِ الْبَحْرِ قَدْ يَسِيرُ
وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ فَإِنَّهُ مَسْتَدْرَجٌ وَيُدْعَى

وقال أيضا:

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْخَارِقَ الرَّبَّانِي لَتَسَابِعِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْإِفْكِ وَالصَّوَابِ يَعْرِفُ بِالسُّنَّةِ وَالْكِتَابِ
وَالشَّرْعِ مِيزَانَ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَشَاهِدَ لِفِرْعِهَا وَأَصْلِهَا

إذ يعتبر كتابه "منشور الهداية" أهم مؤلف تجلى فيه تدمره من بعض المتصوفة زمانه وقد أعتبروا الفكون جميعاً أنصار وحلفاء حزب الشيطان على حد وصفه، بحيث قام بالدفاع عن حزب الله والجهاد في سبيله بكشف فسادهم وانحرافهم على حد قوله: "... وصاحب أهل الطريقة قد أصبح أعلام الزندقة على رأسهم لائحة ،ورائع السلب والطرده من المولى عليه فائحة، إلا أنهم أعني الطائفتين تمسكوا من دنياهم بمناصب شرعية، وحالات كانت قدما للسادة الصوفية، فموا هو على العامة بأسماء يقسم بهم في مسمياتها... وربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق ،وقسما يقسم بهم في البر والعقوق..."³.

ويقول أيضا: "... صوفية سوء بأعراض الدنيا موسخون عظمت الدنيا في قلوبهم فأسرعوا إليها طلبا أو قال فلا يرون فوقها طلبا ،وصغر الحق في نفوسهم فأعجلوا عنه هربا ،لاعلم على الحرام يردهم ،ولاورع عن الشبهات يصددهم ،ولا زهد عن الرغبة في الدنيا يصرفهم ،حافظوا على السجادات والمرقعات والعكاكز ،وأظهروا السبح المزيينة كالعجائز ،اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ،ولازموا الخلوة والرياضات لما يأتي إليها من حلال وحرام ،وسعوا أذانهم وسمنوا أبدانهم".

1 أبوالقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص474.

2 الفكون ،منشور الهداية، نفس المصدر السابق، ص222-223.

3 عبدالكريم الفكون ،نفس المصدر السابق، ص135.

ويبدو ان ابن الفكون ومن هذا المنطلق بأن الصلاح المؤدي إلى معرفة الله والقرب منه ليس هو التوسط واتخاذ الحضرة والجدب والكرامة وغيرها من هذه الأفعال، ومما كان شائعاً في عصره، ولكنه هو اتباع الكتاب والسنة إضافة إلى إجتماع الأمة¹.

إن انحراف بعض العلماء إلى التصوف ربما زاد في حدة الصراع، فهذا الفكون كان في أخريات أيامه منقبضاً منعزلاً عن الناس، ومجانباً لعلوم أهل الرسوم بعدما كان إماماً يقتدي به فيها، وتأليفه شاهد له بالتقدم على أهل عصره وألقى الله في قلبه ترك ذلك العكوف على حضرته بالقلب والقالب والتردد للحرمين رغم كبر سنه².

ويؤكد في رسالته التي أرسلها إلى المقرئ (1041هـ/1631م) إذا يقول فيها: "...ولا أريد إلا الإصلاح الدعاء وطلبه منكم، فإنني أحوج الناس إليه، وأشدهم في ظني إحتاجاً عليه، لما تحققت من أحوال نفسي الأمارة، واستنبطت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة، كأنها عميت عن الأهوال، التي أشابت رؤوس الأطفال، وقطعت أعناق كمل الرجال، فتراها فيلجج هواها خائضة، وفيميدان شهواتها راكضة، طغت في غيها وما لانت، وجمعت فما إنقاذت ولا استقامت..."³.

فالفكون في اعتقده لم يسلم من الخرافة ومن سيطرة العقائد المعاصرة، ذلك أنه طالما ذكر أشياء تبدوا لنا اليوم غير عقلية، وهي لا تنسجم مع ما كان يدعو إليه من تحكيم واستخدام العقل، وإتباع الكتاب والسنة المحمدية، ورفض ونبذ وإنكار البدع والعقائد الفاسدة، فقد ذكر عدداً من المرائي المنامية وتحدث عن كرامات رجال التصوف وأظهر التصديق لها والإيمان بها في حين أنكروا ما كان يدعيه الآخرون من كرامات وخيالات ويعتبر ذلك خبالاً في العقل وتصورات وروحانيات وغيرها الأشياء⁴.

8.2 القيمة العلمية والتاريخية لمخطوط منشور الهداية:

للكتاب منشور الهداية قيمة كبيرة جداً، وهذه القيمة ميزته عن باقي الكتب الأخرى التي ألفها هو وغيره، ولعل قيمته تكمل في أنه ليس كتاب تراجم بمعناه القديم، وهذا إحتوائه على لمسات خاصة إنسانية، وأخبار عن شخصيات أخرى كما أنه تناول نماذج⁵، عن حياة وأخبار العلماء في القطر الجزائري والبلدان الإسلامية القريبة أو البعيدة. إضافة إلى هذا تكمن قيمة (منشور الهداية) في كون ابن الفكون (المؤلف) يقدم لنا معلومات قيمة عن أعيان عصره ممن سكنوا حاضرة قسنطينة وممن إستقروا في ربوعها من الأحياء أو حتى ممن مروا بها⁶.

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص476.

2 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، نفس المرجع السابق، ص115.

3 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، نفس المرجع السابق، ص141.

4 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، نفس المرجع السابق، ص141.

5 عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، نفس المرجع السابق ص179.

6 نفسه، ص179.

كما يعتبر كتاب (منشور الهداية) قيم بحيث شملت جوانب حضارية عديدة وهي كما يلي : الحياة الثقافية: نستشف ذلك من خالل تراجم العلماء الذين تنوعت إتجاهاتهم العلمية، إذ شملت العلوم الشرعية ومنها الفقه والحديث و أصول النحو بمعنى أنها ضمت العلوم العقلية والدينية ويظهر هذا واضحا من خالل بعض الذين ترجم لهم¹.

مثال الشيخ عمر الوزان كان بحرا ال يجارى في العلوم فقها وأصولا ونحوا وحديثا كما يعرفنا على أهم المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في ذلك العصر منها المساجد، والتي كانت تعقد بها حلقات العلم ، والزوايا مثل ز اوية أو الد الفكون، وكذا المدارس والتي بناها جد المؤلف عبد الكريم الفكون

✓ الحياة الاجتماعية: يعرفنا كتاب (منشور الهداية) على بعض الطبقات الاجتماعية المتكونة من الأجناد الأعراب وطبقة خاصة وعن عالقة التي تربط تلك العالقات بالسلطة المحلية والوطنية² .
✓ الحياة العسكرية : حيث يعرفنا بأهم الوقائع والأحداث التي شهدتها الجزائر ومنها فتنة قسنطينة وثورات الأوراس.

9.2 وفاته:

توفي شيخ الإسلام عبدالكريم الفكون عن عمر يناهز خمسة وثمانين سنة (85) عشية يوم الخميس السابع والعشرين، من ذي الحجة، سنة 1073هـ³، بعدما أصيب بمرض خطير ابتداء من سنة 1025هـ، الذي أبعد عن التدريس، وكان يقول فيه إذا ذكر له شيء من هذه العلوم (قرأها لله وتركتها لله).

وأخيرا نقول أن شخصية الشيخ عبد الكريم ابن الفكون من أهم الشخصيات التاريخية في العصر الحديث والتي كان لها بالغ الأثر في الحياة الثقافية والفكرية عامة والحياة الدينية خاصة، ونجد هذه الشخصية المنفردة نالت جزء كبير من الدراسات، سواء على المستوى التاريخي أو الأدبي وكذلك الديني وغيرها من المجالات، ويعود هذا إلى الإرث الثقافي الذي خلفه الشيخ عبد الكريم ابن الفكون من مخطوطات ومؤلفات ذات قيم مختلفة، ويعد هذا الأخير عالم من علماء الجزائر المتصوفة، حيث لعبت هذه الشخصية دورا في نشر العلم والمعرفة ومحاربة الخرافات والبدع.

1 محمد بوشريط، نفس المرجع السابق، ص97.

2 محمد بوشريط، نفس المرجع السابق، ص98.

3 العياشي، الرحلة العياشية، ج2، نفس المصدر السابق، ص514.

3 عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري:

لمحة بيوغرافية عن عبدالرزاق بن حمادوش الجزائري:

يعتبر ابن حمادوش من أحد الأعلام الجزائريين وأحد علمائها المشهورين في القرن 12هـ، وأحد أقطابها العلمية خلال العهد العثماني الذين شيّدوا تراثاً ثقافياً وفكرياً وعلمياً وحتى دينياً في داخل الجزائر وخارجها وهذا من خلال مكانته العلمية ومن خلال إنتاجه الفكري، والذي يتمثل في رصيد ضخم من المؤلفات والمخطوطات وغيرها التي يكون لها دور فعال في تغيير صورة الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية، وبالتالي من خلال هذه الدراسة نحاول تسليط الضوء على شخصية عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري وعن سيرته الذاتية وثقافته، وأهم مخططاته العلمية.

1.3 مولده ونشأته:

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد، المعروف بابن حمادوش الجزائري¹، ولد في شهر عام (1107هـ) الموافق (08 أغسطس) عام 1695م،² بمدينة الجزائر على الأرجح التي نسبتها إليها "الجزائري"³.

نشأ وتعلم فيها العلوم الشائعة عندئذ،⁴ حيث حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية وفنون اللغة العربية سن مبكرة،⁵ إضافة إلى الفقه والتوحيد والتصوف وأدب⁶، وتقلد بعض الوظائف الدينية.⁷ ينتمي ابن حمادوش إلى أسرة متوسطة الحال⁸، بل نلها أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى، تعود إلى الأشراف من أبناء فاطمة الله، ولقد أنشئت لهم زاوية وأوقاف خاصة، وكانت لهذه المؤسسة إدارة ووكيل، كما كان لهم نقيب يحضر في المناسبات الكبيرة مثل توليه الولاية.

1 عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، ج2، تح أبو القاسم سعد الله، د/ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص9.

2 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، حياته و آثاره، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2005، ص16.

3 أبو القاسم سعد الله، رسالة في الكرة الفلكية منسوبة إلى ابن حمادوش الجزائري (القرن 18م)، *Annales de l'université d'Alger*، مج5، ع1، جوان 1990، ص18.

4 أحمد سليمان، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص76.

5 مسعود كواتي، ألام مدينة متيجة، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010، ص10.

6 نادية فنتيسي، رحلة ابن حمادوش المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" كمصدر للتدوين للتاريخي (1743م/ 1156 هـ)، مج7، ع2، ماي 2023، ص106.

7 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص9.

8 نادية فنتيسي، رحلة ابن حمادوش المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" كمصدر للتدوين للتاريخي نفس المرجع السابق، ص106.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

وقد اشتهرت أسرته بالعلم والمكانة الإجتماعية المرموقة، ويعمل الدباغة لأن والده الحاج محمد يشتغلان بها،¹ أي أن أسرته كانت من طبقة الحرفيين التي تمارس التجارة ولا تهتم بالرياسة إلا قليلاً.² توفي والده وهو لازال صغيراً، فكفله عمه الذي زوجه ابنته فاطمة عام (1125هـ-1713م) وعمره 18 سنة، حيث ذكر ابن حمادوش عن عقد زواجه عن بنت عمه يقول وعليه عادة بلادنا، وبمثله جرى العمل عندنا ابن حمادوش حياته وثقافته عقد لي في حادثة سني على ابنة عمي وصورته... الحمد لله تزوج على بركة الله وتوفيته المكرم الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد بن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه المكرم الحاج أحمد الدباغ وتحت ولاية نظره".³

عاش معها حياة مليئة بالفقر والضيق لأنه لم يستطع آنذاك أن يشق طريقه إلى الثروة كما كان يفعل المتصلون بزعامة السلطة من علماء عصره⁴ ثم تزوج مرة ثانية عام (1153هـ-1740م) من امرأة ثيب تدعى زهرة بنت الصفار، لكنها هربت منه وطلبت الطلاق بعد أن أصابته خسارة في أمواله، وهي التي أنجبت له ولديه التوأم الحسن والحسين،⁵ ويظهر ذلك جلياً عندما قام بالتحدث عن ولادة أبنائه في كتاب الرحلة يقول "ونزلت في حيني ودخلت داري في أول الساعة الثانية، فوجدت عندي ولدين، سيدي الحسن وسيدي الحسين والدتهما، زهرة بعد نصف الليل لمضى نصفه من ليلة الجمعة ثامن وعشرين ربيع الأول من عام (1156م) فوجدتهما كالفهدين، فسرتت بهما".⁶

ولم يذكر ما إذا كان له أطفال من زوجته الأولى، كما ذكر ابن حمادوش أنه لم يكن سعيداً مع زوجته الثانية، بحيث يشير إلى ذلك بعد عودته من رحلته من المغرب بشكل واضح و صريح بقوله "... فقدمت وجدت من الزوجة مثل ذلك، ولم أرها فرحت بقدمي، لأنها أيقنت أن أكثر المال ضاع لي، فلم يبق لها غرض في، ولم ترى لما عندي من العلم...".⁷

لم يعيش ابن حمادوش سعيداً لا مع زوجاته ولا مع أسرته الباقية كأمه وأخته، لانشغاله بالكتب والعلم من جهة،⁸ ولفقره من جهة أخرى إن حالته أجبرته على السفر إلى المغرب طلباً للرزق من

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م، ص 141

2 عمر رضا كحالة، معجم مؤلفين، تراجم مصنفين الكتب العربية، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص

141

3 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص241

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 454

5 أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، نفس المرجع السابق، ص21

6 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص114.

7 فاطمة مقدم، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية

وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران السانية، 2010-2011، ص7.

8 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، نفس المرجع السابق، ص223.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

خلال التجارة وكما هو شأن العلماء استغل رحلته لاستزادة من العلم ولقاء العلماء وأخذ الإجازات عنهم¹، كما أنه سخر حياته للنسب الشريف والعلم بدل الجاه والسياسة والمال².

وقد عرف ابن حمادوش باعتزازه بشرفه والمحافظة على مكانته العلمية وميله إلى التصوف، فهو لم يغير نمط حياته البسيطة المتشفة، حتى بعد أن تزوج وأصبح مسؤولاً عن أسرته وبعد أن اشتغل ببعض المناصب الدينية بالجزائر³.

تذهب الكثير من الدراسات التاريخية أن ابن حمادوش عاش مرتحلاً بين المغرب والمشرق وعمره فالعشرينيات بحيث بدأ برحلة الحج 1130هـ 1718م⁴، ثم بعدها سافر المغرب الأقصى والمشرق في محطات أخرى⁵.

والجدير بالذكر أن ابن حمادوش كان على دراية بحرفة الدباغة⁶، إلا أنه كان ميالاً لصناعة الكتب، فبرع في تجليدها ونسخها، كان له دكان الكتب مقابلاً للجامع الكبير في مدينة الجزائر⁷.
بحيث عاصر ابن حمادوش خلال القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي، تطورات اجتماعية وسياسية لا شك أنها كان لها بالغ الأثر في تكوين شخصيته⁸، في بلاده وحتى في العالم الإسلامي، بحيث انفصلت الجزائر عن الدولة العثمانية في عهد حكم الدايات، وأصبحت تابعة لها اسماً فقط⁹، كما عاصر ابن حمادوش سيطرة و تسلط اليهود الاقتصادي وخصوصاً اليهود المهاجرين من من

1 حنفي هلايلي ، نفس المرجع السابق ص ، 259

2 رحمة قليل، نفس المرجع السابق، ص 116.

3 ناصر الدين سعيداني ، من التراث التاريخي الجغرافي للمغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)، دط، دار الغرب الإسلامي ببيروت ، 1999 ، ص 432.

4 Gabriel, Colin, A. bderrezaq El-jezairi, un médecin arabe du XII siècle de l'Algérie, Imprimerie Delord.(-Boehm et martial éditeurs du Montpellier médical, Montpellier, 1905, p.34.

5كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: يعقوب بكر و رمضان عبدالنواب، دار المعارف، مصر، 1975، ص ص 86-87.

6 **الدباغة**: دبغ الجلد حرفة قديمة تقوم على تحويل جلود الحيوانات من حالتها الأولى إلى مادة ينتفع الصناعات الحائبات والسروج والأحذية وغيرها من المستلزمات، وكانت حرفة الدباغة منتشرة ورائجة في القديم. أنظر إلى: عز الدين بن سفي: منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة خنشلة، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 11، عدد 2 ديسمبر، 2020، ص 64.

7 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 292

8 عز الدين بن سفي، منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 11، عدد 2 ديسمبر 2020م، ص 53.

9 عبد الرزاق ابن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص 9.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

أوروبا وانحسار موجة غنائم البحر وبعض الغارات الإسبانية على الجزائر،¹ أما عن المستوى الإسلامي فقد شهد بنفسه الحرب الأهلية بالمغرب الأقصى، حتى كاد يذهب هو ضحية لها، ولا شك أنه شهد أيضاً بعض الحروب التي جرت بين حكام الجزائر وبين حكام تونس، ومهما كان الأمر فقد كانت أخبار تدهور الدولة العثمانية تصل إلى أذنيه إن لم يكن قد شاهد ذلك بعينه على عدة جبهات، ولاسيما مع جبهة روسيا² بالإضافة إلى ذلك فقد كان شاهد عيان ثورة أحمد الريفي بإقليم تطوان على السلطان عبدالله بن إسماعيل التي روي أحداثها بشيء من التفصيل، كما وصف أثارها على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالمغرب".³

أما عن تاريخ وفاته فأجمعت الدراسات على أنه مجهول غير أن أبو القاسم سعد الله يرجع أن وفاته كانت عقب سنة (1161هـ) ويقول في هذا الصدد: "وآخر تاريخ نعرفه عن تحركاته هو سنة (1161هـ). ففيه كان في مدينة رشيد، يؤلف رسالته (تعديل الزواج. والغائب على الظن أنه غادر الجزائر للحج أو نحوه في تلك الفترة، ولا ندري إن كان قد عاد إلى الجزائر أو مات في المشرق"، لذلك نجد أن أغلب الباحثين الذين خصوه بالدراسة يوردون تاريخ "توفي في مكان وتاريخ مجهولين"⁴، ينما يرجح الاستاذ عبد القادر بكاربي أنه توفي في المشرق بين سنوات (1197هـ/1783م - 1200هـ/1786م)⁵.

2.3 تكوينه الثقافي والعلمي:

تعلم ابن حمادوش عن طريق الدرس الإجازة، فتتقف ودرس كبقية معاصريه العلوم الشرعية في الفقه والتاريخ والادب والتصوف⁶، وكذلك اللغة واهتم بالحديث وبرع في تدريسه، فقد تولى سرد (صحيح البخاري) بالجامع الكبير بالعاصمة"⁷.

وكغيره من تحدث عن علماء الجزائر تلقى علوم الدين واللغة على طريقة علماء عصره، فتلقى مبادئ علوم الدين واللغة بعد ان حفظ القرآن الكريم على عادة أبناء بلده ولكن مرحلة تعلمه الأولى لاتزال مجهولة... غير أنه يمكننا استنتاج ذلك من مستوى ثقافته كما يظهر في مؤلفاته التي وصلت إلينا

1 فريدة مقالاتي، صورة آخر مغربي في رحلة ابن حمادوش الجزائري (المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8 عدد 4، 2019، ص445.

2 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص 10.

3 عز الدين بن سفي، نفس المرجع السابق، ص53

4 أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ج2، ص427.

5 نادية فنتسي، نفس المرجع السابق، ص107.

6 عبد القادر بكاربي، عبد الرزاق ابن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، مجلة عصور الجديدة، مج7، ع26، أفريل 2017، ص237.

7 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الرحالة، نفس المرجع السابق، ص34.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

ومن ذلك إشارات ذكرها بنفسه حيث عائلته وجيله والأدباء و الفقهاء¹، الذين حذر مجالسهم العلمية أما عن كيفية تلقيه العلوم فقد أخذها الرحالة عن طريق الدرس والإجازة والرحلة، حيث صرح بأن كل العلوم تلقاها بدرس إلا الكيمياء و الموسيقى فقد أخذها بالإجازة حيث جلس لدرس في الجزائر والعديد من المدن الجزائرية الأخرى التي عرف علمائها²، فأخذ من الشيخ أحمد بن عمار³، صاحب رحلة (نحلة اللبيب)، و القاضي الأديب، محمد بن ميمون⁴، صاحب التحفة المرضية، والمفتي بن نيكرو، والشاعر محمد بن علي، والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي⁵، وعبد الرحمان الشارف وأحمد زروق البوني، وعدد آخر من المفتيين وأصحاب الجاه كمحمد بن حسين والحاج محي الدين بن زروق، وعبد الرحمان المرتضي محمد الميسبي⁶. أما ابن ميمون الجزائري فقد كانت له معه مجالس علمية في داره ولذا كان ابن حمادوش يطلق عليه أيضاً لقب (شيخنا) وقد درس عنه في ذلك كتب كثيرة في الأدب والتاريخ والفقہ والتصوف ونحو ذلك كما تقدم ذكره، ومن جهة أخرى ذكر ابن حمادوش بعض أسماء ممن تعلم عليهم الأعشاب ورمي القنابل ونحو ذلك⁷.

ومن بين هؤلاء نجد محمد بن كنجذ الذي قال عنه: «كان عشاب بلدنا وفي مناسبة قال عنه: ... بعض الأخوان أحدهم يعرف الأعشاب لتتعلم منه... في جيل بو معزة تحت بوزريعة⁸، يسميها

1 أبو القاسم سعد، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المجلد 7، دار الجيل، ط1، بيروت، 2005م، ص206.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، نفس المرجع السابق، ص 426.

3 عبد الرحمن بن عمار: اسمه الكامل هو أبو العباس أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار، وهو أحد أدباء وأعلام الجزائر في العصر العثماني، وهو على درجة كبيرة من العلم وأحد العلماء البارزين في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ. كما صرح ابن حمادوش، ويرجح انه ولد سنة 1119هـ، كما نعلم أنه قام برحلتين الأولى إلى البقاع المقدسة والثانية رفقة الشيخ الورثلاني، وقد عاصر أواخر العهد العثماني في الجزائر وشهد على العديد من الاضطرابات السياسية. ويرجح أيضاً أنه توفي سنة 1205هـ عن عمر يقارب ستة وثمانون سنة (86). أنظر: عادل نوهض، معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الأبحاث، الجزائر، 2013، ص150، أنظر أيضاً: أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص-ص 64-68.

4 محمد بن ميمون 1120هـ/1708م: هو محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، وكنيته أبو عبد الله فقيه صوفي له مشاركة في الأدب والتاريخ، ومن آثاره التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الزائر المحمية. انظر إلى: عادل النهويض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت 1980م، ص 113.

5 عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من ماقبل التاريخ إلى غاية 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 149.

6 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، ج1، المرجع السابق، 225.

7 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، نفس المرجع نفسه، ص25.

8 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص120.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

البونبة فقد أخذها عن المعلمين في الجزائر وهما العليج . حسن ومحمد البونباجي، الاول عند باب الجزيرة، والثاني عند باب الواد¹.

وكذلك من الشيوخ الذين درس عليهم ابن حمادوش في المغرب وأجازوه هناك، نذكر أحمد الورززي التيطواني²، الذي درس عليه عبد الرزاق في تيطوان³، أجزاء من التفسير والحديث، ومختصر خليل في الفقه المالكي، وبعد ذلك أجازه الشيخ بكل مروياته وأعتبره شريفاً كريم الأصل ونصح به بان يكون صادقاً وأن لا يخشى في الله لومة لائم.

ونجد ابن حمادوش قد زار الشيخ الورززي مدينة الجزائر في رمضان (1159هـ - 1740م) بمدرسة الجامع الكبير، وأثناء زيارته هذه رافقه ابن حمادوش أيضاً وتلمذ عليه من جديد وصحح عليه كتابه الدرر على المختصر في المنطق، وقد كتب له بعد ذلك الورززي بصحة التأليف وجواز ترويجه وتدرسه لطلبته⁴، كما أن عبد الرزاق ابن حمادوش قد درس وتكون أيضاً على يد الشيخ محمد بن عبد السلام البناني الفاسي⁵، والذي يعتبر أحد أقطاب العلم والمعرفة في المغرب الأقصى بحيث أخذ عليه الكثير كما ذكرت المصادر التاريخية وأحمد السرايري¹.

1 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، نفس المرجع السابق، ص57.

2 أحمد الورززي التيطواني : هو سيدي أبي العباس أحمد الورززي من علماء المغرب البارزين خلال العهد العثماني، كان يتردد على مدينة الجزائر يلقى الدروس ا وقد حضر درسا له الشاعران ابن عمار وابن حمادوش بالجامع الكبير سنة 1159، توفي بتطوان سنة . 1189هـ، أنظر إلى : ريحة خالدي: الشعر الجزائري في الفترة العثمانية الشاعر ابن عمار أنموذجا دراسة موضوعاتية وأسلوبية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الطور الثالث، تخصص النقد الأدبي الحديث والمعاصر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليايس/سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2018-2017ص162.

3 تيطوان :مدينة في المغرب على شاطئ البحر المتوسط، بقرب مليلة، مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء ،يمكن الرجوع إلى .:محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، ط، 2بيروت، لبنان، 1984م، ص14.

4 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة نفسه، ص25.

5 بو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني ت1163هـ : و وفاة، أخذ تكوينه العلمي على يد شيوخ فاس وغيرهم من علماء المغرب، منهم الحسن بن مسعود اليوسي ت1102هـ، ومحمد بن عبد القادر الفاسي ت1110هـ، وعبد السلام بن الطبيب القادري ت1111هـ، ومحمد بن قاسم ابن زاكور ت1120هـ، لة ت د ر والعربي بن أحمد ب 1133هـ، كما أخذ عن عدد علماء المشرق حين رحيله إلى هناك منهم عبد الباقي الزرقاني ت1099هـ ي تشّ ومحمد بن عبد الله الخ 1102س بالأزهر الشريف، ولما رجع إلى المغرب أقام مجلساً لتدريس مختصر الشيخ خليل ر هـ، وقد در بمسجد القرويين، وثان لصحيح البخاري والرسالة بالمدرسة المصباحية بفاس بين العشائين، وثالث للحديث بمسجد القاضي عياض، ثم رحل إلى تطوان فدرس فيها، ورتب له عاملها مرتباً إلى أن رجع إلى فاس، وقد لقيت مجالسه اهتماماً بالغاً من لنن الطلبة الذين كانوا يفدون عليه من كل مكان، منهم محمد بن قاسم جسوس ت1182هـ، وعبد القادر بن العربي بوخريص ت1188هـ، ومحمد بن الحسن بناني ت1194هـ، ومحمد بن عبد العزيز السجلماسي، وغيرهم. توفي رحمه الله عن سن يقارب الثمانين،

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

وفيما يخص لقاءه بعلماء مكناس قال ابن حمادوش فدخلت مكناسة عند الزوال من يوم سادس وعشرين صفر من عام (1156) الموافق لعاشر أفريل من سنة 1743م مسيحية وفي يوم الاثنين التقيت بسيدي عبد السلام القباب بلغني أنه من خيارهم، فلم أجده يحسن شيئاً غير علم التوقيت، وهو مؤقت جامع النجارين، فأجمعت بهذا الفن فوجدته².

أما في فاس³، فقد لقي من علماءها: الشيخ المنجم محمد القسنطيني، كما درس ابن حمادوش أيضاً على الشيخ أحمد بن المبارك بعض الكتب منها: المختصر في المنطق للسوسني والخبير في المنطق، غير أن ابن المبارك واخذ عنهم الإجازة⁴، و تتلمذه على يد القاضي عبد القادر بوخريص⁵، كما تتلمذ في الطب على يد عبد الوهاب الأحرق أيضاً طبيب السلطان مولاي إسماعيل العلوي⁶. وفي تونس درس أيضاً على علماءها، مثل دراسته عن عالمها وحافظها ومقيتها الشاعر أبي عبد الله محمد زيتونة، وارتحل إلى مصر ودرس بها على الشيخ أبي العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ الاسكندراني فروى عنه ثبتته⁷.

أما في المجال الثقافي فنذكر أن ثقافته كانت ثقافة معاصريه، انفرد عن علماء عصره بالتخصص في الجانب العلمي من هذه الثقافة، فدرس مثلهم العلوم الشرعية واللغوية وقراءة وإجازة، لكنه تميز عنهم بدراسة ما اليوم بالعلوم الرياضية والطبية⁸.

والى جانب هذه العلوم التي خصت جانب الدين والفقاه اهتم الطبيب الرحالة بالكتب العلمية فراح تلك الكتب التي وضعت سواء في الطب أو الفلك أو الحساب، غير أن شغفه بالطب جعله يطالع الكتب

وذلك ضحوة يوم الأربعاء سادس عشر ذي القعدة الحرام سنة 1163هـ، أنظر: عبد الرحيم السوني، أعلام" أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني ت1163هـ"، الرابطة المحمدية للأعلام، [https://www.arrabita.ma / blog](https://www.arrabita.ma/blog)، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني توفي سنة 1163هـ، تم الاطلاع على الموقع: 2023/05/06، بتوقيت 23:11.

1 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، نفس المرجع السابق، ص 225.

2 عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، نفس المصدر السابق، ص 77.

3 فاس: أسس مدينة فاس أحد الشيعة أيام الخليفة هارون الرشيد عام 185هـ، وسميت هذه المدينة فاس لأنه عثر في أول شئ في حفر الأرض لإرساء لأسس على كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس. أنظر إلى: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا: تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1983م، ج1، ص218.

4 وردة لعراب، عبد اللطيف حني، إشكالية الشرعية الأجنبية لرحلة ابن حمادوش الجزائري، القارئ للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية، مج4، ع2، جوان 2021، ص344.

5 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، نفس المرجع السابق، ص 27.

6 عمار عمورة، المرجع السابق، ص149.

7 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، نفس المرجع السابق، ص 214، 215.

8 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص 10.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

التي وضعها ابن سينا فدرس كتاب القانون والنجاح والطلاسم بالإضافة إلى اطلاعه على شرح ابن رشد على منظومة ابن سينا، ولكنه لم يكتفي بها فهي لم تري ضمأه فراح يدرس الكتاب المتعلق بأخبار العلماء والأطباء الذي وضعه الملطي تحت عنوان "تاريخ الدول" الذي خصه الباحث بالدراسة والتعليق، والتعليق، وقد قال فيه : " هو كتاب عجيب التأليف حسن الصنيع لولا أنه محشو كفرا نزل فيه الأقدام، فيجب التحذير منه².

وهذا التحذير راجع في الأساس إلى ثقافته الدينية التي اكتسبها في صغره بالإضافة إلى هذه المصادر اعتمد ابن حمادوش على التجربة والمشاهدة فقد كان يخرج للجبال المجاورة لمدينة الجزائر لإجراء تجارب والتقاط الأعشاب والتدرب على رمي البونبة ووزنها وبارودها ومسافة انطلاقها³. لأنه طالع في زيارته للمغرب عمل الرحمن الفاسي في عمل البونبة فراح يجرب ويتعلم في صنع البارود وضرب المدفع في مدينته الأم الجزائر وأصبه بذلك من أهل الاختصاص⁴.

كان حمادوش حياته وثقافته لا يقرأ نظريا بل يحاول أن يطبق ما قرأه ويألف فيه، ويجري التجارب الشخصية الرخامة عليه، فكان يقوم بإجراء التجارب على النباتات ويركب المعجنات الطبية، ويختبر موازين المياه ويرسم الظلية، ويضع دائرة لبيان اتجاه الرياح⁵.

ففي سفره من تطوان إلى فاس سجل ابن حمادوش ملاحظاته على أنواع المياه التي مر بها، وعن الطيور التي شاهدها والأشجار التي تأملها، وكان يذكر خصائص كل نوع ويقارن ذلك بما في بلاده من نفس النوع وما يشذ عنه. وكان لا يهتم بالظواهر فقط بل بالتعليق عليها أيضا وسواء كان في الجزائر أو خارجها فإنه لا ينفك عن قراءة كتب الطب ودراسة الأعشاب، والتوصل إلى منافعها والتأليف فيها⁶. كما لاحظ حركات النجوم وعالج التغلب على الحمى، ونفس الشيء فعله عندما كان بالجزائر ومصر أيضا حيث سجل في كتابه (كشف الرموز ما شاهده من غرائب النبات، كما وضع ميزانا للماء وهو بالجزائر⁷.

ومن التجارب العلمية لابن حمادوش نذكر ما لاحظته على أوزان المياه المختلفة ، وقد درس رسما مجوفا من الزجاج ووضع فيه حبات دقيقة من الرصاص ووزن أنواع المياه المعتدلة والخفيفة والثقيلة ، ومن بين العلوم الأخرى التي شغلت بال ابن حمادوش أيضا ما يسميه بعلم البلوط الذي عرفه بأنه معرفة

1 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 427.

2 عبد الرزاق بن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص 143.

3 أبو القاسم . سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2 ، المرجع السابق، ص 427.

4 أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء، ج 4، ط 1، نفس المرجع السابق، ص 172.

5 القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، نفس المرجع السابق، ص 225

6 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش ، نفس المرجع السابق، ص ص 35، 36

7 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، نفس المرجع السابق، ص 228

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

الطرق البحرية ومن جهة أخرى أدى اهتمامه بالهندسة إلى اهتمامه باتجاهات الرياح فصنع خريطة ونتيجة اهتمامه بعلم الفلك تعلم صنع الإسطرلاب والربع المقنطر ، وكما تعلم كذلك سبعة تواريخ ، وهي العربي والمسيحي والاسكندري (وهي التواريخ التي كان يستعملها في رحلته) ثم التاريخ الفارسي والعبري والقبطي والملكي¹ .

وكان كثيراً ما يحل ويجيب على أسئلة حسابية وفرضية معقدة، مستعملاً لذلك الجداول والرسوم والخطوط البيانية ' وله تأليف في الروزنامة ذكره من بين مؤلفاته.²

3.3 رحلاته وأسفاره:

تثبت التواريخ و المؤرخين بأن ابن حمادوش كان كثير التنقل والأسفار³ ، وقد سجل هو ذلك في أحد قصائده التي قالها السلطان عبد الله ، سلطان المغرب :

وَجَبَّتْ بِبِلَادِ التُّرْكِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى قَدَمِي طَوْرًا وَطَوْرًا عَلَى الْخُمْرِ.⁴

سافر عبد الرزاق ابن حمادوش إلى الكثير من المد في العالم العربي الإسلامي (المغرب الأقصى، مصر، الشام، تركيا...) وهي على اتساعها فيها الكثير من المشترك بينها بحكم أنها تدين بالإسلام ولذا فإن المشترك من القيم التي تجمع هذه الأقاليم، وأيضاً فيها الكثير من العادات والتقاليد التي تعود في أصولها إلى الإسلام والعروبة منها مثلاً: عادات عيد الأضحى بمدينة فاس⁵، بحيث يشير أن الاحتفالات في فاس أخف في الجزائر⁶.

ارتحل عبد الرزاق ابن حمادوش إلى الحجاز والشرق، على ظهور الرواحل تارة وسيرا على أقدامه تارة أخرى، وجاء في كتابه (كشف الرموز) عند حديثه عن مادة (بأذهر) في قوله : «ولي صنعة فيه أخذتها في مصر ثلاثين ومائة وألف عام حجبت...»، وهنا يشير إلى حجته الأولى، أي عندما كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة فقط، ونفس التاريخ هو 1130هـ، قد أورده في الرحلة أيضاً أثناء حديثه عن أصل العود الموسيقي فقد قال إنه كان بمدينة سوسة بتونس في طريقه إلى الحج.⁷

بحيث زار ابن حمادوش كلا من تونس ومصر والحجاز، وأخذ عنه بعض الشيوخ هناك، وذلك عن طريق حجته الثالثة الأولى كانت سنة (1125هـ - 1713م)، والثانية سنة (1130هـ - 1718م)،

1 أبو القاسم سعد الله، لطبيب الرحالة ابن حمادوش، نفس المرجع السابق، ص ص 37، 39

2 نفسه، ص 40.

3 أبو القاسم . سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص 22

4 عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، نفس المصدر السابق، ص 116

5 بكاري عبد القادر، نفس المرجع السابق، ص 241، 242

6 موساوي عبد الله، واقع الاحتفالات الدينية بالجزائر العثمانية على ضوء رحلة " ابن حمادوش الجزائري"، أفاق فكرية، مج 7، عدد خاص، ماي 2019، ص 143.

7 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، نفس المرجع السابق، ص 23.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

أما الثالثة والأخيرة فسنة (1161هـ - 1748م)، ولعل أبرز شيوخه هناك محمد زيتونة المنستيري، أما في المغرب التي زارها مرتين على الأقل لأغراض تجارية، فقد زار فيها لأكل من تطوان ومكناس و فاس¹.

وهذا ما ذكره ابن حمادوش في رحلته أنه سافر إلى المغرب على ظهر سفينة فرنسية استأجرها ثلاثة تجار جزائريين في 14 فبراير 1743م، كما يذكر أيضاً أن أول مدينة زارها هي تطوان يقول: «بعد شروق الشمس خرجنا من جبل طارق ألقينا مراسينا... فدخلت تطوان في أول الساعة السابعة، وصليت الظهر بها جماعة، فلقيت من علمائها أحمد الورززي، فسلمت عليه»².

بدأت رحلة ابن حمادوش يوم الإثنين الفاتح . من عام (1156هـ) الموافق ل (14 فبراير 1743م)، من ميناء الجزائر باتجاه تطوان بالمغرب، مروراً بجبل طارق، واصفاً لقاءه برجال الفقه والدين وحضوره دروسهم، وأخذة إجازات عنهم، حيث يذكر أسمائهم وكيفية دروسهم وإجازاتهم بالتفصيل، وبشيء من الاستطراد³.

ومن هنا بدأ يسجل ملاحظاته على القطر، بوصف كل ما شاهده وعاشه، ابتداءً من عادة المكسب تطوان نفسها، حيث كانت هذه العادة بميناء تطوان من بين العادات السيئة التي استهجنها وهي في نظره عادة قبيحة ابتدعوها، حيث يذكر ابن حمادوش "أنهم يأخذون كل ما معك، ويحملونه إلى دار العشر، ثم بعد ما تنقضي أشغالهم من البحر تأتي العدول التي كتبت في البحر فتقابل كتابها مع العدول الذين بدار العشر، ثم يدفعون مالا منفعة لهم فيه، ثم يتخلصون إلى أكل أموال الناس بالباطل"⁴.

كما وصف ابن حمادوش خلال رحلته أهم الثورات الداخلية منها: ثورة أهل زاوية على قائد سباو وكذلك تحدث عن توقيع الصلح بين الجزائر والدنمارك⁵، وأيضاً ثورة حاكم تطوان "أحمد الريفى ضد السلطان مولاي عبد الله⁶، حيث قال "أنهم أنسوا الفتنة والهرج، ونحن قريب من من المرجح، وذلك أن يوم

1 شارف محمد، نفس المرجع السابق، ص 100

2 عبد الرزاق ابن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص 31

3 تمار هند، تداخل الأجناس الأدبية في أدب الرحلة "مدونة ابن حمادوش الجزائري أنموذجاً"، رسالة لنيل شهادة

الماجستير، تخ: الأدب العربي قديماً وحديثاً، إش: بريهمات عيسى، كلية الآداب واللغات جامعة غرداية 2014-2015م، ص 13.

4 عمر بن قينه، في الأدب الجزائري الحديث تاريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاماً)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ماي 1995م، ص 100، 99

5نصيرة بحري، استقرار التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة مدارات تاريخية، مج 1، ع 4، سبتمبر 2019، ص 399.

6 عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص 31، 32.

الخميس سابع أبريل الموافق الثالث وعشرين صفر، وقع قتال بين العسكريين، أشرت إليه أول هذا الجزء، وأن الباشا أحمد بن عبد الله الريفي كثر ماله وتجبر في نفسه وطغى على عباد الله حتى قرر المكوس على أنها سنة، ثم من تجبره أراد يدعي السلطنة لنفسه، فلم يمكنه ذلك لأن عادة أهل المغرب لا يطيعون إلى الأشراف.... ثم لما لم يمكنه ذلك والحال أنه قد خرج عن مولاي عبد الله فبعث إلى عسكر العبيد بمشروع الرملة وقال ننصروا مولاي المستضيء بنور الله حتى نصره وبقي بمكناسة ومولاي عبد الله في فاس... الخ.¹

كما وصف ابن حمادوش العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية في المغرب، فقد ذكر جملة كثيرة الفائدة منها طريقة فرض المكوس في ميناء تطوان،² ووصف لنا زيارته عدة مرات لقبر سيدي علي الريفي الذي كان يبعد حوالي عشرة كلم عن تطوان، حيث يقول "وفي الخميس الموالي له، ذهبت لزيارة سيدي علي الريفي راجلا، فقطعت واد الكيتان إلى أنصاف فح، وهو واد عظيم من أفضل المياه، فبلغت له ضحاء، خادمه وسلمى علي وأدخلني قبة قبر الشيخ فأجلسني عنده وذهب فبقيت إلى قرب الزوال".³ إضافة إلى ذلك وصف الطريق التي مروا بها من تطوان إلى فاس عبر مكناس والعكس، فقد تحدث عن الوديان ونوع الأشجار وعادات القبائل ومشاهدته الطيور التي لا تلد إلى فوق الماء، وحصاد الشعير في شهر ابريل واستعمال قوارب البردي للنقل وإعجابه بقسمة مياه مدينة فاس التي تعم البساتين والدور وغيرها، وبألواح قباب فاس، وبالأخص اللوح الذي يقع داخل قبة المولى إدريس.⁴

كما قارن ابن حمادوش بين عادات أهل الجزائر وعادات أهل المغرب في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف حيث يقول "وفي ذهابي له لقيت الطباليين والغياطين، وآلات الطرب كلها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من شمع، كل واحدة من لون ن أحدها بيضاء وأخرى خضراء وأخرى حمراء، والرابعة نسيت لونها، أخف مما يجعل في عادة أهل فاس يوم العنصرة، أنهم يأكلون هشيم أذنان الضأن بالقرفة والكسكس، وهذا الجزائر عندنا".⁵ ومن أكل غالب أهل فاس، وأما البراني فلا أدري.⁶

ورغم تدرده إلى بلاد المغرب حسبما ما تشير إليه كتاباته فإنه قد سجل لنا في رحلته تاريخيين كان أثناءهما هناك، فقد ذكر أنه نظم سنة (1145هـ) قصيدة في السلطان عبد الله أثناء توليته الأولى، قائلا (جعلت فيه "أي السلطان" قصيدة حيث عرض لي أن ألقاه فأغواني الله عن لقاءه ولا شك أنه أشار إلى ظروف رحلته إلى المغرب عندئذ في الجزء الأول المفقود من الرحلة. أما التاريخ الفاني الذي جاء

1 عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق ص 75 76

2 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص 71

3 عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص 33

4 أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص 71

5 عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 84

6 نفسه، ص 94

في رحلته عن وجوده بالمغرب فهو عام (1156هـ) وستعرف أن مدة إقامته هناك قد دامت من محرم من تلك السنة إلى مارس سنة (1157هـ) وعلى هذا يكون ابن حمادوش قد زار المغرب مرتين على الأقل بصريح النصوص.¹ وآخر تاريخ نعرفه عن تحركاته هو سنة (1161هـ) ففيه كان في مدينة رشيد بمصر، يؤلف رسالته (تعديل المزاج)، والغالب على الظن أنه غادر الجزائر للحج في تلك السنة ولا ندري إن كان عاد إلى الجزائر أم لا.²

ومن كل هذا يتضح لنا أن ابن حمادوش قد ذهب مرتين على الأقل إلى المشرق، ومرتين على الأقل إلى المغرب، ونعتقد أنه سافر أكثر من ذلك لأنه عاش فترة طويلة أخرى، ولكننا لا نملك الدليل على ذلك. لم تكن إقامة ابن حمادوش في المغرب رغبة، وجد هناك من تقلب الأحوال وكثرة الفتن واختلاف العادات والخسارة في التجارة ماجعله يسجل عودته بعد عودته إلى الجزائر عندما قال إنه تعب في المغرب من مرض وخسارة وضيق³

4.3 مظاهر تصوفه:

تذهب الباحثة فاطمة مقدم أن عبدالرزاق ابن حمادوش لم يكن من المتصوفة أو حتى المتظاهرين بالتصوف مثل بعض الفقهاء في تلك الفترة الزمنية، ويبدو أنه كان عقلياً بمعيار ذلك العصر، لكن توجد الكثير من الاشارات التي تدل على تصوف ابن حمادوش وخاصة في رحلته التي تعتبر دليل على انه كان متجاوزاً مع روح العصر في جانب التصوف، ولكن بشكل نسبي⁴، أو من خلال آثاره تجده متجاوزاً في هذا الجانب ولو بشكل يسير⁵.

ويظهر ذلك ما ذكره في رحلته أنه تردد على ضريح الولي الصالح سيدي علي الويفي للزيارة بحيث يذكر أنه أخذ العهد بقوله: "ذهبت لزيارة سيدي علي الريف راجلاً، فقطعت واد الكيتان على أنصاف فخذي، وهو واد عظيم من أفضل المياه، فبلغت له ضحاء فلقيني خادمه وسلم علي وأدخلني قبة قبر الشيخ فأجلسني عنده وذهب فبقيت على قرب الزوال"⁶.

وبالتالي نلاحظ أن ابن حمادوش يخبرنا أنه قطع مسافة طويلة وهو راجلاً، وتجاوز بذلك واد الكيتان الذي وصلت مياه إلى فخذه، وهذا يدل على المشقة التي مرا بها ابن حمادوش من أجل الوصول إلى الولي سيدي علي الريف، ويبدو أن ابن حمادوش لم يذكر زيارات أخرى لأولياء آخرين

1 أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص 23.

2 أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 427

3 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص ص 24، 69

4 فاطمة مقدم، الخصائص السردية... نفس المرجع السابق، ص 25.

5 عبدالله موساوي، نفس المرجع السابق، ص 139.

6 فاطمة مقدم، الخصائص السردية... نفس المرجع السابق، ص 33.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

في الجزائر والمغرب على الرغم من كثرتهم وشهرتهم التي تجاوزت شهرة سيدي الريف¹، ويكمن هنا طرح تساؤل لماذا زارا ابن حمادوش لضريح سيدي علي الريف دون غيره؟.

والجدير بالذكر أن ابن حمادوش لم يسلم من الانجراف في تيار العصر بالخصوص تلك الفترة الزمنية التي عرفت انتشار كبير للطرق الصوفية والمتصوفة و ظاهرة التصوف ، غير أننا الجزم إلى طريقة صوفية كان ينتمي إليها ابن حمادوش²، و على من الحياة القاسية التي كان يعيشها ابن حمادوش لكن كان فخوراً بمكانته وشرفه وبصلته بآل البيت، بل إنه تعالى على المفتي ابن علي قائلاً:

فَلَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ غَيْرِنَا وَإِنْ أَدْرَكَ الدُّنْيَا وَجَارَهَا فِي الْأَيْدِي³.

كما تجدر الإشارة أنه انتصر للسلطان المغربي عبدالله "رغم أنه لم يسمح له بالدخول عليه بالقصيدة التي أنشأها فيه⁴، نجد السلطان مولاي عبدالله هو الشريف الحقيقي، بينما أحمد الريف في نظره ادعى الشرف، وفي ابن حمادوش للسلطان افتخر بأنه ينتمي على نفس الأرومة التي خرج منها السلطان (أي السيدة فاطمة)، بحيث نجده يذكر في قصيدة يمدح فيها السلطان عبدالله سنة 1145هـ، أثناء توليته الأولى بقوله:

هُمُ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونِ فِي صِدْقِ التَّقَى وَإِنَّهُمْ الْيَاقُوتِ فِينَا إِلَى الْحَشْرِ
هُمُ زِينَةُ الدُّنْيَا وَشَمْسُ نَهَارِهَا وَلَوْلَاهُمْ مَا اتَّبَعَ اللَّيْلُ بِالْفَجْرِ
هُمُ النُّورُ وَالسِّرُّ الْمَصُونُ إِذَا بَدَا إِلَى الْخَلْقِ، وَالرَّوْضُ الْمَرُونِقُ بِالزَّهْرِ
صَوْصاً بِمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ تَوَجَّتْ رُؤُوسَ بَنِي هَاشِمٍ وَقَامَتِ إِلَى الْفَجْرِ⁵.

ويتضح مما سبق أن عبدالرزاق ابن حمادوش من خلال هذه الأبيات الاخيرة انه أدخل نفسه في جملة الأشراف حين قال: "أنهم الياقوت فينا إلى الحشر" وفي هذا دليل على تمسكه بالشرف وبنسبته إلى آل البيت⁶.

1 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، نفس المرجع السابق، ص 49.

2 نفسه، ص 49.

3 فاطمة مقدم، الخصائص السردية... نفس المرجع السابق، ص 26.

4 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، نفس المرجع السابق، ص 50.

5 فاطمة مقدم، قراءة في مضامين الخطاب الشعري المغربي القديم، عبدالرزاق ابن حمادوش الجزائري أنموذجاً، مجلة الكلم، مج 5، ع 1، جوان 2020، ص 168.

6 فاطمة مقدم، الخصائص السردية... نفس المرجع السابق، ص 27.

5.3 الإسهامات الفكرية والعلمية لابن حمادوش:

يعتبر ابن حمادوش من علماء الجزائر خلال القرن الثامن عشر قرن محوري بالنسبة لتاريخ الجزائر الثقافي، تصفه الكتب الغربية بالطبيب العربي، ركز اهتمامه على العلوم العقلية وألم بها إلى جانب العلوم الفقهية، فقد برع في علم الفلك، والطب والصيدلة، والحساب، حيث ألما بهذه العلوم كلها¹. و الواقع أن ابن حمادوش قد أراد أن يلم بجميع العلوم والمعارف الجديدة التي بعزف عنها ويتجنبها العلماء، فقد تعلم علم البونبة أو طريقة رمي القنابل، وكان قد تعلم ذلك نظرياً من كتاب "عبد الرحمان فاسي" ولكنه أراد أن يتعلمه عملياً أيضاً²، وكتب ماكتب في هذا الموضوع وذلك حسب قوله: "قمت ما بقى لي من العلم" وأخذت علم البونبة بارتفاعها وتعميرها ورميها وعجن بارودها من علمائها³، فأن ودرس فيعلم الطرق البحرية (وهو ما يسميه علم البلوط) وقال إن "يدي صحت في هذا العلم" وألف في ذلك، كما وضع خريطة توضح اتجاه الرياح ووصف طريقة استعمالها، وألف عملاً آخر في صورة الأرض قال عنه "لم أسبق به"⁴.

كما تعلم صنعة الإسطراب وربع المنتظر، وألف فيه كتاباً، كما ألف في قوس الشمس والفلك وفي صورة الكورة، وألف في التصوف حيث جمع بعض الأوراد الصوفية والأدعية في كتاب⁵. إن أهم ما يلفت النظر في دراسة ابن حمادوش هو اهتمامه العلمي وشدة ملاحظاته على ما حوله من الطبيعة والناس، فبينما كان معظم اهتمام علماء عصره ينص على آثار الأولين كان ابن حمادوش يكثر من المطالعة في الكتب الطبية والهندسية ودراسة الفلك والأعشاب والحساب والظواهر الطبيعية، كما كان يكفر من إجراء التجارب ويمارس العلم عملياً ويسجل ملاحظاته واكتشافاته في تأليف وضعها، وكان يفعل ذلك و لا يبالي إن كان على سفر أو مقيماً، يأخذ من كتب المسلمين وغير المسلمين⁶. وكذلك خلف ابن حمادوش الكثير من المؤلفات والمصنفات في مختلف المجالات والتخصصات، فكتب في الفلك والحساب، والهندسة، وألف في المنطق والأدب، والطب، والفلك، والحساب، والكيمياء، والمنطق، كما ألف عدة رسائل في النحو، والشعر، والبلاغة، وأغلب هذه المؤلفات ما زالت على حالها المخطوط تنتظر حظها من التحقيق والتنقيح، كما نالت بعض مخطوطاته عناية من طرف المحققين

1 واقية نقطي مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة آفاق فكرية، مج5، ع10، ماي 2019م، ص34.

2 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص38.

3 عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص254.

4 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص429.

5 أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص40.

6 أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش ا السابق، ص35.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

والدارسين على غرار مخطوط كشف الرُّموز الذي حققه الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك¹، ونجد أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- قام بتحقيق مخطوط لسان المقال الذي، غير أن أغلب هذه المخطوطات والمصنفات، هي مشتتة اليوم في خزائن ومكتبات المغرب والمشرق، وفي ما يلي سنذكر بعضاً من مؤلفاته المشهورة :

✓ **فتح المجيب في علم التكعيب:** ألّف ابن حمادوش هذا المصنف سنة 1143 هـ الموافق ل 1731م، وخصه لدراسة الأبعاد والسطوح، والأنساق، كالمضلعات والمستطيلات، والكرويات، والمخروطيات، وغيرها من الأشكال الهندسية التي يحتاجها الناس في حياتهم اليومية، لاسيما ما تعلق بفنون العمارة وبناء الجسور، وشق الطرق، كما خصص ابن حمادوش جزءاً من الكتاب لشرح عمليات الحساب والعد، وترتيب المقادير، والكيل، وغيرها من أدوات القياس، وقد نقل عن اقليدس، وابن الهيثم، والبيروني وغيرهم من علماء الرياضيات والحساب².

✓ **علم البلوط:** اهتم ابن حمادوش بعلم الملاحة البحرية، أو معرفة الطرق البحرية³، وتقنيات الإرشاد البحري، وذلك لحاجة البحارة به في ذلك العصر، الذي كانت فيه البحرية الجزائرية قوية ولعل الغاية من تأليف ابن حمادوش لهذا المؤلف هو تسهيل مهمة البحارة⁴.

✓ **لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال:** هذا المؤلف عبارة عن رحلة لابن حمادوش⁵، ورغم أنه لم يذكر سبب تأليفه للرحلة ولا الغاية منها، ولا دوافع اختيار عنوانها وغيرها مما دأب عليه

1 Khiati Mostefa, histoire de la médecine en Algérie « de l'antiquité à nos jours » la médecine dans l'Algérie ottomane du XVe au début du XIXe siècle. Algérie: dar Houma,2012,p 105.

2 عبدالرزاق ابن حمادوش، نفس المصدر السابق، ص255.

3 طوبال فاطمة الزهراء، الأمراض و الأوبئة بالجزائر فترة الحكم العثماني من خلال البحوث الطبية، إفاق فكرية، مج9، ع2، أكتوبر 2021، ص38.

4 عزالدين بن سيفي، منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب الصيدلة، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج11، ع 2، ديسمبر، 2020، ص ص 56-57.

5 رحلة ابن حمادوش الموسومة بلسان المقال حققها الدكتور أبو القاسم سعد الله، والتي تعتبر من أهم مصادر دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، والمغرب الأقصى الحديث، فهي تزخر بالمعطيات السياسية والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية والاقتصادية، عن المغرب والجزائر، ويعتقد سعد الله أن جزءها الأول مفقود يمكن العودة إلى : فتيسي نادية، نفس المرجع السابق، ص108 ، وفيها تعرض ابن حمادوش لفترة شبابه بلوط كلمة مأخوذة من الكلمة الفرنسية و pilota الإيطالية ينظر إلى تعليق : عزالدين سيفي، نفس المرجع السابق، ص64.

رحلة ابن حمادوش الموسومة بلسان المقال حققها الدكتور أبو القاسم سعد الله، والتي تعتبر من أهم مصادر دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، والمغرب الأقصى الحديث، فهي تزخر بالمعطيات السياسية والثقافية، والتاريخية والاجتماعية، والاقتصادية، عن المغرب والجزائر، ويعتقد سعد الله أن جزءها الأول مفقود، وفيها تعرض ابن حمادوش لفترة شبابه أول نسخة ورقية من الكتاب بعنوان كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، كانت باللغة الفرديسية، والتي حققها الطبيب الفرنسي لكليرك صدرت سنة 1874 ، ثم صدرت نسخة ثانية باللغة العربية سنة 1928، والتي تعرف بنسخة رودوسي

عادة المؤلفون إلا أنّ الراجح في ذلك حسب قول أبو القاسم سعد الله يعود إلى ضياع الجزء الأول من لسان المقال، والذي يعتبر حوصلة المجموعة رحلات قام بها ابن حمادوش لكثير من البلدان في مشارق الأرض ومغربها، حيث ارتحل كثيراً منذ العشرينات من عمره، والتي ابتدأها بأداء فريضة الحج سنة 1125 هـ - 1713م، والثانية سنة 1130 هـ 1718 م، كما رحل إلى المغرب الأقصى مرات عدة، منها رحلته إلى تيطوان سنة 1145 هـ 1732م، ثم فاس سنة 1156 هـ / 1743 م، وسجل ابن حمادوش في رحلته ملاحظاته ومشاهداته¹.

د- الدرر عن المختصر في المنطق: ألف ابن حمادوش هذا الكتاب سنة 1159 هـ - 1746م، وعرضه على شيخه العالم المغربي أحمد الورززي، بمناسبة زيارته لمدينة الجزائر، حيث أجازته وأثنى عليه ورخص له في نشره وتدرسه لطلبته²، ومما تحسن الإشارة إليه هنا أنّ ابن حمادوش أخذ في تأليف هذا الكتاب عن الشيخ القسنطيني، وكتاب المختصر في المنطق للعالم الجزائري محمد بن يوسف السنوسي.

✓ تأليف في علم البونبة لابن حمادوش تأليف مجهول العنوان في علم القذائف والمدافع، ويرجع سبب تأليف ابن حمادوش في علم البونبة لحاجة الدولة وقتئذ إلى هذا العلم، وقد أخذ لتأليف هذا الكتاب عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، كما كان قد تعلم نظرياته وتطبيقاته عن العليح حسن³. كما أنّ لابن حمادوش تأليف أخرى في ميادين وعلوم مختلفة، فله مؤلف في علم الفلك والإسطرلاب لرصد الكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية، وله تأليف في علم الأزمنة والروزنامة، كما كتب كراسة في علم الكارطة لتوضيح حركة واتجاهات الرياح في البحر⁴.

✓ إسهامات ابن حمادوش في الطب والصيدلة:

رغم أنّ ابن حمادوش قد درس على طريقة عصره إلا أنّ اهتمامه كان منصباً بخاصة على مجال الطب والصيدلة الذي لم يكن محل اهتمام علماء عصره عامة، وعلماء بلاده خاصة، وكان شغفه بعلم الطب والأعشاب كبيراً، فقد انكب على كتب الطب العربية والأجنبية القديمة دارساً وناقداً، فقرأ ولخص تأليف

نسبة إلى ناشرها أحمد بن مراد التركي، ونال الطبيب غابريال كولان بعد دراسته وتحقيقه لكشف الرموز درجة، أنظر إلى:فاطمة الزهراء طوبال نفس المرجع السابق،ص44.

1 بكاري عبد القادر، نفس المرجع السابق،ص241.

2 ابن حمادوش عبد الرزاق، نفس المصدر السابق،ص34.

3 ابن حمادوش عبد الرزاق، نفس المصدر السابق،ص246.

4 عزالدين بن سفي، نفس المرجع السابق،ص58.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

كثيرة، ومن جملة الذين قرأ لهم في الطب ابن سينا وابن الهيثم، والبيروني، والفرايبي، والرّازي، وابن البيطار، أما من غير المسلمين فقد قرأ لغليان وديسكيور¹.

وكان ابن حمادوش يفتخر دائماً بتوجهه العلمي، وقد لخص هذا حين قال عن نفسه في لسان المقال «... أني أصبحت عشاباً وصيدلاني وطبيباً في بعض الأمراض...»²، كما افتخر بأنّ الأعشاب التي قيدها في تأليفه كلها معروفة لديه، وتبرز إسهامات ابن حمادوش في الطب الجزائري إبان العهد العثماني في تلك المخلفات الغزيرة والكتب والمصنفات الكثيرة التي خلفها ومنها نذكر:

✓ **الجواهر المكنون في بحر القانون** : الجواهر المكنون عبارة عن موسوعة طبية ضخمة، سار فيها ابن حمادوش على الطريقة الأبجدية في ترتيب الموضوعات، وفصلها إلى أربعة كتب، كل كتاب يحتوي على أقسام من الشعب، حيث خصص الكتاب الأول إلى السموم وذوات السموم والعلاج منها، أما الكتاب الثاني فقد خصصه إلى التريقات وما يجري مجراها، وبعض المعاجين. أما الكتاب الثالث فتحدث فيه عن الأمراض، وقد بناه على جدول ابن إسحاق، الكتب السابقة هي مفقودة، وعلمنا بها يبقى مجرد تكهنات استقينها من خلال ما ذكر المؤلف عن الجواهر المكنون في الرحلة، أما الكتاب الرابع فقد خصصه لشرح ألفاظ والمصطلحات وتعريفها، وهو حسب ما ذكر أبو القاسم سعد الله، كتاب كشف الرموز³، وقد قال ابن حمادوش عن كتابه الجواهر المكنون بأنه كتاب جليل يتوشح به الأصاغر ولا تمجه الأكابر فيه الأسباب والعلامات والعلاجات...»

✓ **كتاب كشف الرموز** : خصصه ابن حمادوش لدراسة الأعشاب الطبية وتصنيفها، وذكر منافعها الطبية، هو في الحقيقة الجزء الرابع من الجواهر المكنون، والكتاب ذو أهمية كبيرة، فقد ترجمه الطبيب الفرنسي لوسيان لكليرك Loucien LECLERC (1816-1893)، ودرسه غبريال كولان COLIN Gabriel (1825-1896م) ، الذي حصل به على دكتوراه في الطب، وقد نُشر الكتاب بلغات أوروبية ويعد كتاب كشف الرموز قاموساً صيدلياً سار فيه ابن حمادوش على طريق المعاجم الأبجدية⁴، ونقل ابن حمادوش في تأليف كشف الرموز عن الأنطاكي وابن البيطار ، الذي ذكره في مناسبتين، وابن سينا وبعض علماء الطب اليونانيين.

وتضمن الكتاب بعد مدخل أنواع وأوصاف النباتات والأعشاب الطبية، وأسماء العقاقير والحيوانات، والمعادن أيضاً⁵ ، وقد أشاد لكليرك بأهمية كشف الرموز، فقد قال عنه أنّ ابن حمادوش لم يستند في

1 Abd Er-razzaq Edgezairy . Kachefer-roumouz. traduit par Leclerc Loucien. Paris: éditeur Ernest Leroux, 1874,p 3-7.

2 ابن حمادوش عبد الرزاق، نفس المصدر السابق، 164.

3 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، نفس المرجع السابق، ص 80. 3

4 Abd Er-razzaq Edgezairy,op,p2.

5 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 432. 5

تأليفه على الخرفة، وأنّ فيه إضافات جديدة في مجال الطب، وقد قال عن مؤلفه أنّه من آخر الممثلين للطب العربي الإسلامي¹، أما كولان فقد أشاد به واعتبر كشف الرموز كمرجع لا يمكن الاستغناء عنه في تلك الفترة لأنه من الكتب المهمة في مجال الطب².

ولعل ما جعل كشف الرموز، يأخذ هذه القيمة في أعين النقاد، أنّ ابن حمادوش سار فيه على منهج علمي واضح، فبعد المدخل أخذ في تعريف الدواء ووصفه، ثم ذكر الأسماء الأخرى التي تطلق عليه في مختلف البقاع، مع ذكر خصائصه وفوائده العامة والخاصة، وكيفية استعماله، والكمية الضرورية منه، ومن وجهة أخرى يذكر الأمراض ويحدد الأعراض، والأدوية المناسبة للعلاج ويذكر منافع ومضار كل نبات، وكان ابن حمادوش دقيقاً في المقادير والأقساط الأوزان.

✓ **كتاب تعديل المزاج بقوانين العلاج**:³ ألف ابن حمادوش هذا الكتاب سنة 1161 في مدينة الرّشيد بمصر، والموضوع الرئيسي لهذه الرسالة هو وظائف الأعضاء التناسلية والاضطرابات التي تُصيبها وعلاجها، ونعتقد من خلال هذا العنوان أنّ عبد الرزاق بن حمادوش تحدث فيه أيضاً عن النفس ومزاجها، وخلافاً لمؤلفاته السابقة فقد اعتمد على الطب النبوي، حيث أدرج في تعديل المزاج أحاديث نبوية، وفي هذا الكتاب حاول تفسير أحوال المزاج والطبائع، والسلوك، وعلاقتها بالجنس عند الرجل والمرأة، مازجاً بين الطب العضوي، والطب الروحاني النفسي، واعتمد في انجاز هذا المؤلف على كتابات أبي قراط، وغاليان، وابن سينا، وحنين، وابن إسحاق⁴.

✓ منهج ابن حمادوش في الطب والصيدلة

في الوقت الذي كان اهتمام أغلب علماء عصره منصباً على دراسة آثار الأولين، كان ابن حمادوش يبحث في كتب الطب والهندسة، فبالرغم من أنّه عاش في بيئة تعتمد على النقل أكثر مما تعتمد على العقل، وهذا ما لخصه الورثلاني واصفاً الوضع في نزهة مشتغلون بالنحو الفقه والحديث الأنظار قائلاً «... فإنهم خصوصاً...»⁵ (الورثلاني محمد، 1908 (117)) كما أشارت أيضاً المصادر الأجنبية إلى ضعف العلوم الطبيعية مقارنة بالعلوم النقلية في الجزائر خلال ذلك العهد، الذي قال فيه وليم شالر «

1 LECHERC Loucine , Histoire de La Médecine Arabe. T2. Paris: éditeur Ernest Leroux,1876,p310.

2 Gabriel Colin , ABDERRAZZÂQ EI- JAZÂÏRÎ, un médecin arabe du XIIe siècle de l'hégire. Montpellier: Imp DELORD -Boehm et martial éditeurs du Montpellier médical,1905,p309.

3 Gabriel Colin, OpCit ,p25.

4 أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، نفس المرجع السابق، ص85.

5 محمد الشريف الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاحبار، بتح محمد بن أبي شنب، (د،ط)، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص117.

.. أما حالة العلوم، فإن مما لا جدوى فيه الحديث عنها، حيث أنها غير موجودة، محترقة بل أن علم الطب لا يوجد من يديه، هذا إذا ما استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز ...» (شالر) ،وليام، 1982: (81)، كما وصف الدكتور شاو، الصيدلة بالبدائية التي تعتمد على الشعوذة والطلاسم¹. إلا أن ابن حمادوش شد عن هذه القاعدة، فتوجه إلى دراسة العلوم الطبيعية وبرع فيها، فاعتمد في تأليفه الطبية على المناهج الحديثة المطبقة في العلوم التجريبية. وقد استعان ابن حمادوش بتقنيات البحث العلمي، كالملاحظة العلمية، حيث وقفنا في رحلته على تلك الملاحظات الدقيقة، التي سجلها في لسان المقال، ومنها على سبيل المثال ما ذكره من وصف المياه واختلاف ألوانها ووصف الطيور والنباتات مع تسجيل خصائصها ومقارنتها بما في بلاده من أنواع².

أما التجربة فكانت منهجه في صناعة الدواء والترياقات، فاعتمد على إخضاع العينات والحالات إلى أدوية معينة، ومقادير مضبوطة، ومنها سار إلى التعميم في إصدار الأحكام، ثم وضع المقادير المناسبة لصناعة الدواء، ولعل ما يثبت ذلك ما ذكره عن مرضه الذي أصابه بفاس حيث قال فيه « ... أصابتي حمى شديدة فلم استطع القراءة حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من (السكينة) كينة فاشتريتها بستة موزونات، فلما أخذتني واشتدّ بي بردها دقت الثمن الأول وشربته في فنجال قهوة، فلما استقر في بطني، أمسكت الأعضاء كلها عن الاختلاج إلا عرقاً واحداً في يد اليمنى بقي يختلج اختلاجاً يسيراً، فلما شربت الثمن الثاني انقطع من كل عضو، ثم شربت الثمن الثالث فلم يبق بي ألم منها، إلا أنها كسر سورتها الدواء كأنهما تعاندا وتدافعا فتقلت من شدة الحرارة والزمني النوم فبقيت كذلك إلى غروب الشمس، فانصرفت تلك الحرارة عني، والحمد لله ... »، ويظهر من هذا كله أن ابن حمادوش كان دقيق الوصف للأعراض متتبعاً للداء وما يحتاجه من مقدار الدواء³.

وقد أشاد به الطبيب الفرنسي لكليك والطبيب غابريال كولان، حيث قال الأول إن مؤلفات ابن حمادوش لا تستند على الخرافات كما هو شائع في الجزائر آنذاك، وقال إن ابن حمادوش يمثل آخر العلماء المسلمين العظام في مجال الطب⁴، أما غابريال كولان فقد أثنى على كتابات ابن حمادوش وبخاصة كشف الرموز الذي درسه ونال من خلاله درجة دكتوراه في الطب⁵.

لقد كان ابن حمادوش شديد الاهتمام بملازمة العلماء والفضلاء، ومصاحبة المشايخ، والصلحاء، دارساً ومستجيزاً، شارباً من أيديهم مداد العلوم وفيض الآداب، ليصنع من ذلك فكره المتميز المبدع.

1 Dr SHAW, Voyage dans la Régence d'Alger. Traduit par Mac Carthy. Paris: Éd Marlin, 1830,p136.

2 ابن حمادوش عبد الرزاق، نفس المصدر السابق، ص73.

3 ابن حمادوش عبد الرزاق، نفسه، ص84.

4 LECHERC_loucine, OpCit,p 310.

5 Colin Gabriel, OpCit,p25-45.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

إنَّ عبد الرزاق ابن حمادوش يعدُّ بحق فريد زمانه، فقد طرق باب علوم كثيرة، فكتب في التاريخ والأدب، وألف في الحساب والفلك، كما خلف رسائل في المنطق والتصوف، فكانت إسهاماته في الطب والصيدلة نجومًا اهتدى بها الجزائريون في تلك العتمة العلمية التي أغشت سماء البلاد في العهد العثماني.

4 الشيخ أبو راس الناصر المعسكري:

يُعدّ الشَّيْخ أبو راس الناصر أحد علماء وفقهاء الوطن الغريسي الراشدي ممَّن وفدوا على مدرسة مازونة الفقهية،¹ وإذا كان أبو راس قد تتلمذَ على خمسة علماء بمعسكر وعلى إثنين بمستغانم، فإنَّه تتلمذَ على أربعة عشر عالمًا بـمازونة.² حيث يذكر مولاي بالحميسي أنَّ الفترة الحاسمة والأساسية في حياة أبي راس النَّاصر هي فترة تَعَلُّمِهِ بـمازونة لمدَّة ثلاث سنوات، بعد أن أخذَ عن مشايخ ذلك الزَّمان ودرس مختصر الشيخ خليل، وهو الذي قال: "ومن مازونة نبغ عنصر أسرار خليل ونم نوره في الأقطار"³ وفي هذا المقام يقول مولاي بالحميسي: "ولولا أبو راس الناصر الذي تتلمذَ عليهم لما عرفنا عنهم شيئاً، أفادنا رحمه الله بشهادته الحيَّة قائلاً: جهابذة... فهم ذو الخبرة التامة بعلم الشريعة ولمختصر خليل حفظاً ولفظاً ومعنى، وكانت ميّزتهم الأولى أنَّهم من أهل البلد الشَّيء الذي ضمن للمدرسة الإستقرار مَكَّنَ من مواصلة المُهمَّة، وكان عددهم مُتوافراً فإن كان أبو راس قد أخذ على 5 معلمين بمعسكر وعلى 2 بمستغانم فإنَّه تتلمذَ على 14 بـمازونة على حدِّ قوله فلا غرابة إذا لُقِّبت مازونة بمدينة العلماء".⁴

1.4 إسمه ونسبه:

هو العلامة محمد أبو راس بن أحمد بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعسكري، الملقب بالحافظ⁵ وذلك لغزارة وعلمه وسرعة حفظه، كما نجده يكتنى بأبي راس بسبب كبر رأسه⁶، يعتبر أبوراس الناصر من أهل النظر ومن فحول العلماء الأعلام ذو اطلاع واسع الراسخين في العلم الذين حملوا راية الفكر والثقافة في الجزائر خلال العهد الاخير من الوجود العثماني في الجزائر⁷، كما ذكر ذلك في المصادر قد عرّف بنفسه في سيرته الموسومة بـ: فتح الإله، التي تُعتبر أكبر مرجع لذلك. وعليه فهو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل.

1 محمد الأمين بلغيث، مدرسة مازونة الفقهية وآثارها...، "المرجع السابق"، ص، 128.

2 لقد إنتقد مولاي بالحميسي كلَّ من أبو القاسم الحفناوي وعادل نويهض بعد أن غابت هذه الفترة الأساسية من حياة أبي راس الناصر في كتابيهما، ومَرَّ عليها مَرَّ الكرام بقوله، "حيث تناسى الحفناوي ما قاله أبو راس النَّاصر نفسه، أنَّه درس على 41 أستاذا منهم 5 بمعسكر و 2 بمستغانم و 14 بـمازونة، ثمَّ يَقْفِز بنا الحفناوي مباشرةً إلى مصر وتونس وفاس، والظاهر أنَّه لم يُطالع التَّرجمة الذاتية للنَّاصري فتح الإله ومُنْتَه في النَّحْدَث بفضل ربِّي ونعمته الرَّحمة المشهورة". مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، "المرجع السابق"، ص، 44.

3 "المرجع نفسه"، ص، 44.

4 "المرجع نفسه"، ص، 24.

5فاطمة سيدهم، علاقات دايات تاجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص353.

6فاطمة سيدهم، علاقات دايات تاجزائر بالدولة العثمانية، المرجع السابق، ص353.

7فاطمة سيدهم، علاقات دايات تاجزائر بالدولة العثمانية، المرجع السابق، ص353.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

وعلى ما يبدو أنّ أبو راس الناصر قد أكّد على نسبه الشريف¹ وابتنائه إلى البيت النبوي الشريف بقوله: "أنّ هذا النسب مُتّصل إلى عمر وبن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم"²، أما والده الشيخ أحمد، فكان من القراء المتميزين والماهرين والأساتذة المشهورين والمعروفين بالصدق والصلاح، وأيضاً من حفظة القرآن الكريم، "ومن أهل الحزم في الأدب والجد، ويعد من بين الأتقياء الورعين الصالحين" وأما جده فهو: "الشيخ عبدالقادر الذي انقادت إليه أزمة ذوي الأقدار والمقادير، فكان بحق يعتبر أعجوبة زمانه في الولاية والصلاح والفضل والفضيل... وكان القرآن الكريم مذهبه على طريقة المشاركة"³.

وأما زوجة جده "السيدة زينب ذات المنصب الأفخم الجليل بنت الشيخ السيد عبد الجليل ذي المزايا العظام والمناقب الجسام"، وجد والده هو: "الشيخ محمد فقد كان من الفقهاء في جانب الفقه وكذلك يعتبر من المفتين، وخاصة في علم الفرائض"⁴، وأما بالنسبة لوالده الزاهد العارف الشيخ أحمد والذي سمي عليه والد أبو راس الناصر وهو مدفون بمكان يطلق عليه يزغت⁵، ووالده الشيخ علي الذي كان من خيار العباد وثقات العباد... وضريحه بوزغت، ووالده ولي الله سيدي عبد العظيم وضريحه موجود بالمنطق نفسها، ومن بين أباء هذا السيد العظيم ولي الله عبد الجليل وضريحه موجود بتربة ويزغت، إلا أنه لم يعرف على حد ما ذكره أبي راس الناصر⁶.

1 إذا كانت معظم المصادر و المراجع تتفق على نسبه الشريف، فإنّ الدكتور أبو القاسم سعد الله قد شكك في إنتماء أبي راس إلى النسب الشّريف بقوله، "إذا كنّا لا نشكّ في موهبته كنسابة، فإننا نشكّ في نسبته إلى الشّريف". أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (1981)، ص، 89.

2 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص، 25.

3 بن عمر حمدادو، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي راس الناصر المعسكري، الحوار المتوسطي، مج9، ع3، جانفي 2019، ص170.

4 بن عمر حمدادو، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي راس الناصر المعسكري، نفس المرجع السابق، ص170.

5 ويزغت، هي إحدى مناطق الوطن الراشدي، بحيث تقع في حجر كرسوط شرقاً، حوالي ثمانية كلم ما بين وادي تاغية ويزغت، وتحيط بها مجموعة من القبائل منها قبائل سيدي عمر وهو جده من قبائل الحشم بحيث كان بها حواي ستون جامعاً خلال الفترة العثمانية، للمزيد أنظر على تعليق، بن عمر حمدادو، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم... نفس المرجع السابق، ص188.

6 بن عمر حمدادو، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم... نفس المرجع السابق، ص171.

بحيث يعتبر الشيخ أبو راس الناصر من أفضاذا العلماء الذين ظهروا بالمغرب الأوسط قبل الاحتلال الفرنسي بقليل وقد وصفه علماء الشرق بشيخ الإسلام¹.

كما أكد أبو راس على شرعية نسبه بإنتمائه الحسني ونسبه النبوي² وإرتقاعه إلى البيت الكريم العلوي بقوله: "قد شهد لي بالشرف السنّي والمنتمى الحسني، والنسب النبوي والبيت الكريم العلوي الشّيخان الشّامخان الرّاسخان الأوّل: الشيخ المصطفى بن المختار والثّاني تلميذه: الشيخ سيدي عبد القادر السنوسي"³، ويذهب بن حمدادو بن عمر أن تلميذه الثّاني هو: حامد المشرفي⁴.

2.4 مولده:

وُلِد أبو راس الناصر سنة 1150هـ / 1737م⁵، بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالمغرب الجزائري بين جبل كرسوط⁶ وهونت⁷ في منتصف القرن الثّاني عشر للهجرة، وفي هذا المقام يقول أبو راس الناصر عن مولده: "ولمّا ولدت بالموضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي، الذي كاد أن يكون كالجيلي شيخ بعض شيوخ الشيخ علي بن موسى اللبوخي،⁸ أحد صلحاء أرض

1 نصيرة بحري، محمد قادة، صورة أبي راس الناصري من خلال رطلته فتح الإله وممّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 14، ع 1، جوان 2023، ص 284.

2 لقد عالج أبو راس الناصر قضية النسب كثيراً في مؤلفاته لعدّة أسباب ذكرها في كتابه زهر الشماريخ في علم التاريخ بقوله، "بقاء الأنساب محفوظة وصفاتها على صفة أباؤها، لكن لإختلاط النّطف تبدّلت الأنساب وتبدّل خطّي الألوان في كلّ أوان ومكان". أبو راس الناصر، زهر الشماريخ في علم التاريخ. مخطوط بخزانة الشيخ بلقرند بوكعبر، معسكر، الورقة، 222.

3 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص، 22.

4 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مجلة العلوم الإنسانية، مج 2، ع 1، ديسمبر 2012، ص 132.

5 لقد أجمعت أغلب الدراسات العربية والاجنبية منها أن تاريخ 1737م هو التاريخ الصحيح لميلاد الشيخ ابو راس الناصري المعسكري، أنظر إلى تعليق، حكيم بن يلس، نفس المرجع السابق، ص 207.

6 كرسوط، هو جبل يقع غرب وادي التاغية بالمغرب الجزائري، وبالضبط جنوب مدينة معسكر، سُمي بكرسوط نسبة إلى ساكنه في القديم من الزّمان يبعد بحوالي 08 كلم من وادي تاغية. حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر... "المرجع السابق"، ص، 52.

7 هونت، جبل يقابل جبل كرسوط من الناحية الغربية كان تحت حكم المرينيين، حيث يرجع نسبهم إلى أبو سيدي أحمد بنومرين منذ أزيد من سبعة قرون. "المرجع نفسه"، ص، 52.

8 يقصد به المتصوف الكبير وكذلك يطلق عليه بشيخ شيوخ الطرق الصوفية عبد القادر المعروف بالجيلالي أو الكيلاني أو حتى الجيلي توفي سنة 561هـ/1166م، بحيث تنتسب إليه الطريقة القادرية.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

اليقوبية¹، فبارك عليّ وأخبر بغيث خوارق وعادات تكون لي مودّات من علم وعمل وصلاح وغنى وحفظ وإصلاح وشيخ طلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف...².
3.4 كنيته:

حسب ما وصف كان متوسط القامة نحيف الجسم، أبيض البشرة، خفيف اللحية، صغير العينين طويل الأنف، كبير الراس، وربما هذه الصفة الأخيرة نسبت إليه وسجلت عليه تاريخياً.
4.4 لقبه:

إن ما تميز به الشيخ أبو راس الناصر بقوة الحفظ وكما يلقب بذلك أي بالحافظ³، بحيث عرف و اشتها بغزارة العلم ثقافة واسعة وفي هذا السياق يقول عنه تلميذه أبو حامد المشرفي بحيث يشبهه بأسد الفرات في غزارة علمه وإطلاعه على المذهب المالكي، كما قال عنه ابن سحنون الذي تتلمذ عليه بأنه متقن لجميع العلوم، عارف بالمذاهب الأربعة، لا يسأل عن مسألة إلا ويجيب عنها بدهاء كأنها حاضرة بين شفّته⁴. وكذلك يُلقب بالحافظ لغزارة علمه، وقيل أنه اشتهر بأبي راس لضخامة رأسه أو لكثرة وسعة معلوماته وسرعة حفظه⁵، وقيل أيضاً بحافظ المغرب الأوسط⁶.

بحيث لم يترك الشيخ أبوراس الناصر فرصة تقوته دون أن يعتمد بهذا اللقب بحيث يقول: "واجتمعت بعلماء مصر بجامع الأعظم وتناظرنا وتذاكرنا مسائل جهة، ثم قالوا: من لقب بالحافظ لأبد أن يختص بشيء دون غيره، أنت ماذا تحفظ؟ قلت: أحفظ كذا وكذا من سائر العلوم قالوا: لدينا كثيراً من الناس يحفظ مثلك وأكثر قلت: أحفظ أحكام القرآن كلها وأفهمها قالوا: عندنا كثير من يحفظ حفظاً وفهما قلت: أحفظ ألفية بن مالك ومنظوم البيان وما من باب إلا أفهمها، وفصل إلا أعرف كم عمه من بيت قالوا: لم نر من يحصيه ولا سمعنا به ونحن بمدينة العلم الحاوية كل أمر غريب⁷.

1 يعد من أحد صلحاء اليقوبية من بني يعقوب، بحيث تعتبر اليقوبية قبيلة تقع في جنوب معسكر تمتد جنوباً إلى فرندة وكذلك سعيدة، للمزيد أنظر إلى عبدالقادر المشرفي بهجة الناظر، تح محمد بن عبدالكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 14.

2 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص 19.

3 ذهبية بوشيبية، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني "أبي راس الناصري نموذجا"، مذكرة لنيل درجة الماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2008-2009، ص 319.

4 قدور بوجلال، العلم والعلماء... المرجع السابق، ص 245.

5 قدور بوجلال، العلم والعلماء... المرجع السابق، ص 245.

6 حكيم بن يلس، نفس المرجع السابق، ص 209.

7 عبدالقادر بلعربي، أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني، آفاق فكرية، مج 10، ع 1، ماي 2022، ص 580.

5.4 نشأته وحياته العلمية:

يشير الباحث قدور بوجلال أن أبو راس قد نشأ في بيئة فقيرة جداً بحيث فقد والدته زولة وهو صغير بسهل متيجة أين إستقرت بها عائلته،¹ بالرغم أنه عاش فقيراً الحال يتيماً بعدما فقد والدته زولة بنت السيد الشيخ امير بن عبد القادر التوجاني أثناء تنقل عائلته إلى متيجة ومنها انتقل إلى مجاجة صحبة والده الذي بقي بها عاكفاً على القرآن وتعليمه للرجال والصبيان، وتزوج والده هناك عدة نساء إلى أن توفي وقبره بروضة الشيخ أحمد بن عبد الله بأم الدروع²، وفي هذا المقام يقول أبو راس الناصر: "فأخذنا بعد موت أبينا وإنقلب بنا إلى المغرب، أمّا أخي فيمشي وأمّا أنا فيحملني على عاتقه لصغري فكُنّا معه في الشرائع فقرأت القرآن في حال صغري، ثم قرأت أحكام القرآن وحفظتها على ظهر قلبي...".³

6.4 مناقب العلامة الشيخ ابوراس الناصر:

نجد الكثير من مناقب العالم الجليل اضافة العديد من شهادات كبار العلماء على العلامة أبي راس نذكر منها:

ثناء الشيخ السنوسي الكبير في فهرسته بحيث يقول فيه: "كان شيخنا المذكور حافظ عصره وإمام قطره، الشائع عنه أنه لايزيد على مرة في مطالعة الدرس لما منحه الله من سيلان الذهن وسعة الحافظة، وكان حافظاً متقناً لجميع العلوم عارفاً بالمذاهب الاربعة لايسأل عن نازلة إلا يجيب عنها ببداهة كأنها حاضرة بين شفيته، محققاً لمذهب مالك لاسيما مختصر الخليل... وهذا له دلالة على قوة علمه.

وعندما كان يؤدي في فريضة الحج للمرة الثانية وذلك سنة 1226هـ/1811م التقى بكبار العلماء الجزائري أمثال القدوة سيدي أحمد بن عمار المفتي الحنفي، وكذلك قاضي العاصمة أحمد بن جعدون، وايضا المفتي المالكي علي بن عبد القادر بن الأمين، والتقى أيضا بعلماء تونس ومصر والحجاز

1 محمد بشير بويجرة، "التسامي و العبقرية عند أبي راس، قراءة في فتح الإله وفق المنهج النفسي". مجلة قراءات دورية لغوية أدبية محكمة يُصدرها قسم اللغة العربية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي بمعسكر، العدد، الأول، 2008، ص، 100.

2 قدور بوجلال، العلم والعلماء... نفس المرجع السابق، ص245.

3 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص، 19.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

والشام وكانت بينهم مناظرات وحوارات وبالتالي لفت انتباه كبار العلماء من قوة حفظه واتساع علمه ومعرفته فأجاز واستجاز¹.

ونجد من علماء تونس الذي التقى بهم العلامة ابو راس الناصر الشيخ إبراهيم الرياحي الذي مدحه وأثنى عليه بقصيدة تحمل تسعة وخمسين بيتاً، نجوز منها:

وسلم الأمر تسليم السوراي لأبي رأ
حبر تقيض بعرفان جوانبيه
انفاسه بضروب العلم سامحة
تراه أششتات الفضائل من
إذا تحدثت فاسمع مالكاً
س ودون مثلل مسادانو ليزدان
إن لم تقل فهو في التحقيق عرفان
وكل عضوله درس وتبيان
قوم مضوا فكان القوم ما دانو
وإذا تفقه اهتز بالاعجاب نعمان².

7.4 رحلات الشيخ أبو راس الناصر العسكري:

والجدير بالذكر أن أبو راس الناصر كان كثير الترحال بحثاً عن طلب العلم، بحيث تأثر بكبار المؤرخين في الجزائر وخارجها، بحيث نجده يخصص الجزء الثاني والثالث من خلال كتابه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" لرحلاته وكذلك شيوخه الذين أخذ عليهم العلم والذين كذلك أزالوا قشب أوساخه ، فالباب الثاني تحدث عن أشياخه وكان عنوانه تحت اسم: "أشياخي النافضين عني قشب أوساخى شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة"³.

وبعد عودته من المغرب إتجه إلى معسكر وبالضبط إلى القبطنة التي كانت أكبر معهد علمي لدراسة علوم الشريعة،⁴ فقرأ الفقه على علمائها ليتوجّه بعدها إلى مازونة والتي كان صيتها يجول في تلك الفترة باعتبارها مركزاً ثقافياً نشيطاً لتحصيل العلوم الدينية والدنيوية، حيث أظهر نقوفاً في قراءة مصنّف خليل فمكث بها حوالي ثلاث سنوات⁵ وفي هذا المقام يقول أبو راس الناصر: "... ولما أتقنت القرآن بأحكامه مع الأنصاص التي للشيخ ابن أزقاق والشيخ الطاهر بن عمرو المغراوي وغيرهما،

1 فاطمة سيدهم، علاقات دايات تاجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص 355-356.

2 فاطمة سيدهم، علاقات دايات تاجزائر بالدولة العثمانية، نفس المرجع السابق، ص 356-357.

3 حمدادو بن عمر، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية في علم الصيد، دراسة وتحقيق، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، 2010، ص 65.

4 مولاي بالحيمسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (1979)، ص، 03.

5 مولاي بالحيمسي، مازونة مقصد الدارسين...، "المرجع السابق"، ص، 44.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

إنقلت لقراءة الفقه فقرأت على فقهاء أم معسكر الآتي ذكرهم إن شاء الله، ثم سافرت أول صومي لمازونة... فلقيت على صغري مشقة المشي لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم".¹

ليرجع بعدها أبو راس إلى معسكر ويُسَمَّرَ عن ساعديه للتدريس مدة ست وثلاثين سنة، فكان يُورد درسه على التحقيق والتدقيق ويرشحه بتتمة أو لطيفة مهمة أو تنبيه وجيه أو تكميل وتذييل، إلى أن صارت حضرته في العلم تُذَكَّرُ في الآفاق وتُناظِرُ دروس مصر والشام وتونس والعراق.² كما إلتقى بعدها بالشيخ عبد القادر المشرفي³ الذي درس عليه أبو راس ألفية ابن مالك على شرح المكودي والتي جعل عليها حاشيتين صغرى وكبرى، إلى أن قام بإنجاز تأليف عند إتمام الدراسة أُعتبر بمثابة خلاصة لما درسه، وكان مؤطره في ذلك الشيخ المشرفي الذي كانت شهرته العلمية الواسعة تملئ ربوع الوطن داخله وخارجه في ذلك العصر.⁴

ومما تجدر الإشارة إليه أن أبي راس الناصر قد زار مدينة الجزائر سنة 1789م تعرّف خلالها بعدة علماء وشعراء وكتّاب، حيث إلتقى بمفتيها الشيخ محمد بن جعدون وكذلك فقيهها الشيخ محمد بن مالك، وتناقشا وتجادلا حتى الفجر. وهو ما يرويه عن نفسه حيث يقول: "... فضيفني وجمع العلماء عليّ وتمادوا وسألوني أسئلة صعبا عظيمة، فنقاوضنا فيها مفاوضة كبيرة إلى قرب الفجر..."⁵ كما نزل بقسنطينة وإلتقى بعالمها عبد الكريم محمد الفكون.⁶

ويبدو أن أهم ما ميّز حياته العلمية كثرة شيوخه فلقد أفرد باباً خاصاً بهم في مؤلفه فتح الإله سمّاه: "ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي: شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة"⁷،

ومن الملاحظ أن أبي راس الناصر قد إلتقى بالبعض من هؤلاء الشيوخ خلال رحلاته العلمية التي قام بها، فلقد تنقل كثيراً سواء داخل الجزائر أو خارجها¹، وبذلك إمتازت رحلاته بالتنوع والأهمية البالغة في تكوينه

1 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص، 20.

2 وذلك بعد قيامه بالعديد من الرحلات خارج الجزائر للمزيد ينظر، محمد غانم، "أبو راس المعسكري مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري". مجلة الحضارة الإسلامية 1426هـ- 2005م، العدد، 12، ص، 180- كمال فيلالي، "هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني". مجلة المواقف، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول، الظاهرة الدينية، قراءات جديدة من منظور العلوم الإجتماعية والإنسانية، أيام 14 و 15 و 16 أبريل 2008، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، ص، 378.

3 عبدالقادر المشرفي، هو الشيخ أبو المكارم عبدالقادر بن عبدالله ابن محمد بن أحمد بوجلال المكنى بابن دح المشرفي، شيخ الجماعة وإمام الراشدية واسطة عقد قلادة المشارف، من أبناء الولي الصالح سيدي يوسف بن عيسى البوخليلي الإدريسي الحسني دفين "الكرط بمدينة معسكر، للمزيد أنظر إلى، نورالدين ماحي، تراث القاضي محمد الطاهر بن عبدالقادر المشرفي المعسكري، ألفا للوثائق، عمان الأردن، 2022، ص، 9.

4 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر...، "المرجع السابق"، ص، 66.

5 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص، 121.

6 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر...، "المرجع السابق"، ص، 67.

7 أبو راس الناصر، فتح الإله...، "المصدر السابق"، ص، 41.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

وتوجّهه العلمي المحض، حيث كانت البداية من فاس وهي رحلات متواصلة لطلب العلم والمعرفة ابتداءً من سنة 1801م.²

ولقد حجّ أبو راس مرتين أولاً كانت في سنة 1204هـ / 1790م، وتعدّ أكبر رحلة قام بها وقد إنلقى خلالها بشعراء وكُتّاب وعلماء أفادوه كثيراً. فإلتقى بعلماء الجزائر وقسنطينة وتونس ومصر والحرمين الشريفين والشام، ومن جملة الذين إنلقى بهم وخصّهم بالذكر و التّناء شيخه أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي الذي درس عليه العديد من العلوم فأجازه عدّة إجازات علمية.³

وأثناء عودته من الحجّ سنة 1205هـ / 1791م شارك في فتح وهران وألّف كتابه الموسوم بـ: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، كما تقلّد وظائف الفتوى والقضاء والخطابة لمدة ستة وثلاثين سنة 436، لكنه سرعان ما عُزل منها سنة 1211هـ / 1797م، لإتهامه بزلوعه في فتنة درقاوة التي ألّف عنها كتاباً سمّاه: "درء الشقاوة في فتنة درقاوة".⁵ ليتوجّه بعدها إلى فاس ويعدّ على السلطان مولاي سليمان، حيث أهدى له نسخة من الشرح الأكبر للمقامات والعقيقة، فأجازه واشتهر بمدينة فاس ولقبه علمائها وفقهائها بالحافظ لغزارة علمه وكثرة تأليفه.⁶

8.4 شيوخه :

بحيث يعرض فيه أبو راس الناصر أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم، ولعلّ من بينهم:

ذهبية بوشبية، نفس المرجع السابق، ص 338. 1

2 للمزيد عن مواقف أبو راس الناصر الفكرية والعلمية خلال رحلاته خارج الجزائر ينظر، ودان بوغوفال، "أبو راس الناصري والآخر، نظرة الفقيه إلى نابليون من خلال كتاباته". مجلة الحضارة الإسلامية، العدد، 12، 1426هـ - 2005م، ص، ص، 280، 281. - أيضاً، ودان بوغوفال، الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13 هـ / 19م الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع (2004)، ص، ص، 91، 93.

3 حمداو بن عمر، أبو راس الناصر...، "المرجع السابق"، ص، 68.

4 رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص 77.

5 إبن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى...، "المصدر السابق"، ص، 46.

6 لقد كان أبو راس كثير الزيارة للمغرب الأقصى، من ذلك الزيارة التي قادته إلى فاس سنة 1216هـ - 1802م حيث أقام بها مدّة، وأهدى العديد من المؤلفات إلى السلطان المغربي سليمان منها شرح بعنوان، "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان" وأثناء زيارته هذه كان يتّصل بالعلماء ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، لكن لا نعرف إن أثمرت هذه الإتصالات بإجازات علمية أم لا. كمال فيلالي، هجرة علماء غريس وتلمسان...، "المرجع السابق"، ص، 378. - للمزيد راجع، عمار هلال، "العلماء الجزائريون في فاس" مجلة الدراسات التاريخية، مجلة علمية تصدر عن معهد التاريخ بالجزائر، العدد، 09، ص، ص، 07، 60. ينظر أيضاً، محمد سي يوسف، "دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر". مجلة الدراسات التاريخية مجلة علمية تصدر عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد، 02، 1986، ص،

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

والده الشيخ أحمد بن أحمد: الذي تقدم ذكره وهو الشيخ أحمد بن أحمد بن الناصر ينتهي نسبه إلى السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، بحيث أخذ عليه أبو راس معظم القرآن الكريم بداية من سورة الانفتار الآية 01 على غاية الآية: 253 من سورة البقرة¹، وبالتالي منذ صغره إضافة إلى محيط عائلته العلمي ساعده في ظهور شخصيته العلمية مبكراً

الشيخ عبد القادر المشرفي، أبو المكارم ت 1192هـ / 1778م وهو من كبار شيوخ أبو راس الناصر وهو صاحب كتاب "بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان كبني عامر"².

الشيخ العربي بن نافلة: هو الشيخ العربي بن نافلة الذي سخر عمره بين تلاوة القرآن ودراسة العلم، صاحب الاصول والفروع، حافظ للمعاني شيخينا سيدي خليل بن إسحاق المالكي، بحيث قرأ عليه المختصرات حوالي ثلاث ختمات في حدود ثلاث سنوات كما درس شيخنا على يد ابنه السيد أحمد بن نافلة³.

محمد الصادق بن أفغول: الذي كان جامعاً للعلوم، وفي فنونها بارعاً مقدماً في معرفة الحديث على أقرانه إضافة إلى حسن فهم السنة والكتاب⁴.

عبد الله بن حجازي الشرفي الأزهرى: 1150-1228هـ الشافعي صاحب الكتب النافعة ونذكر منها: فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي⁵.

الشيخ محمد بن مولاي سحنون قاضي معسكر: بحيث قرأ علي يديه الفقه⁶، و الشيخ القاضي عبد الرحمن التلمساني، المفتي أحمد بن عمار ابن مدينة الجزائر⁷، محمد بن قاسم، الشيخ محمد الأمير، الشيخ محمد بيرم وغيرهم من العلماء والشيوخ الذين ساعدوه على شق حياته التعليمية بل وأثروا في ملكته الفكرية والمعرفية⁸.

1 بن عمر حمدادو، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي راس الناصر المعسكري، نفس المرجع السابق، ص ص 171-172.

2 تقي الدين بوكعب، الفقه و القضاء المالكي في الجزائر خلال العهد العثماني قراءة في مخطوطة للشيخ أبي راس الناصر المعسكري "نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج2، ع2، ماي 2016، ص245.

3 بن عمر حمدادو، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي راس الناصر المعسكري، نفس المرجع السابق، ص 172.

4 حبيب رزاق، منهجية الشيخ الإمام أبي راس الناصري (ت، 849هـ) في الفتاوى من خلال كتابه، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والفتاوى، مجلة الحضارة الإسلامية، مج12، ع1، مارس 2011، ص114.

5 تقي الدين بوكعب، الفقه و القضاء المالكي في الجزائر خلال العهد العثماني...، نفس المرجع السابق، ص245.

6 عبد القادر بلعربي، نفس المرجع السابق، ص582.

7 يوسف ولد النبيلة، أبو راس الناصري في كتابات أبي القاسم سعد الله، التراث، مج8، ع4، ديسمبر 2018، ص807.

8 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر...، نفس المرجع السابق، ص ص 71-75.

والجدير بالذكر ان حياة الشيخ أبي راس الناصر المعسكري العلمية نجد كثرة شيوخه، بحيث أفرد بابا خاصا بهم في مؤلفه فتح الإله سماه في عدة أشياخي بحيث يقدم ويعرف فيه بأسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم، فقد تلقى عبد الله محمد أبو رأس تعليمه على يد كوكبة من المشايخ الذين كان لهم صيت واسع في المشرق والمغرب ، حيث تعلم على يد مجموعة كبيرة منهم نذكر أبرزهم: ومنهم الشيخ التلاوي، والشيخ منصور الضرير الذي أتقن على يديه القرآن الكريم وأحكامه، ونهم عن الشيخ محمد بن مولاي وعلى بن سحنون، وعلي بن الشنين، والشيخ الموفق بن عبد الرحمن الجلاي، والشيخ علي بن أحمد، كما تلقى على شيوخ مازونة أمثال: الشيخ ابن علي بن الشيخ ابن عبد الله المغيلي الذي شبه أبو رأس حلقاته بحلقة الإمام أحمد بن تيمية، ومنهم الشيخ القاضي محمد بن جعدون، كما كانت له علاقات بعلماء قسنطينة أمثال محمد بن الفكون والحاج علي الونيسي¹، ومنهم عبد القدر المشرفي الذي كان يحضر دروسه في المدرسة ويغسل ويكوي ثيابه في بيته، والشيخ المرتضي الزبيدي، الذي أجازته عام 1791م أثناء حجته الأولى وكان من أول أسماء بالحافظ في هذه الإجازة فخلده أبو راس الناصر من خلال كتابه "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى، كما كتب على باقي شيوخه من خلال تأليفه "افياقي في عدة أشياخي"²، كما تم ذكره سابقاً.

9.4 تلامذته:

يعد الشيخ أبي راس الناصر المعسكري ذو ثقافة واسعة وهو من الموهوبين في عصره، وكان يلقب كما أسلفنا بالحافظ، لا ريب أنه خلف من ورائه مجموعة من التلاميذ درسوا وتعلموا على يد الشيخ أبي راس الناصر ، ليصبح للجزائر أعلام من العلماء كان لهم شأن وفضل في ازدهار الحياة الثقافية في الجزائر، ومن جملة هؤلاء التلاميذ نذكر على سبيل المثال لا الحصر منهم:

➤ **الشيخ أبو حامد العربي المشرفي:** جاء في بعض الدراسات التاريخية أنه هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي حفيد عبد القادر المشرفي شيخ أبو راس الناصر المعسكري وهو صاحب الكتيب الموسوم بـ "بهجة الناظر" ولد العربي المشرفي بغريس بنواحي معسكر³.
الشيخ العربي بن السنوسي: هو محمد العربي بن السنوسي، كان يدرس القرآن الكريم برواية ورش، وسائر الفنون، أخذ عنه محمد بن علي السنوسي وولده سيدي محمد.

1 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، نفس المرجع السابق، ص134

2 رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص78.

3 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، المرجع السابق، ص134.

➤ الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1276م): هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي، بحيث يعد مؤسس الطريقة السنوسية، وتذكر بعض المصادر أنه ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل فدرس الكثير من العلوم المتنوعة من بين تأليفه: الدرر السنوية في أخبار السلالة السنوسية (مطبوع)، والمسائل العشر المسماة: بغية المقاصد و خلاصة المراد (مطبوع)، والشمس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشاركة . ولذا نجد محمد بن عيسى السنوسي يقول: "...ومنهم شيخنا وشيخ مشيختنا الهمام والحافظ، الإمام سيدي محمد أبو راس (الناصر المعسكري) المعسكري البلد، الناصر المحتد رحمه الله، كنت اتردد إليه.¹"

➤ الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله: (ت 1215هـ/ 1800م): هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتباً للباي محمد بن عثمان، وشارك بنفسه في الهجوم الشامل وتحرير مدينة وهران التحرير الثاني والنهائي عام 1792م كما عين ابن زرفة قاضياً بها إلى غاية (1800-1801م)².

➤ الشيخ عثمان الموسوي الهزاري: (ت 1238هـ): اسمه ابو عمرو عثمان بن محمود الهزاري نسبا، القادري طريقة، البغدادي منشأ و موطناً، بحيث قدم من بغداد و استقر بمدينة تازة المغربية فعرف ب: "التازي"، أجازه أبو راس ببثته "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"³، ويعتبر الشيخ المرتضى الزبيدي أيضاً من شيوخ أبي عمرو، ولكن أغفل عن ذكره في كتابه: "المعجم المختص"، و ممن أخذوا عن أبي عمرو العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد الهاشمي بن الحاج علي بن أحمد الصادقي الرتبي الفاسي، وقد أجاز به بسنده، وأسانيده مذكورة في الثبوت الذي جمعه تلميذه وسماه: "الفتح الوهبي فيمن أجاز لأخينا الحاج الهاشمي الرتبي" وفي هذا الثبوت مجموعة من اسانيد تتصل بأبي راس المعسكري بواسطة تلميذه عثمان بن محمود الموسوي المتوفي سنة 1238هـ⁴.

الشيخ عبد القادر بن السنوسي: هو العلامة السنوسي بن عبد القادر بن السنوسي بن عبد الله بن دحو بن زرفة⁵، ومما مدح به شيخه أبي راس الناصر:

الناصر طَّلَاعُ الثَّنَائِي

ذَاكَ أَبِـو رَاسٍ نَاصِرِ الدِّينِ

فَاطْلُبْهُ قَبْلَ طَلَبِ الْمَنَائِي

أَنَّ صَعْدَ الكُرْسِيِّ تُعْرِفُ سَمَّوَهُ

1 حمدادو بن عمر، نفسه، ص ص 134-135.

2 تقي الدين بوكعب، الفقه و القضاء المالكي في الجزائر خلال العهد العثماني...، نفس المرجع السابق، ص 246.

3 عبد الكريم حمو، حمدادو بن عمر، التُّرَاثُ النَّقْصِيُّ فِي الْجَزَائِرِ مِنْ خِلَالِ مَخْطُوطِ "الإِبْرِيْزِ وَالْأَكْسِيْرِ فِي عِلْمِ النَّقْصِيْرِ لِأَبِي رَاسِ النَّاصِرِيِّ الْمَعْسُكِرِيِّ" - دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ بِلَاغِيَّةٌ -، الحِوَارِ الثَّقَافِي، مج 11، ع 2، ديسمبر 2022، ص ص 175-176.

4 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، نفس المرجع السابق، ص 135.

5 عبد الكريم حمو، حمدادو بن عمر، نفس المرجع السابق، ص 176.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

ولا تَسْرِرُ إِلَيْهِ ذَا تَسْرِيهِ
بَلْ لَا تَسْرِرُ إِلَيْهِ إِلَّا جِدًّا تُقَدِّمُ
كَمِ مَتَّوَانٍ حَاوِيٍّ الْعِنَايَا
وَتَكْسِي حَائِلَ الْهِنَايَا
فَهُوَ الْمَجْدُّدُ مِنْ غَيْرِ مَيِّنٍ
عَوْضَنَا اللَّهُ بِسَبْطِ السِّيُوطِيِّ
فَاعْتَدْنَا مِنْهُ شَيْمًا سِنَايَا¹.

10.4 إجازته:

لا يختلف المؤرخون أن الشيخ أبو راس الناصر كان شغوفا محبا للعلم والعلماء، وكان يحدث دوماً ويتطلع للاستزادة في مكانته العلمية، وكما أنه ارتحل و سافر إلى الكثير من المناطق من التحصيل العلمي وكذلك الأخذ من أعلامها وعلمائها وفقهائها، ومن خلال هذه الرحلات تلقى عدة إجازات من شيوخ تلك المناطق ومن أبرز هذه الإجازات نذكر منهم: إجازة الشيخ مرتضي الزبيدي، فقد روى له أبو راس الصحيحين، ورسالة القشيري، ومختصر العين ومختصر الكنز الراقي ويذكر لنا في رحلته نص بعض إجازته يقول: "إني أجزت الفقيه العالم المتقن الحافظ فلان، إلى أن قال: ذاكرني في فوائد جمعة، وذاكرني بمطالب مهمة"، فقد أخذ إجازة من هذا الشيخ².

كما أجازته في مصر أيضاً عالمة الشرقاوي، وقد قرأ عليه مذهب الشافعي رضي الله عنه، وقد أطلق عليه لقب "شيخ الإسلام" وقد أخذ العديد من الإجازات من شيوخ آخرين أمثال الشيخ عصمان الحنبلي، أحمد بن الحسين بن أحمد الأصبهاني... الخ وهم من شيوخ مصر³، أما في الجزائر لم يذكر أبو راس الناصر الشيوخ الذين أجازوه، الشيخ محمد الطاهر بن عبدالقادر بن عبدالله بن محمد بن دح المشرفي المعسكري⁴.

ومن شيوخ مكة المكرمة الذين أخذ منهم الإجازات، الشيخ غمارة العلاف، فقد روي له بعض كتب السنة مثل كتاب صحيح البخاري، كما أجازته أيضاً "الشيخ عبد المالك الحنفي المفتي الشامي القلعي وقد قرأ عليه نبذة من الحديث ونبذة من كتاب الكنز، وشيئاً من التفسير في سورة النور، وأجازني بالباقي"⁵.

11.4 معالم تصوفه:

تذهب الكثير من الدراسات السابقة التي لم تؤكد على تصوف العلامة أبو راس الناصر، لكن يشير الدكتور تقي الدين بوكعبير من خلال دراسة وتحقيق كتاب "القول الأحوط في بيان ما تداول من

1 حدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، نفس المرجع السابق، ص136.

2 أبو راس الناصر، فتح الإله... نفس المصدر السابق، ص116.

أبو راس الناصر، فتح الإله... نفس المصدر السابق، ص1163

4 لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830، نفس المرجع السابق، ص133.

عبدالقادر بلعربي، نفس المرجع السابق، ص586. 5

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

العلوم وكتبه بالمغربين الاقصى و الأوسط" أن الشيخ أبوراس الناصر كان من المتصوفة، بحيث من مظاهر و معالم تصوفه ولو بشكل نسبي من خلال ما أنتجه من مؤلفات ومخطوطات في ميدان التصوف التي سوف نذكرها لاحقاً، وربما هذا الأخير دليل على تصوفه أو ميله إلى التصوف¹، وفي هذا السياق تذهب الباحثة نصيرة بحري ومن خلال كتاب فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته لشيخ أبو راس الناصر بحيث يذكر فيها حياته وتصفوفه على ذكر تعريف مختصر له ورد فيه ما يلي " إن ناصر أبو راس المعسكري يعدّ مؤرخاً وحافظاً له مشاركة في الفقه والأدب والحديث"²، ويذكر عبد الباقي مفتاح أن أبوراس الناصر كان من علماء الطريقة التجانية³.

وربما يشهد على ذلك مناقشاته مع علماء عصره، وما عرف عنه في مرجعيته الدينية بأبعادها الثلاث؛ من حيث العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي وطريقة الجنيد⁴ في التصوف السني، بحيث ورد شعرا في مدح العلماء له بنسبته إلى هذه المرجعية، وذلك في قول السيد إبراهيم الرياحي:

وَسَلَّمَ الْأَمْرَ تَسْلِيمَ الْوَرَى أَبِي رَأْسُ ، وَدَنَّ مِثْلَ مَا دَنَّا فِي زَدْنِ
ويقول أيضا:

إِذَا تَحَدَّثَ فَاسْمَعْ "مَالِكَا" وَإِذَا نَقَّهَ اهْتَزَا بِالْإِعْجَابِ "نَعْمَان"
وَمَا شَعَرْتُ بِغَيْرِ الْأَشْعَرِيِّ إِذَا تَكَلَّمْتُ مِنْهُ بِالتَّوْحِيدِ أَرْكَان
وَلَا نَظَرْتُ إِلَّا غَيْرَ الْجُنَيْدِ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَآلَهُ بِالشُّوقِ تَخْنَان⁵.

وبالتالي نلاحظ أن أبو راس الناصر له مرجعيته الدينية والتي تتمثل في المذهب المالكي، وكذلك في نفس الوقت كان انفتاحه وتقبله المذاهب الأخرى ودرس جملة من العلوم كما تقدم ذكره، والجدير

1 انظر إلى، غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الاقصى و الأوسط، تعليق العلامة محمد الحرشوي التلمساني الجزائري، دارسة وتحقيق، تقي الدين بوكعبر، دار الخيال للنشر والترجمة، برج عريح، الجزائر، 2021، ص295.

2 نصيرة بحري، محمد قادة، صورة أبي راس الناصري من خلال رحلته فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، نفس المرجع السابق، ص285.

3 مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر كونين الوادي الجزائري، ص154.

4 سمه أبو القاسم الجنيد النهاوندي البغدادي القواريري، ولد ببغداد ذات يوم من العقد الثالث للقرن الثالث للهجرة. أصله من نهاوند، ولذلك يكنى بالنهاوندي البغدادي. أما لقب القواريري، فأخذه عن أبيه لأنه كان يبيع الزجاج. ويعد الجنيد من علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف، للمزيد أنظر إلى، عبد الباقي مفتاح، الإمام الجنيد عند محيي الدين ابن العربي، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، مج1، ع1، جوان 2018، ص124.

5 حسناوي الساسي، الجهود الفقهية للحافظ محمد أبي راس الناصر الجزائري (ت1238هـ) وأثرها في حفظ المرجعية الدينية في الجزائر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مج14، ع1، فيفري 2023، ص120.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

بالذكر أن مدحه كان من عالم له وزنه ومكانته في عصره، وهنا أيضاً إشارة لتصوف أبو راس الناصر، لكن في بحثنا لم نجد انتساب الشيخ أبو راس الناصر لطريقة محددة وهذا الأخير يطرح الكثير من التساؤلات؟.

12.4 موقفه من التواجد العثماني:

نجد أن بعض العلماء و شيوخ الزوايا والطرق الصوفية قد حملوا لواء العداء ضد التواجد العثماني، فإن أبا راس يساند ويدعم حكمهم و يمنح الشرعية، بل يذهب أكثر من هذا بحيث ينتقد كل الحركات المناوئة لهم، و يظهر أن مباركته للنظام السياسي القائم آنذاك لم يكن لدوافع مادية أو مصالح شخصية، خاصة و أن أبا راس عاش طول حياته فقيراً، و إنما اعترافاً بما قدموه للجزائر منذ مجيئهم إليها و دفاعهم عنها ضد الاخطار التي كانت تهدد الجزائر، فهو يؤرخ لمجيئهم و يطبعه بنوع من الشرعية¹.

13.4 آثاره العلمية:

لقد كتب أبو راس في كلّ علوم عصره كعلوم القرآن والتفسير والقراءات والحديث والفقهِ والتصوّف والنحو واللغة، والبلاغة والعروض والمنطق والأصول والتراجم والأنساب والتاريخ والجغرافية كما نظم الشعر. حيث أنّ هذا التوسّع في العلوم قد جمع بين التأليف الأصلية التي هي من وضعه، والشروح والتعليق على كتب وقصائد له أو لغيره.²، مما يجعله يتصدر قائمة المكثّرين في التأليف خلال العصر الحديث في الجزائر على وجه الخصوص والمغرب والمشرق على وجه العموم.

وعلى ما يبدو أنّ أبي راس الناصر قد خلّف كتباً كثيرة في مجال التاريخ وغيره بعضها موجود وبعضها مفقود، حيث ذكر أنّ مجموع تأليفه بلغت نحو الخمسين كتاباً في التفسير والتاريخ والأدب والتراجم والرحلات.³ في حين ذهب بعضهم إلى أنّ مؤلفاته قد بلغت ما يزيد عن الستين كتاباً⁴، وفي حالة الاعتماد على القائمة الموجودة في الفصل الخامس من تأليف الناصر "فتح الإله ومنتها" فهي تحتوي على ثلاثة وستين⁵، كما نُسب إليه أزيد من ثلاثين ومائة مُصنّف في مختلف الأغراض بين

1 محمد بوشنافي، أبو راس الناصر المعسكري و قضايا عصره من خلال مؤلفاته، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج2، ع1، ديسمبر 2015، ص ص 212-213.

2 يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصر...، "المرجع السابق"، ص، 246.

3 حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر...، "المرجع السابق"، ص، 86.

4 يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا... ج1، "المرجع السابق"، ص، 164.

5 رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص 79.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

كبير وصغير وبين تأليف وشرح وتعليق وتلخيص، منها ما نُشر ومنها ما زال محفوظاً ومنها ما أُعتبر في حكم المفقود.¹

ففي علم التفسير وعلوم القرآن مثلاً: كتاب مجمع البحرين ومطلع البدرين بالتفريد في تفسير القرآن المجيد في أربعة أسفار، والجدير بالذكر أن أبو رأس الناصر في كتابه الموسوم بعنوان "الإبريز والإكسير في علم التفسير"²، وهذا بما استلهمه من أقوال علماء هذا العلم الذي تعلم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يشتد عوده ويتقوى فيما بعد. وقد ساق أبو رأس في مقدمة مؤلفه هذا الأوائل من العلماء والقراء و الحفاظ الذين شرفهم الله بالسبق في هذا الفن³، وتوضيح المعاني في شرح حرز الأمان في ثلاثة أسفار، وفي الحديث: كتاب الآيات البيّنات في شرح دلائل الخيرات، ومفاتيح الجنّة وأسناها في الأحاديث الذي اختلف معناها، والسيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى، والنور الساري في شرح صحيح البخاري في ستة أسفار، وفي الفقه: درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاوي والخراسي في أربعة أسفار، والأحكام الجواز في نبذ من النوازل، والعقود الجوهريّة في النوازل العسكرية.⁴

✓ كما له في علم النحو و اللغة: بحيث وجدنا في علم النحو العديد من المؤلفات نذكر منها: الدرّة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة، وكتاب عمدة الزاد في إعراب كلا شيء وجئّت بلا زاد، وفي علم المذاهب: كتاب رحمة الأمة في إختلاف الأئمة، وجزيل المواهب في إختلاف الأربعة مذاهب. أما في مجال الادب نوجز مايلي: ضياء القاموس على كتاب القاموس، وكتاب ثم الضابط المختصر من الازهري على قواعد القاموس والجوهري، وكذلك مؤلف ثم رفع الاثمان في لغة الولايم الثمان.⁶

✓ وفي علم الأدب: نجد العدي من الكتب نوجز منها مايلي: كتاب النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريية، وكتاب الحل الحريية في شرح المقامات الحريية، والبشائر والإسعاد في شرح بانة سعاد لامية بن زهير الصحابي، وكتاب الإرب في شرح لامية العرب للشنفرى الفاتك، وكتاب إزالة الوجع عن قصيدة لامية العجم، وأيضاً الوصيد في شرح سلوانية الصيد للفجيجي، والدرّة الانيقة في العقيقة، وكتاب طراز شرح المنداسي لقصيدة المنداسي، وفتح الاله في شرح عقيقة ابن عبد الله والجمان في شرح

1 يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا... ج1، "المرجع السابق"، ص، 164. - ينظر: الشيخ بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث، ج3 الجزائر، 2002، ص، 107.

2 عمر بلشير، قراءة في تراث الشيخ أبي راس الناصري "المخطوط" كتاب «الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى» نموذجاً، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج16، ع2، ديسمبر 2020، ص77.

3 رحمة قليل، حركة التأليف في الجزائر...، نفس المرجع السابق، ص144.

4 يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا... ج1، "المرجع السابق"، ص، 166، 167.

5 "المرجع نفسه"، ص، 168، 169.

6 غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان ما تداول، نفس المرجع السابق، ص312.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

قصيدة أبي عثمان، وكتاب نزهة الحبيب على نظم الأديب الحسيب الجامع بين المدح والتشبيب والتنسيب، وكذلك الأنوار الجلييلة في شرح القصيدة الخليلية¹، وبالتالي هذا يعكس صورة حقيقية حول قوة تأليف العلامة أبو راس الناصر المعسكري في جميع الحقول.

✓ **وفي علم التصوف:** نجد العديد من الكتب في هذا المجال، على سبيل المثال منها وأهمها: كتاب الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي وكتاب فتح الله في التوصل إلى حكم ابن عطاء الله، وأيضا الزهر الأكم في شرح الحكم، ومنها التشوف إلى مذهب التصوف، ومنها كشف النقاب ورفع الحجاب على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة².

✓ **وفي علم الأصول:** نجد منها: السيف المحلي على شرح المحلي، والقول الجامع في شرح جمع الجوامع، وله في الأدب: البشائر والإسعاد في شرح باننت سعاد، ونيل الإرب في شرح لامية العرب، وطرار شرح المرداسي لقصيدة المنداسي، أما في علم البيان، فله كتاب نيل الأمان على مختصر سعد الدين التفتزاني، وفي المعاني: كتاب الجوهر اليماني في توضيح ما صعب من المعاني، وفي المنطق: كتاب القول المسلم في شرح السلم، وفي العروض: مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولم تمسه نار، أما في اللغة فله: ضياء القابوس على كتاب القاموس، والضابط المختصر من الأزهرى على قواعد القاموس والجوهري، وكتاب رفع الإثماني في لغة اللوائم الثمان³.

✓ **وفي علم التنجيم:** ونجد ثلاثة مؤلفات: أحدهما يطلق عليه اسم "قسم الأنوار في شرح روضة الأزهار" والثاني اسمه "القول السعيد في شرح مقنع أبي سعيد" والمؤلف الثالث يطلق عليه "إزالة الحلك في إبطال صوم من يأخذ برأي أهل الفلك"⁴.

✓ **وفي علم القضاء والأحكام:** يمكن حصرها فيما يأتي: كتاب الاكام الجوازل في نبذ من النوازل وكتاب العقود الجوهريّة في النوازل المعسكريّة، وايضاب النظم العجيب في الفروع التي قل فيها النص مع كثرة الوقوع، وكتاب الأقوال الحليمة في نظم شرط الوليمة، وكتاب الكوكب الدرّي في الرد بالجردي، وكتاب سند ما رواه الواعون في أخبار الطاعون⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أبي راس الناصر قد ترك كتباً كثيرة ومتنوعة في مجال التاريخ بلغت حوالي ثلاثة وثلاثين كتاباً،⁶ لعلّ أبرزها: زهر الشماريخ في علم التاريخ⁷، وكتاب المنا

1 غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان ما تداول، نفس المرجع السابق، ص 416.

2 غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان ما تداول، نفس المرجع السابق، ص 295-296.

3 "المرجع نفسه"، ص، 169.

4 غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان... نفس المرجع السابق، ص 269.

5 غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان ما تداول، نفس المرجع السابق، ص 394.

6 "المرجع نفسه"، ص، 165.

7 رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص 80.

والسول من أول الخليقة إلى بعثة الرسول، ونصرة الرحمن في أخبار الجان كتحف الدر والمرجان،¹ درة الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة²، وكتاب الوسائل إلى معرفة القبائل، والحل السندسية في فتح ثغر وهران والجزيرة الأندلسية،³ و يبدو أن هذه المنظومة تابعة لنفيسة الجمان، وهذه الأخيرة لها شروحا، منها الشرح الذي كتبه الناصر سنة 1802م بتيطوان، عند عودته إلى الجزائر قصد إهدائه لمولاي سليمان بفاس، لذلك أسماه "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"⁴، ونجد أيضا كتاب مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف إنتمى وذهب،⁵ وكتاب الخبر المعلوم في كل من إختراع نوعا من أنواع العلوم، ولقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان،⁶ و العز المتين في ذكر ملوك بني مرين⁷، وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس.⁸، وكذلك كتاب عجائب الأسفار التي تم نشره في المجلة

1 "المرجع نفسه"، ص، ص، 169، 170.

2 نصيرة بحري، محمد قادة، صورة أبي راس الناصري من خلال رحلته فتح الله ومنته في التحث بفضل ربي ونعمته، نفس المرجع السابق، ص 287.

3 ذلك أنه قد وُصِفَ أبو راس الناصر بالسيوطي من جهة وبالجزيري من جهة أخرى للمزيد ينظر، أبو القاسم سعد الله، "مؤرخ جزائري معاصر للجزيري أبو راس الناصر". مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد، 12، 1974. رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص 4.83.

5 لقد كان أبو راس مؤلعا بالأنساب فأكثر من ذكر القبائل ومواطنها وفروعها وأصولها، بل وصل به الأمر أن ألف كتابا في النسب حل فيه أصول أهل الشرف والنسب وجرّد بعضهم منه. وهو ما أدى إلى نقمة بعض سكان الوطن الغريسي الراشدي عليه لأنه طعن في من ادعى معرفة النسب وفي من إنتسب بلا نسب، وهذه قضية خطيرة مسّت بالدرجة الأولى العائلات والأسر القاطنة بالوطن الراشدي، فأبو راس جرّد بعضهم ومثّل أصولهم وشرفهم ومن ذلك عائلة المشارف بعد أن قام العربي المشرفي المتوفي سنة 1895م بالرّد على أبي راس مؤكّدا صحّة النسب النبوي الشريف لعائلة المشارف. العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر المعسكري. مخطوط بخزانة الشيخ بلقرن بوكعبر، معسكر، ورقة، 24.

6 أحمد الحمدي، "أهمية مخطوط لقطة العجلان في شرف سيدي عبد القادر بن زيان في تاريخ الجزائر الحديثة" مجلة الحضارة الإسلامية العدد، 12، 1426هـ - 2005م، ص، ص، 229، 238.

7 بلبروات بن عتو، التراث المخطوط لأبي راس الناصري، الحوار المتوسطي، مج 4، ع 1، مارس 2013، ص 83.

8 كما أنّ لمخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار أهمية كبيرة في وصف وقائع ومُجريات أحداث فتح وهران الثاني سنة 1792م، حيث وضع أبو راس الناصر أكثر من خمسة كُتب في هذا الموضوع عرّف بها في مخطوطه، "شمس معارف التكليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف" بعد أن أتمّه قبل وفاته بثلاثة أسابيع فقط. يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا... ج 1، "المرجع السابق"، ص، 164. - للمزيد ينظر، بلبروات بن عتو، "فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م". مجلة الحضارة الإسلامية، العدد، 12، 1426هـ - 2005م، ص، 271. - عبد القادر فكايير، "دور العلماء والرباطات في مواجهة العدوان الإسباني على الجزائر". مجلة المواقف، عدد خاص، أبريل 2008م، ص، 287. - محمد لوسرة، "معسكر تاريخ وأمجاد". مجلة قراءات، دورية لغوية أدبية محكمة يصدرها قسم اللغة العربية بالمركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد، الأول، 2008م، ص، ص، 263، 264.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

الافريقية¹، وفي علم الجدول نجد كتاب: "النور الحراق في شرح الأوقاف للجزائري²، ومجموعة أخرى من تلك الكتب أصبحت كمرجعية علمية في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي خلال الفترة الحديثة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أبي راس الناصر قد ترك كتباً كثيرة ومتنوعة في مجال التاريخ بلغت حوالي ثلاثة وثلاثين كتاباً،³ لعلّ أبرزها: زهر الشماريخ في علم التاريخ⁴، وكتاب المنا والسول من أول الخليقة إلى بعثة الرسول، ونصرة الرحمن في أخبار الجان كتحف الدر والمرجان،⁵ درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة⁶، وكتاب الوسائل إلى معرفة القبائل، والحلل الهندسية في فتح ثغر وهران والجزيرة الأندلسية،⁷ و يبدو أن هذه المنظومة تابعة لنفسية الجمان، وهذه الأخيرة لها شروحا، منها الشرح الذي كتبه الناصر سنة 1802م بتيطوان، عند عودته إلى الجزائر قصد إهدائه لمولاي سليمان بفاس، لذلك أسماه "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"⁸، ونجد أيضاً كتاب مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف إنتمى وذهب،⁹ وكتاب الخبر المعلوم في كل من إختراع نوعا من أنواع العلوم، ولقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان،¹⁰ و العز المتين

1 ARNAUD, Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed – Alger, 1885, in- 8°, VIII-p313 .

2 غايتان دالفان، القول الأحوط في بيان ما تداول، نفس المرجع السابق، ص399.

3 "المرجع نفسه"، ص، 165.

4 رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص80.

5 "المرجع نفسه"، ص، 169، 170.

6 نصيرة بحري، محمد قادة، صورة أبي راس الناصري من خلال رحلته فتح الله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، نفس المرجع السابق، ص287.

7 ذلك أنه قد وُصفَ أبو راس الناصر بالسيوطي من جهة وبالجزيري من جهة أخرى للمزيد ينظر، أبو القاسم سعد الله، "مؤرخ جزائري معاصر للجزيري أبو راس الناصري". مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد، 12، 1974.

رقية الشارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، نفس المرجع السابق، ص83.

9 لقد كان أبو راس مؤلفاً بالأنساب فأكثر من ذكر القبائل ومواطنها وفروعها وأصولها، بل وصل به الأمر أن ألف كتاباً في النسب حلّ فيه أصول أهل الشرف والنسب وجرد بعضهم منه. وهو ما أدى إلى نقمة بعض سكان الوطن الغريسي الراشدي عليه لأنه طعن في من ادعى معرفة النسب وفي من إنتسب بلا نسب، وهذه قضية خطيرة مسّت بالدرجة الأولى العائلات والأسر القاطنة بالوطن الراشدي، فأبو راس جردّ بعضهم ومثّل أصولهم وشرفهم ومن ذلك عائلة المشارف بعد أن قام العربي المشرفي المتوفي سنة 1895م بالرّد على أبي راس مؤكّداً صحّة النسب النبوي الشريف لعائلة المشارف. العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر المعسكري. مخطوط بخزانة الشيخ بلقرن بوكعبر، معسكر، ورقة، 24.

10 أحمد الحمدي، "أهمية مخطوط لقطة العجلان في شرف سيدي عبد القادر بن زيان في تاريخ الجزائر الحديثة" مجلة الحضارة الإسلامية، العدد، 12، 1426هـ - 2005م، ص، 229، 238.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

في ذكر ملوك بني مرين¹، وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس²، وكذلك كتاب عجائب الأسفار التي تم نشره في المجلة الإفريقية³، ومجموعة أخرى من تلك الكتب أصبحت كمرجعية علمية في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي خلال الفترة الحديثة.

وبالتالي نلاحظ تنوع في العلوم والمؤلفات التي تتأرجح بين العلوم النقلية والعلوم العقلية لناصرية وهذا إن دل إنما يدل على مكانته العلمية ومساهمته في حركة التأليف في الجزائر العثمانية عامة وحاضرة معسكر خاصة، إضافة المساهمة في بناء الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر الحديثة والمعاصرة.

14.4 وفاته:

حسب ما ذهب إليه الكثير من الدراسات أن وفاة أبي راس الناصر يوم الخامس عشر من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف هجرية الموافق لـ: الثامن والعشرين من أبريل سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة وألف للميلاد 1238هـ - 1823م عن عمر يناهز التسعين سنة، ويذكر أنه صلى عليه خلق كثير من الناس أحصاهم بعضهم بخمسمائة وألف شخص يؤمّمهم تلميذه أحمد الدايج الملقّب بالخرشي الكبير، ودُفن بعقبة بابا علي بمعسكر حيث يوجد ضريحه⁴، حيث أخذ الناس يقصدونه للتبرّك إلى اليوم بدليل ما أكده الآغا بن عودة المزاري: "توفي يوم الأربعاء في يوم 15 الخامس عشر من شهر شعبان 1238هـ / 1823م... بحيث صلى عليه العلامة الشيخ الأسد الهايج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية

1 بلبروات بن عتو، التراث المخطوط لأبي راس الناصري، الحوار المتوسطي، مج4، ع1، مارس 2013، ص83.
2 كما أنّ لمخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار أهمية كبيرة في وصف وقائع ومُجريات أحداث فتح وهران الثاني سنة 1792م، حيث وضع أبو راس الناصر أكثر من خمسة كتب في هذا الموضوع عرّف بها في مخطوطه، "شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف" بعد أن أتمّه قبل وفاته بثلاثة أسابيع فقط. يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا... ج1، "المرجع السابق"، ص، 164. - للمزيد ينظر، بلبروات بن عتو، "فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م". مجلة الحضارة الإسلامية، العدد، 12، 1426هـ - 2005م، ص، 271. - عبد القادر فكايير، "دور العلماء والرباطات في مواجهة العدوان الإسباني على الجزائر". مجلة المواقف، عدد خاص، أبريل 2008م، ص، 287. - محمد لوسرة، "معسكر تاريخ وأمجاد". مجلة قراءات، دورية لغوية أدبية محكمة يصدرها قسم اللغة العربية بالمركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد، الأول، 2008م، ص، ص، 263، 264.

3 ARNAUD, Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed - Alger, 1885, in- 8°, VIII-, p313 .

4 جاكور لحسن، نشاط جمعية العلماء...، "المرجع السابق"، ص، 51. - حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر...، "المرجع السابق"، ص، 89.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

بالخرشي الكبير السيد أحمد الدايج، ودفن في عقبة بابا علي حاضرة معسكر فنسبت له تلك التي إشتهر بها وعلى ضريحه قبة نفعنا الله به وأورثنا منه محبة وقربة...¹.

وتذهب الكثير من الكتابات التاريخية أن وفاة أبي راس الناصر المعسكري كان نتيجة مرض الطاعون الذي عرفته المنطقة في تلك الفترة الزمنية، وكان ذلك خلال سنة 1238هـ - 1823م، بدليل ما ذكره مسلم بن عبد القادر الوهراني: "... وباء عظيم تكررّت عودته ومات به خلق كثير، وممن مات به حافظ العصر أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي المعسكري...".²

ومما لا شكّ فيه أنه بوفاة أبي راس الناصر تكون حاضرة معسكر خاصة والجزائر عامة قد فقدت كنز من كنوز المعرفة والعلم وكذلك عالم من علمائها الأجلاء الذين ذاع صيتهم بأنحاء العالم العربي الإسلامي بل وحتى الأوربي، لما تضمّنته كتاباته العلمية من أفكار وحوادث أصبحت كمرجعية تاريخية ومصدر مهم في كتابة التاريخ خلال الفترة الحديثة.³

من خلال هذه الدراسة حاولنا تسليط الضوء على كبار أعلام وأقطاب الفكر والثقافة والتصوف في الجزائر العثمانية التي كان لها بالغ الاثر على الصعيد العلمي، بحيث برزت الشخصية العلمية للفقيه أبوراس الناصر منذ طفولته، وكان ذلك عن طريق شهادة شيوخه، وبالتالي تعتبر الحياة الفكرية والثقافية للعلامة الشيخ أبوراس الناصر من أبرز وأهم المحطات التاريخية الثقافية - إن صح الوصف - في الجزائر خلال العهد العثماني خاصة، وحتى الجزائر المعاصر وكذلك المغرب والمشرق عامة، وإشارات هذا الأخير يظهر من خلال ما خلفه من إرث علمي وفكري ضخم يشهد له به التاريخ قبل المؤرخين والأدباء والفقهاء وغيرهم، وتشهد له المكتبات العامة والخاصة التي لم يصل إليها الباحثين إلى الساعة.

1 الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود... ج1، "المصدر السابق"، ص، 349.

2 مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر...، "المصدر السابق"، ص، 30. -
ينظر أيضا، أبي عبد القادر عابدين بن حنيفة، أبو راس الناصري المعسكري، حياته وتصوفه من كتابه الحاوي الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع (2004)، ص، 24.

3 لمزيد عن الكتابات التاريخية للعلماء خلال العهد العثماني ينظر، رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة، نهاية القرن 18 م بداية القرن 19م، "دراسة تحليلية نقدية"، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، جامعة الجزائر (1999 - 2000)، ص، 30، 39. -الصادق دهاش، تراجم لمشاهير علماء الجزائر في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، جامعة الجزائر (1993 - 1994)، ص، 70.

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائرية العثمانية المتصوفة أنموذجاً.

-المواقف التاريخية الثابتة من خلال قضايا التي عصرها مثل احتلال وهران، وكذلك احتلال الفرنسي لمصر، ويظهر ذلك من خلال قصيدته الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، فقال:

مَأَلتْ مُلُوكَنَا لِحَدِيثِ نَعْمَتِهِمْ وَأَكْلُونَا كَأَكْلِ الْوَاغِنِ الْعَلْسِ
وَأَعْرَضُوا عَنِ جِهَادِ الْكُفْرِ قَاطِبَةً حَتَّى ارْتَمَتْ مِصْرَنَا الْعُظْمَى بِمَرْمَسِ.

-وحسب ما وصلنا إليه من نتائج أن العلامة الشيخ أبو رأس الناصر المعسكري تقلد العديد من الوظائف والمناصب العالية خلال التواجد العثماني في الجزائر، وعلى سبيل المثال نجد منها الإفتاء والقضاء والتدريس وغيرها من الوظائف، وهذه الأخرى هي دلالة واضحة على كفاءة وتمكن الشيخ أبو رأس الناصر المعسكري في العديد من المجالات العلمية والفكرية وكذلك الدينية وبالتالي يصبح مرجعية فكرية في الجزائر العثمانية.

خاتمة

هدفت هذه الدراسة العلمية إلى إلقاء الضوء على ظاهرة التصوف وأصولها التاريخية، وعلى أهم المعالم الحضارية والمراكز الثقافية بالجزائر العثمانية، وكذلك مساهمة أعلام التصوف و الفكر في إثراء الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، بالرغم من صعوبة الإحاطة خلال الفترة المدروسة، وعلى الرغم من هذا توصلنا إلى جملة من النتائج الهامة التي يمكن حصرها فيما يلي:

يمكن القول أن الجذور التاريخية لظاهرة التصوف ومنافذ انتقالها من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي وعلى وجه التخصيص المغرب الأوسط، والعوامل التي ساهمت في استقرار التصوف في المنطقة كان أهمها رحلات الحج و الرحلات العلمية و دخول كتاب الأحياء للغزالي وغيرها.

انتشار الفكر والمذهب الصوفي في العالم الإسلامي خلال القرن الثالث والرابع الهجريين يدعو إلى الزهد، ثم تطور فيما بعد وأصبح طرقا يقودها شيوخ لهم مريدون، وبدأت هذه الطرق في الظهور منذ النصف الثاني من القرن الثالث، وفي القرنين السادس والسابع نشطت حركة الطرق بشكل واضح في المشرق الإسلامي

يعتبر أبو مدين شعيب قطب والمرجعية الصوفية في بلاد المغرب و الذي أعطى دفعا للتصوف و ترسيخه بين مختلف طبقات مجتمع الغرب الإسلامي، و بعد زوال دولة الموحدين زاد هذا التيار انتشارا و توسعا خاصة زمن الزيانيين و المرينيين و الأندلس حيث وجد هذا التيار دعما كبيرا من قبل ملوك و سلاطين هذه الدول فانتشر التصوف في الحواضر و البوادي و لدى العامة و الخاصة و أصبح للمتصوفة مكانة إجتماعية و أصبحوا من المقربين للسلطة الحاكمة.

إن الباحث في التاريخ سوف يجد أهم القنوات التي أثرت في التصوف المغربي، منذ نشأته إلى حدود ظهور الدولة المرابطية، سواء منها المشرقية أو الأندلسية، مناقشا ومفندا الرأي القائل بأن التصوف المغربي ارتبط بالمرحلة الأخيرة من العصر المرابطي، بل وارتباطه أشد الارتباط بالأزمات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها؛ إذ تبين أن التصوف لم يكن أبدا مرتبطا بالأزمات. فقد نهل في بداياته الأولى وتشعب من عدة منافذ على رأسها الطريق المشرقي، باعتبار المشرق الإسلامي الخلفية التاريخية لظهور التصوف، وذلك عن طريق الرحلة في طريقين ألا وهما: طريق للحج، أو طلب العلم، وبالتالي أصبحا يمثلان منافذ لدخول وانتشار التصوف إلى بلاد المغرب.

مساهمة مسلمي الأندلس عن طريق المغرب الأقصى في انتشار وظهور تيارات صوفية كثيرة في المغرب العربي، رغم أن الكثير من المؤرخين يذهبون إلى أن أصول التصوف الإسلامية ترجع إلى المشرق العربي، ويرجع هذا إلى حجم الكبير من مؤلفات التصوف التي تناولت بلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما جعل بلدا كالمغرب الأوسط يكون أكثر حظا في دخول التصوف إليه ولو عبر بوابة التصوف المشرقي من جهة ومن جهة أخرى وجود ارضية خصبة لتقبل التصوف كظاهرة دينية واجتماعية لدى المجتمع المغربي.

عرفت المنطقة طريق صوفية أصلها وجنورها الأولى من المشرق، في نفس الوقت ظهرت طرق صوفية مغاربية التأسيس عملت على توسيع دائرة التصوف بالمنطقة، زامن هذا الوضع ظروف وعوامل أمنية غير مستقرة سواء في شقها السياسي أو شقها الاجتماعي لعبت فيها الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في مواجهة الحملات الأجنبية، واحتواء الفئات الهشة والضعيفة من المجتمع.

ظهر في تاريخ التصوف الإسلامي رجال كان لهم أثر في الدعوة و الإصلاح ، و يعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني من هؤلاء الذين سلكوا طريق التصوف و حملوا لواء الدعوة و الدفاع على الدين ، و تعتبر مسيرته رحلة مشوقة عبر خلالها من التصوف إلى الدعوة و السعي إلى إصلاح المجتمع ، بالإضافة إلى التمسك بالشريعة الإسلامية ، كما بنيت دعوته إلى الحث الجاد على العمل و التحلي بالأخلاق ، بالإضافة الى اعتماده على المزج بين التصوف و الفقه في سابقة من نوعها.

امتداد التصوف في الجزائر عبر مرحلة تاريخية طويلة، حيث نجد انه تطور بشكل سمح له أن يتخذ طابعا يميزه عن التصوف في المشرق الإسلامي، وعندما نلقي نظرة سريعة حول التصوف خلال الفترة العثمانية نجده يحظى بمكانة كبيرة عند السلطة السياسية وجميع عامة المجتمع.

عرفت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا للمراكز الثقافية والدينية المتمثلة أساسا في المساجد والزوايا والرباطات والكتاتيب القرآنية والمدارس والمكتبات بنوعها العامة والخاصة، التي ساهمت بدورها في دفع عجلة الحركة الثقافية والنشاط العلمي إضافة إلى مؤسسة الوقف التي كانت المورد الرئيسي للتعليم، وقد عملت هذه المؤسسات التعليمية سواء منها ما كان موجودا بالمدن أو الريف على نشر المعارف الميسرة والثقافة الدينية المبسطة في أوساط عامة الناس، فقامت بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم وبتلقين ما هو ضروري من أمور العبادة فانتشر العلم بين الطبقات الراقية، وتراجعت نسبة الأمية بين الطبقات الوسطى والعامة.

ورغم ما قيل عن الجزائر العثمانية عموماً بإنشغال السلطات بها بالشؤون السياسية والعسكرية المتعلقة بالحكم من جهة وجمع الضرائب من جهة أخرى، إلا أنه قد برزت بحواضر الجزائر ثقافة ذاتية أصيلة وظهر جيل من العلماء كان لهم الباع الطويل والصيت الكبير ، بل إن شهرتهم سبقتهم إلى عدد من بقاع العالم الإسلامي ومؤلفاتهم لتزال ليومنا هذا من أهم مصادر كتابة تاريخ الجزائر الحديث، كما وُجِدَت مدارس ومعاهد كان لها الدور الريادي في مجال نشر الفكر والثقافة إستقطبت حولها عدداً كبيراً من طلبة العلم والمعرفة.

وقد كان التّعليم الأولي واسع الإنتشار في الجزائر العثمانية، أمّا التعليم الذي يُنعتُ بالثانوي فقد كان مقتصرًا على بعض الحواضر العلمية، وفي بعض زوايا الزّيف التي حَمَلت على عاتقها مهمّة التعليم. وبما أنّ الجزائر لم تحفل بجامعة إسلامية كالأزهر أو القرويين وغيرها، كان على الطالب الطّموح الرّاغب في الإستزادة من العلم أن يتّجه إلى الأساتذة المشهورين المشهود لهم بالفضل والعلم رغبة في أخذ

العلم عنهم والظفر بإجازاتهم، وعليه فقد إرتبط التعليم من المستوى العالي بالشخصيات العلمية لا بالمؤسسات.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المواد والعلوم التي دُرِّسَتْ في تلك المؤسسات فهي لا تتقلّ عن المواد التي كانت تُدرّس بأشهر المدارس الإسلامية، حيث طغى عليها الجانب الديني واللغوي وبعض كتب التاريخ والسيرة، وقد يعود ذلك إلى تفكير العلماء الذي كان مُنصَّباً بالدرجة الأولى على الفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الدينية والدنيوية.

كما يتّضح ممّا سبق أنّ العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو والبيان وغيرها قد ظلت الشغل الشاغل للمؤسسات الثقافية، حيث أدّى التركيز عليها إلى عدم العناية بالعلوم الأخرى وهذا القصور لا ينطبق على مؤسسات العلم والثقافة باحاضرة معينة، بل هي حال الإيالة الجزائرية بشكل عام وهو ما انعكس سلباً على وضعية العلوم العقلية بها خلال العهد العثماني، وليس أدلّ على ذلك من قلة المشتغلين بالطب والكيمياء، الفلك، الحساب، الجبر وغيرها من العلوم الطبيعية والتجريبية فهل هذا ناتج من أنّ أيّ علم من العلوم العقلية لم يُأخذ بدرجة من الكمال؟ أم أنّ تلك الوضعية هي ناجمة عن قلة الأشخاص والعلماء الذين مارسوا الطب أو أيّ من المهن التي تتطلب بعض المعرفة بالعلوم الدقيقة.

والجدير بالذكر أنّ بعض العلماء ممّن مارسوا مهمة التعليم والتدريس بمختلف المؤسسات الثقافية قد تطرّقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية كالحساب والفرائض والفلك، ولكن دراستها لم تكن إلاّ للاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة، وبالتالي فعدم إهتمام العلماء بهذه العلوم هو الذي جعل الكُتاب الأوربيين ينتقدون التعليم في الإيالة الجزائرية عموماً ومما لاشكّ فيه أنّ إنتقادهم فيه شيء من الحقيقة.

وعليه فقد تصدرت الحواضر الجزائرية مكانة مرموقة في الفقه المالكي وفي العقائد، الأمر الذي أدّى إلى حدوث مُزاحمة علمية وفكرية بين العلماء دلّت على أنّ مستوى الفكر الفقهي، وربما نشير هنا أن بايلك الغرب انفراداً في هذا الجانب، ويرجع ذلك إلى المؤسسات التعليمية به مثل مدرسة مازونة الفقهية، والدليل على ذلك ما ألفه علماء حاضرة معسكر ومازونة من رسائل وتعاليق وحواشي فقهية أُعتبرت كمرجعية أولى في إصدار الفتاوى والنوازل المعمول بها في الحياة اليومية في تلك الفترة الزمنية.

كما أنّ هناك عوامل خارجية تمثلت في التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها الخارجي سواء في المغرب أو المشرق العربي عن طريق الرحلات العلمية والحجازية كل هذا ساهم في جعل الجزائر تزخر برصيد ثقافي هام ويتجلى ذلك في عدد علمائها الذين تركوا بصماتهم في شتى العلوم وكان لهم دورا بارزا في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية، لهذا ساهم العلماء الجزائريون مساهمة كبيرة في التفاعل الثقافي خاصة في عصر انعدمت فيه وسائل الاتصال الحديثة، مما ساهم في انتشار وتطور حركة التأليف في الجزائر العثمانية.

بروز روح التصوف في العهد العثماني في العديد من المجتمعات، والجزائر كغيرها كان لها أثر على مجتمعها خلال العهد العثماني، وذلك بظهور العديد من الطرق الصوفية ورجالها المتصوفة، وذلك للتأثير في الناس وجعلهم أتباعا لهم، بطريقة أو بأخرى لإظهار مواقفهم من خلال نشر الأخلاق الصحيحة والسلوك الديني. والشيخ العلامة حسين الورتيلاني والشيخ عبد الكريم الفكون والشيخ الاخصري البسكري وغيرهم من رجال المتصوفة الذين عملوا جهدهم على نشر السلوك الخلقى الصحيح للشرع الإسلامي.

نجد أن الجزائر خلال العهد العثماني أسماء علمية كان لها وزن ثقيل في الحياة الثقافية والدينية والعلمية في الجزائر مثل محمد بن محمد التلمساني وابن زرفة دحاوي وأحمد ابن هطال و في الإنتاج الأدبي والفقهى والتاريخي والعلمي نجد في ميدان الأدب نجد الشيخ محمد بن ميمون الجزائري (ت 1159هـ/1746م) و الشيخ أحمد بن عمار وفي مجال التصوف نذكر الحسين الورتيلاني (1125هـ-1713م/ت1193هـ-1779م)، وفي الميدان العلمي نجد الطبيب عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (1107هـ-1695م/ت1786-1200م)، وفي التاريخ العلامة الحافظ أبو رأس الناصر (1150هـ-1737م/ت1238هـ-1823م)، وقد ساهموا مساهمة فعالة في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر واستطاعوا بأفكارهم ومجهوداتهم وانقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير عصرهم.

بالرغم من إهمال الحكام العثمانيين للحركة العلمية والتعليم إلا أنه برز العديد من العلماء الذين ساهموا في إشعال شمع العلم، بحيث نلاحظ أن بعض الدايات ساهموا في تشجيع الحركة الثقافية وبناء المدارس وتوفير الشروط الملائمة لطالب العلم، وتنشيط الحياة العلمية والدعم المطلق للجانب الفكري والثقافي والديني، مثل الباي محمد الكبير الذي ساهم مساهمة فعالة وتاريخية في إحياء الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية خاصة في حاضرة معسكر، التي لا تزال تحمل في مساجدها هذا الاسم الكبير، وأيضا في حاضرة قسنطينة صالح باي، وحاضرتي الجزائر والمدينة حكام خلداهم التاريخ.

تعتبر حركة التأليف بالجزائر خلال العهد العثماني من أهم الكتابات في هذا المجال لأنها تعطي صورة شاملة عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن الجزائر، خلال الفترة العثمانية وتم عملية تأليف الكتب بعدة مراحل بدايتها يبدأ المؤلف عادة يجمع مادته العلمية من مصادرها المختلفة ويحللها ويناقشها ويكتبها في صورة مبدئية تسمى المسودة وهذه المسودة تخضع للتغيير والتبديل والتقديم والتأخير والحذف والإضافة حتى إذا استقر صاحبها على الصيغة التي يرتضيها، بحيث اليوم نطلق عليها بالمخطوطات والتراث.

وعلى العموم فلقد شهدت حواضر الجزائر العثمانية نهضة علمية وفكرية كبيرة خلال العهد العثماني لاسيما في القرن الثامن عشر الميلادي، إذا قامت بها مدارس ومعاهد ذات شهرة واسعة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة نبغ بها علماء أجلاء وفقهاء ذوو الرأي في الشريعة الإسلامية، وشعراء فحول وحكماء متضلّعون في علم التوحيد ولغويون مبرزون ومحدّثون أمناء ومدقّقون في الرواية ومتصوّفون في القمّة ومؤرّخون نبغوا في ميدان الدراسات التاريخية، كلّ من أحمد يوسف الملياني الراشدي، وعبدالرزاق ابن حمادوش الجزائري، والشيخ عبدالكريم الفكون القسنطيني، و أبوراس الناصر المعسكري، وغيرهم من العلماء.

بحيث نلاحظ أن العناية بعلم التاريخ في بداية العهد العثماني ضعيفة نظرا للسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية على هذا العلم ولم يعرف تطورا إلا خلال القرن (12هـ/18م) حيث انكب العلماء على الإلمام بتراث الأولين والتأليف فيه وهكذا عرفت الكتابة التاريخية ازدهارا معتبرا على يد مجموعة من المؤرخين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية إحياء التاريخ بفضل تشجيع لبعض الحكام العثمانيين لهم مثل عبد القادر المشرفي الذي ألف رسالته المسماة "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران كبني عامر" وألف محمد أبورأس الناصر تأليفه "عجائب الأسفار".

بحيث لا يختلف إثنان أن الناصر من أعلام الفكر والفقّه والأدب والتاريخ والتصوف وغيرها من الصفات في الجزائر خلال العهد العثماني، ويعتبر الناصر من العلماء الإصلاحيين في عصره، وهذا من خلال مؤلفاته التي توضح ذلك، ومساهمة الناصر في نشاط حركة التأليف، ومساهمة ابن حمادوش في العلوم الطبية ومساهمة عبدالكريم الفكون في الفهم الصحيح للتصوف ومساهمة أحمد يوسف الملياني الراشدي في الجانب العقائدي، وكلهم ساهموا في الإنتاج الفكري من مؤلفات ومخطوطات التي بدورها أثرت الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية.

إن هذه الدراسة الموسومة بعنوان أعلام المخطوطات في الجزائر العثماني المتصوفة أنموذجا ماهي إلا مساهمة بسيطة في معرفة تاريخ الجزائر الثقافي في خلال العهد العثماني، متمنياً أن تكون هذه النتائج التي توصلت إليها أنها قد تضمنت الإجابة عن الإشكالية المطروحة في مقدمة هذه الدراسة، ويبقى مجال البحث مفتوحاً أمام الباحثين لطالما مازال هناك الكثير من الأعلام ومخطوطاتهم و بخصوص هذا الموضوع الواسع دون تحقيق ودراسة.

الملاحق

الملحق رقم 01: جامع صفر - المئذنة المضلعة -



المصدر: أنظر إلى خيرة بن بلة، مساجد مدينة الجزائر بين المصادر الأوروبية والدراسات الميدانية، نفس المرجع السابق، ص 21.

ملحق رقم 02: جامع السيدة عام 1830



المصدر: وهيبة خليل، نفس المرجع السابق، ص 665.

أنظر إلى: خيرة بنت بلة، مساجد مدينة الجزائر بين مصادر الأوروبيين والدراسات الميدانية، Revue d'études archéologiques، مج 13، ع 1، ص 19.

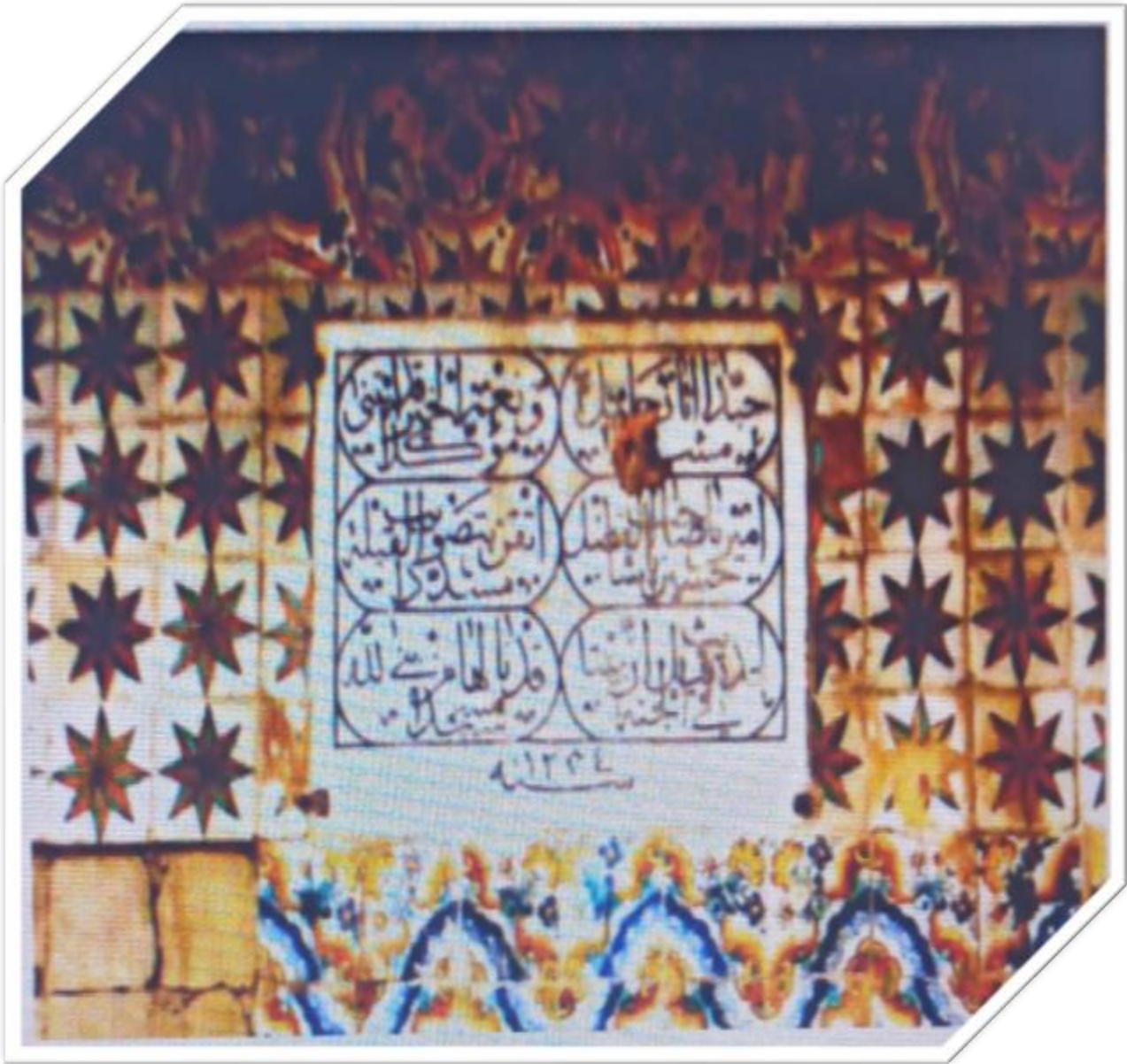
الملحق رقم 03: الكتابة التأسيسية لجامع البراني المحفوظة في المتحف الوطني لأثار القديمة



أنظر إلى : سعيد بوزينة، تأريخ المبنى بالكتابات التذكارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع

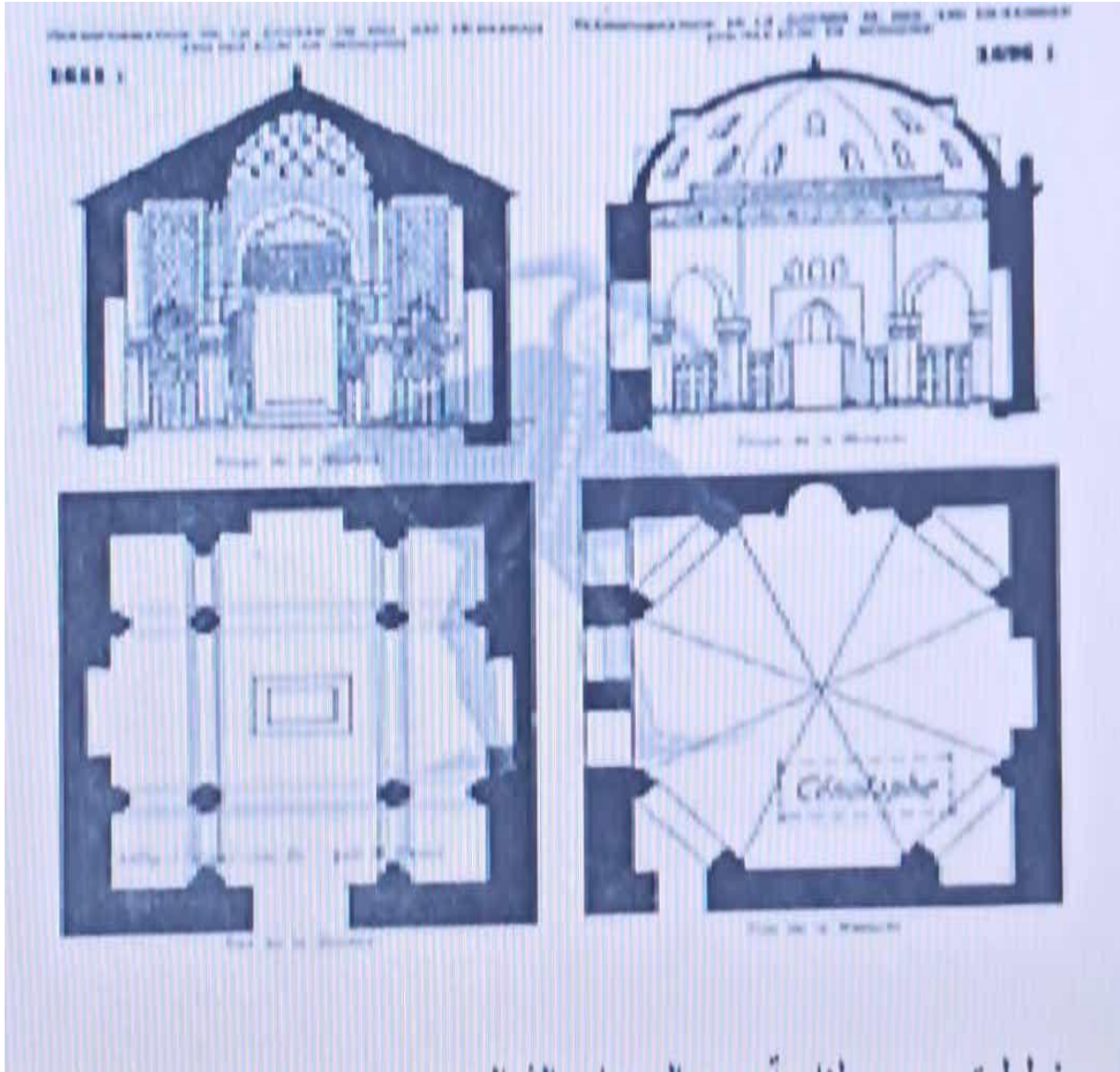
السابق ص 61.

الملحق رقم 04:الكتابة التأسيسية لجامع الداوي محفوظة في المتحف الوطني لأثار القديمة



أنظر إلى : سعيد بوزينة، تأريخ المبنى بالكتابات التذكارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، نفس المرجع السابق ص 61.

الملحق رقم 05: مخطط تصميمي لزاوية عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر



سعاد بولجويجة، نفس المرجع السابق، ص 62.

الملحق رقم 06: الجامع المالكي بالمدينة



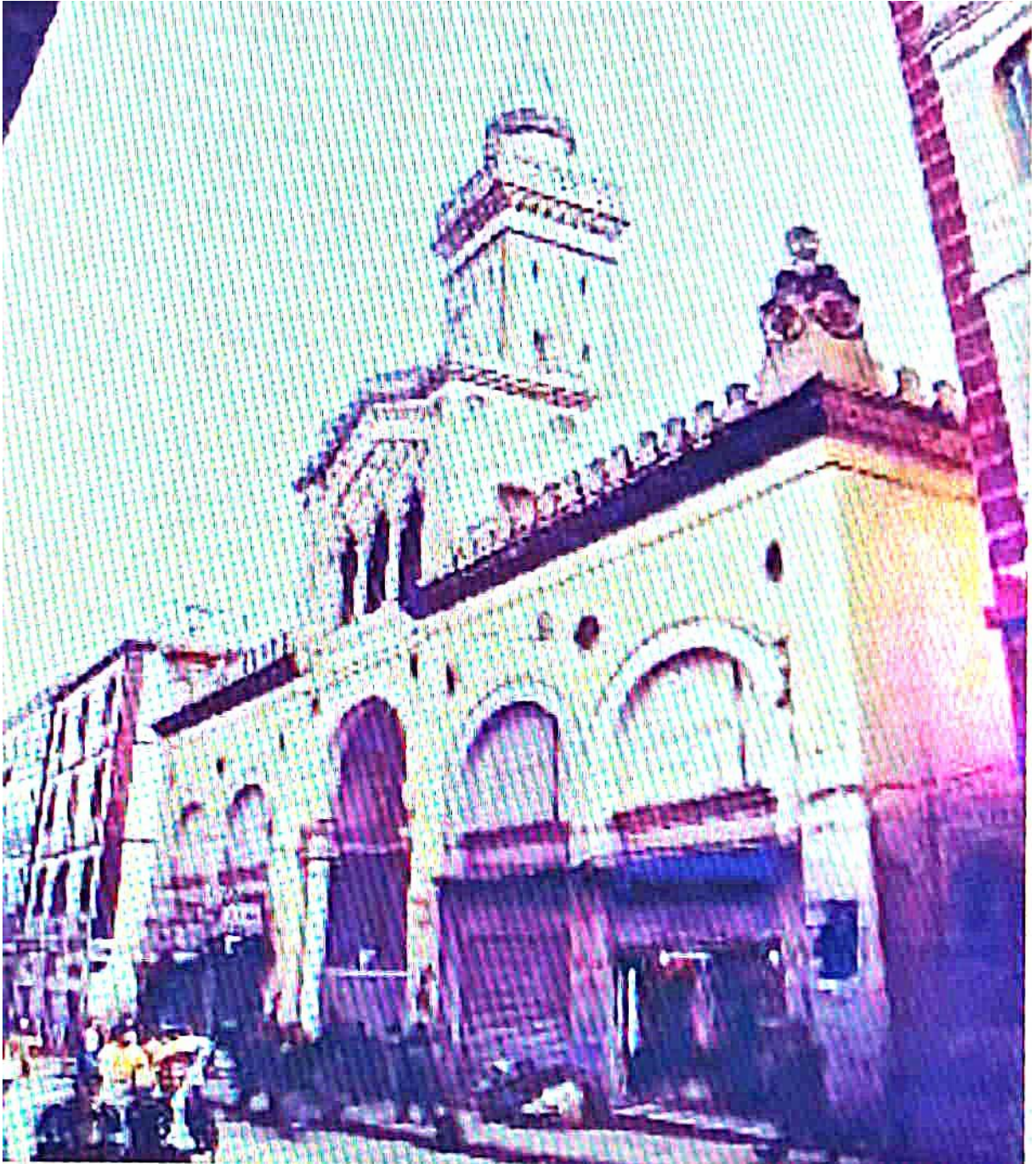
مرية شارف، نفس المرجع السابق، ص 191.

الملحق رقم 07: الجامع الحنفي بالمدينة



مرية شارف، نفس المرجع السابق، ص 192.

الملحق رقم 08: المسجد الكبير بمدينة قسنطينة



انظر إلى : عبد العزيز فيلالي، جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الد ارسية، مؤسسة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، (د ب)، 2012، ص5.



ملحق رقم 09: مسجد حسن باي (سوق الغزل)

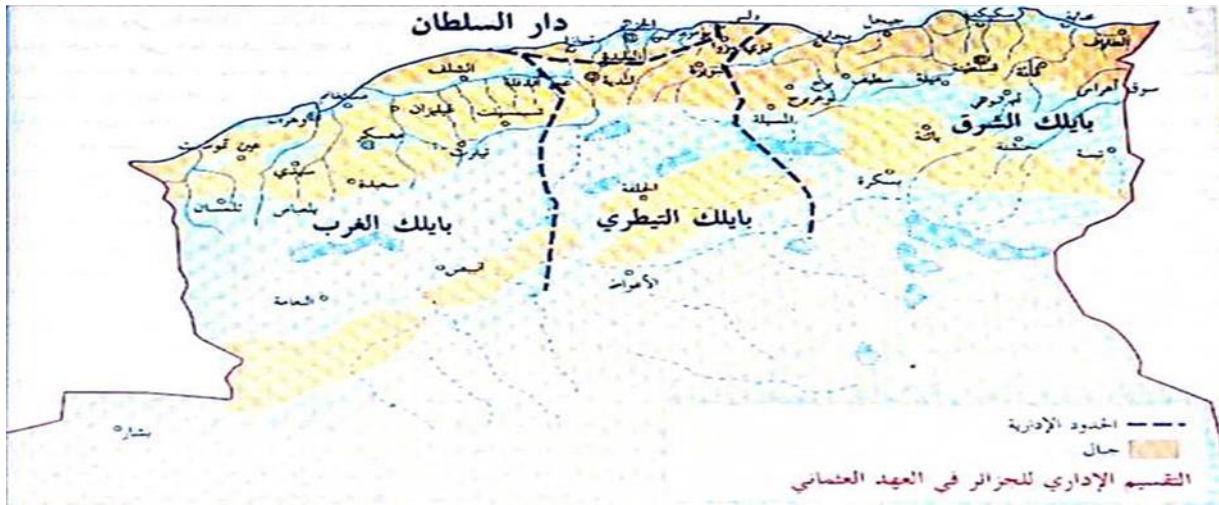
كمال غربي، نفس المرجع السابق، ص 122.

الملحق رقم 10: المدرسة الكتانية بعد تحويلها الى المدرسة الشرعية الفرنسية 1850.



راجع: قاصري محمد السعيد، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة
عصور جديدة، ع 18، أوت 2015، ص 171.

الملحق رقم 11: خريطة تمثل التقسيم الإداري خلال العهد العثماني



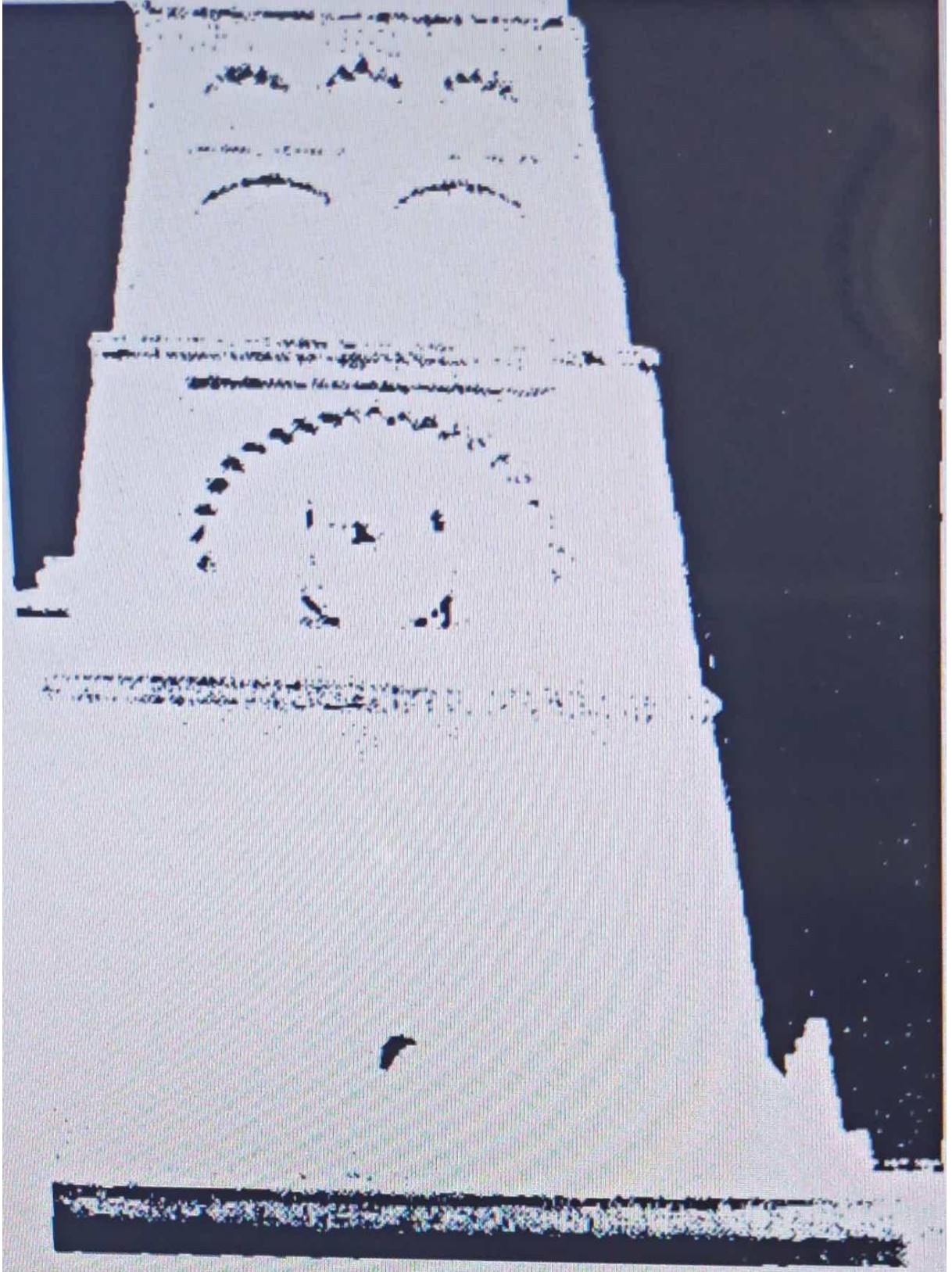
المصدر: الكاملية دغموش بتصريف، ص 355.

ملحق رقم 12: الجامع الكبير الواجهة الخارجية بالتصريف

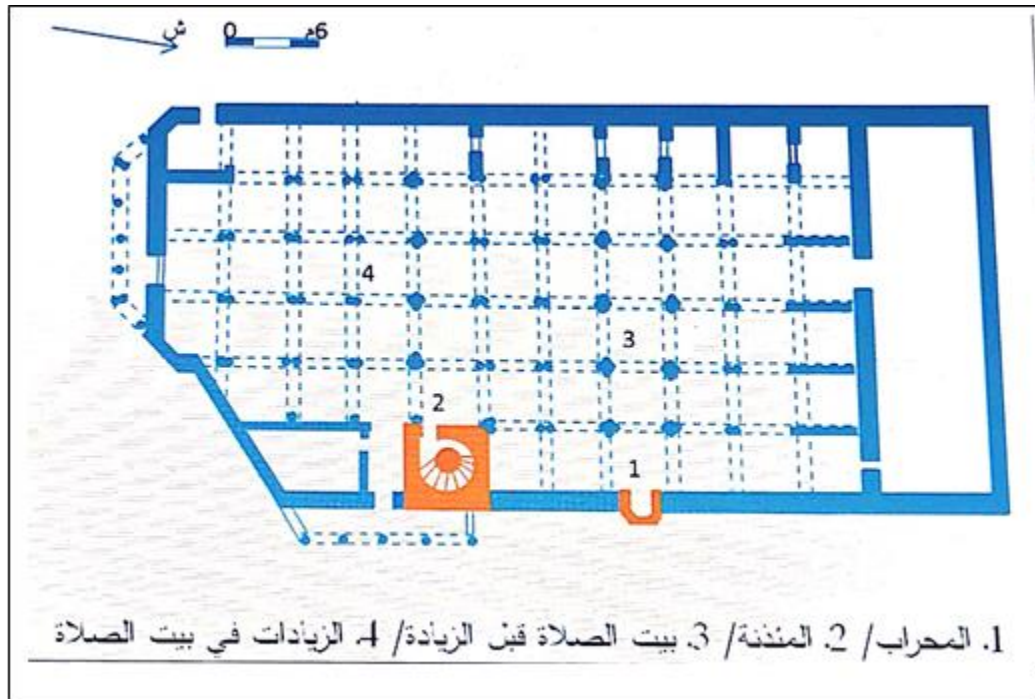


ملحق رقم 13: صورة مقابلة للمئذنة.

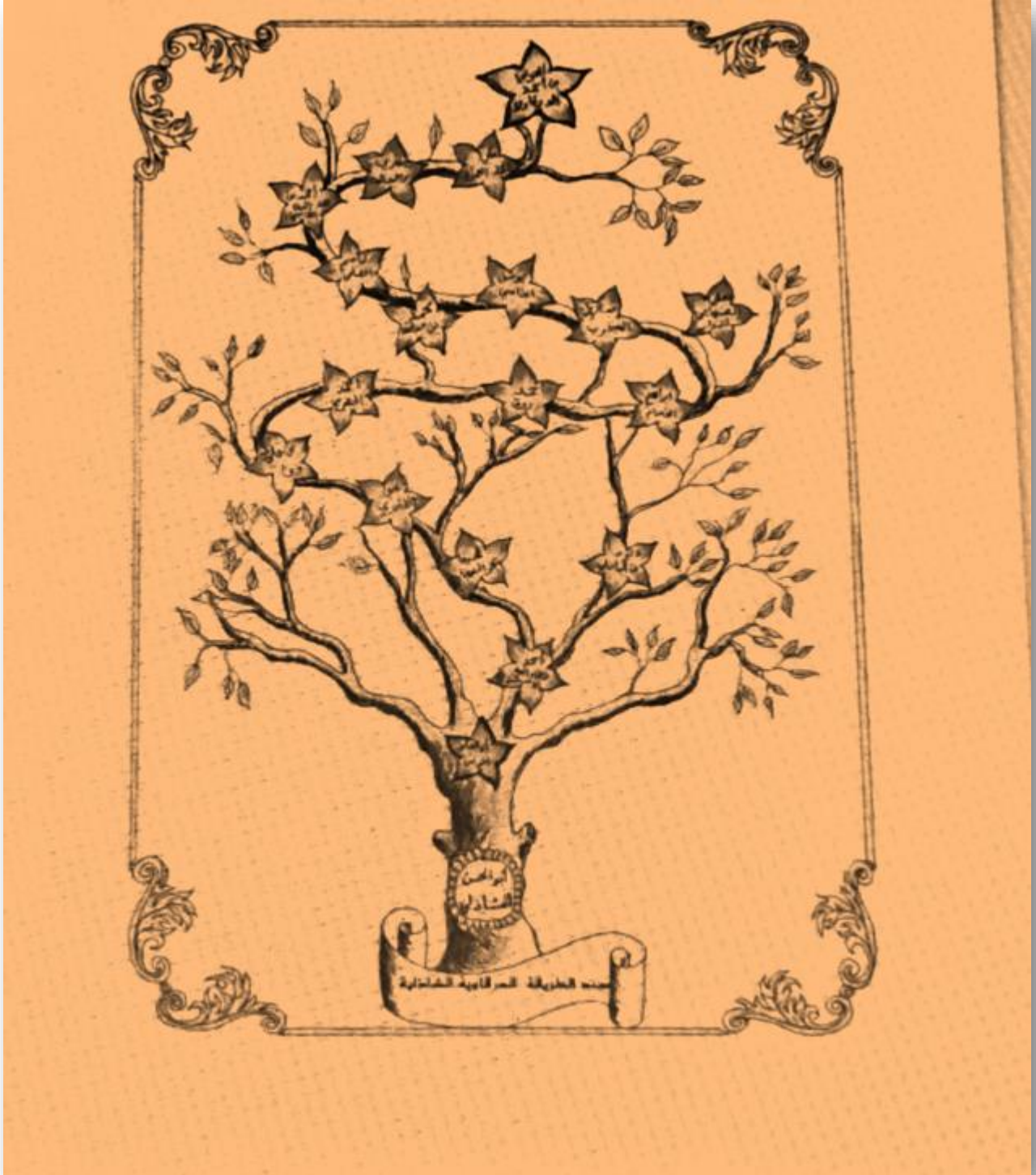
انظر الى :مبروك مهيرس،ص 194

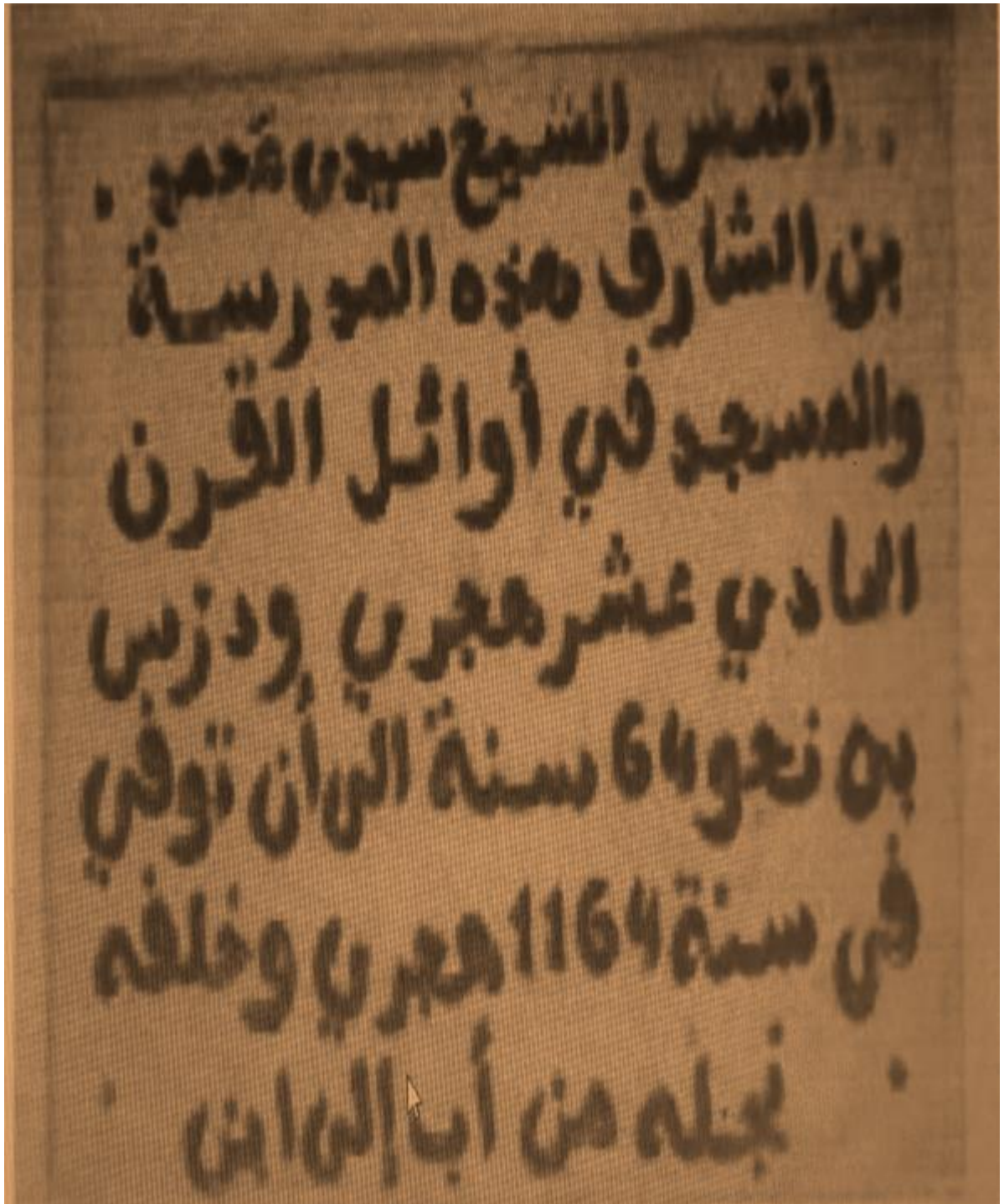


ملحق رقم 14: مخطط يوضح: مسقط الجامع الكبير نغاعة توامة، ص 121



ملحق رقم 15: يمثل سند الطريقة الدرقاوية الشاذلية، المصدر: موقع الطريقة على الانترنت





ملحق رقم 16: اللوحة التذكارية لتأسيس مدرسة مازونة بوجلال قدور، ص 45.

PROFESSEUR DOCTEUR / CHERCHEUR - BENABBOU BOUJEMA EL MECHERI
 PROJET DE RECHERCHE EN ONOMASTIQUE DE LA VILLE DE MASCARA DEPUIS LA FONDATION D'ALAMILARIA AIR MILITAIRE DES ROMAINS DANS LA NUMIDE 2021 / 2121

أوراق بحثية علمية جزائري مشتركة

مشروع بحث علمي / علم النفس الاجتماعي / التروبولوجية علم الأنساب / ميثولوجية التركيبة العائلية والأثرية خاصة بالمشاركة الإدارية المسلمين من آل الشيخ يوسف بوجهه الله
 عودة نسب آل البيت النبوي الشريف الخامس
 الفقه / العلامة / المحدث / التوازي / القاسم / أبي القاسم / مسعود / بن مسعود / بن عبد الله / بن الشيخ يوسف الشريف / بن عيسى البوخليلي
 التيمم / محمد عبد القادر الشرفي / إدريس الحسني / الهادي الحنطلي / الرشدوي القويضي / العسكري الجزائري / بنين / قرية الكرط / ولاية وممسكن / مولدي سنة 1778 / من مواليد 1680 * 98 سنة

Projet * TEST ADN-y et ADN-mt et HAPLOGROUPE [1c3d2 * 1859]

الفقيه الشيخ أبو محمد عبد القادر 34 / 01 بن عبد الله 02 بن محمد 01 بن أحمد بوجلال 04 بن محمد 05 بن أحمد 06
 بن محمد 07 بن عبد الرحمن 08 بن مسعود 09 بن عبد الله 10 بن الشيخ يوسف الشريف 11 بن عيسى البوخليلي 12
 بن صالح 13 بن الحسن 14 بن أبي القاسم 15 بن أبي عبد الله 16 بن محمد 17 بن الشيخ يعقوب الشريف 18
 بن أبي إسحاق 19 بن عبد الله 20 بن أبي عمران 21 بن موسى 22 بن الشيخ صفوان الشريف 23 / بنشار بن موسى 24
 بن سليمان 25 بن يحيى 26 بن موسى 27 بن السيد عيسى 28 بن إدريس الثاني 29 بن إدريس الأول 30
 بن عبد الله الكامل 31 بن الحسن المثنى 32 بن الحسن 33 السبط خامس الخلفاء الراشدين بن علي 34
 رابع الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين رضي الله عنهما جميع

الحسن السبط ابن سيدة النساء العالمين فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله رسول الله صل الله عليه وسلم 34 / 01 جد

ملاحظة:

المشاركة من آل الشيخ أبو عبد الله يوسف بن عيسى البوخليلي بوجهه الله بالشمون إلى أربعة فروع لا غير .

- أولاد الشيخ بن عبد الله / المدعو عو الشرفي
- أولاد الشيخ أحمد بوجلال الشرفي
- أولاد الشيخ علي الشرفي
- أولاد الشيخ منصور الشرفي

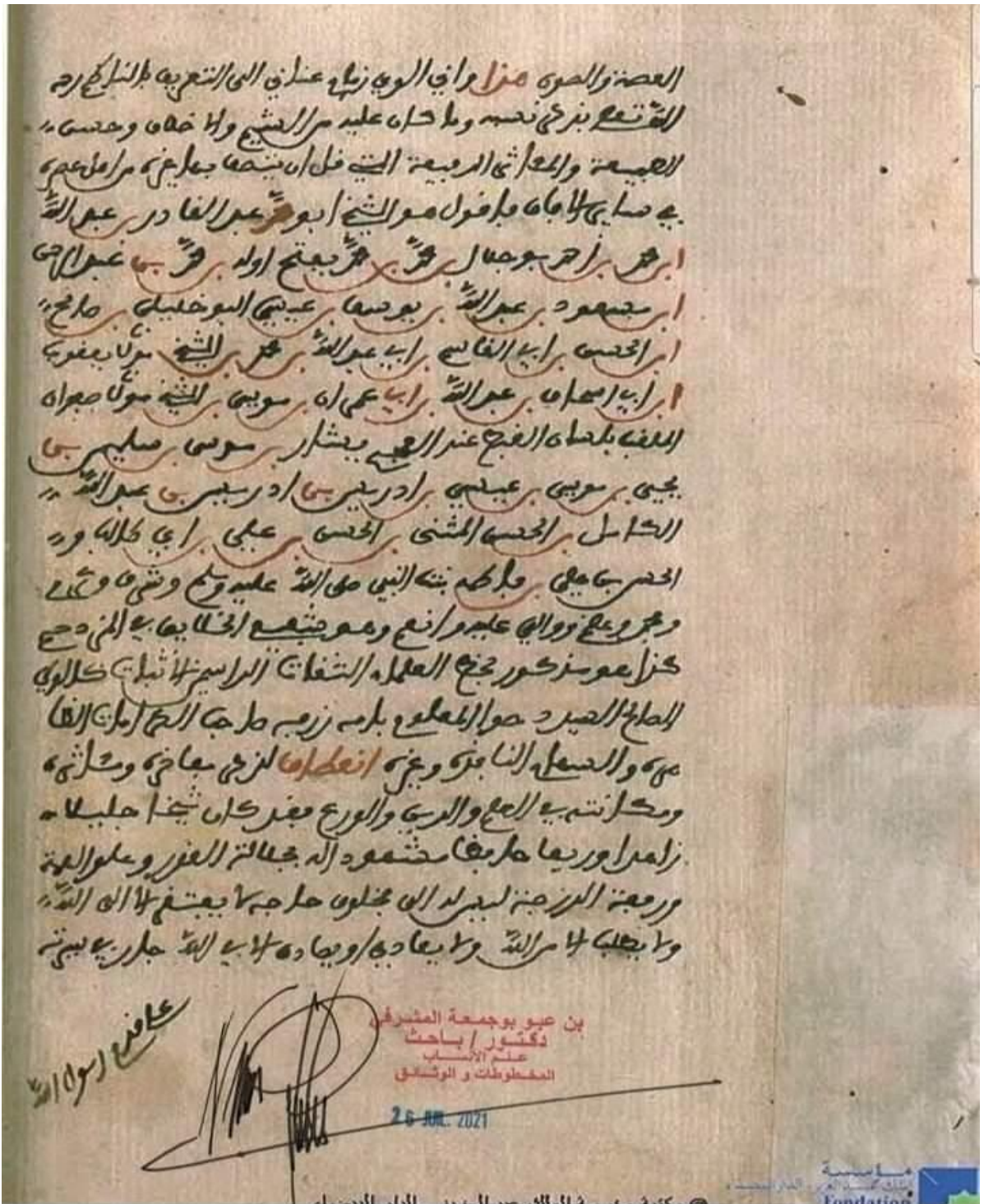
بن عبو بوجمعة المشرفي
 نكتنور / نيلحيت
 علم الأنساب
 المخطوطات والتوثيق

18 AVR 2022

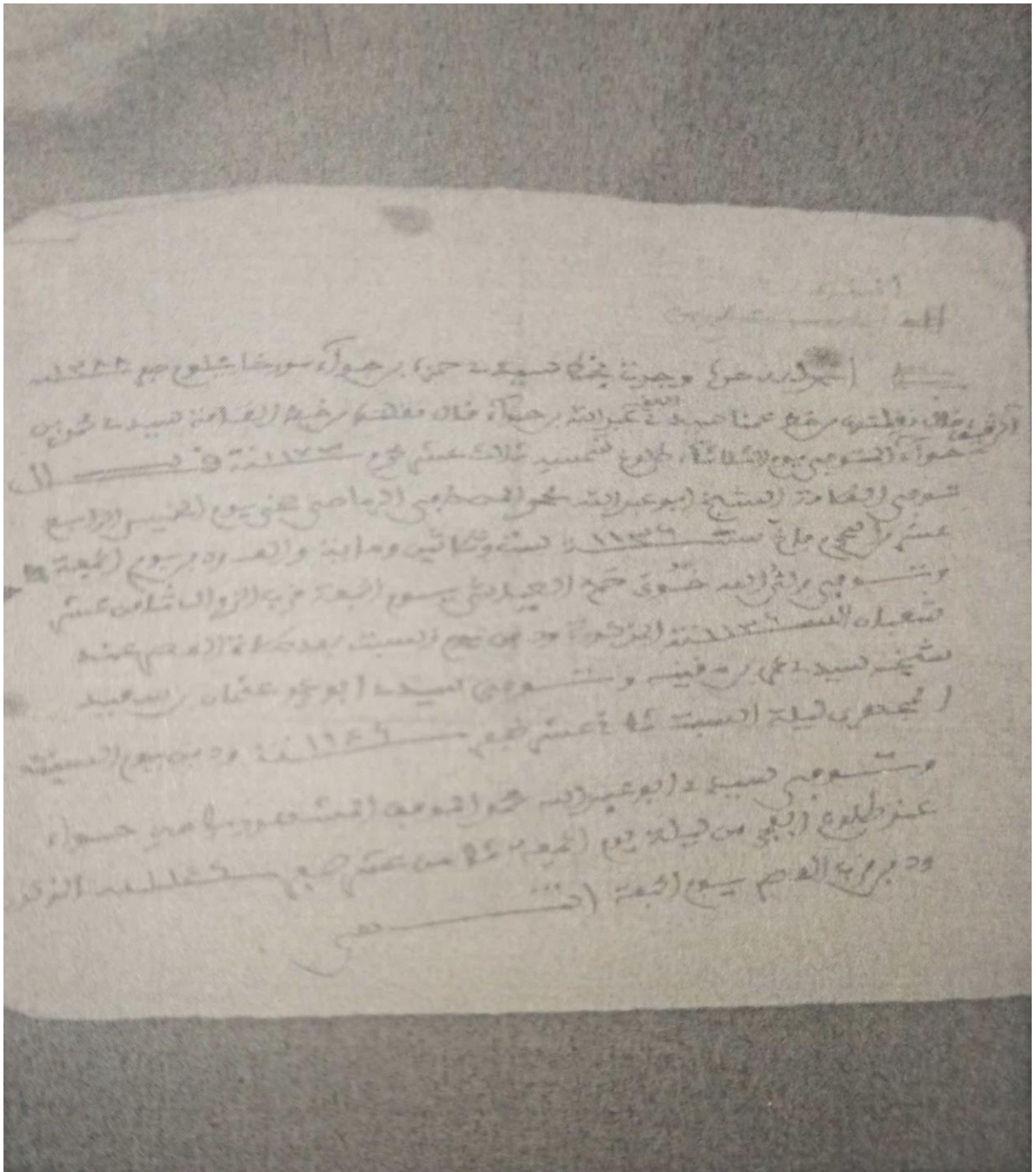


ملحق رقم 17: ورقة بحثية تمثل: نسب الشيخ عبد القادر المشرفي بحيث يصل عدد أجداده 34 جد لا غير، تم استلامها من طرف الباحث بن عبو بوجمعة المشرفي/باحث علم الأنساب المخطوطات والوثائق، بتاريخ: 2022/11/01.

ملحق رقم 18 : مخطوطة تبين نسب الشيخ عبدالقادر المشرفي

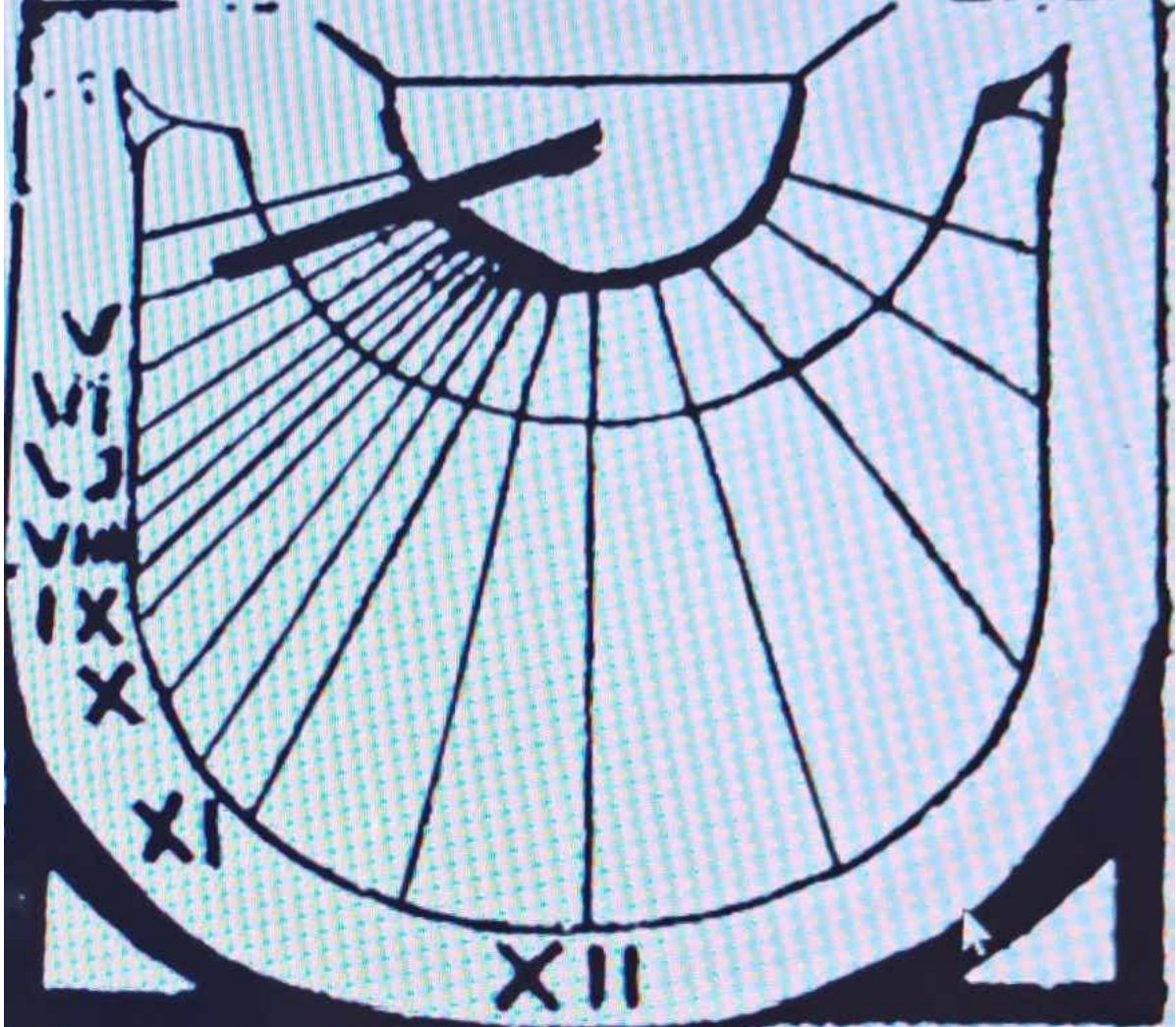


المصدر: تم استلامها من طرف الباحث بن عبو بوجمعة المشرفي/باحث علم الأنساب المخطوطات والوثائق،بتاريخ:2022/11/01.



ملحق رقم 19: تقييد وفاة الشيخ مصطفى الرماصي

غايتان دالفان، محمد الحرشوي التلمساني الجزائري، القول الاحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الاقصى والاوسط، دراسة وتحقيقتقي الدين بوكعبر، دار الخيال للنشر والترجمة ، برج عيريج، الجزائر، 2021، ص424.



ملحق رقم 20:

Facsimilé du cadran solaire de la Grande Mosquée de Mascara¹

¹ تنسيق: عبيد بوداود، معسكر: المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث التاريخية، جامعة معسكر، 2014، ص 273.

بحر زبدة أو قنصل مثل الاحزان ومثل العبرية ومثل الاجاد والنفحة
 بانها بيدفلا مسحات ومبردات لانها مدرة او مذبذبة
 ومنفلا من افعال اخرى وانها حلاوة كمن هذه مثل التمدد والتمتع
 والجدب والارزاق والتعجب والتفريفة وما الشبر ثالث واما العنبر
 بالليبات في مثل الاسحال والادوار والتعريف ونحوه تسكنه افعالها
 بتسكنه حيلان لها بافلسها بنقول المعبودات التي لا دوية بانفسها
 بعقلها هي الليبات الاربع المعلومات ريفها الرواج والانسوان
 وبعضها صفت اخرى المشهورة منقولها هذه السلامة
والشفافية واللزوجة والصفاة والجمود والدميلان والعلاير
والارضية والنشف والنقية والشفق والدواء اللطيف هو الذي
 من شأنه اذا البعل من القوة المجهولة التي يمنة لها تنفسها بانها
 الراجحة عقيمة جدا مثل الزعفران والدار صين وهذا الدواء اذ يجمع
 تأثيراته حتى ان تجفيفه وان لم يكن لدغ يعلف تجفيف الشمس الغوى لا
 لطغ ويعتق بالثبات ما ليس ذلك من شأنه مثل الفرع والجميس ويعتق بالترج
 وكل له من شأنه بالبعل او بالقوة التي جعلها عند تأثير العار الفريز
 ان ينسل الامتداد مغلظا ينقطع ما يبد وهو الذي اذ لم يحرره
 جسمين يتحركان الى الباعده انما ان يعرلا من منوران يتعقل بانها
 مثل النسل والصف هو الدواء الذي يتجدد اجزاء صفار ابيض في يسير
 مع برسته وجودة مثل العسر الجسد والجلد هو الدواء الذي من شأنه

العلم
المستبين

الجمير

يصير بحيث ان يتحرك الجواهر التي لا تسماط على وضع جوف لانها بالبعل
 ثابتة على شكلها ووضعها بحيث يارد جدا مثل الشمع والي من هو السخا
 من شأنه ان يصير لانها غير تمايل بالبعل والدواء الصايل هو الذي لا يثبت
 على شكله وهو من اذ الترتيب حير صلب بل يتحرك اجزائه العليا الى الصلبي
 بالحيات الحكي له سلوكها مثل اللبابات كلفه والحداء للهار هو الذي
 من شأنه اذا نفع بالذوب او بجمع ما يدقيرت من اجزاء خالدها
 الرطوبة ويصل جوهر الجموع منها الى اللزوجة مثل بزقونوا والظهير
 والنجيح والزرور للعاية تسهل بالارزاق الا ان تشوبه بتصير لا يسهلها
 مفترية بتجسس والذخ هو الاوان الذي جوهه شيع من الذهب مثل
 العيوب والنشيب صوالدوا واليا بص البعل الاربع الذي من شأنه اذا انك
 الداء والرطوبات السائلة ان يقوى بل يفسر وينعج ما بد منه خفية
 حتى لا يرى مثل النورة الغير مطعات واما الخفيف والشفق بلاسر بمهلها
واما افعال الادوية يجب ان تعد انشهورات على الشرايط المذكور استعد
 عدد ثمرتها بعضا بالبرسور والشرور لا يسهلها لطفه واحدة يقال دواء
 معشى المكعب مخل جال مخس مجمع مروح منقح جاذب مفقع
هالك كاسر الرياح محرر محمك مفرد كامل محرر الادغ مبقت مبقي
لان مفشر وكهيفة اخرى مبرد مفوق واذغ مظف مبقي مخدرا
وكهيفة اخرى مرطبة منقح فصال موسم للفروج اسزلب مفلس
وكهيفة اخرى مجمع اماص نايق مسدد مفوق مدق منتب للمر

ملحق رقم 22: الورقة 2 من كشف الرموز لعبدالرزاق بن حمادوش الجزائري

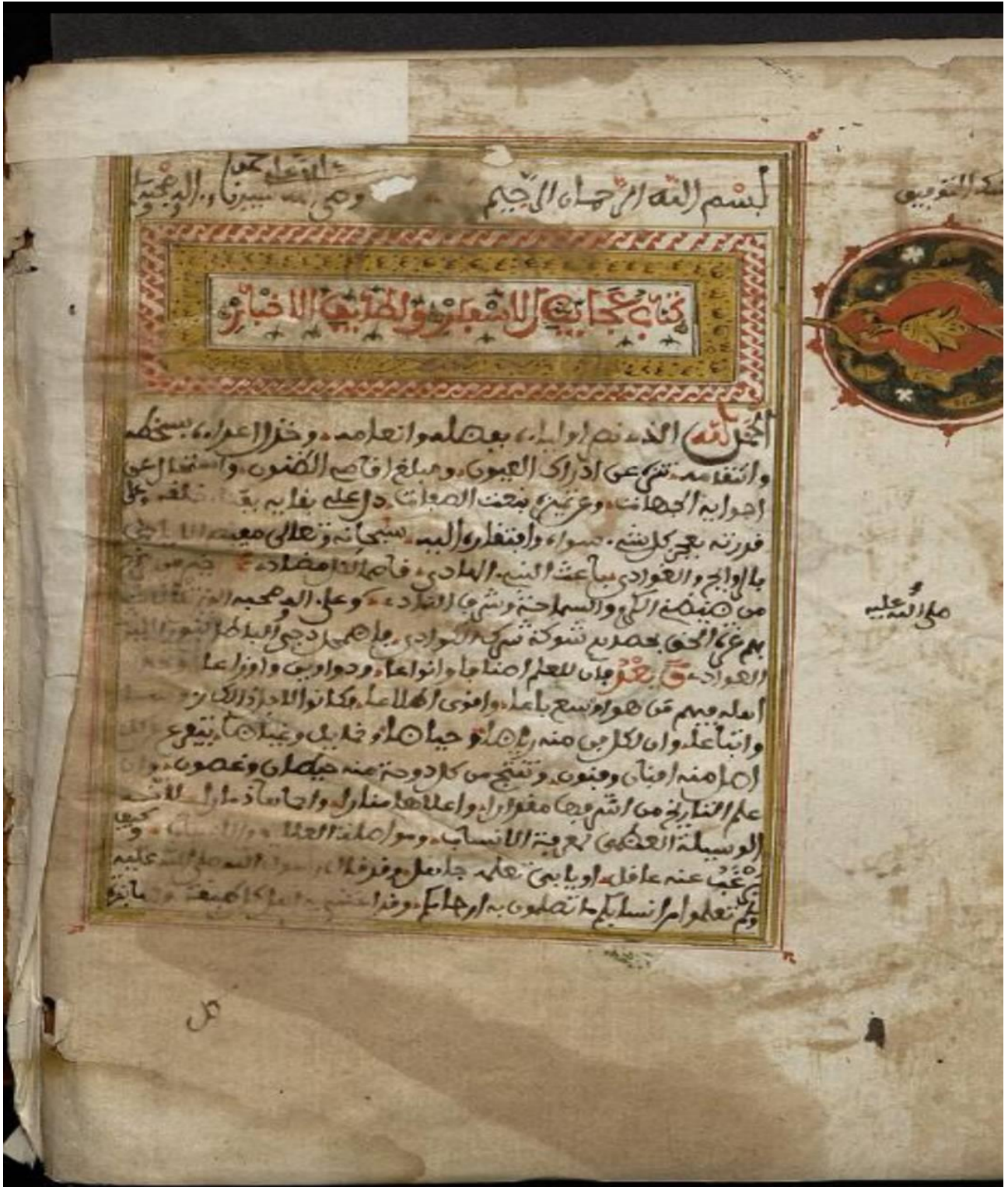
المصدر: (مخطوط رقم 1764، المكتبة الوطنية - الجزائر العاصمة)

ملحق رقم 23: الصفحة الاولى من مخطوط الصباغ عن أحمد بن يوسف الملياني، تم ارساله من طرف الباحثة بعاريسه صباح بتاريخ 2023/08/31.

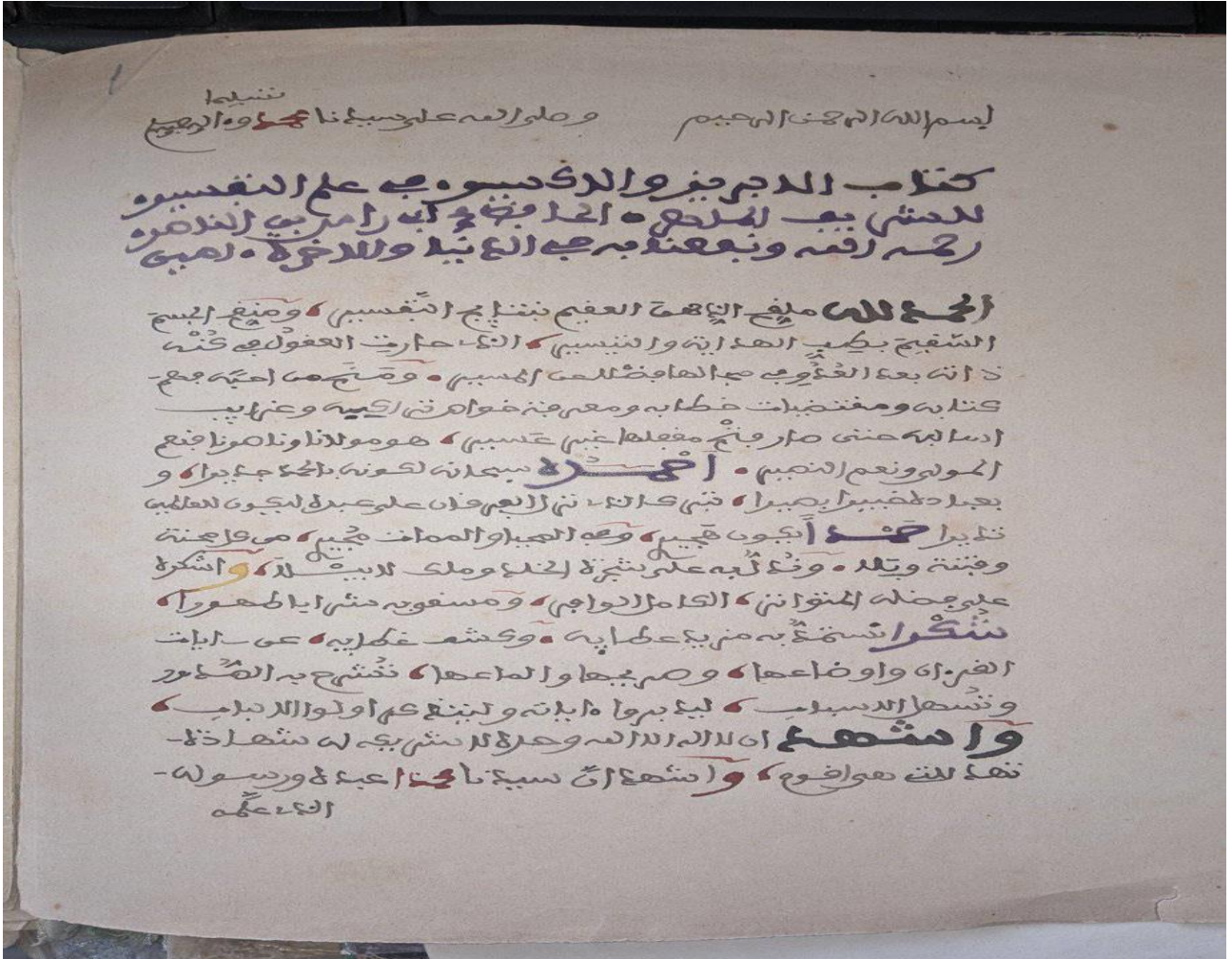


ملحق رقم 24: مخطوط عجائب الاسفار بخط الشيخ ابي راس الناصري تم استلامه من طرف

الدكتور تقي الدين بوكعبير، بتاريخ 2023/09/14

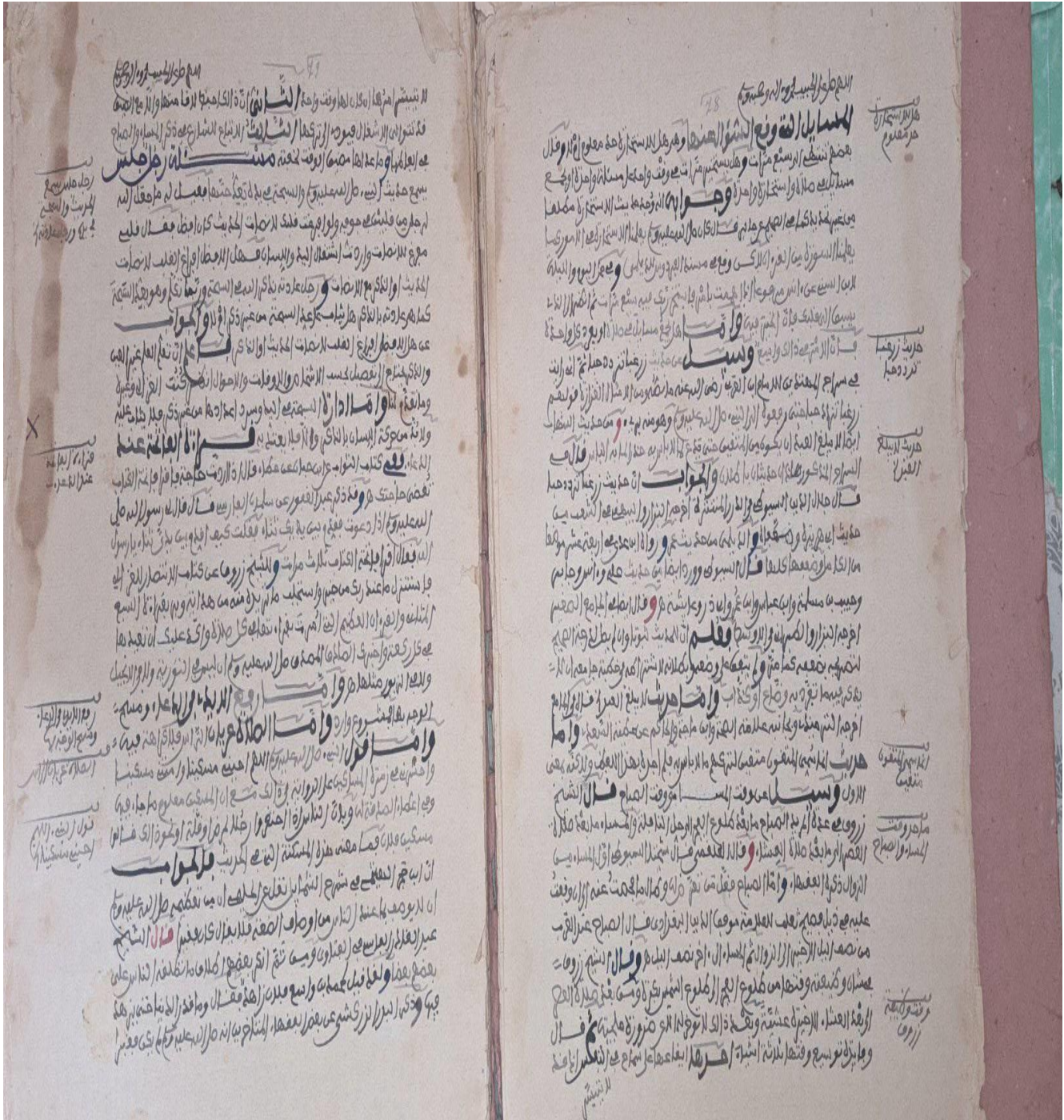


ملحق رقم 25: مخطوط الاكسير والابريز في علم التفسير



المصدر: تم استلامه من طرف الدكتور تقي الدين بوكعبير، بتاريخ 2023/09/14

ملحق رقم 26: مخطوط الحاوي في الفتاوي،



الذي هو في الحقيقة...
المسألة الأولى في معرفة الاستبراء...
المسألة الثانية في معرفة الحيض...
المسألة الثالثة في معرفة الحمل...
المسألة الرابعة في معرفة الولادة...
المسألة الخامسة في معرفة النفوس...
المسألة السادسة في معرفة الموت...
المسألة السابعة في معرفة القيامة...
المسألة الثامنة في معرفة الحساب...
المسألة التاسعة في معرفة الجنة والنار...
المسألة العاشرة في معرفة الآخرة...

الذي هو في الحقيقة...
المسألة الأولى في معرفة الاستبراء...
المسألة الثانية في معرفة الحيض...
المسألة الثالثة في معرفة الحمل...
المسألة الرابعة في معرفة الولادة...
المسألة الخامسة في معرفة النفوس...
المسألة السادسة في معرفة الموت...
المسألة السابعة في معرفة القيامة...
المسألة الثامنة في معرفة الحساب...
المسألة التاسعة في معرفة الجنة والنار...
المسألة العاشرة في معرفة الآخرة...

المصدر: تم استلامه من طرف الدكتور تقي الدين بوكبير، بتاريخ 2023/09/14

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

أولاً: المخطوطات

1. ابن سخنون الراشدي ،مخطوط المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية مخطوط رقم1768، المكتبة الوطنية - الجزائر العاصمة.
2. أبي راس الناصر،الاكسبير والابريز في علم التفسير، من خزانة تقي الدين بوكعبر،معسكر.
3. أبي راس الناصر،حاشية على السنوسي، من خزانة تقي الدين بوكعبر،معسكر.
4. أبي راس الناصر،عجائب الأسفار،من خزانة تقي الدين بوكعبر،معسكر.
5. أحمد بن قاسم البوني، مخطوط مبين المسارب مخطوط رقم1775، المكتبة الوطنية - الجزائر العاصمة.
6. بن حمادوش عبد الرزاق، كشف الرموز في بيان الأعشاب، مخ، رقم ،1764المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.
7. مخطوط الصباغ عن احمد بن يوسف الملياني،تم استلامه من طرف الاستاذة الباحثة بعارسية صباح.
8. مصطفى الرماصي شرح حاشية شمس الدين التتائي. ج1، مخطوط بخزانة الشيخ البشير محمودي، البرج - معسكر.

الأرشيف:

9. C.A.O.M. : HI 228 : Renseignement sur l'organisation administrative du Beylik de Constantine avant la prise de Constantine, rédigé en 1840, sans nom d'auteur.

ثانياً:المصادر المطبوعة:

10. إبراهيم بن علي ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. ج1 تحقيق علي عمر القاهرة مكتبة الثقافة الدينية 2003.
11. ابن خلدون ، المقدمة ، تاريخ العبر ، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1998 ،
12. ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر دمشق، 1966.
13. ابن قنفذ القسنطيني، "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " تحقيق محمد الشادلي و عبد المجيد التركي ،الدار التونسية للنشر ، تونس 1968.

14. ابن مريم، لبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: ابن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1906.
15. أبو حامد المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، تق، تح بن عمر حمدادو والعربي بوعمامة، دار قرطبة، الجزائر، 2011.
16. أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر. ج1. تقديم وتحقيق المخطوط من طرف محمد غالم وهران منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية 2005.
17. أبو راس الناصر فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية و العلمية". حقّقه وضبطه وعلّق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب 1990.
18. أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن زرفة الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3322، الورقة 19.
19. أبي بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبط و تعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993.
20. أحمد بن قاسم البوني، الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة الجزائر، 2007.
21. أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1040 هـ)، " نفع الطيب من نصيب الأندلس الرطيب "المجلد الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1968م.
22. أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي، تح، تق: محمد بن عبد الكريم، ط1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م.
23. مجهول، رحلة ابن زاكور الفاسي المسماة: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع - الحراش - الجزائر، 2011.
24. أحمد زروق، قواعد التصوف، ضبط وتعليق محمود بيروتي، دار البيروتي، دمشق، ط1، 2004.
25. الأغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990.
26. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

27. خالد ابن عيسى البلوي ، " تاج مفرق في تحلية علماء المشرق (الرحلة الحجازية) " تحقيق الحس
إبن عمر السائح جزء 1، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، بدون تاريخ.
28. الزيانى يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح. المهدي
بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة الجزائر، 2013م.
29. الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، تح بلهاشمي بكار، مطبعة
ابن خلدون، الجزائر، 1961.
30. عبد الباسط إبن خليل، " الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم (رحلة إبن خليل) " نشرها
بروتشفيك بعنوان :
- brunschvhc Rebert deux recit de voyage un édits en Afrique du nord ou xve
sele. Abdal. Basit B hkalil et adorme .paris v.i - arose eduteurs 1936.
31. عبد الرحمان إبن خلدون، "ترجمان العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيان العرب و العجم و البربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"المجلد السادس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1983.
32. عبد القادر مسلم، خاتمة أنيس الغريب المسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، د، ط(الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
33. عبد الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية ، دار صادر، بيروت، ط2013 .
34. العقباني التلمساني أبو عبد الله، " كتاب تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير
المناكر " تحقيق علي الشفوفي نشر:
institut française de damas Bullet in d étude orientas txtx années 1965/1966
damas 1967.
35. علي إبن أبي زرع الفاسي، "الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية " دار المنصور للطباعة و
الوراقة ، الرباط 1972.
36. غايتان دالفان، محمد الحرشوي التلمساني الجزائري، القول الاحوط في بيان ما تداول من العلوم
وكتبه بالمغربين الاقصى والاوسط، دراسة وتحقيق تقي الدين بوكعبير، دار الخيال للنشر والترجمة ،برج
عرييج، الجزائر، 2021.
37. القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص 312، 313، 314، الكلابادي ، التعرف لمذهب التصوف ،
تحقيق محمود النواوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط2، 1980.
38. مارمول كر بخال إفريقيا، ج2 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1984.

39. محمد إبن مرزوق التلمساني 781هـ، " المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " تحقيق ماريا خيوس بغيرا ، تقديم محمود بو عياد الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981.

40. محمد الشريف الورثلاني،نزهة الأنظارفي فضل علم التاريخ والاختبار،تح محمد بن أبي شنب،(د،ط)، مطبعة ببيير فونتانا الشرقية،الجزائر،1908.

41. محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط9، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

42. محمد بن يوسف الزياني دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم و تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر، ش و ن ت، 1978.

43. محمد حسن، " الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط ، مدخل لدراسة من خلال نوازل المعيار للونشريسي " :

" de monde rural maghrébin communates et strotifiction social" office des publication universitaire Alger tone 1983 "

44. المراكشي إبن عذارى، " البيان المغرب بأخبار الأندلس و المغرب . قسم الموحدين " تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرين ، دار العرب الإسلامي بيروت 1985.

45. شهاب الدين أحمد المقرئ التلمساني: "أزهار الرياض في أخبار عياض "صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية و الإمارات العربية المتحدة الجزء الثالث الرباط 1398هـ . 1978/م .

ثالثا:المصادر الاجنبية:

46. Albert Devoulx ,Notice sur les corporation religieuse d'Alger accompagnée de documents authentique et inédite, Alger: Typographie Bastide,1862.

47. Aramburu Don-joseph de , Oran et l'ouest Algérien au 18 Siècle, Présentation et traduction de ,Korso et Epalza Alger B, N, 1978

48. ARNAUD, Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed - Alger, 1885. Basset, M. René, Les Dictons satiriques attribués a Sidi Ahmed Ben Youssef, Paris, Ernest Leroux ,1890.

49. Blismon, Notice Topographique Sur Le Royaume et la Ville d'Alger, Paris, 1830.BOUTIN (V): Reconnaissance des villes forts et battries d'Alger 1808 puplié par : Gabriel

50. De PONT ET COPPOLANI ; Les confréries religieuses musulmanes, Alger TYPOGRAPHIE ET LITHOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN, 1897.

51. Devoulx (A) ; Les Edifices religieux de l'ancien Alger,1870.

52. Devoulx (A), Epigraphie indigène du musée archéologique d' Alger suivie d'un musée mural a Alger, alger, 1874.
53. DUREAU (de la Malle), la province de Constantine, Recueil de renseignements, Paris, 1837.
54. Esquer Librairie de la société de l'histoire de France Paris. 1833.
55. Gabriel Colin , ABDERRAZZÂQ EI- JAZÂÏRÎ, un médecin arabe du XIIe siècle de l'hégire. Montpellier: Imp DELORD -Boehm et martial éditeurs du Montpellier médical, 1905
56. Genty De Bussy, P. de l'établissement des français dans la régence d' Alger et des moyens d'en assurer la propriété , paris: Typographie de Firmin didot frères, 1839.
57. Haido Diego- De Topographie et Histoire générale. In R.A ; T 14 ; 1870. LECHERC Loucine, Histoire de La Médecine Arabe. T2. Paris: éditeur Ernest Leroux, 1876.
58. Louis Rinn, marabouts et khouans : Etudes sur l' Islam en algérie, adolphe, Jourdan libraire- éditeur, Alger, 1884.
59. Marçais(G), Notes historique sur les mosquées et autres édifices religieux d' Alger, in revue africaine, Alger in revue africaine, 1869.
60. Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d' Abdelkader, Paris, Larose, 1953. Mercier Ernest, Elévation de la famille el Fagon. Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1878.
61. Mercier Ernest, Elévation de la famille el Fagon. Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1878,
62. Pananti, Relation d' Un Sejour à Alger, Paris, 1820 Pananti, Relation d' Un Sejour à Alger, Paris, 1820.
63. Robert Brunschvig, La berberie orientale sous les Hafside : des origines à la fin du XV SIÈCLE, n, rue Saint-Sulpice – PARIS, 1940.
- Rozet Et Carette, L'Algérie, Imprimeurs De L' institut, Rue Jacob, 56, Paris 1850.
64. Shaler (W), Esquisse de l'etat d' Alger, Traduit de l' Anglais et enrichi de notes par : M.X. Bianchi, Toulon, 1830.
65. Shaw L' Algérie un siècle avant l' occupation française. Traduit par J, Mac, Carthy ; Paris Editions Imprimerie de Carthage 1968 Vayssettes Eugène, histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837, Paris, Bouchene, 2002

رابعاً: المراجع باللغة العربية:

66. ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000.

67. ابراهيم مذكور ، الفلسفة الإسلامية ، ج2، دارالمعارف ، مصر ، 1983.
68. إبراهيم مياسي ، قبسات من تاريخ الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2010.
69. ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي، صروة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1996.
70. ابن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح، تع، عبد الله حمادي، الطبعة الجديدة، دار الفائز للطباعة والنشر قسنطينة، 2017.
71. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 هـ إلى 16 م. 20 م، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
72. أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986 م.
73. أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
74. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري ،حياته و آثاره، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2005.
75. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1830، 5-1954، دارالغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1، 1998.
76. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1830-1954-، 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
77. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
78. ابو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
79. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1979 ،
80. أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ،تحقيق كامل مصطفى الهندواي ، ط1، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004.
81. أبو القاسم سعدالله، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990.
82. إحسان الهي ظهير ، التصوف المنشأ و المصدر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986.
83. أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب و السودان الغربي ، ج1، دار فصالة المحمدية، 2000.

84. أحمد السليمانى ، النظام السياسى فى الجزائر فى العهد العثمانى ، ط1 ، دار الكتاب ،الجزائر ،1993.
85. أحمد السليمانى، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.
86. أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج أحد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1246هـ/1754-1830م)، تح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
87. أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع عبد الله حمادى، دار الفائز، قسنطينة، 2011.
88. أحمد بن عبد الرحمان الشقرانى الراشدى، القول الأوسط فى اخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصرالدين سعيدونى، دارالبصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2012.
89. أحمد بن محمد عباد الشافعى، المفآخر العلية فى المآثر الشاذلية،اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالى،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،2004.
90. احمد بوساحة، أصول أقدم اللغات فى أسماء أماكن الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2002م.
91. احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492-1792)ط3،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.
92. أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة فى عهده - ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
93. أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.
94. أحمد سكيرج العياشى،كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجانى من الأصحاب ، الطبعة الأخيرة ، مكتبة الشعبية،بيروت،1988.
95. احمد سليمان ، تاريخ المدن الجزائرية عبر العصور، دار القصبه للنشر.الجزائر،2006.
96. أحمد مريوش ، الحياة الثقافية فى الجزائر خلال العهد العثمانى، منشورات الوطن للدراسة والبحث فى الحركة الوطنية،1ثورة أول نوفمبر1954، 6945الجزائر،2007.
97. أحمد يحيى ، الجزائر فى عهد الدايات - دراسة للحياة الإجتماعية إبان الحقبة العثمانية -ج2، دار الكفاية ، الجزائر ، 2013.
98. الإدريسي، أبو عبد الله الشريف، نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،مج1، 2002.

99. أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1847)، ج 1، ط 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004.
100. أسعد السحمراني، التصوف منشؤه و مصطلحا ته، دارالنفائس، للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م.
101. الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1944م ، تحقيق محمد صغير بناني وآخرون ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2008.
102. انيرش خون مالستان ، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، ترجمة ابو العيد دودو، الجزء الاول، الشركة الوطنية
103. البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تح جمال طلبه، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 2، 2003.
104. بواريو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط 2، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، 2013.
105. تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج 3، تح، محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة، 1997.
106. تمار هند، تداخل الأجناس الأدبية في أدب الرحلة "مدونة ابن حمادوش الجزائري أنموذجا"، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخ: الأدب العربي قديما وحديثا، إش: بريهمات عيسى، كلية الآداب واللغات جامعة غرداية 2014-2015.
107. تيزيني طيب ، التصوف العربي الاسلامي فرادا في الحضور الوجودي و الاستحقاق القيمي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2011.
108. جاد الله منال عبد المنعم ، التصوف في المغرب و مصر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، 1997.
109. جاك لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956 الجزائر دار الغرب للنشر و التوزيع 2003.
110. الجامعي الفاسي، رحلة الجامعي الفاسي/ نقلاً عن مولاي بلحميس، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية. - وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية/ العدد الثامن. - الجزائر، 1972.
111. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط 1، 2011،
112. جمال الدين بن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان ، ط 2، مج 2008.

113. جمال الدين بوقلي حسن، " الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد "المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985.
114. جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري الجزائر مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع 2005.
115. جيلالي جلول ، معسكر رجال وتاريخ ، دار الاديب للنشر والتوزيع ، الجزائر 2006.
116. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، ج1، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1996،
117. الحسن بن محمد الورثيلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1974.
118. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا ، ج2، ط2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.
119. حسن جلاب ، بحوث في التصوف المغربي، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1، 1995 .
120. الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، مج2، تن ورف، عبد الكافي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.
121. حسين مؤنس، المساجد، ط1، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
122. حمد إبراهيم تركي، التصوف الإسلامي، أصوله و تطوراته، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط، 2007.
123. حمدادو بن عمر، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية في علم الصيد، دراسة وتحقيق ،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، 2010.
124. ر ، أ، نيكلسون ، الصوفية في الإسلام ، ترجمة و علق عليه نورالدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ن ط2، 1422هـ/2002.
125. ر ، أ، نيكولسون ، في التصوف الإسلامي و تاريخيه ،نقلها الى العربية و علق عليها ، أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1366هـ ، 1947م.
126. رشيد بوربية،الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ،ترجمة،ابراهيم شيوخ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979.
127. رقية شارف ، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن18وبداية القرن 19،"دراسة تحليلية نقدية"ط1،دارالملكية ، الجزائر ، 2007م.

128. زروق أبو العباس أحمد الفاسي ، قواعد التصوف و شواهد التعرف ، تح ، نزار حمادي ، المركز العربي للكتاب ، الشارقة، 2013 .
129. السيد محمد عقيل بن علي المهدي ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الحديث، 1993
130. سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبوا العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
131. شاكر مصطفى موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله. ج3 بيروت دار العلم للملايين 1993.
132. شايف عكاشة ، الحضارة العربية الإسلامية بين التطور و التخلف ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2004.
133. شغيب محمد المهدي بن علي، أم الحواضر في الماضي و الحاضر، ط6، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.
134. شميل آنا ماري ، الأبعاد الصوفية في تاريخ الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة إسماعيل السيد و رضا حامد قطب ، منشورات الجمل ، بغداد ، ط2006.
135. صادق سليم صادق ، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1994.
136. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط2، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
137. صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها ، دارالبراق ، بيروت ، لبنان، 2002.
138. الصيد سليمان، نفع الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، الطبعة الأولى. الجزائر 1994.
139. الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين / 12 و13 الميلاديين نشأته - تياراته - دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري والسياسي ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004 .
140. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980.
141. عائشة غطاس و أخريات ، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها ، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني، 2007.

142. عائشة كربون ، المساجد التاريخية لمدينة الجزائر، ط1، وزارة الثقافة، منشورات ألفا alpha، الجزائر، 2011.
143. عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني. - تونس، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموركيسية والتوثيق والمعلومات، 1990.
144. عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية و مذاهبها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999 .
145. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة ،مليانة)، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007م.
146. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط7، الجزائر، ج3، 1995.
147. عبد الرحمن بدوي ، تاريخ التصوف الاسلامي، ط1 ،وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975 .
148. عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، ج2، تح أبو القاسم سعد الله ، د/ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.
149. عبد الرزاق قسوم ، " عبد الرحمان الثعالبي و التصوف " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1978.
150. عبد العزيز الشهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب الاسلامي ، الجزائر، 2007.
151. عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني، ج5، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002.
152. عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، الرباط ، ط4 ، 2003 .
153. عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، تعليق شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، حقق و خرج أحاديثه و علق عليه عبد العليم محمد الدرويش، مكتبة دار الهدى ، القاهرة ، (د،ت) .
154. عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، شركة ومكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده مصر، ط2، 1392هـ/1973م.
155. عبد القادر حلیمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
156. عبد الكريم عزوق، تطور المآذن في الجزائر، ط2، شركة ابن باديس الجزائر، 2011.

157. عبد الله مقلاتي، الطرق الصوفية في الجزائر أمام جدلية فاعلية حضورها الاجتماعي والسياسي: الموقف من الاحتلال الفرنسي نموذجاً، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الاسلام وتحديات العصر
158. عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق 16-17م ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 2000.
159. عبد المجيد ابن أبي زيان بن أشنهو، "دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر " الطباعة الشعبية للجيش، بدون تاريخ
160. عبد المنعم القاسمي ، زوايا الهامل مسيرة قرن من العطاء و الجهاد 862هـ -1962م ، دار النشر المسيلة (د،س،ن) .
161. عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى ، دارالخليل القاسمي ، جامعة ورقلة ، 2005.
162. عبد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1984.
163. عبدالرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
164. عبدالقادر بكاري، عبد الرزاق ابن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بالسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، مجلة عصور الجديدة، مج7، ع26، افريل 2017.
165. عبدالقادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
166. العبدري، محمد بن محمد بن علي، الرحلة المغربية، تق سعد بو فلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.
167. عبيد بوداود، الوقف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع هجريين (ق 13-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
168. عبيد بوداود، معسكر، المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث التاريخية، جامعة معسكر، 2014.
169. عدة بن داهة ، معسكر عبر التاريخ ، دار الخلدونية ، 2005 .
170. عزيز سامح التتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامرط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر؟؟

171. علي حرازم برادة ، جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ج1 ط1432، 1432هـ/2002م.
172. علي خلاصي ، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور ، د،ج،ط1، دار الحضارة ، الجزائر 2015.
173. علي خلاصي، قسبة مدينة الجزائر، ج 2، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007م.
174. علي محمد محمد الصلابي ، العالم الكبير و المربي الشهيد الشيخ عبد القادر الجيلاني ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 1428هـ - 2007 .
175. علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، 2001، 1.
176. عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
177. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962الجزائر خاصة، ج 2 ، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
178. عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
179. عمر بن قينه، في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ماي 1995م.
180. عمر رضا كحالة ، معجم مؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993م.
181. عمر فروخ ، التصوف في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1981.
182. عمر بن قايد ، الطريقة الطيبية نشأتها ومشائخها في الجزائر في القرن 19م، مجلة روافد للبحوث والدراسات ، مج 7، ع 1، جوان 2022.
183. العياشي عبدالله بن محمد ، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الورد ، ج2، تحقيق تخريج وتعليق الشيخ احمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 2011.
184. الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، ط2، 1979م.
185. فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1771-1792م)، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
186. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.

187. فاطمة سيدهم ،علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية ما بين 1791-1830م،دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة ،الجزائر،2016.
188. فتيحة فرحاني،نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني(213 ق.م-46 ق.م)،منشورات أبيك،(د.م.ن)،2011.
189. فريدة مقلاتي، صورة آخر مغربي في رحلة ابن حمادوش الجزائري (المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8 عدد 4، 2019.
190. فنديلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832- 1837)،تر و تق أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
191. فوزية لزغم ، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1830-1518م)، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 2011م.
192. كارل بروكلمان،تاريخ الأدب العربي،نقله إلى العربية :يعقوب بكر و رمضان عبدالنواب ،دار المعارف ،مصر ،1975.
193. الكتاني أبو محمد بن جعفر بن إدريس،سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ط1،ج2،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،المملكة المغربية،2004.
194. كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان،2013.
195. كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510م-1541م ، ترجمة جمال قنان ، ديوان المطبوعات الجامعية ،2007.
196. لبكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت،ج2،ط1،2003.للنشر والتوزيع، الجزائر،1979.
197. مالتسان هاينريش فون ، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ، ترجمة أبو العيد دودو ، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،2008.
198. مبارك بن محمد الميلي ،" تاريخ الجزائر في الحديث و القديم " تقديم وتصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، دار الغرب الإسلامي .بيروت بدون تاريخ ج2.
199. مجموعة أساتذة ، الحياة الروحية في الاسلام، معسكر رجال وتاريخ ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر،ج1،1987.
200. مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

201. محمد إدريس الطيب، الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019.
202. محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.
203. محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، سلسلة علوم واثار ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر 1988.
204. محمد المختار إسكندر، المدينة عبر العصور، ط2، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
205. محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة، 1993.
206. محمد بن سحنون كتاب آداب المعلمين تح: عبد المولى محمود، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981،
207. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، بيروت، لبنان 1984
208. محمد بن عبد الله بن حسنين الشافعي الصطفاوى التجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني، مكتبة القاهرة، مصر، (د،ت).
209. محمد بن محمد المديوني التلمساني " بن مريم"، البستان في التعريف بالعلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
210. محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، د، ج، تق وت، محمد بن عبد الرحمن، (د،ط)، الجزائر، 2007.
211. محمد بوذينة، أبو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، تونس، 1989.
212. محمد حاج صادق، مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1964.
213. محمد حجي، الزوايا الولائية و دورها الديني و العلمي و السياسي، ط2، مطبعة النجاح الجديدة (د،ب،ت)، 1988.
214. محمد زروق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.
215. محمد صالح العنترى، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة و تحقيق، يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2009.

216. محمد عثمان، قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 2013.
217. محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار النفائس، ط1 1981.
218. محمد يوسف الشبوكي ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 2002.
219. مزدور سمية، التراث المخطوط وأهميته في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط مخطوط : بستان الأزهار لابن الصباغ القلعي أنموذجا، مجلة البحوث والدراسات، مج15، ع1، جوان 2018.
220. مسعود كواتي، أم مدينة متيجة، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010
221. مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2010م
222. مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوكس والوثائق العثمانية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2010.
223. مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر كونين الوادي الجزائر، ب ت ن.
224. المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط)، 1988م، ج2.
225. المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر - جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن (13-10هـ) الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، جم وإع، عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
226. المهدي بن شهرة ، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران، ط1، دار الريحانة للكتاب الجزائر، 2007.
227. المهدي بوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، اعداد وجمع عبد الرحمن ديب، عالم المعرفة، الجزائر ،، 2013.
228. مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين الجزائر منشورات المجلس العلمي 2005.
229. مولاي بلحميسي ، مدينة المدية عبر العصور، في تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، إعداد وتعليق عبدالرحمن الجيلالي، الجزائر، 1978.

230. ميلود سرير و آخرون ، دور الزوايا الثقافي و العلمي في منطقة توات (وحدة بحث) جزآن ، جامعة أدرار ، د ، ت .
231. نادية فنتيسي، رحلة ابن حمادوش المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" كمصدر للتدوين للتاريخي (1743م / 1156 هـ)، مج7، ع2، ماي2023.
232. ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايليك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2013.
233. ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 إلى القرن 19، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
234. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
235. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
236. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
237. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحلة جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
238. نصر الدين برهامي، تاريخ مدينة الجزائر في عهد العثماني، 2010م.
239. نورالدين عبدالقادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
240. نورالدين ماحي، تراث القاضي محمد الطاهر بن عبدالقادر المشرفي المعسكري، ألفا للوثائق، عمان الأردن، 2022.
241. نيكولسون رينولد ألن ، في التصوف الإسلامي و تاريخه ، تر، أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1969.
242. ودان بوغفالة ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة المدية ومليانة في العهد العثماني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.
243. ودان بوغفالة، الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13 هـ / 19م الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع 2004.

244. الوزان الفاسي حسن بن محمد ليون الإفريقي ، وصف إفريقيا ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ج2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2 1983.
245. وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، دار القصة للنشر، الجزائر . 2007م
246. وليام شالار ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-124 م ، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982
247. يحيى ابن خلدون (ق 780 هـ)، " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " الجزء الأول ، تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر 1980.
248. يحيى بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية الدولية ، الجزائر المطبوعات الجامعية (د،س، ن).
249. يحيى بوعزيز ، موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب ، ج1، دارالهدى ، الجزائر ، 2009.
250. يحيى بوعزيز، «المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين»، مجلة اللغة العربية، مج8، ع2، المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر، 2006، ص100.
251. يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
252. يحيى بن محمد بن محمد الحطاب المالكي، أحكام الوقف، تح: عبد القادر باجي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2009.
253. يوسف بن أحمد حوالة ، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (450/90هـ)، ج1، مطابع جامعة أم القرى ، السعودية ، 2000.
- خامسا: الرسائل الجامعية:**
254. إبراهيم عبو ، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 13-10هـ/19-16م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه غير منشورة، إشراف د: بوشنافي نحمد، قسم تاريخ الحديث، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018م.
255. أحلام صبرينة طرشي ، صناعة النحاس بقسنطينة دراسة فنية ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2011-2012
256. أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.

257. أحمد سيساوي، البعد البايكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي الى نابلون الثالث 1838-1871، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2013، 2-2014.
258. إسرائي موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء المجتمع -دراسة موضوعية- قدم هذا البحث إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، ديسمبر 2017م، ربيع الأول/1439هـ.
259. الأمير بوغداده، التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13هـ /19م التصوف أنموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر - 2020-2021.
260. بلخوص الدراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، مذكرة من أجل الحصول على شهادة الماجستير، فرع تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012.
261. بن علي أبوبكر، الثورة التحريرية في منطقة الساورة 1954-1962، رسالة ماجستير، المركز الجامعي ببشار، 2006-2007.
262. بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي (الحكم العثماني - الأمير عبدالقادر - الإدارة الاستعمارية)، 1782-1900، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998.
263. بوكفة يوسف مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط. رسالة ماجستير في علم الاجتماع الجزائر كلية العلوم الاجتماعية بجامعة وهران 2002-2003.
264. بومدين أولاحي، التصوف والمتصوفة قراءة تحليلية للواقع الاجتماعي بالجزائر عهد الدايات (م1671/1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2020-2021.
265. تقي الدين بوكعبير، تلخيص الجمان من حياة الحيوان لمحمد مصطفى بن زرفة الدحاوي العسكري، دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2019-2020.
266. جدة بولافة: واقع المجتمع المدني الجزائري ابانة الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، حاج لخضر، باتنة، 2010-2011.

267. حسين بوخلوة، عبدالكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988هـ-1073هـ) (1580م-1663م)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة السانوية، وهران، 2008-2009..
268. حكيم بن يلس، مراكز التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية خلال القرنين (السادس عشر والثامن عشر) -دراسة فنية تحليلية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2020-2021، ص 179.
269. حمدادوبن عمر أبوراس الناصر المعسكري وكتاباتة التاريخية 1155 . 1238هـ / 1737-1823م. رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، وهران جامعة وهران 2002-2003.
270. خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.
271. ذهبية بوشيبة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني "أبي راس الناصري نموذجا"، مذكرة لنيل درجة الماجستير ،التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2008-2009..
272. ربة خالدي: الشعر الجزائري في الفترة العثمانية الشاعر ابن عمار أنموذجا دراسة موضوعاتية وأسلوبية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الطور الثالث، تخصص النقد الأدبي الحديث والمعاصر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليايس/سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017-2018،
273. رحمة قليل، حركة التأليف في أواخر العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د، إختصاص تاريخ الجزائر الثقافي، (1518-1830)، جامعة زيان عاشور، الجلفة، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، قسم العلوم الانسانية، 2020-2021.
274. رقية شارف ، التاريخ و المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1850/1270، " دراسة وصفية تحليلية نقدية " مقارنة في المنهج التاريخي، أطروحة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2016/2017.
275. زهرة شوشان، الحكاية والتاريخ في المخيال الاجتماعي الجزائري العهد العثماني أنموذجا - دراسة سوسيولوجية-، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2014-2015.

276. زهرة مسعودي ، الطرق الصوفية بتوات و علاقتها بغرب افريقيا من القرن 18م الى القرن 20م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص: التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية قسم التاريخ ، 1430هـ-1431هـ/2009م-2010م.
277. سعديّة رقاد،المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني1700-1830م،أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث تخصص العلم ومؤسساته في بلاد المغرب في العصور الوسطى والحديثة،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة أحمد بن بلة 1،وهران،2018-2019.
278. سفيان صغير،العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات ، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة باتنة ، 2011-2012.
279. سفيان صغيري،أثر علماء الجزائر في النشاط الفكري والتعليمي بالمغرب الأقصى من القرن 17 إلى 19م، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي ، 2021/2022.
280. شيخ لعرج ، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار شمال و غرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة أحمد بن بلة 1،وهران،2016-2017.
281. صباح بعارسية ، موقف الحكام و العلماء من المتصوفة في الجزائر في العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، (1435هـ/1436هـ)،(2014م/2015م).
282. عبد الرحمان بوسعيد، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في إطار المدرسة الدكتورالية الدين والمجتمع - ، جامعة وهران، 2011-2012
283. عبد العزيز بومدين، الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي راس الناصري الجزائري دراسة وتحقيق الجزء الأول)،مذكر مقدمة لنيل درجة المجاسيتر في العلوم الاسلامية،تخصص،كتاب وسنة،كلية العلوم الاسلامية،قسم العقائد والاديان،جامعة الجزائر 1،2016،1-2017.
284. عبد القادر بلعربي، التطور التاريخي للطريقة العيساوية وانتشارها في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليايس - بلعباس، 2014-2015..
285. عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني -دراسة عمرانية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، ج1، جامعة بوزريعة معهد الآثار ،،الجزائر، 2009-2010
286. عبد القادر صحراوي ، التصوف و المتصوفة في الجزائر العثمانية مابين القرنين السادس عشر والثامن عشر ، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة جيلالي اليايس ، سيدي بلعباس ، 2008-2009.

287. عبد القادر قرمان، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية، عمرانوية ومعمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2014، 2-2015.
288. عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية و منطلقاتها الفكرية و الادبية بمنطقة توات دراسة تاريخية و أدبية " نماذج شعرية من ديوان سيدي عبدالكريم بن محمد البلبالي " (1288هـ / 1860م)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، تخصص: الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016-2017.
289. عبدالحق شرف، العربي بن علي بن عبدالقادر المشرفي (ت1895) حياته وأثاره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2006-2007.
290. عبدالحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (924-1246هـ/1518-1830م) تأثيراتها الثقافية والسياسة، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2015-2016.
291. عبدالحليم طاهري، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق القصر بمدينة قسنطينة، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009.
292. عبدالرزاق بوضياف، إدارة أموال الوقف وسبل استثماره في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، أطروحة دكتوراه، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2006-2007.
293. عبدالقادر خليفة، الهياكل الاجتماعية والتحويلات المجالية في حي النزلة -تقرت- مذكرة ماجيستر في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، جامعة منتوري قسنطينة، 2002-2003.
294. عبدالمنعم قاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية: الاصول والآثار منذ ظهورها الى غاية الحرب العالمية الاولى، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الاسلامية، تخصص عقيدة كلية العلوم الاسلامية قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 2008-2009.
295. عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيون الاداريون في إقليم الشرق الجزائري -ارنست مارسيه نموذجاً - ، مذكرة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
296. علي بن العيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر 2008/2009.

297. علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي (40-132هـ/660-701م)، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 2012.
298. علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي (40-132هـ/660-701م)، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 2012.
299. عمار بوطبة، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010.
300. فاتن ادريس ، دراسة تقييمية لأعمال ترميم وتهيئة قصر الباي التيطري (المعروف بدار الامير عبد القادر) في مدينة المدية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ، 2011-2012.
301. فاطمة مقدم، الخصائص السردية في رحلة بن حمادوش الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران السانبة، 2010-2011.
302. فتيحة الواليش، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994.
303. قدور بوجلال ، العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830م معسكر و مازونة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي-معسكر، 2008-2009.
304. كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر -التأسيس والتطور (1850-1959)-، مذكرة ماجستير، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2008.
305. مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة لعلم الآثار الجزائر جامعة الجزائر 1981-1982.
306. محمد بن جبور صورة الجزائر و الجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و 18م. رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية وهران جامعة وهران 2002-2003.
307. محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني، مذكرة ماجستير غير منشورة في العلوم الاسلامية، قسم العلوم الاسلامية ، جامعة الجزائر 2014، 1-2015.
308. ملوكي كادي مختارية، دراسة مرفولوجية للمئذنة العثمانية في الجزائر، أطروحة دكتوراه في العلوم، في الهندسة المعمارية كلية العلوم والتكنولوجيا ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، 2018-2019.

309. منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10-13هـ/16-19م) بين التأثير والتأثر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران، 2014-2015
310. ميلود ميسوم مدرسة مازونة "دراسة تاريخية فنية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، مكتبة علم الآثار، 2002-2003.
311. هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الاسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، فرع الدولة العثمانية وغرب المتوسط (1492-1912م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة اسطمبولي مصطفى معسكر، 2020-2021.
312. وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ والآثار جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، 2016-2017.
313. يوسف حيدة، التوصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشاذلية أنموذجاً"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017.

سادسا: المراجع باللغة الاجنبية:

314. Abdeljalili Temimi, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), Publication de la revue d'histoire maghrébine, vol.8, Tunis, 1978.
315. Aicha Kerdoune, Mosquées historique de la ville d'Alger, Alpha, 2014.
316. André Nouschi, Constantine à la veille de l'occupation, Cahier tunisien, n°11, année 1955.
317. André Nouschi : Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1916, Paris, 1961.
318. BEN TOUNES CHERIF KHALED, LE SOUFISME CŒUR DE LISLAM EL ALAMIN, SETIF, 1997.
319. Berque (A), L'Algérie terre d'art et histoire, Alger, 1937.
320. Berque Jacques « Retour à Mazouna » in Annales économiques ; Sociétés ; civilisation n° 01 ; janvier-Février 1972.
321. Blismon, Notice Topographique Sur Le Royaume et la Ville d'Alger, Paris, 1830.

322. Bodin (M) , Note et question sur sidi Ahmed ben Yousef, Rev Afr N° 66, 1925, OPU, Alger, 1986.
323. C. Bentems , Manuel des institutions de la domination turque à l'indépendance, T1, Paris, édu Cujac, 1976.
324. Federmann et Aucapitaine, «Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de titerie», in R.A, N° 9 ,1865.
325. FILALI Kamel, saintete Marabotique et Mysticisme ,Contribution à l'étude du mouvement Marabotique en ALgerie sous La Domination ottomane,in Insanyyat,1997.
326. Gouilly, L'Islam dans L'Afrique occidentale Française, Paris, 1952.
327. Grangand Isabel ,la ville emprenable une histor sociale de Constantine au 18éme sièle édition media plus, Constantine,2004.
328. Grangand Isabel ,la ville emprenable une histor sociale de Constantine au 18éme sièle éditionmedia plus, Constantine,2004.
329. Henri Leon Fey Histoire d'oran , la Domination espagnole Alger Editions Dar El- Gharb 2002
330. Khiati Mostefa, histoire de la médecine en Algérie « de l' antiquité à nos jours » la médecine dans l' Algérie ottomane du XVe au début du XIXe siècle. Algérie: dar Houma,2012.
331. Klein(H) , Feuilletts d'El-Djezair, L.Chaix Editeur, Alger, 1937.
332. l'Intendant, M.Rapport sur l' administration des corporation religieuses à Monsieur l'Intendant Civil Alger, F80/1082, Aix en province: A.O.M..1837
333. Laugier de Tassy Histoire du Royaume d'Alger Amsterdam ,
334. Mahfoud kaddache :l'Algérie durant la période otomane office des publications universitaires. Alger .1944.
335. Moulay Belhamissi , Mazouna une petite ville une longue histoire , sned Alger , 1981.
336. Moulay Belhamissi Histoire De Mazouna Des Origines à nos jours Alger .
337. Pananti, Relation d'Un Sejour à Alger, Paris, 1820, p.161.
338. Rebert brunce lwing deux reeis de voyage un unidits en Afrique du nord ou v^e siècle. Abdal. Basit B hkalil et Adortre ,paris v ,i -arouse éditeurs, 1936
339. Registre 54, Les Archives National d'outre-mer d'Aix-en-Provence, France.
340. Robert Tinthoin, L'Oranie, sa géographie, son histoire, ses centres vitaux,éd, Robert Oran,1952.
341. Saidouni N.Eddine: L'Algérois rural a la fin de l'époque ottomane (1791 - 1830), Dar-Al-Gharb-Al-islami, Beirut, 2001.
342. Saidouni Nacereddine, le waqf en Algérie a l'époque ottoman, série de livres 4, Koweït: Kuwait Awqaf Public Foundation,2007
343. Shaler (W), Esquisse de l'état d'Alger, Traduit de l' Anglais et enrichi de notes par : M.X.Bianchi, Toulon, 1830.

344. Shaw (T), Voyage dans la régence d'Alger, Paris 1830.
345. Tall Shuval, La Ville D'Alger Vers La Fin du XVIII eme siècles, CNRS, Edition, Paris, 1998.
346. Tomass chaw ,Voyage de notes régence d'alger . traduit de l'anglais paris par M Mac
347. Vayssettes Eugène, histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837, Paris, Bouchene, 2002.
348. Venture de Paradis, Alger au XVIIIème siècle, édité par E. Fagnan, Alger, 1898.
349. Zakia Zahra, D'Istanbul à Alger: La fondation de waqf des subul al-khayrat et éme siècle à lases mosqueés hanéfites à l'époque ottomane (du début du 18° colonisation Française), Thèse Doctorat, Aix-Marseille Université, 12 juillet, 2012.

سابعا: المجالات باللغة العربية:

350. إبراهيم مجاهدي، آمال يوسف، عناصر الدعم في العمائر الدينية العثمانية بالغرب الجزائري، دراسة تنمطية "مساجد مدينة معسكر أنموذجا"، مجلة هيرودت للعلوم الانسانية والاجتماعية، مج 5، ع 2، 2021.
351. إبراهيم مشراوي ، فطيمة مهري ، أوضاع المتصوفة في العهد المرابطي و الموحيدي ، مجلة الإحياء ، مج 21، ع 28، جانفي 2021.
352. أبو بكر حبوسة، «دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر»، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج 7 ، ع 4 ، جامعة تامنراست 2018.
353. أحمد الحمدي، "أهمية مخطوط لقطعة العجلان في شرف سيدي عبد القادر بن زيان في تاريخ الجزائر الحديثة" مجلة الحضارة الإسلامية العدد، 12، 1426هـ - 2005م.
354. أبو القاسم سعد الله، رسالة في الكرة الفلكية منسوبة إلى ابن حمادوش الجزائري القرن 18م (Annales de l'université d'Alger)، مج 5، ع 1، جوان 1990.
355. أحمد الحمدي، رمزية الكرامة ومدلولها في مناقب أحمد بن يوسف الملياني، مجلة الحضارة الإسلامية، مج 17، ع 28، جانفي 2016.
356. أحمد بوسعيد ،البارون دسلان De Slane (1801-1879م) وحركة نشر المخطوط الجزائري، رُفوف، مج 5، ع 1، مارس 2017.
357. إدريس بن خويا، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات - بين المرجعية المعرفية والممارسة العملية، مجلة الحقيقة ، مج 7، ع 2، ديسمبر 2008.

358. إسماعيل بركات، أحمد بن يوسف الملياني وضريحه المجال والمقدس بين الحضور المادي والاستحضار المعنوي من خلال كتب المناقب والأحكام، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 7، ع1، جوان 2023.
359. اسماعيل زيوش، جوانب من السياسة الدينية للباي محمد الكبير ببايلك الغرب 1779-1797، دراسات وأبحاث، مج12، ع1، جانفي 2020.
360. أشرف صالح محمد سيد ، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد التركي ، مجلة اماراباك ، مج 4، ع7، 2013.
361. أمينة سعود، زوايا الطريقة الرحمانية في الجلفة و دورها الديني و الاجتماعي، التراث، مج2، ع15، 2012/11/3.
362. أعقيل نمير، «المؤسسات الوقفية بالجزائر في العهد العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات نموذجا»، مجلة دراسات تاريخية، ع116، جامعة دمشق، 2011.
363. أقدوش ماضي، بن بوزيان عبدالرحمان، حاضرة قسنطينة واسهامات علمائها في الحركة الفكرية خلال القرن 7 10 هـ / 13 16م، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج8، ع2، (عدد خاص)، نوفمبر 2022.
364. أحمد بوشريط، ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: "منشور الهداية" أنموذجا، مجلة عصور الجديدة، مج5، ع18، أكتوبر 2015.
365. أمير يوسف، إسهامات الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671-1830)، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2، ع14، 2012م.
366. أمينة التجاني، الطريقة التجانية " النشأة و الخصوصية السويسو انثروبولوجية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، مج14، ع1، 2022.
367. إيمان عمرواي، الزخرفة في العمارة الدينية "دراسة وصفية فنية لمسجد كتشاوة بعد الترميم أنموذجا"، جماليات، مج7، ع1، جوان 2020.
368. بختة خليلي، أضواء على تاريخ قلعة بني راشد وسير علمائها، المحترف، مج 8، ع4، ستمبر 2021.
369. بدرالدين شعباني، مدينة قسنطينة في العهد العثماني -الأصالة والتراث-، مجلة الدراسات، مج7، ع1، 2020.

383. تقي الدين بوكعب، دحو فغرور، الإسهامات العلمية للشيخ محمد المصطفى بن بد الله الدحاوي المعسكري، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع و التاريخ، مج5، ع1، ستمبر 2019.
384. تقي الدين بوكعب، دراسة وتقديم مخطوط "الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب" المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج14، ع2، ديسمبر 2018.
385. توامة نعاة، جدلية الأصول المعمارية لعنصر المحراب في العمارة الإسلامية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مج6، ع11، ديسمبر 2016.
386. توامة نعاة، عمارة المساجد العثمانية في بايلك الغرب بين استمرار الطرز المحلية ومظاهر الانتفاع على الطرز الوافدة، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج3، ع1، جوان 2019.
387. جمال الدين مهلول بن عمر حمدادو، منهج أبو حامد العربي المشرفي في التأريخ للجزائر من خلال مخطوط " طرس الأخبار بما جري آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار"، الحوار المتوسطي، مج11، ع2، ستمبر 2020.
388. جمال عطابي، معالم وأعلام مدينة مازونة التاريخية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع10، جوان 2017.
389. حبيب بوزادة، دور علماء معسكر في فتح وهران من الاحتلال الاسباني (1206هـ/1792م)، عصور، مج18، ع1، جوان 2016.
390. حبيب رزاق، منهجية الشيخ الإمام أبي راس الناصري (ت، 849هـ) في الفتاوي من خلال كتابه، الحاوي لنبيذ من التوحيد والتصوف والفتاوي، مجلة الحضارة الإسلامية، مج12، ع1، مارس 2011.
391. حجاج ميلود "الباي محمد بن عثمان محرر مدينة وهران" مجلة المتحف الوطني، أحمد زبانة، وهران.
392. حسناوي الساسي، الجهود الفقهية للحافظ محمد أبي راس الناصر الجزائري (ت1238هـ) وأثرها في حفظ المرجعية الدينية في الجزائر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مج14، ع1، فيفري 2023 .
393. حسين بخلوة، أحمد الحمدي، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري (988-1073هـ/1580-1663م) مجلة الخلدونية /مج9، ع1، جوان 2016.
394. حسين جيلالي بن فرج، دحو فغرور، تعاليم الطريقة الدرقاوية ورجالها خلال النصف الاول من القرن 19م من خلال مخطوط "كنز الاسرار" لأبي زيان الغريسي، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، مج1، ع1، جوان 2018.
395. حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وعدوة الأندلس من خلال " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مجلة العلوم الإنسانية، مج2، ع1، ديسمبر 2012.

396. خديجة بورملة، قسنطينة في جغرافية ورحلة الحسن الوزان، عصور الجديدة، ع 18، عدد خاص بقسنطينة، أوت 2015.
397. خليل الزاوي، ميلود عمارة، قواعد الترجيح عند الإمام الثعالبي من خلال تفسيره الجواهر الحسان، Annales de l'université d'Alger، مج 35، ع 2، جوان 2021.
398. خيرالدين شترة، الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830- مطلع القرن 20م)، مجلة الحقيقة، مج 10، ع 2، جويلية 2011.
399. خيرة صافة، التأصيل الفقهي والتكوين التاريخي للوقف، مجلة الفقه القانوني والسياسي، مج 3، ع 2، أكتوبر 2022.
400. خروس مصطفى، لوافي سمية، سيرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ومنهجه في الوصول إلى الله (1077- /1166م)، عصور، مج 22، ع 19، 1/06/2023.
401. الدراجي بلخوص، النظم والمعاملات المالية في بابلك قسنطينة في القرنين (10-11هـ/16-17م) من خلال نوازل الفكون، مجلة المفكر، مج 6، ع 1، جوان 2022.
402. دواجي جلول عبدالقادر، أضواء على مدينة مازونة و مدرستها الجزائرية خلال العهد العثماني في الجزائر، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، ع 70، ديسمبر 2020.
403. رشيد بكاي، تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث، ع 8، ديسمبر 2011.
404. رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 2017، 12.
405. رشيدة شدري معمر، الزوايا و دورها الديني و الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المعيار، مج 24، العدد 49، 2020.
406. رشيدة شدري معمر، «المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م»، مجلة المعارف، مج 11، ع 20، جامعة البويرة جوان 2016.
407. رفيق حميدة، تعقبات عبد الكريم الفكون عن ابن المسبح في عمدة البيان من خلال كتابة نظم السدر فسي شرح المختصر -المقدمة والطهارة-، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، مج 10، ع 1، جوان 2020.
408. رفيق شلابي، التأثير الأندلسي المعماري خلال العهد العثماني - قسنطينة أنموذجا -، مجلة الراصد العلمي، مج 9، ع 1، جويلية 2002.

409. زكية منزل غرابة، دور الوقف في نشر العلم خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الانسانية، ع، 2009، 14.
410. زهرة دياب بزويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني، مجلة المعارف الإسلامية، مج 21، ع 1، جوان 2021.
411. زهية دباب، وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الانسانية، مج 21، ع 1، جوان 2021.
412. زيدان نعيمة "سيرورة المدرسة الجزائرية". مجلة المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ تصدر عن المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي، معسكر، العدد الأول، جانفي/ ديسمبر 2007.
413. السرحان محي هلال ، الربط الاسلامية - تعريفها وتاريخها ودورها في الدفاع عن الحدود- مجلة المورد ، مجلد 14، العدد 3، بغداد 1985
414. سعد طاعة، الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 5، ع 2، 26-12-2019 .
415. السعيدة أو تبغزيت ، نشأة الفكر الصوفي التجاني، مجلة العلوم الإسلامية و الحضارة ، ع 3، اكتوبر 2016.
416. سعيدة رقاد، الحواضر العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، عصور الجديدة، ع 23، عدد خاص، أوت 2016.
417. سعيد بوزينة، المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة منير التراث الأثري، مج 2، ع 1، أبريل 2013.
418. سعيد بوزينة، تأريخ المبني بالكتابات التذكارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الانسان والمجال، مج 6، ع 2، ديسمبر 2020
419. سعيد بوزينة، محمد مشموش، المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل، مجلة الانسان والمجال، مج 7، ع 1، جوان 2021.
420. سعيدة زيزاح ، الطريقة التجانية : النشأة و التطور، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع 9، نوفمبر 2014.
421. سعيدة زيزاح ، ظاهرة الطرق الصوفية و التغيير الاجتماعي في المجتمع الجزائري ، مجلة الباحث ، العدد الحادي عشر، ديسمبر 2012.
422. سليمة بن حسن ، صلاح الدين هدوش ، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين أبو مدين شعيب (ت 594هـ) أنموذجا ، مجلة الاحياء ، مج 22، ع 31، جوان 2022 .

423. سهيل خالدي ، مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان أنموذجا ، آفاق و افكار ، ع03،2012.
424. سوسن ابرادشة،مدرسة مازونة الفقهية وتأثيرها على الحواضر المجاورة،دراسات تاريخية،مج 10، ع 2، أكتوبر2022. شريف عبدالقادر ، حلة عبد الباسط بن خليل إلى المغرب الأوسط. (866_ هـ - 1462م/871 هـ -1466م)، دراسات تاريخية،مج10، ع1، 16-04-2022.
425. صالح بوسليم ، جهود الشيخ سيدي المختار الكبير في نشر الطريقة القادرية بالساحل و الغرب الإفريقي خلال القرنين 18 و19م، الحوار المتوسطي،مج5، ع2، 10-12-2014 .
426. صالح بوسليم ،محمد الزين ،حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، الحوار المتوسطي،مج4، ع15، 1/03/2013.
427. صباح بعارسية ، أصول التصوف الإسلامي ، جامعة الجبيلسي بونعامية، دراسات تراثية،مج7، ع1، جانفي2017.
428. صباح بعارسية ، نظرة على السلطة الدينية (المتصوفة) في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة أنثروبولوجية الأديان ، مج 17، ع15، 01جانفي 2021.
429. صبرينة لنوار،مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني(القرنين 17-18)،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنساني/جامعة بابل، ع34، أب2017م.
430. صبيحة بخوش، «وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني»، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 1، ع2، المدرسة العليا بوزريعة - الجزائر، 2008.
431. صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني 'دراسة في الواقع والمعطيات"، مجلة الذاكرة ، ع 11، 2018
432. طالبي عطاء الله علاقة الحكام الأتراك برجال الدين و العلماء في الجزائر 1656 - 1830 بحث في منهجية الدراسات المعمقة الجزائر معهد العلوم الإجتماعية- دائرة الدراسات التاريخية 1980.
433. طوبال فاطمة الزهراء، الأمراض و الأوبئة بالجزائر فترة الحكم العثماني من خلال البحوث الطبية، آفاق فكرية،مج9، ع2، أكتوبر2021.
434. طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف (ع14)، جامعة البويرة ، الجزائر ، أكتوبر2013.
435. عبد الحفيظ حيمي، الطريقة التجانية في الجزائر و موقف السلطة العثماني منها من خلال المصادر المحلية 1196-1242هـ(1782-1826م)، آفاق الفكرية،مج4، عدد خاص،2018.

436. عبد الحميد جنيدي، اقليم توات واهميته في التجارة الصحراوية، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، مج 3، ع 1، ماي 2018.
437. عبد الحكيم مرتاض، أبو مدين شعيب (ت589هـ/1193) دفين العباد بتلمسان حقائق جديدة حول غياب المعالم الزمنية في سيرته، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج 8، ع 2، 2021/8/8.
438. عبد الحميد حاجيات: "السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه" مجلة تاريخ وحضارة المغرب العدد الخامس 1968.
439. عبد الحميد حاجيات، دور الثعالبية في تاريخ ناحية متيجة خلال عهد الدولة الزيانية ، قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية، مج 1، ع 0، ديسمبر 2008.
440. عبد الرحمن تركي ، التصوف الاسلامي : المفهوم والنشأة " دراسة تحليلية " ، مجلة البحوث و الدراسات ، ع 4، يناير 2007.
441. عبد العزيز لعرج "المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وإنتشارها". مجلة دراسات إنسانية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر، العدد 01، 2001 .
442. عبد القادر خليفي، مقدمة:قراءة في "الطريقة الشيخية"لابي قاسم سعدالله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، عصور الجديدة، ع 21-22، ماي 2016.
443. عبد الكريم حمو، حمدادو بن عمر، التراث التفسيري في الجزائر من خلال مخطوط "الإبريز والاكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري المعسكري" - دراسة لغوية بلاغية-، الحوار الثقافي، مج 11، ع 2، ديسمبر 2022.
444. عبد المنعم القاسمي الحسني، رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، المجلة المغربية للمخطوطات، مج 10، ع 1، ديسمبر 201
445. عبد الباقي مفتاح، الإمام الجنيد عند محيي الدين ابن العربي، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، مج 1، ع 1، جوان 2018
446. عبدالعزیز الهادي، الخطاب الديني الاصلاحی فی العهد العثماني الشيخ عبد الكريم الفكون (988-1073هـ) - (1580-1662م نموذجاً، أفاق فكرية، مج 10، ع 1، ماي 2022.
447. عبدالقادر بكار، منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون من خلال مؤلفه: منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا، مج 1، ع 1، جانفي 2018.
448. عبدالقادر بلعربي، أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني، أفاق فكرية، مج 10، ع 1، ماي 2022.

449. عبدالقادر بوزياني،دراسة تحليلية في منهج مخطوط" فتح المالك في شرح لامية ابن مالك"لعبد الكريم الفكون القسنطيني(ت1073م)،المجلة المغاربية للمخطوطات،مج16،ع1،جوان2020
450. عبدالقادر قرمان ، الزوايا في مدينة معسكر خلال العهد العثماني،مجلة مواقف،مج17،ع1،جويلية2021.
451. عبدالقادر قرمان ، المؤسسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني،Revue d'études archéologiques،مج11،ع2،ديسمبر2013.
452. عبدالقادر بوزياني،حياة شيخ الإسلام عبد الكريم القسنطيني(ت1073م)،آثاره العلمية كتاب((فتح المالك في شرح لامية ابن مالك))المجلة المغاربية للمخطوطات ،مج15،ع1،جوان2013.
453. عبدالنور عبد الرحمن، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 7، عدد خاص ، فيفري 2023.
454. عبدلي زوييدة،هيصام موسى، قبيلة مغراوة الزناتية في ظل الصراع بين الأمويين بالأندلس وبني زيري الصنهاجيين حلفاء الفاطميين ببلاد المغرب (391.361هـ/ 1001.971م)،مجلة عصور الجديدة،مج11،ع2،جوان2021.
455. عبيد بدواود، تجربة عبد الكريم الفكون في التأريخ والترجمة من خلال مؤلفه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية مجلة الحضارة الإسلامية ،،مج9،ع12،جوان2005.
456. عدة بن داهة، النزعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني،مجلة مواقف،مج3،ع1،ديسمبر2008.
457. عفاف مصباح بلق ، التصوف الاسلامي (مفهومه - نشأته و تطوره - مصادره) ، مجلة كلية التربية ، العدد الرابع عشر يونيو، 2019.
458. عماري فتيحة، فكاير عبدالقادر، علاقة أحمد بن يوسف الملياني بالطائفة البدعيّة اليوسفيّة من خلال المصادر التاريخية (الربع الأول من القرن 10هـ/16م)، المجلة التاريخية الجزائرية،مج7،ع1،جوان2023.
459. عالية سليمان سعيد العطرورز، النزعة الفكرية في منهج ابن تيمية،مجلة الدراسات الإسلامية،مج08،ع15،2/06/2020.
460. عمر بلبشير، قراءة في تراث الشيخ أبي راس الناصري "المخطوط" كتاب «الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى» نموذجاً، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج16، ع2، ديسمبر2020.

461. عز الدين بن سيفي:منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة ،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية جامعة خنشلة،مجلة النصارية للدراسات الاجتماعية والتاريخية،مجلد 11، عدد 2 ديسمبر، 2020.
462. فاطمة الزهراء طوبال،ظاهرة التدخين في الكتابة التاريخية في العهد العثماني مخطوط "محدد السنان" لابن الفكون أنموذجا،مجلة الراصد العلمي،ع5،ماي2018 .
463. فاطمة الزهراء قنشي معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، ع19-20، 2013.
464. فاطمة الزهرة قلال،مصطفى مغزوي،الاسهام العلمي للشيخ أحمد زروق الفاسي (846 - 899 هـ)،المجلة الجزائرية للمخطوطات،مج18، ع1، مارس 2022 .
465. فاطمة داود ، التصوف الإسلامي مفهومه و أصوله ، مجلة حوليات التراث ، 20041، 1.
466. فاطمة درعي، المذهب المالكي وجهود علمائه في ترسيخ ثقافة التعايش في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية،مج13،ع2،ديسمبر2021.
467. فاطمة درعي،العالم مصطفى بن زرفة الدحاوي ورحلته القمرية،الحوار المتوسطي،ع13-14،ديسمبر2016.
468. فاطمة درعي،القبائل المتعاونة مع الاحتلال الاسباني من خلال كتابات علماء معسكرالمشرفي والشقراني أنموذجا،مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والانسانية،مج2، ع2، 2021.
469. فاطمة غالم ،عبدالقادر بوباوية،مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية،عصور الجديدة ، ع23-عدد خاص ،أوت1437هـ/2016.
470. فاطمة مقدم،قراءة في مضامين الخطاب الشعري المغاربي القديم،عبدالرزاق ابن حمادوش الجزائري أنموذجا،مجلة الكلم،مج5،ع1،جوان 2020.
471. فائزة بوشيبة، التنظيم الإداري في ببيالك التيطري خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية،مج11،ع2010،1.
472. فائزة بوشيبة، لمحة تاريخية عن مدينة المدية خلال القرنين 18و19م،مجلة متيجة للدراسات الانسانية،ع7،جوان 2017.
473. فتحي زناقي، الولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني كما وصفه ابنُ مُريدِه أبو عبد الله محمد الصباغ القلعي في كتابه (بستانُ الأزهار في مناقبِ زمزم الأخيار ومعدنِ الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار)،مجلة الاستيعاب ،مج3،ع2،ماي 2021.

474. فتحي زناقي، لتعريف بمخطوط بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرأشدي النسب والدار الشيخ أبي عبد الله محمد الصباغ القلعي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج13، ع11، 30-06-2015.
475. فتيحة بن حميد، الحملة العسكرية الفرنسية بقيادة كلوزيل على معسكر سنة 1835 م . قراءة في الحثيات والنتائج، مجلة الدراسات التاريخية، مج 19، ع1، فيفري 2018.
476. فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، 2013.
477. فطيمة الزهراء حوتية، ملامح من التنظيم الثوري في العرق الغربي الكبير بالجنوب الجزائري، مجلة آفاق للعلوم، ع 10، جانفي 2018
478. فيصل مبرك ،الطائفة اليوسفية بدعة دينية واجتماعية من خلال المصادر المغربية "ق 16 - 17م"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ع 9 ،جويلية 2015 ،ص 146-147.
479. قاسم الحادك، الخلفيات التاريخية في تبني الزاوية الدرقاوية بالمغرب لنهج المقاومة والدعوة الى الجهاد، التراث، مج4، ع 4، ستمبر 2014.
480. قاسم كسار أحمد، الإمام القشيري وجهوده في أسلمة الدراسات اللغوية، مجلة حوليات التراث، مج12، ع05، 12/09/2012.
481. قدور بوجلال ،المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 17، ع2، ديسمبر 2017، ص239 .
482. قدور بوجلال ،جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الاسبان بوهران على ضوء مؤلفه "بهجة الناظر" مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج13، ع 1، جانفي 2022.
483. قدور بوجلال، اسهامات الشيخ عبدالقادر المشرفي في الحفاظ على وحدة إيالة الجزائر أمام الخطر الإسباني، مجلة الحضارة الاسلامية، مج 17، ع29، جوان 2016.
484. قدور بوجلال، إسهامات العلماء في التعريف بالوسائل القتالية ونشر الوعي العسكري خلال فتح وهران الثنائي عام 1791م على ضوء المصادر المحلية، المجلة الجزائرية التاريخية، مج5، ع21، 1/06/2021.
485. قدور بوجلال، الاسهامات العسكرية لعلماء وطلبة حاضرة معسكر في فتح مدينة وهران عام 1791م على ضوء المصادر المحلية، مجلة هيروdot للعلوم الانسانية و الاجتماعية، مج 6، ع 1، أفريل 2022.

486. قدور بوجلال، ثورة الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب 1805-1813م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 4، ع 2، ستمبر 2021.
487. قدور بوجلال، فغور دحو، الدور الثقافي والحضار لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الانسانية، مج 6، ع 1، جوان 2016.
488. قويدر قيدياري، الطرق الصوفية و السلطة العثمانية في الجزائر 1520-1830، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، ع 10، ديسمبر 2015، ص 113.
489. عيسى قوراري، عادات العمل عند قبيلة حميان البدوية مقارنة أنثروبولوجية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج 6، ع 15، 2010/06/2.
490. كريمة بلعز ، المسار الفلسفي و التاريخي للتصوف ، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، مج 5، ع 02، ديسمبر 2019
491. كمال بن صحراوي ، اثر الاحتلال الاسباني على ريف بايلك الغرب الجزائري، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 2، ع 2، أكتوبر 2019.
492. لخضر عورايب ، الطريقة القادرية في الجنوب الشرقي الجزائري و دورها في مواجهة الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر و العشرين ، مجلة دراسات و ابحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج 13، ع 1، جانفي 2021.
493. لطيفة بورابة، مباني قلعة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية أثرية)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 11، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، سبتمبر 2014.
494. لطيفة بوربة، الأثار الباقية من جامع السيدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)، دراسات في آثار الوطن العربي، 2016.
495. محمد الأمين بلغيث، "مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي". مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الأول، 1425هـ/ 2004م.
496. محمد السعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران الجزائر، 2015.
497. محمد عيساوي، المؤرخ لسان الدين بن الخطيب " حياته ومنهجه في التدوين التاريخي " كتاب أعمال الأعلام أنموذجا"، التراث، مج 6، ع 15، 2015/03/1.
498. محمد بوركبة ،دراسة مخطوط ميمية في الدعاء والابتهال" للشيخ ابن مرزوق التلمساني (766-842هـ /1364-1439م)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 6، ع 7، 2010-06-30.
499. محمد الطاهر "مازونة مهد العلم و الحضارة" مجلة غيزان أحداث، العدد 07 ماي 1995.

500. محمد أمين طاهير ، الجهود الاستشرافية لأننا ماري شميل ، مجلة المعيار ، مج25، ع20253، 53.
501. محمد بشير بويجرة، "التسامي و العبقريية عند أبي راس، قراءة في فتح الإله وفق المنهج النفسي". مجلة قراءات، دورية لغوية أدبية محكمة يُصدرها قسم اللغة العربية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي بمعسكر، العدد، الأول، 2008.
502. محمد برشان، الحركة العلمية في الزوايا -الزاوية الزيانية-أنموذجاً-، دراسات إنسانية واجتماعية، مج2، ع2، جانفي 2013.
503. محمد بكار ، الشيخ محي الدين بن مصطفى والزواوية القادرية، مجلة الأفاق، ع2، مارس 2015.
504. محمد بليل، مساهمة علماء وطلبة منطقة مستغانم في تحرير وهران الأول والثاني 1708-1792، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا، مج2، ع2، اكتوبر 2019.
505. محمد بوركيية، جوانب من مخطوط "قلعة بني راشد" للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخترطات، مج1، ع1، جانفي 2004.
506. محمد بوشنافي، أبو راس الناصر المعسكري و قضايا عصره من خلال مؤلفاته، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج2، ع1، ديسمبر 2015.
507. محمد حقي ، تنظيم الرباطات بالمغرب الوسيط رباط أسفي نموذجا ، عصور الجديدة ، العدد 24-25، صيف -خريف (أكتوبر) ، 1437-1438هـ / 2016م.
508. محمد حمادي، السماع الصوفي عند الطريقة العيساوية بين المقدس والدنيوي-مقاربة أنثروبولوجية-التدوين ، مج1، ع1، ديسمبر 2009.
509. محمد دلباز ، الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني المساجد والكتاتيب أنموذجاً»، مجلة منتون، مج9، ع3، جامعة مولاي الطاهر - سعيدة، 2016.
510. محمد قن، بعض المعالم الحضارية لمدينة الجزائر قبيل 1830، دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج14، ع1، جانفي 2022.
511. محمد لوسرة، "معسكر تاريخ وأمجاد". مجلة قراءات، دورية لغوية أدبية محكمة يصدرها قسم اللغة العربية بالمركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد، الأول، 2008م.
512. محمد محمدي، «العائدات الوقفية واسهاماتها في المجالات العلمية والثقافية بالجزائر إبان العهد العثماني (1516-1830)»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج7، ع1، مؤسسة كنوز الحكمة، 2019.

513. محمد موفق، مقاربة من ثورة بني شقران، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج2، ع3، ديسمبر 2006.
514. محمد الأمين بوحلوفة، مخطوطة مدرسة مازونة قراءة في التاريخ وجرى لبعض مخطوطاتها، مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية، ع7، جانفي 2017.
515. مختار حساني، عرض لمخطوط الملياني، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج10، ع1، ديسمبر 2014.
516. مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة انسانيات، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع14-15، 2001.
517. مرية شارف، لخضر بن بوزيد، انعكاسات السياسة الضريبية على قبائل بايلك التيطري أواخر العهد العثماني، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج18، ع2، جوان 2022.
518. مريم رزاق بعرة، أمال علوان، دور المساجد في التفاعل الثقافي في المجتمع الجزائري إبان العهد العثماني، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، ماي 2022.
519. مصطفى خاتمي، قبائل الونشريس ودورهم في المقاومات خلال الفترة الرومانية 40م- 284م)، هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، ع3، ستمبر 2017.
520. مليكة بن رية، الشيخ عبدالقادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية و منهجه إصلاح التصوف، دراسات وأبحاث، مج13، ع1، جانفي 2021.
521. مليكة حنيش، «قراءة سوسيولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية»، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج4، ع1، جامعة حسيبة بن بوعلوي - شلف جوان 2017.
522. مليكة برواق، البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر (دراسة معمارية أثرية وجمالية لجامع كنتشاوة)، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، مارس 2017.
523. المنور عواد، البيوتات العلمية في قسنطينة، البيت الفكوني أنموذجا، مجلة الحضارة الإسلامية، مج20، ع2، ديسمبر 2019.
524. المهدي البوعبدلي: " ظهور السلفية في الجزائر " مجلة دراسات مغربية، العدد الأول، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية لوهران أكتوبر 1988.
525. موساوي عبد الله، واقع الاحتفالات الدينية بالجزائر العثمانية على ضوء رحلة " ابن حمادوش الجزائري"، أفاق فكرية، مج7، عدد خاص، ماي 2019.

526. مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج4، ع2013، 16.
527. ميلود ميسوم، بغداد غربي، الدور السياسي والثقافي للطريقة الشيعية في مناهضة الاستعمار الفرنسي يف الجزائر، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، العدد السابع، ديسمبر 2019.
528. ميلود ميسوم، ملامح من الحياة الثقافية بحاضرة مازونة خلال العهد العثماني، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج10، ع1، جوان 2019.
529. ناصر الدين سعيدوني، "الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي"، مجلة الأصالة، 89-90، الجزائر، 1981.
530. نبيلة شلابي، «الحالة العلمية بالجزائر العهد العثماني القرنان الثاني عشر والتاسع ميلادي) من خلال رحلة أبي رأس المعسكري فتح الإله ومنته»، مجلة الإحياء، مج19، ع23، جامعة باتنة1، ديسمبر 2019.
531. نصيرة بحري، محمد قادة، صورة أبي رأس الناصري من خلال رحلته فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج14، ع1، جوان 2023.
532. نصيرة بحري، استقراء التاريخ من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة مدارات تاريخية، مج1، ع4، ستمبر 2019.
533. نصيرة تتبیرت المعالم الأثرية بمدينة المدية العثمانية»، المجلة المغربية للمخطوطات، مج6، ع1، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2011.
534. واقية نقطي مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة آفاق فكرية، مج5، ع10، ماي 2019م.
535. وردة لعراب، عبد اللطيف حني، إشكالية الشرعية الأجنبية لرحلة ابن حمادوش الجزائري، القرى للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية، مج4، ع2، جوان 2021.
536. وردة مسيلي، شرح لامية الأفعال بين ابن الناظم الأندلسي (ت:686هـ) وعبد الكريم الفكر القسنطيني (1073هـ) دراسة وصفية تحليلية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج5، ع10، جانفي 2009، ص150.
537. وردة ن، مدرسة سيدي الكتاني شاهدة على التواجد الديني في قسنطينة من ثلاثة قرون، الخبر، 29 يونيو، 2014.
538. وهيبة خليل، المساجد المندثرة بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية وبعض شواهدا المتبقية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع2022، 2.

539. ياسين بريك، موقف علماء السنة الجزائريين من التصوف في القرن الحادي عشر هجري عبد الكريم الفكون نموذجا، المعيار، مج18، ع35، جوان2014.
540. يوسف حيدة، أثرالفكرالصوفي الاندلسي في تعاليم الطريقة الشاذلية، مجلة الحضارة الإسلامية، مج18، العدد الاول، ديسمبر2017، ص 297 .
541. يوسف حيدة، علاقة القبيلة بالطرق الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الشاذلية والحنانشة نموذجا)، مجلة المعيار، مج 24، ع 2020، ص 195.
542. يوسف ولد النبوية، أبو راس الناصري في كتابات أبي القاسم سعد الله، التراث، مج8، ع4، ديسمبر 2018.
543. شنتوح ليليا، الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الصوفي، Annales de l'université d'Alge، مج32، ع1، مارس 2018.
- ثامنا: المجلات باللغة الأجنبية:
544. Bousquet promenade Sociologique Une medersa dechue Mazouna. In Revue Africaine ; 1947.
545. Federmann et Aucapitainc : notice sur l'histoire et l'administration du beylik de titeri in, Revue Africaine, 1993.
546. Géniaux charles, Mazouna. In Revue des deux mondes, 1921.
547. Leclerc CH « Les inscription arabes de Mascara, Mosquée d' Ain Beidha », revue Africaine, T 4, Année 1859-1860, offices des publications universitaires- Alger.
- تاسعا: الملتقيات والمحاضرات:
548. عبد القادر بوباية، الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي ، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة .
549. عبد الكريم بوصفصاف، التصوف في الجزائر المدارس و الفروع ، منشورات جامعة أدرار، مطبعة غرداية، ع1، الملتقى الدولي 11 التصوف في الإسلام و التحديات المعاصرة ، ج 1، 2008، 2009/.
550. عطا الله طالبي صور من الحياة الثقافية في مدينة الأغواط بدءا من القرن 18 إلى بدايات القرن 20، أعمال الملتقى الأول للتاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، إتحاد الكتاب الجزائريين فرع الأغواط، 14 - 16 أفريل 1998.

551. الفكر و الاشعار ، المؤتمر الدولي المتنقل بين المغرب و اسبانيا و البرتغال ، المغرب ، شفشاون 17،18، مارس 2017، اسبانيا ، إشبيلية 27،28، ستمبر 2017، البرتغال ، ميرتلة 29، ستمبر و أجزور 30 ستمبر و أكتوبر 2017 .
552. كمال فيلالي، "هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني". مجلة المواقف، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول، الظاهرة الدينية، قراءات جديدة من منظور العلوم الإجتماعية والإنسانية، أيام 14 و 15 و 16 أبريل 2008، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر
553. محمد الشريف سيدي موسى: جذور التصوف ببالد المغرب والجزائر، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدوانى /الزقم /الوادي /03/02/01نوفمبر 2000م.
554. مداد القاضي: " النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني و مكانتها بين النظريات المعاصرة لها " محاضرات ومناقشات الملتقى التاسع للفكر الإسلامي المنعقد بتلمسان 10.19 جويلية 1975 مطبعة البعث قسنطينة المجلد الأول 1979.
555. بولوجية سعاد،محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة 08 ماي 1945 قالمة،2019-2020.
556. الملتقى الدولي حول حياة وأعمال الشيخ سيدي أحمد بن عبد الرحمان الزواوي الأزهرى، لمؤسسة المنظمة: مؤسسة سيدي امحمد بن عبد الرحمن الأزهرى الثقافية،بتاريخ: 24-23 نوفمبر 2022.

المعاجم:

557. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة العربية و صحاح العربية مرتب ترتيبا ألقبائيا وفق أوائل الحروف ، راجعه و اعتنى به محمد محمد تامر و أنس الشامي و زكرياء جابر أحمد ، دار الحديث القاهرة ، 2009.
558. دوزي رينهاات، تكملة المعاجم العربية ، تعليق وتعريب، محمد سليم النعنعى ،ج5،دار رشيد للنشر، العراق ،1982.
559. عبد المنعم الحنفي، موسوعة الطرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، ط1، 1993.
560. محب الدين أبي الفيض ،تاج العروس من جواهر القاموس،ج8،د،س.
561. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،مج 2 ،دار صادر بيروت ،1977.

عاشرا:المواقع الالكترونية

562. <https://www.ajurry.com/apptips/home.html>
563. <https://dorar.net/about>
564. 17/03/2018elmassar-ar.com

www.djazaress.com06/08/2011 .i
565. <https://quran.ksu.edu.sa>.

فهرس الموضوعات

أ:مقدمة

الفصل الأول: التصوف الإسلامي وظهوره ببلاد المغرب

- 1 مفهوم التصوف : 13
- 1.1 اللغة : 13
- 2.1 اصطلاحا:..... 17
- 2 الجذور التاريخية لنشأة التصوف وتطوره:..... 19
- 3 العوامل المساعدة لظهور التصوف في العالم الإسلامي : 21
- 1.3 العوامل الداخلية:..... 21
- 2.3 العوامل الخارجية: 24
- 4 عوامل انتقال وانتشار التصوف بالمغرب الأوسط : 27
- 1.4 العوامل السياسية:..... 27
- 2.4 الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية:..... 29
- 3.4 الوضعية الثقافية ومستوى الحياة العقلية : 30
- 5 أهم الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني:..... 33
- 1.5 مفاهيم عامة حول الطريقة ومؤسساتها ومواردها: 33
- 2.5 مؤسساتها و مواردها : 35
- 3.5 مصادر تمويلها:..... 40
- 6 دور الزوايا التعليمية والديني:..... 42
- 7 نماذج من أهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية : 43
- 1.7 الطريقة القادرية : 43
- 2.7 الطريقة الشاذلية: 45
- 3.7 الطريقة الشاذلية : 47
- 4.7 الطريقة اليوسفية : 48
- 5.7 الطريقة الزورقية: 50
- 6.7 الطريقة الكرزائية (الاحمدية):..... 50
- 7.7 الطريقة الشيخية:..... 51
- 8.7 الطريقة الطيبية:..... 52
- 9.7 الطريقة الحنصالية:..... 54
- 10.7 الطريقة الزيانية : 55

55	11.7 الطريقة الرحمانية:
56	12.7 الطريقة الدرقاوية:
58	13.7 الطريقة التجانية:
	الفصل الثاني: الحياة الثقافية في دار السلطان وبايك التيطري مدينة الجزائر والمدية أنموذجا
63	أولاً: معالم الحياة الثقافية في دار السلطان مدينة الجزائر أنموذجا:
63	1 المحة تاريخية عن مدينة الجزائر:
65	2 جغرافية مدينة الجزائر:
67	3 السياسة العثمانية التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني:
68	4 المعالم الحضارية الثقافية لمدينة الجزائر:
68	1.4 أهم المساجد بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:
82	5 الدور التعليمي للمساجد خلال العهد العثماني:
84	6 أهم الزوايا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:
84	1.6 زاوية عبد الرحمن الثعالبي الجزائري:
84	2.6 زاوية الجامع الكبير:
85	3.6 زاوية الأندلس:
85	4.6 زاوية أحمد بن عبد الله زاوي:
85	5.6 زاوية سيدي محمد الشريف:
86	7 الكتاتيب والمدارس في مينة الجزائر خلال العهد العثماني:
89	8 الأوقاف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني
90	1.8 أهمية الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني :
91	2.8 نماذج من الأوقاف في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:
95	9 المكتبات:

ثانياً: واقع الحياة الثقافية في بايلك التيطري مدينة المدية أنموذجاً.

- 1 الجذور التاريخية لتأسيس بايلك التيطري: 97
- 2 قراءة جغرافية لبايلك التيطري وعاصمته المدية: 103
- 3 المعالم الثقافية في بايلك التيطري: 106
- 1.3 أهم المساجد و الكتاتيب في بايلك التيطري خلال العهد العثماني: 107
4. المدارس والزوايا في بايلك التيطري خلال العهد العثماني: 111
- 1.4 المدارس: 111
- 2.4 الزوايا: 113
- 5 أهم المكتبات والأوقاف في بايلك التيطري خلال العهد العثماني: 115
- 1.5 المكتبات في بايلك التيطري : 115
- 2.5 الأوقاف في بايلك التيطري : 115

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في بايلك الشرق مدينة قسنطينة أنموذجاً

- 1 الإطار الجغرافي والإداري لإقليم بايلك قسنطينة : 123
- 1.1 التقسيم الجغرافي: 123
- 2 بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة: 125
- 3 الجذور التاريخية لأصل تسمية مدينة قسنطينة: 131
- 4 المراكز الثقافية والدينية لحاضرة قسنطينة خلال العهد العثماني: 133
- 1.4 أهم المساجد في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني: 134
- 5 أهم الزوايا في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني : 139
- 1.5 زاوية ابن نعمون: 140
- 2.5 زاوية النجارين: 141
- 3.5 زاوية الفقون: 141
- 4.5 زاوية باش تارزي: .. 141
- 5.5 زاوية ابن رضوان: .. 141
- 6 الكتاتيب والمدارس والمكتبات بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني : 143
- 1.6 الكتاتيب في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني : 142
- 2.6 المدارس في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني: 144

- 7 المكتبات في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني..... 149
 1.7 المكتبات العامة : 149
 2.7 المكتبات الخاصة : 149
 8 لأوقاف في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني: 152

الفصل الرابع: المعالم الحضارية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني مدينة معسكر أنموذجاً

- 1 الإطار الجغرافي لبايلك الغرب: 156
 2 التأسيس التاريخي لبايلك الغرب: 158
 3 اختيار مدينة معسكر عاصمة لبايلك الغرب: 162
 4 معسكر خلال التواجد العثماني في الجزائر: 166
 5 معالم الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني حاضرة معسكر أنموذجاً: 167
 1.5 أهم المساجد في حاضرة معسكر: 168
 6 أهم الزوايا في حاضرة معسكر: 178
 1.6 زاوية سيدي بوسكرين: 178
 2.6 زاوية القبطنة: 179
 3.6 زاوية الشيخ عبد القادر المشرفي : 181
 4.6 زاوية أبي راس الناصري: 182
 5.6 الزاوية الراشدية: 154
 7 أهم المدارس في حاضرة معسكر خلال العهد العثماني: 185
 1.7 قراءة تاريخية عن مدينة مازونة التاريخية: 184
 2.7 أهم المدارس بـمازونة : 189
 3.7 المدرسة المحمدية: 200
 4.7 مدرسة القبطنة: 206

الفصل الخامس: نماذج من أعلام المخطوطات الجزائر العثمانية المتصوفة أنموذجاً

- 1 الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي: 211
 1.1 قراءة تاريخية للشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي: 213
 2.1 مولده ونشأته: 213
 3.1 معالم تصوفه و تأسيسه للطريقة: 216
 4.1 الحياة الصوفية للشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي : 217
 5.1 مناقبه وكرامته: 219

221	6.1 تلاميذه:
224	7.1 إسهاماته الفكرية والعلمية :
226	8.1 وفاته:
228	2لشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني:
228	1.2 نشأته:
229	2.2 شيوخه:
233	3.2 مكانته العلمية:
235	4.2 تلاميذه:
236	5.2 الإنتاج الفكري والعلمي للشيخ عبد الكريم الفكون:
237	6.2 منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية:
242	7.2 موقف الشيخ عبد الكريم من التصوف والمتصوفة والطرقية:
247	8.2 القيمة العلمية والتاريخية لمخطوط منشور الهداية:
248	9.2 وفاته:
249	3عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري:
249	لمحة بيوغرافية عن عبدالرزاق بن حمادوش الجزائري:
250	1.3 مولده ونشأته:
252	2.3 تكوينه الثقافي والعلمي:
260	3.3 مظاهر تصوفه:
262	4.3 الإسهامات الفكرية والعلمية لابن حمادوش:
269	4الشيخ أبو راس الناصر المعسكري:
269	1.4 إسمه ونسبه:
271	2.4 مولده:
271	3.4 كنيته:
272	4.4 لقبه:
273	5.4 نشأته وحياته العلمية:
273	6.4 مناقب العلامة الشيخ ابوراس الناصري:
274	7.4 رحلات الشيخ أبو راس الناصري المعسكري:
276	8.4 شيوخه:
278	9.4 تلامذته:

280	10.4 إجازته:
280	11.4 معالم تصوفه:
282	12.4 موقفه من التواجد العثماني:
282	13.4 آثاره العلمية:
287	14.4 وفاته:
290	خاتمة:
297	الملاحق:
322	البيبلوغرافيا:
366	فهرس الموضوعات:
372	الملخص:

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مساهمة النخبة المتصوفة في إثراء الخزانة الجزائرية على وجه خاص والمكتبة الإسلامية وجه عام بمؤلفات في مختلف التخصصات والفنون، كما برع علماءها في الفقه، ويظهر ذلك ما كتبه الشيخ أبو راس الناصري على سيدي خليل وسماه "واسطة عقد الحواشي علي جيد شرح الشيخ الخراشي" و كتابه الحاوي في التصوف، واحمد يوسف الملياني الراشدي الذي كتب العديد من المخطوطات من بينها بستان الأزهار لابن الصباغ القلعي، ونجد المتصوف الشيخ عبدالكريم القسنطيني الذي ألف العديد من المخطوطات من أهمها منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، وايضا العالم عبدالرزاق ابن حمادوش الذي زواج بين العلوم النقلية والعقلية وكان كثير التأليف ولعل أهمها رحلة ابن حمادوش المسماة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال كمصدر لتدوين تاريخ الجزائر عامة والتاريخ الثقافي خاصة، والعامل المشترك بينهم هو التصوف.

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ المتصوفة؛ الأعلام؛ المخطوطات، العهد العثماني.

Abstract :

This study aims to highlight the contribution of the Sufi elite in enriching the Algerian treasury in particular and the Islamic library in general with writings in various specializations and arts. Its scholars also excelled in jurisprudence, as shown by what Sheikh Abu Ras al-Nasiri wrote about Sidi Khalil and called it "Wasitat Aqd al-Hawashi Ali Jaid Sharh al-Sheikh al-Kharashi" and his comprehensive book on Sufism, and Ahmed Youssef al-Miliani al-Rashidi who wrote many manuscripts including Bustan al-Azhar by Ibn al-Sabbagh al-Qala'i. We also find the Sufi Sheikh Abdul Karim al-Qasentini who wrote many manuscripts, the most important of which is Manshur al-Hidayah fi Kashf Hal Man Atda'a al-Ilm wa al-Wilayah, and also the scholar Abdul Razzaq Ibn Hammadush who combined the transmitted and rational sciences and wrote many books, perhaps the most important of which is Ibn Hammadush's journey called: "Lisan al-Maqal fi al-Naba' an al-Nasab wa al-Hasab as a source for documenting the history of Algeria in general and cultural history in particular, and the common factor between them is Sufism.

Keywords: Sufism; Sufis; Flags; Manuscripts; Ottoman Era.